امحمد العثماني
الأستاذ المحاضر
بكلية اللغة العربية بمراكش
وكلية الشريعة بأكدير
شارع المدارس رقم 225 انزكان اكادير

محمد المختار السوسي

المعسول

١٥

المغرب

بسم اللہ الرحمن الرحیم

وصلی اللہ وسلم علی سیدنا محمد وآلہ وصحبہ

مـــن

الفصل الثانى

مـــن

القسم الرابع

المختص بالاخذين من الزاوية الالفية من العلماء والرؤساء والنبهاء

المذكورون في هذا الجزء :

شيخنا سيدى سعيد التنانى العارف بالله
الفقيه سيدى أحمد بن محمد التامارووتى التنانى
سيدى الحسن التامارووتى التنانى • الشاب المغتبط
الفقيه سيدى أحمد بن مبارك التامارووتى
سيدى عبد الملك الشريف التيغانيمينى التنانى
سيدى الحسن السناح الشريف التنانى
سيدى الحسين بن سعيد التامگونسى التنانى العارف بالله
الفقيه سيدى عبد الله الزيكى القاضى
سيدى محمد بن عبد الله ولده العارف بالله
سيدى الحسن الزيكى الفقيه الصوفى
سيدى أحمد الامشيرى الزيكى
سيدى الحسين بن العربى الزيكى
الفقيه سيدى محمد الزيكى نزيل القاهرة بالخوز
سيدى حمو الخطـــابى
الرئيس الحاج الحسن الكيلولى الحاحى
سيدى محمد بن عمر التملى ثم الزنزمى الحاحى
سيدى الحسين الكزميرى الحاحى
الاديب سيدى محمد بن على السويرى
القاضى سيدى مسعود الشياظمى
العلامة سيدى عبد القادر بن العربى السباعى
سيدى بلعيد التيزكينى
سيدى أحمد الدمنـــاتى
سيدى محمد بن على التادلى نزيل الجديدة
سيدى الحاج ادريس الورزازى القاضى
سيدى الحاج العربى برادة الفاسى
سيدى عباس التادلى القـاضى
سيدى البوسونى الحمرى
العلامة سيدى عياد الكدالى الرحمانى
العلامة سيدى محمد بن عبد القادر الكدالى الرحمانى

شيخنا سيدي سعيد التناني

١١ - ١٢٨٠ هـ = ١٠ - ١١ - ١٣٤٣ هـ

نسبـــه :

سعيد بن محمد بن أحمد أوشن .

الآن أيها اليراع ، أريد أن تمدني بكل ما كنت أعهده منك من سحر البيان ولباب الفصاحة . وخالص البلاغة . فانني الآن ازاء مقام عظيم . لايليق به الا بيان وفصاحة وبلاغة يبلغ كل منها المبلغ الذى يوالى مرتبة الاعجاز أو يتصل بمرتبة الاعجاز نفسها .

لهذا اليوم أدخرك أيهـا اليراع الكاتب ، فأرنى كل ما تستطيعه من وشى ونمنمة يأخذان بالابصار . ويجلوان أفكار الناظرين . فكما انه لاعطر بعد عروس وكما أنه لاشرب بعد رى . فكذلك لا أتوقف عليك بعد اليوم ، كما أتوقف عليك فى هذا اليوم الذى أجلس فيه لألج حرم مقـام شيخي ومربى : سيدى سعيد التنانى الذى به وحده بعد فضل الله وتوفيقه نلت ما نلت من أدب غض . يقف ازاءه الناس طرائق قددا . فمنهم من يقـول ! ان صاحبه من نباش الرموس . ومنهم من يقول أنـه من فتاحى الكنوز . يختلفان بعدمايتفقان على أنه شيء جديد غير مالوف عند كثير مـن ادبائنا السوسيين الى الآن . وهو نثر مرسل محدث . بعـد ان لم يولف عندهم الىالسجع وحده . حتىان كل نثر غيرمسجوع لاينظر اليه عندهمباستحسان

ان أنس لاأنس تلك الايام التى كان يستنهضنى فيها استاذى هذا الى الادب . ويحثثنى فيها على الجد والاكباب . حتى أحوز قصب السبق، وانال مرتبة الشفوف . ويقول لى فيما يقول : انكَ لو اتقنت علم الاولين والآخرين ثم لم تكن اديبا . فلا يكون لك وجه عند الالغيين . لكن ان اليتهم بالادب وجليت فيه ، فانك ستنال من بينهم مكانة مع ما يتيسر لك بعد من العلوم الاخرى وان لم تكن الا ضئيلة . فان قطب العلوم عندهم انما هو الادب وحده . فمن حرمه من بينهم . فقد حرم ما يتحلى به . وان الفن ما سطره الاولون والآخرون . وهى كلمة حق برهنت عن فكرة القوم .

كان رحمه الله أول من حثني الى جمع كل ما يصدر مني من القطع والقصائد والآثار الادبية ، كيفما كانت ، فقال : لاتفرط في كل مايتيسر لك نظمه ، ولا تحقرن مما أتاك شيئا ، فاجمع كل ذلك في صوان ، ودعه والتاريخ ، فسياتيك حين تشتهي أنت بنفسك مراجعته نزهة من النزه ، فيدخل عليك بهجة وسرورا ، ثم ترجع على ما كان فاسدا منه بالاصلاح ، فتصلحه فيبقى لك أثرا ، تشحذ به ما دمت حيا ، وتذكر به ان كنت من المرموسين ويترحم به عليك اخلافك ان قدر لك أن تكون لك أخلاف .

أفلا يكون هذا السيد الذي يدفعني هكذا الى مقام الادب دائما ويلهبني باسواط التانيب ان أرى مني كسلا أو تأخرا ، أولى الناس بأداء حقه اليوم، في هذا الكتاب الذي هو أول كتاب أدبي سوسي عام ، سيقدم للقراء كثمرة ناضجة من الادب السوسي الذي أخوض فيه ، منذ عقدين من السنين .
فمن هو اولى بان اشيد بذكره من سيدي سعيد التناني هذا الذي كان لي ابا ثانيا ، ومرشدا مشفقا ، وناصحا رؤوفا ، يأخذ بيدي كلما زللت ، وينهضني كلما عثرت ، ويجعل بين عيني المثل العليا التي يريد مني أن احتذيها دائما في مستقبل حياتي التي سامضيها فيها قدما .

من هو اولى بان أشيد بذكره ممن كان وانا لا أزال صغيرا يتحفني بما يدخل علي اذ ذاك سرورا أخالني به ممن يطيرون في الآفاق بأجنحة خفاقة لايطول عنها أفق ، ولا يبعد عنها منحى .

من هو اولى بان أشيد بذكره ممن كان يخبأ لي دائما اذ أنا في المدرسة التانكرتية ، ما كان يعينني به ، كلما أبت من دارنا الى المدرسة ، فينما أهل لايعطونني من الدراهم الا نحو ربع ريال ، اذا هو يعطيني ثلاث ريالات او اربعا ، حتى اذا كان غائبا عن الزاوية ، فان ذلك مخبوء لي عند مؤذن الزاوية اتوصل به مقسطا في كل اياب من هناك وأي قارئ لايقدر - ان كان تربى في مثل بيئتي - قدر هذه الاعانات - وهي اذ ذاك كثيرة - وتلك التنشيطات ، وتلك التوجيهات في ذلك الطور من الحياة ، خصوصا : ان نشا يتيما مثلي ، تحت نظر والدة لاتملك من متاع الدنيا لاكثيرا ولا قليلا ، وهي الوحيدة التي يمكن لي أن التجيء اليها في كل ما أحتاج اليه .

من هو اولى بان أشيد بذكره ممن كان يصبر لجفائي ، ويحلم أمام ما اقابله به بعض الفينات متى كان الشيطان يلتقم عقلي ، فيؤججه نار غضب فائور عليه ، وهو ينصحني ويؤنبني حين يرى مني عدم احترامي لمن هم اكبر مني ، حتى انني لاأزال استحضر انني ملت يوما عليه بكلام خال من الادب ، وتناولت في يدي فهرا (١) لأهوى به عليه ، وهو متربع رابض .

---

١) الفهر بكسر فسكون : حجر ملء اليد ، كالذي يتيمم به .

لم تتحرك منه شعرة ، ولا يعلو وجهه الا النور الوهاج • ثم لايزال يوالى على من نصائحه على رغم أنفى • فلم يبال أمام ما يؤديه نحوى من الحقوق ان رضيت أو غضبت •

من هو أولى بأن أشيد بذكره ممن غرس فى نفسى كيف يعتل ذو علم بعلمه ووكيف يحسب نفسه فى عالم غير هذا العالم الجاهل • فلا ازال أتذكر أنه قال يوما لبعض اخوتى أمامى : احترموا فلانا ، فانه عالمكم • ولا تجعلوه خادما مَقْتَوِياً (١) فلا خير فى قوم لايحترم فيهم ذو علم • ولا خير فيمن يمتهن بينهم من هو وحده ذو معارف • يقول ذلك لهم مباسطة فى صفة جد • ولكن ذلك يفعل فى نفسى الافاعيل • وينفخ فيها الروح الوثابة التى ترينى اننى ممن يمت الى الملأ الأعلى • ثم بعد أن يقوم من كانوا جالسين • يقول لى بدورى أيضا : ليس المقصود منك أنك عالم اليوم • وانما انت فى الحقيقة مستعجل فى أمورك فقل أن تمس اناء الا هرقت ما فيه أو كسرته • ومثلك لايكون ممن يزاولون الخدمة • فهكذا يفثأ من نفسى ذلك التعاظم الكاذب الذى كان يداخلنى حين يقول لى بين اخوتى ما يقول، وهكذا يضع الادوية بمقياس مع مراعاة الاحوال • فمتى ادى دواء وظيفته، يزيله ويضع مكانه دواء آخر • فعل طبيب نطاسى خبير •

هذا مع انه رحمه الله صادق كل الصدق فى اننى لااكاد أمس اناء الا كسرته • ولا شيئا مائعا الا أرقته • حتى الدواة التى اكتب منها • فقلما يمضى وقت الا وأنا اقلبها من غير شعور • لان التأنى لايتخلل مزاولاتى طبيعة جبلت عليها (ولا تبديل لخلق الله) وكم سررت يوم ملكت القلم المحبر الذى لا أحتاج معه الى دواة عن يمينى • أتوقى دائما اراقتها •

استاذي سعيد

أعلن أمام التاريخ : انك أنت أول من هدانى الى سواء السبيل الذى أسلكه اليوم رافع الرأس ، أشم العرنين • فقد كنت تذيقنى من حلاوة العلم أولا ثم التصوف ثانيا ، وتحكى لى ما كان جرى لك فى اول سلوكك طريقهما • حتى جعلتنى أومن بالعلم وبالتصوف الايمان الاعمى الذى يمد يده لقائده ولا يسأله الى أين ، حتى أوشك أن يغلب حبهما على طبعى • بل كاد التصوف يغمر منى طبيعة العلوم • ويكسف عنى نجوم المعارف ، فكدت اقع فى بحره غريقا • لولا ان تداركتنى أيضا يااستاذى من جديد

---

١) المقتوى : بفتح الميم والتاء ، اوكسر الواو وتشديد الياء : الخادم ، قال عمر بن كلثوم فى معلقته   متى كنا لأمك مقتويا

واريتني ان ما انا فيه من مزاولة العلوم • هـو الذى فىَّ استعداده ، وان التصوف على طريق السير والسلوك لاينجح فيه الا من كان له فيه مصابرة ومرابطة • وانني لست هناك ، للملل الذى سرعان ما يستولى على • ثم لما قلت لك سنة ١٣٣٧ هـ وأنا أرسب فى ذلك البحر وانت تنتشلنى منه ، او لم يكفنى من العلوم ماتيسر • ان كانت بركتك يا أستاذى معى حاضرة ؟ فقلت لى ان التصوف نفسه يتسع عند صاحبه بمقدار ما تتسع هذه العلوم عنده ، كالرحى • فبمقدار كبرهـا • تكبر لهوتها (١) ثم صارحتنى مصارحة • قل أن تصدر الا من أمثالك ، اذ قلت : ان مقصودى فيـك أن تكون عالم العلماء ، لا عالم الفقراء • والا فانني عـلى ضؤولة ما عندى من المعلومات صرت عالم الفقراء • أو اقنع لك بمقامى أنا الذى لا أزال أنـدم كل الندم ، ولا أبرح أتحسر كل التحسر حين لم يتيسر لى اتمام معلوماتى كما أريد • فقد كنت نويت أن أحل بـ (مراكش) حتى أتفوق على نوابغها، لم احل بفاس حتى أكون رأس عليتها • ثم التحق بمصر حتى أكون اعلم الناس فيها • فهذا اليوم ما أحبه لك حين حرمته من نفسى ، ثم انفضت الجلسة وقد انقلبت رأسا على عقب ، وحور رأيى بك • من الاهتمام بالتصوف الى الاهتمام بتحصيل المعارف ، كانما كان لك فى التصريف يد فعالة حقيقة كما يقول الصوفية رحمهم الله • ثم بعد ذلك قلت لسيدى محمد بن عبد الله الزيكى • قولوا (لفلان) ان الذى يريده ونريده له لايراه الا فى العلم ، وفى اتباع طريقه • ففى ميدانه حياته ومظهره • واما هـذا الذى يتطلبه اليوم من لباب التصوف • من الاعتماد على الله وحـده • والتعرف لـه ، واستنارة القلب به • فانا له به كفيل متى حصل على العلـوم التى يفوت تحصيلها بفوات الشبيبة •

اقبلت الى مراكش : ١٣٣٨ هـ وقد انتقلت أنت يا أستاذى الى بلدتك فكنت لا تغب عنى نصائحك • ولا تخلنى من الهاب همتى بالسوط الذى تعرف انه وحده هـو الذى يحفزنى الى الامـام ، فكنت تنث (٢) عنى فى غيبتى خيرا • وتومىء الى أننى سأكون ذا شأن • ما ثابرت على طلب العلم وفق المراد • ثم فى : ١٣٤٠ هـ طاف بى خيال ، أرانى أن الاولى بى أن التحق بمدرسة (أدوز) عند الاستاذ المحفوظ الادوزى • وهو اذ ذاك ما هو

---

١) اللهوة بفتح فسكون : ما تحمله كف الطاحن من الحبوب لتلقيـه فى تقبـة الرحـى •

٢) نث الخبر ينثه • كيرد ويحن : اذا أفشاه •

جدا واجتهادا • ودؤوبا على التدريس فى مختلف الفنون • فما كان الا أن ذكرت لك ذلك • حتى انتفضت وقلت : كلا ، ثم كلا • لاترتد على عقبك ولا تراجع بيئة المدارس السوسية التى ما فارقتها • ولا القيت عنك من أخلاقها الرذيلة الا بعد أن كدت تسقط فى مهواة لاينجو منها من ارتطم فيها • ثم بأى وجه ترجع الى أقرانك فى (الغ) ، ألم تكن فارقت (سوس) للقراءة • فلا ترجع اليها الا وقد اتممت دراستك ، وتفوقت التفوق الذى تسمو به على أقرانك • والا تصر ضحكتهم فى المحافل • ومكان سخريتهم عند اشتباك الابحاث • عند اعتياص مسألة من المسائل • فهذه (فاس) أمامك ان لم تجد فى (مراكش) طلبتك • فما لم يوجد فى (مراكش) ولا فى (فاس) أتطمع أن تجده فى (سوس) •

هكذا يا استاذى رددتنى عن وجهة كدت أقع فيها على أم رأسى • ثم لا أزداد الا معلومات فقهية ونحوية • واحرم من الحديث • وما اليه من الاصول ومن البيان والعلوم العليا التى استفدتها فى حلولى بعد فى (فاس) و (الرباط) ولو لم أحز فيهما الا هذا الفكر لكفى

كيف أنسى يدك أيها الاستاذ هذه ؟ أم كيف لا أتصور أنك هو الذى عوضت به والدا التحق برمسه قبل أن أنال منه ما يناله الاولاد من والديهم فى هذه الاطوار التى هى أصعب الاطوار على الانسان • حين يتفتق ذهنه ويتطلع • ولكن السبل تشتبه أمامه • فيحار ان لم يجد دليلا خريتا امامه

فكيف أنسى اهتبالك بى أيها الاستاذ وانت وحدك من استحضره الله يرشحنى للمعالى دائما • ويرينى كيف اعتناق العوالى • ويرينى كيف يقبل الانسان بشغف عظيم على ارتشاف العلوم من غير أن يعبا بالمستقبل، ولا بالحياة التى سيقضيها بعد • كيف يقضيها • فواضيعتاه لولاك • وواحسرتاه لولا أن ساقتك العناية الى ، فانقذتنى من وهاد متعددة • لا من وهدة واحدة • فلئن كنت اليوم أديبا على ما أزعم • عالما كما يحجو الناس ومؤلفا كما أرى • عارفا بعصرى وبما يتطلبه • كما من الله به على • غيورا على الدين كما أتظاهر به • عصريا كما يشهد به الجامدون من الفقهاء والمتنطعون من المتفقرة • صوفيا كما يشهد به العصريون والمتفرنجون من بعض الشباب • فلئن كانت هذه الاوصاف كلها او بعضها مما انتظم فى سلكى حقيقة أو مجازا • خلقا أو تخلقا • ان صدقا وان كذبا • ان حقيقة وان ادعاء فذلك كله اليك • ومن بركتك • وانى لارجو بعد ذلك كله المظهر

الذى يرجوه الجعدى (١) رضى الله عنه .

رحمك الله يا استاذى ورقاك الى أعلى عليين ، وجعلنى كما تحبه منى ظاهرا وباطنا . فقد أديت ما عليك لابن شيخك أفعالا . وأديت لك بعض مالك علىّ أقوالا . وشتان ما بين الاقوال والافعال .

والدلا سيـدي محمد بن احمد

ينتسب المترجم وأهله (أيت وازّغى) الى فريق من التنانيين . كانوا من أولاد رجل كان يخدم الشيخ سيدى محمد بن سليمان الجزولى المشهور يوم نزل هناك . بعد ما أجلاه الاسفيون عن (أسفى) قالـوا فعادت عليه بركة الشيخ . فكان أيضا من الصالحين . ولا تزال حفلة سنوية تقام على مشهده الى الآن . ويقال انهم شرفاء . ولكن ذلك ليس عليه اثارة من علم حتى يقع بـه الظن .

أما سيدى محمد بن أحمد فانه فقيه يذكر بين أهله . له باع حسن فى العلوم . وكان من بين مآخـذه (مراكش) فقـد حضر دروس الاديب اكنسوس ، وخط بيده بعض رسائله . ثم حرره المولى الحسن الملك يوم مر هناك لحسن خطه . وقد امتد عمره الى نحو : ١٣١٦ هـ فترك من الاولاد : المترجم وعبد الرحمن المقتول ظلما وعبد الله المتوفى حتف أنفه .

هذا وقد وقفنا على أثرين لسيدى محمد بن أحمد ، نحب أن نسوقهما وقد كان قلمه لا يسلم من تصحيف . قال :

(قد قيد كاتبه عفا الله عنه بعض اخبار الزمان الذى أدركه . ومـا وقع فيه من الجوع والاهوال . أعاذنا الله ، وحفظنا من جميع المكاره والآفات

قد وقع الجوع الشديد فى عام : ١٢٦٧ هـ فتمادى الى ثمانية وستين الى تسعة وستين ، وصار الغلاء الكثير فـى الحبوب : فـى الزرع والثمار وسائر ما يوكل . كادام وغيره . وصار مد الزرع وسائر الحبـوب باثنى عشر موزونة لكل مد بمد النبى صلى الله عليه وسلم . وقل المال فى الساعة، واشتد الجوع على الناس . حتى يأكل الناس الحشيش والربيع ــ النبات ــ والنخل . وغير ذلك مما يمكن أكله . ومات جل الناس بالجوع فى الطرقات والبلدان . وافترق جل الاباء مع أولادهم . وهربوا عنهم . وكذلك أزواجهم وتركوهن ولا يبالون بهن . من شدة ما نزل بهم من الجوع . يتوادع الرجل

---

١) قال النابغة الجعدى الصحابى :

بلغنـا السماء مجدنا وسناؤنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

مع أولاده وازواجه • ويذهب كل واحد منهم حيث شاء • ويموت الناس في الطرقات بالجوع • ويشتد عليهم الحال • حتى ان بعضهم يأكل بعضا، والعياذ بالله ولا حول ولا قوة الا بالله • وقد يجد الناس ديارا واقفة • وأهلها في داخلها ماتوا كلهم • انا لله وانا اليه راجعون • وقد إشتد الجوع على الناس في آخر عام : ١٢٦٦ هـ ٢إلى سبعة وستين • الى ثمانية وستين • الى أوائل تسعة وستين • وقد صار الجوع في سائر البلدان من بلدة الغرب الى بلاد الاحواز الى بلدة حاحة • وسواحل البحار • وقحطت جميع الاقطار وتشتت الناس فمنهم من مات في منازلهم • ومنهم من غاب وافتقد وبقي على ذلك ولم يدر هل هو حي أو ميت • واكل الناس الجيف والميتة والدم وغير ذلك مما يجب اجتنابه • والعياذ بالله • كل ذلك من شدة الجوع والقحط ، وهربت الاقوام للجبال • ومواضع العيون والاشجار • وقل الزرع والحبوب في سائر الاقطار في أرض الغرب والحوز • والمدن والسواحل • وكثر الهرج والقتال بين الناس • يقطعون الطرق • ويهجمون على المنازل • وشاع الفساد في المسلمين والعياذ بالله • وانا لله وانا اليه راجعون •

يذهب الرجل معأولاده وعياله • يسيرون في البلدان ويجولون فيها حتى اذا أدركتهم الشدة من الجوع وغيره • يتفرقون ، فيذهب كل واحد حيث شاء • حتى ان الصبيان الصغار يجدهم الناس ملقين في الطريق • يرمي بهم آباؤهم• ولايبالون بهم ان ماتوا أو عطشوا أوجاعوا • ولايقدرون عليهم بشيء ولا يجدون ما يعتقونهم به • وقلت الامطار والاثمار • فسبحان من له القدرة والسطوة والعظمة والكبرياء • وهو على ما يشاء قدير والامر كله بيده • ثم بعد هذا كله • رجع الخير والنعم في سائر البلدان • وافاء الله على عباده • وتزخرفت الارض • وعاش الناس والبهائم • بعدما قلت ونزرت الا القليل • والتقت الاحباب والاخوان • ويفرح بعضهم ببعض ، ويتباشرون بالخير • ويتساءلون بينهم • وصار الرخاء في الحبوب وسائر الاسعار • والحمد لله على ذلك • وتمادى الخير والرخاء في الاسعار في السنين الى أن وصل ثانيا عام : ١٢٨٤ هـ فرجع عليهم فيه الغلاء والقحط والجوع الشديد • كالاول المذكور واشتد على الاقوام الجوع • وصار الغلاء في سائر الاقطار • كبلاد الغرب • والمدن ومراكش واحوازه • وثغر (السويرة) واحوازها وبلدة حاحة واحوالها • وسائر بلاد الغرب • كذلك واحوالها • وبلدة سوس واحوالها • وجاعت الاقوام والبهائم • وصار الغلاء في الحبوب • وقد بلغ القمح ستين مثقالا للخروبة بحضرة مراكش • وبلغ ثمانين مثقالا برباط الفتح • وكذلك لثغر (السويرة) بستين مثقالا • وكذلك

أسواق الشياظمة . واشتد الجوع . وهذا كله بعدما كان القمح بعشرمثاقيل لدونها . انا لله وانا اليه راجعون . وتمادى الغلاء فى الاسعار . وقحطت البلدان . وجاعت الاقوام . وصار الناس يأكلون الربيع ـ النبات ـ وسائر ما يمكن أكله . واشتد الجوع ، وتمادى على الناس . وجارت عليهم أحكام المخزنية فى سائر الاقطار . وكذلك الجوع الشديد والعياذ بالله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . الى أن جاد الله على الناس بالخير ، والنعم . والرخص فى الاسعار فى عام : ١٢٨٥ هـ ففرحت الاقوام بالخير والرخص. وتزخرفت الارض . وكثرت الحبوب . وعاش الناس كل ذلك من فضل الله على الناس .

ونواحي بنى (تنانة) كلهم قد تسلط عليهم القائد الحاج عبد الله بن عبد الملك الحاحى . واخوانه كلهم قبائل حاحة بأجمعهم بحد صائمهم (١) نزلوا علينا بأمره . ومن معهم من القبائل . كقبيلة (نفيفة) وقبيلة (بنسيرة) وقبيلة (أداوزيكى) وقبيلة (ماسكينة) وقبيلة (كسيمة) وبعض قبائل (هوارة) ومن معهم من اخواننا بنى (تنانة) وداورا علينا وعلى بلدتنا . كدورة الخاتم بخيلهم ورجلهم ، وبجنودهم وجهودهم . وكثرتهم . ودارت الاهوال ببلدة بنى (تنانة) كلها . قد نزلوا عليهم . فى شهر الله ذى الحجة الحرام : عام ١٢٨٤ هـ ومكثت المحلات . ونزلت عليهم تسعة أشهر كاملة ، وصار القتال الشديد فى بلدة بنى (تنانة) فدارت عليهم المحلات والجنود .

قد نزلت محلة بوادى (بنى حوا) بأرواح ، ونزلت الاخرى بموضع (تيزى) ببلدة (ايمسكر) والاخرى ببلدة (ابروتن) والاخرى ببلدة «انكريم» بمسفاسة ونزلت الاخرى ببلدة (ضمينة) والاخرى التى هى رئيسها القائد الحسين نيت فتاح واخرى ببلدة (أداوكازو) ودارو ببلدة (تنانة) كلها . كدورة الخاتم . وصار القتال الشديد . حتى مات منهم خلق كثير . مات من «حاحة» ومن معهم نحو خمسمائة . والمجاريح بلا عدد . وثلاثمائة من الخيل . فدونها . ومات من بنى (تنانة) ما يقرب لمائتين . بين المقتولين والمساجين . والكثير من المساجين ، مكثوا عليهم . ونزلوا عليهم بالبارود. نحو تسعة أشهر . فنجاهم الله منهم ومن أحكامهم . فرجعوا بعدما حرقوا بلدة بنى (تنانة) كلها حتى مابقى منها الا القليل . اعنى المواضيع المنيعة بالاوعار . وما نجى الله من بلدة (تانكرت) الا ثلاثة مواضيع أو أربعة(أغرى) وبلدة (تيمكطى) وبلدة (أيت واعلا) و (سكدلت) وبلد ساقية «أنجاف» وكذلك بنى(واعزون) مانجى منها الا موضع(أساكا) وبعض بلدة (تلمست)

---

١) عبارة عربية الاصل شلحت فتروج على الالسنة ، والمقصود : قام الناس أجمعون من سمن من بلغ الصيام الى من فوقه .

وبلدة «فسفاسة» لاباس عندهم . وقطعوا جميع الاغراس التى لاعد لها ولا حد لها . وقد افسدوا بلدة (اداوتنان) عن آخرها . فقد يكون القتال فى كل موضع نزلوا فيه وفى كل يوم يسمع هز للبارود فى كل ناحية فى يوم واحد . كالرعد القاصف . والعياذ بالله من ذلك . فانا لله وانا اليه راجعون وهذا ما علمناه من بعض الخبر . مما أدركناه فى الساعة وفى المحرم الحرام عام : ١٢٨٥ هـ (١) عبد ربه محمد بن أحمد الذيب الوازغى ، أمنه الله ولطف به ءامين .

ثم ذيلها بوثيقة أخرى ، ونصها :

(الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه . وفى عام خمسة وتسعين بتقديم التاء ومائتين وألف وقع الجوع الشديد . والقحط العجيب نسأل الله السلامة والعافية . وعدم القوت والزرع . وقحلت النواحى مع سائر البلدان والاقطار . من حد الصحارى وسوس وحاحة . وبلدان الغرب ومراكش والاحواز . الى حد مدينة (وجدة) و (طنجة) والاجبال والاوطان كلها . وماتت البهائم من عدم المأكول . وعدم المطر . حتى ما كان الحرث فى جميع ما ذكرنا من البلدان . ولم يحرث الناس فى ذلك العام شيئا . وهربت الناس للاجبال . والى حيث مياه العيون . لم يبق من العيون . ولم يبق الا القليل . وبلغ الزرع بالثمن لحساب خمسة وعشرين أوقية . لمد النبى صلى الله عليه وسلم بالنقد . وبالاجل فى البيع . بخمس ريالات فأكثر . والقمح بأكثر من ذلك . مع الفول والبشنة . ومات جل الناس بالجوع . يأكل الناس الجيف وخشاش الارض . كخشب النخل والعشب . واشتد الجوع والغلاء على الناس وياكل الناس بعضهم بعضا . ويتهاجمون بينهم . ويقطعون الطرقات . ويموت الناس فى الطرقات . ما يدفنهم أحد . فتاكلهم الوحوش . ولا يلتفت الاحباب لاحبابهم . ولا الاولاد لآبائهم . وذهل القوم بالجوع حتى لايعرف بعضهم بعضا . وكل واحد لايعرف الا نفسه دون والديه وأولاده . ومات جميع الناس . وما بقى الا القليل . وتمادى الجوع كذلك الى عام : ستة وتسعين . فامطرت . وحرث بعض الناس من قليل . وأعطى الله المطر والزرع بحمد الله . وانتفى الجوع . وعفا الله من ذلك الغلاء والجوع بحمد الله على عباده . وما فتح الله لعباده فى ذلك العام القحطى ، الا أن الزرع والفول والبشنة والدقيق والتمر ، والادام . وغير ذلك من النعم يخرج من البحر . فى ثغر (السويرة)

١) انظر هذا مع ما تقدم من الحرب التى بقيت تسعة اشهر ابتدأت فى حجة ١٢٨٤ هـ

صانها الله بامر سيدنا ومولانا الحسن بن محمد نصره الله نصرا عزيزا • يعز به الدين ، والادام (١) حينئذ باثنين وثلاثين اوقية للرطل والسمن والعسل باكثر من ذلك •

فبعد هذا من الله علينا بالخير • فالحمد لله على جميع النعم • وهذا ما ادركناه من اخبار هذا العام فى الوقت • نسأل الله السلامة والعافية • وهذا العام المذكور انقطع فيه التعليم • والمساجد كلها خاوية • ليس فيها من يؤذن ولا من يصلى • ولا من يقرأ والعياذ بالله • وذلك من قلة المأكول والمشروب • الا القليل النادر • والنادر لاحكم له • فالله يلطف بنا جميعا• والسلام • فى شهر الله ربيع النبوى عام ١٢٩٦ هـ

عبد ربه محمد بن أحمد الذيب الوازغى التنانى • التانكرتى أمنه الله والطف به ءامين (٢))

مفتتح حياة سيدي سعيد

قال اول سنة عقلتها سنة ١٢٨٤ هـ فقد نقلنى والدى انا وأخا لى فى جوالق على بغلة • يوم زحف القائد الحاج عبد الله الحاحى• وهربنا من قريتنا (أزيار) الى قرية (تيمكطى) وقد كان لأهل (أزيار) ديار هناك فانتقلوا اليها لانها فى وسط الجبال الوعرة •

في المكتب

لم يتجاوز صاحب الترجمة بلدته فى زمن أخذه للقرءان • ولم يعمل رحلة الى مكان ءاخر • ولا كان أستاذه فى ذلك الا واحدا • وهـو سيدى اليزيد المعدرى وحـده • فقد لازم مسجد (أزيـار)سنين كثيرة • وافقت تلك السنوات التى يتلقى فيها سيدى سعيد • فلم يتخطه به والده • ولكن والده ربما يستعرضه بعض سوره• ويحكى عنه أنه كان رؤوفا رقيق القلب• لا تمتد يده لضرب • فكان ربما تتلف له سورة • فلا يرى منه بأسا • وأما أستاذه اليزيـد • فقد طال بـه العمر كثيرا • حتى كان صاحب الترجمة ينتاب (المعـدر) مع الفقراء • فكان يتعهده بالصلـة لا ينساه من ذلك • حتى توفاه الله • ولم يبلغنى أنه أخذ عن غيره •

---

١) يعنى الزيت وأركـان •

٢) لم يقيد سيدى محمد مـا وقع ١٢٩٩ هـ مـن المجاعة الشديدة فـى سوس • كأنها خفيفة فى بلده (أداوتنان)

كانت القبيلة التنانية ، من القبائل المشهورة بالدين وبالعلم ، فما كان العلماء المتعددون ينقطعون فيها ، وهم ذوو أخلاق دمثة ، وشمائل لطيفة ، ان جالسوا العلماء ، أو ثافنوا الصالحين ، فلئن كان بعضهم ذوى جرأة فى سفك الدماء ، وفى اثارة المهارشات وخوض المعارك ، فان أهل كل بادية ، قلما يخلون من أمثالهم ، خصوصا فى القبائل التى كثيرا ما ينجاب عنها ذيل الحكومة ، وتسود فيها مدلولات ، من عز بز ، ومن لا يظلم الناس يظلم ، وانصر أخاك ظالما أو مظلوما ،

وقد اشتهر التنانيون بحسن ظنهم بالعلماء وأهل الدين ، وناهيك بما يجللون به مشهد الولى المشهور الشريف سيدى ابرهيم بن على المتوفى ٩٨٩ هـ وما كانوا يضفونه على ذويه من الاحترام والاكبار ، وشيدوا المدارس ، ومنها مدرسة (ايسقال) التى كان فيها فى النصف الاخير من القرن الماضى الفقيه سيدى ابرهيم بن الحسن التنانى التانكرتى ، ممن اعتنق التصوف على يد الشيخ سيدى سعيد بن همو المعدرى ، فتخرج به علماء ، منهم الاستاذ سيدى الحاج الحسن الكزويى التامرى المشهور ، الذى خلفه فى المدرسة من ١٢٩٦ م وقد جاور فيها صاحب الترجمة ، لاخذ العلوم ، وقد كان المترجم اتصل بها من ١٢٩٩ هـ ،

ويحكى أن الفقيه خرج بالطلبة يسيحون على القرى فى ذلك العام المجدب ، ثم لازمه نحو سبع سنين ، فكان فى جده وفى اجتهاده مثلا يضرب فى الرجوع الى الله فى العبادة ، بعناية ربانية سبقت اليه من صغره ، فردت همته الى مولاه ، فكان معنيا بالاوراد والاذكار وما اليها قبل أن يحتلم ، ولكن لم يكن فى مثل هذا الجد فى القراءة ، وقد سمعته يقول : اننى كنت استدرت بدارنا عند جلائنا سنة ١٣٠٣ هـ لما حمل السلطان مولانا الحسن على قبيلتنا حملاته المشهورة من كل جهة ، فحين خرجت أسرتنا مع الخارجين الى قريتنا الاخرى (تيمكطى) فى وسط الجبل ، عوذت دارنا بآية الكرسى لما علمت انها للحفظ ، فاحرقت كل دور القرية ما عدا دارنا ، فلم تمس بسوء ، وحين كان اذ ذاك فى هذه المدرسة حدث انه لايفارق الوضوء ، ولا يفتر عن الذكر ، كلما انقضى الدرس واعادته ، وقد حكى لى بعض من صاحبه هناك امورا تتعلق بذلك ، وكانت دراسة الفقيه تمشى الهوينى وليس من المجدين الا فى العبادة التى اشتهر بها رضى الله عنه

كان يحكي لى رحمه الله اعوام : ١٣٣٥ هـ وانا ابقى معه منفردين فى بعض قدماتى فى المدرسة (التانكرتية) عن مبادئه • وعن كل ما وقع لـه فيها • وكان ممتع المجالسة يثرثر بالحديث • لاينقطع منه سيله ولا يتصل منه فى حديث طرفاه • الا وقد اتصل بطرف حديث آخر • وتلك عادته فى الامتاع بالحديث • وقـد كـان مقصوده رحمه الله بتلك المحادثات معى أن يطرد عنى سوء الظن بالصوفية • وهو عادة يجثم على قلب كل من لايخالطهم ولايتجاوز منهم القشور الى اللباب • وخصوصا من يتربون بالفقهاء الجامدين على ما فى ايديهم • المتزمتين • الممضين حياتهم بين بيوع الاجال • وجدول الصفة المشبهة • ومسائل المناسخات • وذلك هو الغالب على تلك البيئة – التى كنا فيها اذذاك – مع ما يحوطها من فساد أخلاق الطلبة فى المدارس• وقد عرفت بالاستهتار والانطلاق فى ميادين الاهواء • دون وازع ولا حياء فلهذا يراود فى رحمه الله علاج ذلك الداء بمحادثاته •

قال : كان أستاذنا سيدى الحاج الحسن الكزويى اتصل بالطريقة الاحمدية على يد الشيخ الامام العلامة أكنسوس • وفنى فى محبتها • وقد فنى فى العبادة والزهد • والاعراض عن الدنيا وأهلها • فكـان لنصحه للناس ، يحب لو اعتنق العالم أجمع طريقته هذه التى وجد فيها كل خير • لما يسمعه فيها من الربح الكثير • الذى يحصل فى كل نفس نفس • لكل من انخرط فى سلكها ممـا هو مشهور • فكان طلبة المدرسة يتتابعون فى تلقنها منه • وانا مقبل على شأنى • وقد حببت الى منذ نشأتى العبـادة • والانحياش الى باب الله • ففى كل حين يتشوف الى متى أتطلب منـه أن يلقننى اذكارها • ولكننى سبق أن كنت أطالع كتب الصوفية العليا التى نفذ أربابها الى المقصود من التصوف • وانها الوصول الى الله • لا مزاولة أذكار فقط • فأدركت منها أن المقصود من أوراد طرق التصوف • واتخاذ شيخ حى كامل أن يتكون من الانسان الحال الدائمة • والخلق الراسـخ • والعبودية المحضة • حتى يتذوق من حلاوة الايمان ما كان ذاقـه السلف الصالح • وايقنت أن الاوراد وحدها مـن غير شيخ حى دليل خِرّيت فـى الطرق • عارف بكيفية السلوك انما هى أذكار تبرك لاغير • ومتى كـان القصد هو التبرك • فأولى ما يتبرك به : كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من بين خلفه • قال فكان الاستاذ يتشوف دائما الىّ • ثم لم يصبر حتى شافهنى يوما بذلك • فقلت له : ان كنت يا سيدى ممن وصل الى مقام التسليك والتربية الاصطلاحية عند الصوفية • وقد اذن لك فى ذلك

الذا ربانيا، فهاك يدى منذ الآن فقال لا : لم يكن لى ذلك، ولا ادعيه لنفسى، وانما اخذنا هذه الاذكار تبركا ، ثم نلقنها تبركا كذلك • ولكن ان انا لم يكن لى هذا (١) المقام فاننى أرجو ان يكون لسيدى محمد الامغارى • فى قبيلة (اداوتغما) بحاحة فهاك رسالتى اليه • فربما تجد منه ما تريد • فترجع من عنده بطلبتك • قال فسافرت اليه • فناولته الرسالة • وقد بت عنده • فقال لى حين قراها : ان هذا الذى تتطلبه قد انقطع فى هذه الطريقة الاحمدية منذ وفاة شيخها سيدى مولاى أحمد رضى الله عنه • غير ان هذا الذى تفتش عنه من التربية الاصطلاحية • كما يوجد فى (رائية الشريشى) و (الرسالة القشيرية) و (مباحث ابن البناء) اجد رائحته عند اشياخ هذه الطريقة الدرقاوية • خصوصا من عند هؤلاء المشايخ السوسيين الذين نراهم ، أو نسمع عنهم •

قال سيدى سعيد : فرجعت من عنده بخفى حنين ، فنفضت الى الاستاذ سيدى الحاج الحسن الخبر • كما هو ، غير انه لايزال يتطلبنى باتباعه فيما يحبه لى من الخير ، وانا لاازال على رأيى • واتطلب ما اتطلبه على شرطى •

وقد وقع لى اذ ذاك أو بعد ذلك : اننى رأيت فيما يرى النائم : اننى وقفت امام قبر • والشيخ يطل على من فوق جدار • وقد دلى رجليه عليه • وهو يقول لى : ها هو ذا الشيخ سيدى (فلان) ، هل ينفعك الآن فيما تتطلبه فلما استفقت • عرفت المقصود • فازددت بصيرة فى أمرى • ولم للشمس ان جاء عندنا يوما فى اواسط سنة ١٣٠٥ هـ الشيخ سيدى الحاج على الالغى بطائفته فباتوا فى (المدرسة) فى (ايسقال) فوقع فى قلبى انه صاحب حاجتى فصرت اذهب اليه فينة بعد فينة • واضع فى يده شيئا من الدراهم ابقيها فى يده بعد ان اقبلها • وفى آخر مرة ابقيت يدى فى يده • وقلت له : خذ بيدى لله : فقال : (الله) فمدها بصوت عال ، ثم قال : هذا بعينه ما وقع لى مع شيخى سيدى سعيد بن همو المعدرى • وانا فى مدرسة (تانكرت) بـ (افران) قال : ثم اقبل على بكليته • فتقبلنى احسن قبول • وسمعت من بعض الناس : ان سيدى سعيدا • كان راى رؤيا اذ ذاك ، هى الحافزة له على هذا الانقياد السريع للشيخ • ولكننى انا لم اسمعها منه فيما استحضر

---

١) حدث ثقة من أصحاب سيدى الحاج الحسن أنه وجده فى آخريات أيامه ملتفا بردائه وهو يبكى • ولبكائه نشيج • فسأله عن سبب بكائه • فقال له : أبكى على ضياع عمرى حين لم التق بالشيخ الحى الذى به يحيى القلب فى ربه • قال الحاكى ، فقلت له : هذا فلان فالشيخ وفيه كل ماتريده • فقال : اننى سبق أن أعطيت مقادتى لغيره • فلا مناص عن الوفاء له • رحمه الله ورضى الله عنه •

الآن • قال فثار ثائر الفقيه والطلبة حين اعتنقت هذه الطريقة • وكانوا من التعصب لطريقتهم في مكان قصي يستثير العجب • كأنما أيقنوا أن الطرق كلها منسدة الا من طريقتهم الاحمدية وحدها وان أبواب الله كلها منسواها موصدة ، وأمثال هؤلاء المتعصبين وبال التصوف الذين رنقوا مـن معينـه الصافي ما رنقوا • ثم لايرجعون وهم على تلك النية الا بالخسران • وأمثال هؤلاء فى كل الطرق الصوفية موجودون • ولعـل الحامـل لبعضهم حسن النية والاعتقاد البالغ • ولو علموا لأيقنوا أن السر فـى ملاقاة الرجال • لا فى تلقن أذكار • ولا فى انتساب الى طريقة من الطرق • ولكن أكثر أهل الطرق المنتشرة اليوم لايعلمون • وكل من يقول لا اله الا الله فيه خير • والناس أشكال وألوان • كما أن الطرق أشكال وأذواقها كـذلك • فـلا تحجير الا من الجهل •

قال : وفى الصباح • خرجت مع الشيخ والطائفة ، فامشي وراء بغل يركبه الشيخ • فأتصور فى خوالـج نفسى كيف أعرف الله حق المعرفـة فى الاشجار والاحجار والجمادات كلها • وفى السماوات وفى الارضـين • فالتفت الى الشيخ بكليته • فقال ياسيدى سعيد : اذا كنت تمشي فى طريق حسن ثم تطل بغتة على دار السلطان أكنت تتذكر السلطان فى تلك اللحظة، فقلت له نعم • فقال: ان مثل الاكوان كلها على اختلافها وتنوعها فى دلالتها على المكون • مثل دار السلطان التى أطللت عليها بغتة من ثنية فى دلالتها على السلطان • قال : فأدركت فى الحين مقصود الصوفية من قولهم : ان الفقير يعرف الله فى كل شيء • قال فبينما نحن ماشون ، اذا بطلبة المدرسة وقد توجهوا لوجهتنا الى موسم يعمر ذلك النهار يماشوننا فى ترهة نازلة فى شعب الوادى يقولون: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم • يكررون ذلك بأصوات عالية ، يعنـون الشيخ بذلك • لظنهم أنه يستحوذ على الناس استحواذ الابالسة • فيحول بينهم وبين عقولهم • فيتبعونه وهم غير شاعرين • قال : فالتفت الشيخ الينا مبتسما ، وقال : ان حفظة القرآن لا يفعل الله بهم الا الخيروان كانوا يقصدون شرا • فهؤلاء يريدون الشر • ولكن الله صرفهم عنـه • فصاروا يلعنون الشيطان • ولعنه عبادة المومن •

قلت : لا أتحقق أننى سمعت هذه الحكاية من صاحب الترجمة بأذنى • ولكن الحاضرين اذ ذاك يحكونها بالتوتر • وزيد فيها : أن مما أثر فى الطلبة أنهم فى ذلك اليوم يقصدون موسما مـن مواسم البيـع والشراء ـ وأحسبه موسم (أيت داود) ـ وقـد ألفوا من سيدى سعيد أن يروح بهـم على أحـد الاغنياء فى الطريق الى الموسم • ولكنـه اليوم ذهب بالشيخ وأصحابـه اليه فلم يطق الطلبة الصبر على ذلك •

حكى ذلك سيدى بلعيد الصوابى وهو الاذال مع الشيخ . قال سيدى سعيد . ثم لم انشب بعد ان رجع الشيخ الى (سوس) وقد رجعت الى المدرسة ان سمعت انه توجه الى الحج . وانه مر بـ (حاحة) فاسرعت لعل ادركه فى (السويرة) . فلاقانى فى باب من أبوابها ـ وانا كما وصلت ـ سيدى الحسين التامكونسى التنانى . فاخبرنى ان الشيخ قد أبحر صبيحة اليوم . فرجعت الى موضعى . وقد كان الشيخ أرانى سيدى محمد بن حمو الرجل الكبير من (اساكا) بتلك القبيلة التنانية . فقال لى : هذا ملتصاحب. قال صاحب الترجمة : وما زلت أحبه من ذلك النهار .

صاحب الترجمة يفقد اسرارا

لا يعزب عن القارىء ـ ان كان ممن جال فى علم الارواح . أو صاحب أحد اهلها . ولم يكن ضيق الحوصلة . ولم يحصر علوم الوجود كلها فى النقطة التى تترقرق فى تخيله . ان الروح متى اشتغل بها ربها ورد وجهته اليها . فانه يرى منها عجائب وغرائب . من جولان فى عالم غير هذا العالم. اما المام بعلوم حقيقية . واما خوض فى تخيلات . لا يمكن أن يتصورها عقله الحصيف من بعيد . فهذا من خصائص الارواح كيفما كانت . وفى اى شبح استقرت . وان كانت استعداداتها تختلف بحسب ما هى. لها سواء فى ذلك ارواح المومنين والكفار . على اختلاف النحل . حتى الوثنيون يفتح لارواحهم ما يفتح لاخواتها فى هذا العالم . وانما تتفرق وجهات الارواح فى ذلك بتفرق مقاصد اصحابها . ولهذا يقولون ان أصحاب الظلمات يفتح لهم فى عالم الظلمات . وأصحاب الانوار . يفتح لهم فى عالم الانوار . فتجد أصحاب الكشوفات . والذين يخبرون بالغيوب . فتاتى كما يخبرون . موجودين فى كل نحلة . ومنبثين بين رجالات كل ملة من الذين يعلمون الرياضيات . ومن ليس له المام باخبار الناس . يظن ان ذلك مقصور على المومنين المحققين فقط . والامر ليس كذلك . ثم ان العباد المحققين من هذه الامة . حيث ان أرواحهم تتوجه لوجهات الانوار . فانه يفتح لهم من عالمها باب أسرار غريبة . وهى التى يقول الصوفية : انها من القواطع عن المقصود وليست من الحق فى شىء . ويقولون ان الانسان الفقير . السائر فى طريق الوصول . يخاف عليه كثيرا متى اعتراه انفتاح أبواب الغيوب ان يقف معه. ويظن أن ذلك هو المقصود . قالوا : ان ذلك لا يمكن . ان يتخطى . الا اذا كان الفقير تحت نظر شيخ ذى همة فعالة . من الذين يعرفون كيف يدفعون اصحابهم بالقوة الروحانية . حتى يجتازوا بهم هذا المقام الشائك . فيقطعون عنهم بادويتهم كل تلك الادواء التى يعدها الاغبياء اسرارا وأنوارا . ثم لا

يزالون بهم حتى يصمدوا بهم الى المقصود تـوا • ولا مقصود في التصوف الحق الا معرفة اللـه • والعبوديـة المحضة • ولزوم العـدل في السير اينما توجه الانسان • (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين)

اخبرني صاحب الترجمة : انه كان مفتوحا عليه في بداية أمره فتحا كبيرا في عالم الارواح وفي الكشوفات • فكثيرا ما يجتمع بروح النبي صلى الله عليه وسلم • وكثيرا ما يرى رؤيـا • فتأتي مثل فلق الصبح • وأمـا تجلي الغيوبات يقظة • فقد وصل في ذلك ما انتشر انتشارا عند الناس • حتى اشتهر عند الناس بأن سيدي سعيد يكاشف • فلا يجري على لسانه شيء الا وقع كما قال • فكان الناس يقصدونه لذلك • فكانما ضربت باسمه الطبول • فنال شهرة كبيرة من هذه الناحية في صغره •

قال ثم لما اتصلت بالشيخ واخذت عنه • صرت كالصفاة الملساء • فلا سر ولا نور • كأنني ما كنت بسعيد الولي الشهير عند الناس • وكان ربما يباسطني اذذاك ويقول : لقد كنا أولياء بلدنا قبل أن نلقى أباكم • ولكنكم أفسدتمونا يا آل الشيخ • فرحمه الله • فما أحـلى مباسطته وما أعـذب حلاوتها ان خرجت من فيه •

يشارط في مسجد (تيديلي) باداوتنان

في أواخر تلك السنة : ١٣٠٥ هـ وفي أوائـل التي بعدها • شارط في مسجد (تيديلي) وهي قريـة كبيرة من قبيلته • تصلى فيها الجمعـة • فكان بذلك نجم أسرته الثاقب • وكان ظاهره يعجب به الناس من معاريفه • ويبتهج به أفراد أسرته • ولكنه في الباطن لا يقنعه ذلك • ولا يزال يتطلب بعد ما ذاقه من الكاس من الشربـة الاولى بملاقاتـه لشيخه الالغي أن يوالي الشربات منها حتى يستشف ثمالتها :

فمن يقتنع من طلعـة بحبيبه   فليس بمغنيني سوى رشف ظلمه

ومما يتعلق بالمترجم اذذاك : أنه كان حريصا على استيفاء (شرطه) من عند أهل القرية • قال : حتى اذا لم يبق الا تـين يابس • يعطون عادة منه لامام المسجد • تطلبته منهم • وقد كانوا يظنون أنه لا أواخذهم به • لكنني ألححت حتى جمعوه لي • فطلعت به الى سطح المسجد • فقسمته قسمة قسمة • ثم أمرت الحاضرين من الرجال والصبيان • فطلعوا • فاستدار كل فريق بقسمة • فأكلوا • فقيل لي : ما دمت لا تريده لنفسك • لماذا ألححت علينا في جمعه • فقلت لهـم : لا مقصود عندي في جمع الشرط كله الا أن

اوبكم على ان تألفوا تأديته لائمة المسجد . ولا يفسد الشرط الا من يسامحون فيه. وقد وصى الشيخ ابن مسعود على استيفاء شرط مدرسته لذلك

يلتحق بشيخه فيتجرد

رجع الشيخ من الحج الى زاويته فى مفتتح ربيع الاول : ١٣٠٦ وفى وفى اواخر هذه السنة خرج صاحب الترجمة من بلده قاصدا زاوية شيخه .

اخبرنى سيدى ابرهيم التيزكينى الكدميوى خطيب مسجد (ايت سليمان) من (تيزكين) . قال كنت فى تلك السنة آخذ عن سيدى عبد الله الركراكى بـ (المزار) من قبيلة (كسيمة) فتوجهت الى (حاحة) لغرض . فلقيت سيدي سعيدا فى (تامراغت) وراء (اكادير) وعليه ثياب جميلة . فاخبرنى انه يقصد الشيخ الالغى . فصاحبته فبات عندى فى المدرسة بـ (المزار) فتوجه لطيته . واخبرت انه وجد هناك فى (المزار) سيدى أحمد الماسى مع سيدى الحاج محمد بن عدى الواعظ . وهذا اذذاك صغير كما انخرط بين الفقراء . فاصحبه معه الماسى ليدله على الطريق الى الزاوية (الالغية) اولا وليتعلم منه بعض الحروف ثانيا . فوصل صاحب الترجمة الزاوية ، وهو على رجليه مع نشاته فى الرفاهية و بلهنية العيش (١) فكان يناله نصب ومشقة فادحة فى المشى . ولكن من عرف ما قصد ، هان عليه ما وجد . واحب الاعمال الى الله احمزها اى اشدها .

دخل الزاوية وليس فيها يوم دخوله من الفقراء الا بعض افراد . فارسله الشيخ ليلحقهم . وهم سائحون فى قرى (الـغ) وقد باتوا فى (اكجكال) فهكذا ازداد فى الطريقة (الالغية) هذا الركن العظيم الذى هو اعظم الاركان التى شيدت عليها . حتى بلغ سمكها اجواز السماوات والارض .

فى هيأة الفقراء.

كثيرا ما تثور حرب عوان بين الصوفية وبين الفقهاء فى بعض عوائد اصطلح عليها الصوفية . كالمرقعة لبعض المجردين خاصة فيهجم الفقهاء على الصوفية بسببها . ويرمونهم بانهم مبتدعون او مراءون بملابستها وملازمتها فيرد عليهم الآخرون بادلة يوردون فيها آثارا واحاديث تدل على

١) بلهنية بضم ففتح فسكون فنون مكسورة بعدها ياء مخففة . يقال : بلهنية العيش : أى رخاؤه .

أن لذلك أصلا • فيثور بينهم بسبب ذلك ما يثور • مما لا نريد نحن ان ندخل فيه • ولكن لو عرف الفقها أن الصوفية لايتخذونها ضربة لازب الا لأحد رجلين : اما رجل عرفوا منه رعونة وتكبرا • فأرادوا أن يلبسوه ثياب المساكين ، لعل ذلك يقتبس منه باطنه • فيكون ذلك • كدواء خاص • لداء خاص • وللطبيب نظره الخاص فى العلاج • فمتى ثبت أنه دواء صحيح صحيح بالتجربة • فلا لوم على الطبيب ان داوى به داء عياء • وما أعظم العلاج الذى يزول به التكبر من النفوس • وأما رجل أرادوا منه أن يوجه وجهته لتصفية باطنه ، وليس له ما يستمد منه ما يستجد به الثياب دائما • فارادوا أن يخففوا عنه مؤونة اللباس • فيلبس ما تيسر • ليتربى ايضا على عدم التكلف • وهل هناك متيسر أكثر من المرقعات • وهذا أيضا نظر خاص فى زمن خاص • فى بيئة خاصة • ونحن نعلم أن لبس المرقعات فى الطريقة (الالغية) لا يكون الا لبعض المتجردين • وأما غيرهم فلا • ومن عرف فقر تلك البيئة السوسية • يعذر من يامرون بذلك • على أن توحيد الزى لاهل كل حرفة خاصة • كما فعله القاضى أبو يوسف للفقهاء • وكما يفعله دائما الملوك فى الجند • وكما تفعله الكشافة اليوم • أمر معروف مقبول • والانظار تختلف • والعاقل لا يتخذ انتهجم دائما سلاحه • الا اذا لم يتخذ العقل وما يتعارف عند مختلفى الطوائف من الناس • من مستمدات ما يقول •

أخبرنى سيدى ابرهيم التيزكينى المتقدم : أنه لم يلبث كثيرا فى المدرسة (المزارية) حتى جاء الشيخ مع الطائفة • وبينهم سيدى سعيد وعليه مرقعة • قال • فقلت له : البسوكها • أأزالوا عنك ثيابك الجميلة ؟ قلت له ذلك تعجبا من حاله • ومن انقلابه عن السعة والجمال • الى التقشف والشظف • ومن الهيأة المرموقة • الى هيأة زرية غير مرموقة •

ياخذ التفسير عن الشيخ

كانت عادة الشيخ رحمه الله : أن يعنى بترقية معارف أصحابه عناية عظمى • فكان لا يخليهم من بين دروس الارشاد • من دروس الحديث والتفسير والسير • حتى كان جل أصحابه الاميين • فضلا عن القراء فى استحضار ذلك عجبا عجابا • مع انهم انما اتصل به غالبهم • وهم أميون جاهلون • فيتعلمون أولا الكتابة والتوحيد • وعلوم الصلاة وما اليها من الحلال والحرام • ونبذا كثيرا من الاحاديث • زيادة عن علوم الارشاد • وعلوم السلوك • مما فى الحكم العطائية • والعهود الشعرانية • والاحاديث الاربعينية النووية • فهذه الثلاثة مما يلزمون سماعها دائما

افتتح الشيخ علم التفسير من هذه السنة السابعة، فكان يلقى دروسها بين العشائين دائما فى السياحة • فكان صاحب الترجمة • وسيدى سعيد ابن عبد الله الايديكل • والعم ابرهيم • وسيدى احمد الفقيه • وسيدى الحسن الماسى • وسيدى محمد الهيكـاوى الاكمـارى • وسيدى الناجـم التيغرميتى وغيرهم من العلماء الذين تتابعوا فى هذه السنوات • يرقـون بتفهم كتاب الله مداركهم • فتجلى بانواره قلوبهم • فكانوا يتتبعون المعانى المقصودة من الآيات • وقلما يميلون الى تلك المحاككة فى البحوث اللفظية التى طفحت بها التفاسير • لان الشيخ ينهاهم عن الاشتغال بمثلها •

اخبرنى سيدى الحسن الماسى : ان الشيخ وطائفته • باتوا مرة فى دار سيدى الحاج احمد اليزيـدى فى (ايسى) قـال فحين القى علينا الشيخ الدرس • قمنا الى محل • فصرنا نحن الطلبـة نتحاكك حول الالفاظ على عادة الطلبة • فسمعنا الشيخ • فقال : ليس المطلوب منكـم الا الاشتغال باللباب والقـاء القشور • لان قشور الالفاظ هى التى حـولتاكم عنها فى المدارس • واخبرنى صاحب الترجمة انه تامل مرة اذذاك فى قوله تعالى : (لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقـاتل • أولئك اعظم درجـة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا • وكلا وعد الله الحسنى) •

قال : فقلت فى نفسى : ان معنى الآية الظاهر • ها انذا فهمته • وليت شعرى • ما معناها بالاشارة عند الصوفية الذين يقولون : انه توجد معان اخرى توخذ من الآية بحسب الاشارة • ولا تخالف المعنى المفهوم ظاهرا • قال : فراجعت التفاسير المتيسرة فى (الزاوية) كالخازن وامثاله • فلم ار شيئا • فحين جلس الشيخ للمذاكرة فى مركع الزاوية القديمة • كما هى عادته بين العشائين دائما • وجهت اليه السؤال بقلبى • فقلت له ان كان لك مقام كمقامات كبار العارفـين الـذين نقرأ من اخبارهم مـا نقرأ • من اطلاع الله لهم على قلوب اصحابهم متى شاء • فاخبرنى الآن عن المقصود على طريق الاشارة • من هذه الآية • قال : فطوى الشيخ الكتاب فى الحـين • فالتفت الى بكليته • فقال : قال الله تعلى (لا يستوى منكم من انفـق ••) الى ان اتم الآية : ان معناها بالاشارة : انه لايستوى من سلك مقام المجاهدة ، ثم فتح عليه بعد ذلك • ومن فتح عليه بغتة بلا مجاهدة • فانه وان كـان لكل منهما مقام حسن • فان مقام الاول اعلى واجل • قال : فلما بين ذلك واستوفاه كما ينبغى • قلب وجهه الى الناس كما كان اولا • فراجع مذاكرته الاول • فعرانى خجل عظيم • وحياء كبير منه • لان هذه تجربة للشيخ • وقد نددوا بالمريد الذى يجرب شيخه هكذا • فتبت لله توبة نصوحا ممـا اقترفتـه •

يشاهد الروح النبوية سبعين مرة في ليلة

اسمع كثيرا من أصحاب الشيخ ان همة شيخهم وتربيته يحولان وجهاتهم دائما عن تطلب الاسرار · وعن التعرض لها · والاعتناء بالبحث عنها · ويحضهم على أن يجعلوا همهم فى اخلاص العبودية · وان لايجعلوا هممهم فيما سواها · ومن تعرض له شيء مما يتعرض عادة من عالم الارواح للفقراء · ينهاه عن الوقوف معه · وعن عد ذلك من المزايا التى يتحلى بها المريد · وقد سمعت ان فقيرا متجردا يسمى القاضى من قبيلة (أمانوز) كان وجه همته اياما حتى انكشف له الحجاب · فاذا به لايرد بصره عن عورات الناس وبواطنهم حجاب فهو يشاهد ذلك عيانا · فناله من ذلك عنت ومشقة · فشكا حاله الى الشيخ · فمال عليه بالعتاب المر · فقال له : انك أنت الذى القيت نفسك فى هذه الهوة حين جمعت همتك لنيل ذلك · أما أقول لكم دائما : لا تجعلوا هممكم الا فى العبودية المحضة · واما هذه الكشوفات وراء الحجب ، فانما ذلك هتك لاسرار كانت المصلحة للعباد أن تبقى مستورة · ولو علم الله من ذلك خيرا عاجلا أو آجلا للناس · لما جعلهم محجوبين عنها من أول وهلة · وها أنتذا (يا بهيمة (١) قد كلفت بتطلب ذلك بهمتك · حتى هتك الله عرضك بانتهاك الحجب أمامك · وماذا للمريد من الاسرار ان انكشفت له الحجب عن الغيوب · ثم بعد أن اشتكى على الشيخ انقطع عنه ذلك فى الحين بهمة الشيخ (كما يقول الفقراء)

واسمع كثيرا من الفقراء يقولون : ان من عظم تربية الشيخ التى تشهد له بالشفوف والتفوق بين شيوخ عصره · ان كل تلاميذه قلما يبتلون بمثل ذلك · وقلما يهتبلون به ان تعرض لهم اثناء الطريق · ولذلك لاتجد منهم مجذوبا واحدا مع أنهم آلاف · هذا ما أسمعه من أمثال سيدى مولود · قالوا ولذلك لايكاد من يقع له مثل هذا يتصل بالشيخ· حتى ينقطع عنه بالكلية ·

أقول : قد شاهدنا هذا بعينه · فيما حكاه صاحب الترجمة عن نفسه كما تقدم · قال : وبعد ذلك بكثير من الايام · عاودنى الاشتياق الى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم · فشاهدته ليلة فى المنام سبعين مرة · فقلت له : كيف هذه الاعداد الكثيرة ، وكيف أمكن لك حسابها · فقال: اننى أراه · ثم يذهب عنى حتى اشتاق اليه كثيرا · فأراه ثانيا · وهكذا حتى حسبت سبعين مرة فى تلك الليلة · فكان ذلك بفضل الله عوضا عن الزمان

١) كلمة تجرى كثيرا على لسان الشيخ ·

الكثير الذى لم اره فيه . منذ اتصلت بالشيخ حين انقطع عنى . حتى عرفت ان ذلك ليس هو المقصود بعينه . لان ذلك لايزال فى ميدان اتصال عبد بعبد . واين هذا من ميدان الاتصال بالله . الذى اليه كل شىء . (وان الى ربك المنتهى) فرجع الى حينئذ ما كنت الفته والحمد لله . وقد ذكر لى يوم ذاك ان سيدى ابرهيم بن القاضى الزنزمى الحاحى رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فى كل عمره سبع مرات . فعد ذلك أعظم منقبة لـه . وعد ذلك هو النهاية فى المناقب . وها أنذا رأيته ليلة واحدة سبعين مرة . ثم لا أعد ذلك منقبة خاصة . ولا أرى ذلك هو المنتهى . وهذا كله ببركة ملاقاة الشيخ الكامل . الذى ينشد لسان حاله للذين يربيهم . ويعلى هممهم نحو المقام الاسنى قول القائل :

تركنـا البحـار الزاخرات وراءنـا فمن أين يدرى الناس أنى توجهنا

هذا معنى ما ذكره لى رحمه الله . أخذته بالمعنى . كما لا ازال استحضره فى ذاكرتى مع طول الزمان .

فـالا يكنها أو تكنه فانـه أخوهـا غذته أمها بلبانهـا

(هذا وقد ذكر التامكونسى عن هذه الرؤيا أنها اثنتا عشرة مرة . ولعل غلطا وقع له فى ذلك لاننى متثبت يوم حدثنى بذلك)

فى المجاهدات العظيمـة

ان جميع أصحاب الشيخ المتجردين . كان من العادة أن لا يذرهم الشيخ لانفسهم ليجاهد كل كيفما تيسر له . فيرسل له جهوده على حسب طاقته . بل كان يتولى بنفسه رسم الخطة لهم فى ذلك . فكان يملأ لهم آناء الليل واطراف النهار بمجاهدات شتى بينها لهم مجتمعين ومتفرقين . حتى ان أربعا وعشرين من ساعات اليوم والليلة يعمر لهم بنفسه نحو ثلثها باذكار جامعة . ومذاكرات فى مدارسات علوم الدين . من التوحيد والفقه والفهم لمعنى السير والسلوك . واكباب على العلوم التى يستنير بها السالك فى دياجير الطريق من الحكم العطائية وأمثالها . ثم ان الافذاذ منهم لايكتفون غالبا بذلك . بل يستوعبون بعض تلك الساعات التى تبقى لهم فى المجاهدة الفردية . فيكبون على ذكر الاسم الذى هو (الله) بشروطه . كلما انفرطت مجالس الذكر الجامعة صباحا ومساء وبين الظهرين . خصوصا فى الاسحار وحين تستثقل المضاجع بالنائمين .

لا ازال استحضر وانا صغير ان طائفة المتجردين المنقطعين الى الشيخ

بالكلية . وفيما ادركت أزيد من المائة . أراهم اذا كانوا فى الزاوية (الالغية) فى غير أوقات مجالس الذكر العامة . ينفرد كل واحد منهم . اما الى ركن من أركان مصلى الزاوية واما الى جنب حائط هناك . فيستقبل القبلة . وهو ساكت خاشع . لايتحرك ولا يلتفت ولا ينبس . على الحالة التى حكاها الحلبى الفاسى عن العلامة الصالح محمد بن سعيد المرغتى فى مسجد (المواسين) بمراكش . من حين يصلى الصبح الى أن تطلع الشمس . وماكنا نعلم اذذاك ما كانوا يصنعون . وهم على تلك الحالة حتى عرفنا . فاذا هم يذكرون سرا ذكر الاسم (الله) كل بانفراد . وقد يجتمع المائة فى المصلى، فيعمر بهم . ولكن كأنه خال . لا أنيس فيه ولا ديار . فلا حركة ولا همسا وكثيرا ما يكونون كذلك بعد العصر الى المغرب . وبعد الضحى الى الزوال . ونخبر انه يوجد منهم أيضا من يجلسون تلك الجلسة الليل كله . أو يقوم متهجدا اذ العيون نيام . ولم تبق عين تنظر الا الكواكب فى عليائها . لا أزال أتصور حالات الفقراء هذه من ذلك الوقت الى الآن . وقد انطبع ذلك فى ذاكرتى انطباعا . ومن لى أنا الآن بتلك الهمة . وباخلاص الوجهة الى الله وحده . فطوبى للمطبوعين على الخير . فاللهم اننا نحبهم فاحشرنا معهم.

هكذا يكون الفقراء كلهم أجمعون أكتعون أبتعون أبصعون . متى أعلنوا الشروط وهى عبارة عن لزوم الصمت . وان لايتجاوز بين اليوم والليل عدد معلوم من اللقم . وان لا ينام الا قدر معلوم من الساعات ان كان نوم، وان يقبل على الذكر بالحضور اقبالا كليا . فهذه الشروط الاربعة كان الفقراء فيما بينهم يعلنونها فينة بعد فينة . بحيث لايدمنـون عليهـا كثيرا . ولا ينفكون عنها كثيرا . فاذا اعلنوها فان الصرامة والمراقبة التامتين من رؤساء الفقراء . مجردتان على كل واحد . فلا يقدر أحد أن يتخطاها . واذا أعلن أيضا عن اختتام ذلك ، فانه يبقى اختياريا من الافذاذ . وصاحب الترجمة ممن رزق الحظوة العجيبة . والمصابرة الغريبة . والعزيمة النافذة . متى توجه الى المجاهدات . فيلازم كثيرا هذه الشروط منفردا .

يخبر كثير من ثقات الفقراء : أنه ربما يبقى شهرين أو أكثر . وهو على هذه الرياسة العظيمة ، بمجاهدة لاتعرف السأم . ولا يحوم حولها الضجر .

فقد أخبرنى سيدى أبو بكر بن عمر الايليغى المتجرد رحمه الله أنه كان شاهد منه فى ذلك مصابرة عظيمة . وهم فى سياحة مع ثلة من الفقراء الى قرية (الوكوم) فى (الفائجة) ١٣٢٢ هـ واخبرنى سيدى بلعيد المجاطى عنه بمثل ذلك . وهم سائحون مع الطائفة كلها . فى قبيلة (أيت بوعمران)

على أن ذلك مستفيض متواتر عنه • يتناقله كل الفقراء الذين أدركناهم • متى أفاضوا فى الذين تظهر منهم المرابطة والمصابرة فى ثغور المجاهدات • وفى ميادين هذه الرياضات • وقد حكى لى سيدى محمد ـ فتحا ـ بن بلعيد المؤذن التنانى : أنه رآه بقى شهورا فى الصيام • ثم لايفطر الا على تميرات مع انه فى السياحة يمشى فى الطرقات • ويحضر فى المجالس • كأنـــه لا يضعف بما هو فيـــه •

ومن ذلك أنه بقى سبع سنوات متصلة فى أوائل أمره • لا يضع فى رجله نعلا • فيمشى حافيا • ومثل هذا بلا شك • لا يقصد به الصوفية التعبد • لانه لا أصل للتعبد بمثل ذلك • وانما يقصدون به الرياضـــة ومخالفة النفس فيما تحبه وتشتهيه • ولهم فى تهذيب النفس مآرب عظيمة واستنباط أسرارهم أدرى الناس بهـــا • فكمـــا أن للاطباء للاجساد أنظارا خاصة • كذلك لاطباء النفوس أنظـــارا خاصـــة • وان كـــان أكثر النـــاس المتعاقلين لا يعلمون •

هذا حاله ، الا أن سيدى محمد بن بلعيد المذكور • قـــال لى : ان سيدى سعيدا قال له : ان الفتح الذى وقع له ، وقع له فى الجمال والبسط ولم يقع له فى الجلال والقبض • ولذلك كان حاله جماليا ، لاجلاليا • منبسطا لامنقبضا • مستبشرا • لا مستبسرا • على ما هو معروف من حاله • حتى انه أحيانا يمعن اذذاك فى الطعام امعانا • رأفة بضعفة الفقراء الذين يواكلونه حتى ليقال انه لايشبع • والغالب ان يفعل ذلك متى أناط به الشيخ مريدين مبتدئين • لم يألفوا التقليل من الطعام بعد • والحاصل أنه نضج بين الشدة والرخاء • وبين التنعم والاخشيشان • ولذلك صار متمكنا فى حاله • لاتهزه الاعاصير • ولا تستفزه زهرة الحياة الدنيا • على أنه مواظب على الذكر فى جميع احواله • والذكر منشور الولاية • كما يقول أرباب الفن •

وقد ادركنا منه رحمه الله ورضى عنه مع كبر سنه ، وضعف جسمه • وابتلائه بأمراض مختلفة • مجاهدات دائمة • لا يفتر عنها • وكثرة الأذكار صباحية ومسائية لابد أن يذكرها كلها • ولم يزل على حالته تلك • حتى انتقل الى قريته (ازيار) فأستجد تلك المجاهدات • وقد ثقلت عليه مخالطة الناس • وعظمت عليه مجالستهم • فقد زرته هنـــاك • فاخبرتنى زوجـــه أختنا عائشة : أنه فى رمضان تلك السنة • ما مس جنبه الارض • وشغله الوحيد مدارسة القرءان • لايفتر عنه • وتلك عادته التى دأب عليها بقية حيـــاتـــه •

اتساع اخلاقه

انا الذى أحرر هذا الكتاب ، ممن ابتلى بشراسة تعترينى أحيانا وحزونة خلق تثور منى فى بعض الازمنة • ولا يعلم الا الله ما يلقاه منى من يكون تحت يدى • أو يمتحنون بمصاحبتى • أو يفاجأون بمجالستى • وانا فى هذه الحالة الثائرة • كأننى مسست بجنة • أو أصابنى اختلال فى عقلى • فكم ضرب صدر منى ظلما • وانا أتخبط فى تلك الشراسة • وكم كلمة بذيئة ، وتأنيب مؤلم وعذل فادح • وتقريع متجاوز لحدود المروءة • يفرط منى اذذاك • وعقلى كأنه مذهوب به • وتمييزى قد أذابته جمرة الغضب التى تتلظى بين جوانحى ولكن بفضل الله سرعان ما ينجاب عنى هذا الضباب • وتنكشف هذه الغمة • فأراجع نفسى • فأرانى كأننى لاأمت الى الانسانية بنسب • أو لا أجد من التحمل ما أسدله على ما يتبدى دائما من عورة الغضبان المشيح الذى ينتفض ويتخبط بيديه ورجليه فى صورة بذيئة • تزدريها العيون • وتستهجنها الابصار • فاستحقر نفسى استحقارا يجعلنى فى نظرى حيوانا شرسا • لا آدميا من بنى الانسان • فأرجع فى الحين الى ذلك المسكين الذى تلقى صدماتى ، بصبر عجيب • وحلم غريب • وحسن ظن كبير • فأفيض عليه حنانا وشفقة ، ورقة • حتى لا أقدر ان اتحمل ثانيا • فأترامى عليه مستسمحا • فاما أن يسامحنى قلبا ولهجة ، وذلك غالب من يدورون بى جزاهم الله بكل خير • واما ان يسامحنى ظاهرا، على حين انه مطوى على ضغن يتحمله الى يوم ما • وانا الآن أعرف رجلا من اصحابى بمراكش وقفت معه هذا الموقف بعينه • فاطرق حين انطلقت عليه • ولكننى حين تراجعت واستسمحته سامحنى بلسانه • وفى صدره ما تنقد به أضلاعه ضغنا وغيظا • ولو كان المسكين يعلم ما أنا فيه تلك الساعة ، لرحمنى واشفق على • ولسدل على من مسامحته ما يضمد الجرح النغل الذى أحس به فى شغاف قلبى • وقد ندمت غاية الندم •

هذا موقف من مواقف الذين لم تدمث أخلاقهم • ولم تطب شمائلهم • ولم تتسع صدورهم • لتحمل الصدمات التى لابد منها لكل من يخالط المجتمع وان بلغ ما بلغ من الرقى والثقافة والعرفان والتهذيب •

دائما أقول : يا ليت لى مثل أخلاق سيدى سعيد التنانى • فاننى لم أر من كل ما رأيت من يشبهه فى سعة الصدر • وفى ملاينة الناس • وفى دماثة الطباع • حتى ليكاد يكون أمة وحده فى ذلك •

كان الشيخ يكل اليه المبتدئين من الفقراء دائما • لما يعلمه من رافة

ورقة قلبه • وكثرة شفقته • وعظم تحمله • وانه فى كل ذلك هو الطود الذى لا يتزلزل • والبحر الخضم الذى لا يكدره مكدر •

كثير من الفقراء المتجردين ، ما رباهم من بدايتهم ولا الفهم فى الطريقة حتى ذاقوا ما ذاقوا من الكأس الاولى • ولاماشاهم من الحالة التى استصحبوها قبل أن يتصلوا بالفقراء • حتى وصلوا الى التكيف بكيفية تهديهم الى المقصود الا صاحب الترجمة وحده • حتى انه لما قيل له : قم للتربية • يوم انتقل الى بلده (أزيار) قال : اننا أمضينا ما كان مقدرا لنا فى التربية فى أيام الشيخ • ويقول كثيرون كسيدى مبارك أزكوك • اننا استفدنا من سيدى سعيد ما لم نستفده من الشيخ •

كان الشيخ اذا فرق طائفة المتجردين جماعات جماعات • ليتقروا القرى من القبائل ليعلموا الدين • وليرشدوا الناس • وليعلموهم الحلال والحرام كأن يتحرى ضعفة الفقراء المبتدئين • فينيطهم بصاحب الترجمة • فيعلم المبتدئين حروف الهجاء • ومبادىء التوحيد • وفرائض الدين • ويميل الى الضعفة منهم بالرفق • فلا يدعهم يتكلفون من المجاهدات مايجعلهم ينبثون فى أثناء الطريق • فيزدادون بذلك ألفة للفقراء • وقد يرى بعض هؤلاء عند الاكل • لم يأخذ بعد القدر المطلوب الذى يكفيه لبنيته • فيقول هو على القصعة أكلا لما • حتى انه ليسميه بعض الفقراء مباسطة بطن البقرة لذلك • وكان هو أيضا يباسطهم ويقول : كل من أكل كثيرا وخاف التخمة فليقل : اننى أضفت بطنى لبطن سيدى سعيد التنانى فانه لا يتخم • ومثل ذلك ذكر عن أبى عبد الله القرشى • من رجال الرسالة القشيرية • وقد قال بعض الفقراء : جربت ذلك فصح ، والتجربة فى هذا من اقرب شىء لكل أكول حطم • وقد يمازح فيقول : أنا فى مقام الكلب • لاأعرف الا من يطعمنى •

ذلك جانب من خلق صاحب الترجمة ان كان بين الفقراء الذين هم كلهم جد فى جد • واذا أتصل بغيرهم استحال رجلا آخر أعظم اتساعا • واوسع باعا ، وأعظم رفقا • فهو الذى أيقنت أنه لايجالس أى انسان حتى يستحوذ عليه • ثم لايدخل اليه من الباب الذى يعتاد هو الدخول فيه والخروج • فتراه مع الطلبة واحدا منهم • فيغمرهم بحكاياتهم ونوادرهم وبمضحكاتهم • ثم لايشعرون حتى ينتشبوا فى شصه ، فيجبذهم شيئا فشيئا • كما يفعل الصياد فى البحر • حين يمد قصبته بشصها • فلايزال بهم حتى يميلوا الى الله من غير قصد ولا نية • تراه مع العامة يجول فى مجالات خيالاتهم ويجبذ لهم ما يالفون من المباحات • ولا يزال بهم ولسانه

يفهق كجابية الشيخ العراقى ـ كما يقول الشاعر ـ حتى يقعدوا بين يديه شاخصين بالابصار • ثم لايزال يفتل لهم فى الـذروة والغارب (١) حتى يتوجهوا عن طيب نفس للوجهة التى يقودهم اليهـا وهم ينظرون • فقـد شاهدته يعامل بعض عوام مجاط • من قبيلة (أيت علي) هذه المعاملة ، ثم صاروا بعد ذلك ممن ينتمون الى أهل الخير ويرون أنفسهم سعداء بذلـك الانتماء • وهكذا أيضا يعامل القواد • والرؤساء والفقهاء ، فقد سمعته يقول فى القائد عياد الجرارى : انه يصدقنى ويعتبرنى ويرى لى أكثر مما يرى للشيخ • وكذلك فعل بفقهاء داخلهم فى الذى يعرفونه حتى جذبهم اليـه جذبا • وناهيك بمن قدر أن ينقاد له القائد محمد بن الحاج الحسن الكسيمى والبطنا الحسن بن ابرهيم التامرى • فانهما ينظران اليه نظرات اكبار • واما اذا التقى مع الصبيان أمثالى اذ ذاك • فهناك مباسطات ومفاكهـات • وبعض احماضات • فها أنتذا ترى كيف استحوذ على بذلك • ثم لم أشعر حتى غرس فى قلبى جذور التصوف • وبذور الايمان بمبادئه • فمـا زال ذلك ينمو حتى صار سرحة فينانة توتى أكلها كل حين باذن ربها • هذا على أنه بعض المرات اذا انتهكت الحرمات • ورأى أن الصرامة هى النافعـة • فسرعان مايثور اهتياجا • ولتسقط السماوات على الارض بعد ذلك • فقـد رآنى يوما تعديت الحدود بينى وبين أخى الاكبر • فمـال عـلى ولم يبـال بثورتى • ولا بحجر اهويت اليه به فى يدى • وقد شاهدتـه مرة أخرى مع الفقير سيدى محمد البصير الذى هو كبواب الزاوية فى مقاومة ومقارعة من أجل أن ذلك كان من عادته أن يسىء الادب مع بعض الاضياف من الطلبة الذين ينتابون الزاوية • فكانت تلك المقاومة عندى عجبـا منـه الى الآن • لانها منه بيضة الديك فيما رأيته منه • ولكن :

اذا لم يكن الا الاسنة مركب   فلا رأى للمضطر الا ركوبها

وقد اعتقل يوما فى الزاوية شيخ مسن ظلما وعدوانا • فقاوم المعتقلين بكل ما فيه من قوة • ولم تأخذه فى ذلك لومة لائم • بعد ما أدى ما فى مستطاعه •

ولا خير فى حلم اذا لم تكـن له   بوادر تحمى صفوه ان يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكـن له   حليم اذا ما أورد القوم اصدرا

---

١) الذروة : السنام ، والغارب : ما بين السنام والعنق • والمعنى : أى يحتال لهـم •

هذه نظرة قصيرة على أخلاقه • وهو رحمه الله عين تلك الاخلاق وحدها وفيها ترجمته الكاملة •

يخرق العادة في بلده

تقرأ في بعض تراجم الكبار الدرقاويين من أصحاب سيدى على الجمل ومولاى العربى • والبوزيدى • وابن عجيبة : انهم يخرقون العادة • وترى ذلك أيضا في ترجمة الشيخ الالغى • والفقيه الحاج صالح الاكمارى • والشيخ سيدى ابرهيم التازروالتى وآخرين • ولكى تدرك مغزى ذلك ومدلوله عند هؤلاء القوم فاستمع لما يتلى اليك :

خرق العادة : هو عبارة عن ظهور كبير عظيم الجاه • كان يحترم بين معاريفه ، اما بالعلم واما بالرياسة • ونفسه قد ألفت الكبرياء بينهم • فيظهر بحالة زرية تقتحمه فيها الابصار • وتستسمجه فيها العيون • وحين كانت التربية في الطريقة تدور على الاخلاق والتهذيب ومداواة ادواء النفوس • اصطلحوا على أن كل من آنس منه شيخه تعاليا وغطرسة وانفة ورؤية السمو على غيره • يومر من عند شيخه في التربية ان يظهر بين من كانوا يعرفونه بذلك بمظهر المسكنة والذلة والتبا'له • حتى يستحقروه ويصغر في أعينهم • فتدرك النفس أنها محتقرة صاغرة ذليلة • فتطاطىء رأسها • وترى نفسها أدون الناس • فتدرك بذلك الذل العبودية المحضة ومن عرف نفسه بالذل والعبودية • يعرف ربه بالعزة والربوبية •

ومن أقوال القوم في ذلك : كيف تريد المنزلة عند الله ، وانت تريدها عند الناس• وقالوا : ان المنة لاتكون الا للضعفة• ويتلون قوله تعلى: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين) فذلك هو مدلول عبارتهم : (خرق العادة) وتلك ثمرتها • وذلك ما يحملهم عليها • ولذلك لا يامر بها اشياخ التربية الا بعض المريدين فقط •ممن يعرفون ان كبرياءهم لا تزول الا بذلك • وليس ذلك حتما مفروضا • ثم تظهر الفائدة في الاخلاص • والاخلاص في العمل هو المطلوب الاقصى في تربية القوم • فاذا عرفت هذا وادركت السوابق واللواحق • سهل عليك تصور ما يعنونه وما يهتمون به • هذا هو ملحظهم • واما كون الاسلام لم يرد بمثل ذلك في معالجة داء الكبر • وكل ما لم يرد به الاسلام • فانه لايشرع لاى مسلم • فتلك مجاذبة في الحجج والبراهين • نحن اصغر من ان نكون القوامين على موازينها • ولذلك نطوى تلك الحجج والردود عليها طيا • وحسبنا نحن ان نكون مؤرخين• نأتى بالوقائع كماهى

بعد سنوات قليلة • رافق فيها صاحب الترجمة الفقراء • أمره الشيخ وهو سائح فى (حاحة) ان يذهب ليخرق العادة فى سوق الثلاثاء بـ (تانكرت) وفى قريته • فبينما السوق حافلة • واخواله آل الطبيب الاغرغازيون الوجهاء فى السوق اذا بابن اختهم وسبطهم الفقيه الولى الشهير بينهم • قد ولج بهرة الناس السوق • فى مرقعة تعددت الوانها • كأنما نسجت من قوس قزح • وعلى عاتقه مزود مفتوح الاسفل • وهو يمد يديه متكففا • ورأسه حاسر • وهو ينادى بأعلى صوته وقد حملق بعينيه : ألا من يمدنى بفلس لله • ألا من يميط عنى هذا الجوع المتأجج فى مصارينى بكسرة من الخبز لله • ألا من يشفق على • فيناولنى مما عنده لله • يقول ذلك • والصبيان سيل جرار وراءه • ورجال القبيلة يتنادون : ان الفقيه سيدى سعيدا الازيارى قد اختل عقله • فيقول هذا : فوارحمة والده العالم الكبير سيدى محمد • فقد رزىء أفضل ولد • ويقول آخر ليت شعرى كيف يرضى أخواله آل الطبيب وهم من رؤساء القبيلة ووجهائها واغنيائها أن يتكفف ولد بنتهم أمام دكاكين السوق • فتموجت السوق بذلك • فيثور ثائر اخواله • فلا يحتملون صبرا • ولا يطيقون أن تشاهد أعينهم منظرا تذوب به أفئدتهم فى الصدور • فيجولون على بغالهم • فيغادرون السوق قبل أن يصل الوقت الذى يغادرون فيه السوق دائما • وممن أخبرنى بهذا الحديث : مؤذن الزاوية سيدى محمد بن بلعيد • هذا الذى لايزال حيا • وقد حضر يومذاك •

قال كان اذ ذاك لايزال شابا غرنيقا • كما اتصل بالطريقة • وقد ذاق منها أذواقا • فقلت له : وكيف كان سيدى سعيد يجمع فى السوق • فقال: كان اذا تناول فضة ألقاها فى جيبه • وان تناول فلوسا ، ألقاها فى الجراب المثقوب للصبيان الذين يتبعونه • وفى العشى راح الى قرية (أزيار) حيث والده المبجل المحترم ، فقيه القبيلة • سيدى محمد بن أحمد الذيبى • ويعلم الله كيف كان يتلقى هذه الصدمة العنيفة ، وبأى وجه يقابل ولده • وهو الذى كان يقول له فى أول اتصاله بطريقة الصوفية ـ كما كان يحكيه صاحب الترجمة دائما ـ ألان خبت فى دراسة ما تدرسه فى العلوم • ولم تنل منه مبلغا عاليا • ملت الى هذه الحالة الجديدة • فقل لى بالله : ماذا تتطلبون بعد فى طريقتكم هذه • فها أنتم أولاء مسلمون • وهذا كتاب الله بينكم • وهذا مفتاحه فى ايديكم فقد أخذتم من العلوم ما تتفهمونه به • أتريدون أن تطيروا فى اجواز السماء • وذلك ليس لكم • لان الخلق الذى كونه الله للطيران ، قد جعل له من الاجنحة ما يحلق به فى الجو • فى كلام

مثل هذا . فان كان يجلله بمثل هذا لاتانيب قبل ان يجول في هذه الحالة الجديدة . فاي شيء تراه يقابله به الآن . الا اذا طوى راسه تحت جناحه وترك الامور تجرى في ميادينها كما تشاء التصاريف .

اخبرني المؤذن المذكور أن صاحب الترجمة وقد رجع من السوق الى قرية (ازيار) كان يتناول من عصيدة أو من كسكس ملتوت باللبن . والقصعة أمامه . فتناول منه حفنة بيده . فوضعها على راس اخ له صغير اذ ذاك . وهو بذؤابتيه ، فصار يلطخه بها . كما تفعل نساء باديتنا بالحناء الملتوت على رؤوس الصبيان . والصبي يبكي . وقد اجتمعت عليه سحابة من الذباب . فصار صاحب الترجمة يقول : أولاترون هذا الذباب المسكين يتناول أيضا بدوره من الطعام . فلماذا لاتشفقون عليه . فتقدمون له من الطعام ما تقدمون لانفسكم . أولا تحبون الا النحل الذى يصنع لكم العسل .

قال : وكان أيضا في مسجد القرية . فوقف بين مصراعى الباب بعد صلاة الظهر . ومد رجليه ، فابى أن يترك من في الداخل ان يخرجوا . فامر كل الناس أن يشتغلوا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . وحصرهم هكذا الى العصر . وما قدر احد أن يخرج . وصار أيضا بين الناس ينادى : من يعطيني اثنتى عشر بسيطة لله . فصار يرد على كل من أتاه بما دونها . حتى أتاه رجل أحسن فيه النية بذلك القدر . فكان يجمعه ويلم كل ما أخذه ويحسبه أمامهم . والناس ينظرون ويقولون : هذا أبله طامع . فيسقط من أعينهم في حكايات كثيرة . شبيهة بهذه . قال المؤذن : فلاقاني مع الفقير سيدى سعيد الاسحاقي منفردين . وقد عرفنا نحن أنه انما تباله وتحامق . فوصانا بالاجتهاد وقال انني تركت الشيخ في (ادا وتغما) قال فلحقنا به هكذا في موسم سيدى (محمد أوشن) فانقطعنا الى الفقراء المتجردين من ذلك اليوم . كما رجع أيضا صاحب الترجمة الى الشيخ . وقد فعل ما أمره به . واعطى تلك الدراهم التى جمعها لضعفة الفقراء . فاكتسوا بها . فهذه قصته في ذلك كتبناها حسب ما وصلتنا وما علينا الا اداء الامانة كما هي . وهل وظيفة المؤرخين الا كذلك . فليعدها تافهة من شاء . وليعدها منقبة من شاء . فلا دخل للمؤرخ في ذلك .

في النساخة

كان الشيخ اشتغل بترجمة مجموع الامير في الفقه بالشلحة للفقراء فيما بين ١٣٠٨ هـ = ١٣١٦ هـ فكان كل ما يبضه يستخرجه صاحب الترجمة وسيدى الحسن الماسي . وسيدى محمد الاكماري مع اشتغالهما

بنسخ مجموع الامير العربى . ينتسخونه من نسخة استعارها الشيخ من الاستاذ سيدى الحاج عبد الحميد اليعقوبى . وكان صاحب الترجمة . يكتب مع ذلك كتبا اخرى لنفسه . فكم كتاب طب نسخ . وكم قصائد نقل . وقد رايت له شرح العاصمية كتبه كله . ولا أستحضر الآن هل هو التاودى أو التسولى . وفى الزاوية (الالفية) مصحف مجزأ . مما كتب بعضه قديما قبل ان يتصل بالشيخ . ثم أتمه فى السنة السابعة . كما شاهدت أيضا مجموعا متوسطا فيه قصائد صوفية ونبوية انتسخه من مجموع كان الشيخ جمعه قديما . وهناك مجامع أخرى متعددة . كتبها فى أيام تجريده . كما كتب أيضا شرح التائية لابن الفارض . وكتابا شلحيا رأيته عند نسائنا فى الدار . واقدر ما نسخه مما تقدم ومن غيره . يصل : خمسة عشر مجلدا كبيرا .

وقد كان مولعا بالجداول . يملا بها حوشي كتبه . ولا ريب أن علم الجداول له منه نصيب . وان كان لا يتظاهر به . وقد حدثنى سيدى أبو بكر بن عمر انه كان فى سياحته معه الى (ألوكوم) رآه فى رياضة شديدة دائمة وفى يوم أمره أن يأتى اليه بفحم متقد فى مجمرة . فخرجا معا الى خارج القرية . قال : فابتعد عنى ما شاء الله . ثم رجع . فآنست طابعا أحمر على كفه . ولكنه لم يخبرنى بشىء . ولا سألته أنا أيضا عن ذلك .

وهكذا كان صاحب سر لا يبض منه بشىء . وكان يعيب علينا نحن اولاد الشيخ أننا لا نصون الاسرار . قال الا ما كان من سيدى محمد وحده.

هكذا كانت همته فى كل شىء : فى التقييد والنسخ والمطالعة . هذا كله مع قيامه بكل ما يقوم به الفقراء من خدمة الزاوية فى كل شىء شىء . ومن لزومه مجالس الذكر . لا يقوم عنها حتى تختتم . وكان طلعة لمعرفة كل شىء ولو غريبا . متطلعا الى ازدياد العلم . فلا يرى ما يعجبه الا نسخه ما أمكن له ذلك .

اما خطه البارع . فهو فيه ابن مقلة الثانى . خط رائق لا يحوم حول هذا التلاعب بالحروف كما يبدو من الخط المخزنى الجديد . أو بعض الفاسى الذى انحرف بعضه عن الطريقة المثلى . وقلما رأيت لخطه فى استقامة الالفات وظهور الزوايا المتوازية بين الحروف التى ينعطف منها جانب على جانب نظيرا . وكان متى أراد أن يكتب يحتفل لذلك فى القلم والمداد . ثم لا يضع حرفا حتى يضعه ببنان ولطف . فتتجلى مخطوطاته نزهة العيون . وعقلة المستوفز. وكان هو الكاتب الرسمى لرسائل الشيخ التى يبعثها الى من اراد . ان لم يتول الشيخ ذلك بيده . ولذلك تجد بخطه

من غالب الرسائل بين الصادرة عن الشيخ الافا مؤلفة فى كل ناحية كان فيها الفقراء اذذاك • وكان رحمه الله اذا راى منا الاعجاب بخطه الرائع • ودهشنا من رونقه يقول : ان هذا ليس بشيء ازاء خط والدى • ثم لما راينا خط والده فى مصحف • وجدناه دون خط شيخنا بدرجات • ولعبد الله الاخ • عناية بالتشبه بخطه • ولكن لا تزال بينهما أشواط • ولكن ان سار على الدرب فلابد أن يصل يوما ما •

الشيخ يربحه بعد عشرين سنة

قرانا فيما سبق أن صاحب الترجمة تربى فيما يتربى به أولاد الفقهاء الذين لهم حرمة وبعض ثروة ، وكما يتربى الطلبة الذين يلزمون بيوت الكتاتيب القرءانية ، ثم حوانيت المدرسة العلمية • فأمضى فى ذلك ربع قرن فى حياته • وقد كان جسمه مترهلا ومائلا الى البدانة • وعظامه نحيلة • وجلده رقيق • يكسوه شفق من الدم الجارى اللماع • لون الذين يلزمون الظلال • ويديمون الجلوس • فمن هناك ينبغى للقارىء أن يتصور المشقة الفادحة التى يصطدم واياها صاحب الترجمة يوم يتصل بالشيخ الذى كان فريدا فى جده وفى اجتهاده فى جميع أحواله كلها • وافضل من عبر عن ذلك الفقير سيدى بلقاسم الحجام الهوارى من قدماء أصحاب الشيخ المتجردين اذ قال :

لايمكن ان يصاحب الشيخ الا من كان فى أوصاف الاعصار الذى لايمل جريا وفى بعض صفات الجندب الذى لايمل من اطلاق صوته فى زمن الصيف دائما ، فالشيخ اذا ركب جعل المهماز فى شاكلة البغلة • يسوق جميع الفقراء أمامه وويل لمن تأخر الا لعذر واضح • والذكر بالجهر لايزال يأمر به الفقراء فى جميع أحوالهم جالسين أو قائمين مقيمين أو مسافرين ، فلا تسمع منهم الا الذكر فى كل وقت • وكما أن هذه حاله فى الاذكار فى المجالس وفى السياحات ، فكذلك ان وقف على شغل من أشغال الزاوية مما يزاوله الفقراء • فانه لا يذرهم ساكتين عن الاذكار • كما انه يلهبهم باستنهاض لافح فى الاقبال على ما هم فيه • وتحكى عنه فى ذلك حكايات غريبة • فبذلك كله تدرك منتهى صبر هؤلاء الفقهاء الضعفة البنية الذين ارادوا أن يقتبسوا الانوار من هذه الشواهق الحوالق • التى لايصل الطالع الى قمتها حتى يبلغ من دونه جهودا تبلغ النفس بها التراقى • هذا كله مع الرياضات المتقدمة من جوع وحفى وصمت عن الكلام المباح • وسهر ونفض اليد عن جميع العوالم علويها وسفليها • فكم فقير صادق النية ، قصد الشيخ ، ولكنه لايستطيع هذه الصدمات • فيتملص بغير وداع •

وذلك قبل أن يذوق • واما ان ذاق ، فانه يعض على ما ذاق منه بالنواجذ عضا • وكانت (الغ) بلدة جرداء منبسطة • يسيل الى بطاحها من منفتح (تيفرميت) الصر القارص • والريح الصرصر الذى يهب بسم لاذع شديد الوقع على الاعضاء • حتى لتتصلب من التجمد الدماء فى العروق • فتصور ضعاف البنية مثل صاحب الترجمة ان كان يتعرض بنحافة جسمه لذلك كله على مختلف الفصول • وهو يتتبع مزروعات الزاوية مع الفقراء حصادا على أن الوقت للحصاد ليس بفصل البرد • فضلا عن الفصول الاخرى التى تصل فيها شدة البرودة منتهاها • حتى ان الفقراء ليقولون : ان زاوية(الغ) مجزرة النفوس • وذلك لعمرى صدق ملموس ومشاهد كالشمس فى رابعة النهار •

فى نحو : ١٣٢٤ هـ كان صاحب الترجمة فى سياحة • فبلغ به الاعياء مبلغا عظيما • ووصل صبره منتهاه • فقال لبعض من معه : اطلب الله أن يريحنى من حصاد هذه السنة • فانه ليست لى طاقة بعد للشغل • ولم تبق لى مقدرة تزاول أى عمل • فقد بلغ الحزام الطبيين • ولكن أطلب الله مع ذلك : أن لايكون العذر اساءة أدب مع الشيخ • ولا مرضا ولا ما الى ذلك فما كاد يصل من تلك السياحة • حتى وجد أمامه طلبه ملبى • ودعاءه مستجابا •

فى تعليم محمد ولد شيخه

كان أخونا الاكبر قد اعتنى به الوالد عناية كبرى فى حفظ كتاب الله كما اعتنى كذلك بجميع أولاده بعده فى ذلك • فاستتم استظهاره أواخر سنة : ١٣٢٤ هـ فرأى الشيخ ، وهو الذى يعلم من أين توكل الكتف • أن يزج بولده الذى يرشحه للنيابة عنه فى أهله بعده فى بيئة صالحة • فلا يخرج به عن دائرة الفقراء • فليزج به فى وسطهم • لعله يحظى من تربيتهم بما تعود عليه بركته • ويجده دعامة له فى مستقبل حياته • وقد علم ايضا كيف الحالة الاجتماعية فى المدارس العلمية السوسية وانها تحتوى على جراثيم ومكروبات من فساد للاخلاق • قلما يقدر من تأصلت فيه وانشبت فى شرايينه أظفارها أن يتملص منها طوال حياته • فاختار لولده أن لايحوم به حول ذلك الحمى • وان لايباعده عن وسط الفقراء الذى فيه كل خير • ثم ان ما كان قدر له من المعارف سيتوصل به بأدنى سبب • فكان الشيخ بعد أن تولى تعليمه فى فصل الشتاء بتلك السنة فى متون المبادىء • لا يتأتى له من المثابرة معه ما ينبغى • فلذلك رأى أن يدفعه لصاحب الترجمة • ليكون له ذلك أولا تذكرة للقواعد التى نسيها بين

الفقراء ، وليجعل له شغلا يقوم به ان قام الفقراء باشغال الزاوية ، ومن القواعد عند هؤلاء المربين ، ان شغل المريد بشيء كيفما كان ، أولى من تفرغه للهواجس التى لاتنهمر على صاحبها الا متى بقى فارغا ، ومن حكمهم فى ذلك : النفس ان لم تشغلها بالحق ، شغلتك بالباطل ، قال صاحب الترجمة هكذا أراحنى الشيخ من ناحية ، والقانى من ناحية اخرى فى اشغال متعبة أيضا ، لان هذه القواعد العلمية قد كان نصيبى منها اولا قليلا ، وكانت معارفى التى تلقيتها بادىء ذى بدء فى مدرسة (ايسقال) ضئيلة ، حتى اننى لما توصلت برسالة الشيخ المسماة : (عقد الجمان) فقرات منها (قلبا وقالبا) تحريت فى معنى القالب ، فلم أدركه ، لان حظى فى اللغة من الضؤولة بمكان ، ثم اننى حين اتصلت بولد الشيخ ، رجعت الى القواعد التى كنت عرفتها ، والى الحدود النحوية التى كنت استظهرت منها ، فاذا أنا منها صفر ، فساق الله الى الفقيه سيدى أحمد بن مسعود العدرى ، ونحن اذ ذاك مع الشيخ بالمعدر ، والفقراء فى حصاد المزارع التى للزاوية هناك ، فكنت أراجعه ، ويفيدنى عن كل درس درس ، وكذلك كنت اسال سيدى موسى بن الطيب ، فبذلك تاتى لى أن أؤدى من التعليم ما عل ، ثم انه مر بالفنون الصغرى مع تليذه سيدى محمد فى الزاوية ، وفى السياحات بـ(الغ) وفى جبال (أيت صواب) وفى (اداوزكرى) وفى «ازغار» وفى (اداوتنان) الى (مراكش) سنة : ١٣٢٧ هـ فمكث لديه ثلاث سنوات ، شدا فيها ، وتقدم أشواطا ، وكان يستفرغ جهده فى تعليمه وفى تهذيبه وتاديبه مع صعوبة ذلك على التلميذ ، فى وسطهو كله احترام له وتقبيل راس ، ومنح هدايا ، والشباب قد أقبل بعنفوانه ، ووسوسة الذى يجرى من ابن أدم مجرى الدم ، تقلقل التلميذ الشاب النشيط ، وكان يعركه عركات غير هينة ، فعهدى به وقد أعد حبلا غليظا يلحفه به فينة بعد فينة ، حتى اذا دخلت سنة : ١٣٢٨ هـ ومضى فيها ما شاء الله ، أرسل الشيخ التلميذ الى المدرسة (البونعمانية) عند الاستاذ سيدى محمد بن مسعود المعدرى ،

وقد حكى المترجم انه فى سياحة ١٣٢٧ هـ ماشى سيدى محمد بن مسعود ، فرايا معا التلميذ يجرى على رمكة بين الفقراء ، فعاتب ابن مسعود سيدى سعيدا على اطلاقه العنان للتلميذ ، قال فلما دفعة الشيخ له قلت له : ها هو ذا بيدك اليوم ، فحاول امسالك عنانه الآن ان استطعت ، وقد كان ذلك راحة لصاحب الترجمة من ناحية ، أوصلته الى راحة الاخرى فقد كان منذ اتصل بولد شيخه نفذ له الشيخ بغلة يركب عليها ، واذن له

فى لبس الملابس اللينة التى تتيسر له . فكان ذلك اذنا عاما . وايذانا ان عهد تربيته قد انقضى . وان شأنه قد علا ، وان مقامه قد تسنم الذرى . وان رحيقه قد تعتق . وانه املص من الانشوطة . فليكن حرا .

يستخلفه الشيخ فى (مـراكش)

عند تهيىء الشيخ : ١٣٢٨ هـ للتوجه الى السياحة التى عزم أن تصل الى (مراكش) غادر ولده سيدى محمدا عند الاستاذ ابن مسعود المعدرى . وعند وصوله تلك المدينة ، وقد حصل له فيها من الاقبال ما حصل . وقد تاسست زاويته فى (الرميلة) بباب دكالة . عـلى يـد سيدى ابرهيم بن مبارك البركاثبى وعلى يد سيدى الحاج ادريس الورززى قاضى الحمراء (بعد ذلك الحين) ، وعلى يد الفاسيين الذين تلمذوا للشيخ : الحاج العربى برادة واخيه الحاج حماد وغيرهما . فنزل الشيخ فيها . وأقبل عليه أهل حومـة (باب دكالة) اقبالا عظيما حتى ان الزاوية ضاقت بالناس . فجلس للناس فى (جامع) باب دكالة الفسيح ، فقام أهل الحومة بما قاموا به من الضيافة على ما هو مشهور . فعند ارادة الشيخ الرحلة من(الحمراء) جمع كل من أخذ عنه فيها ، فاراهم صاحب الترجمة . وقال لهم : ان هذا هو خليفتىعليكم وكل ما تريدونه منى تجدونه لديه .

سمعت سيدى سعيدا يقول : هكذا تركنى الشيخ عند أولئك الحضريين، ـ وانا ككل بدوى ـ أبعد الناس عن مماشاتهم فى أخلاقهم وآدابهم فضلا عن أذواقهم ، فكانوا يتناوبوننى وانا لا أدرى كيف أمشى معهم . حتى تبين لى ان اعتكف . وتقوى ذلك فى باطنى ، بعد ما كان عندى اذن بذلك من الشيخ فاعتكفت فى المسجد الجامع بباب دكالة فى آخررمضان بتلك السنة ١٣٢٨ هـ وسمعت ثقة يحكى عن صاحب الترجمة انه قال له : ان الشيخ بعد ان ارانى لاهل المدينة . ونوه بى أمامهم . نادانى وحده . وهو فى الغرفة العليا فى الزاوية . عن يمين الداخل . فقال لى : اننى وان قلت فيك ما قلت . واذنت لك فيما أذنت . فاعلم أننى واننى . . . وذكـر امورا لبس هذا محل كتبهـا . والمقصود بها أن لاتعظم نفس سعيد . وان لايظن ان له مقاما أعظم مما هو له . قال : فامد ظلى من ناحية . وقلصـه من ناحية أخرى . فكان ذلك سبب أن لويت رأسى تحت طى جناحى .

وقد وقعت له هناك قضية مع سيدى مبارك أزكوك . ازاء الذين جاءوا ليمتحنوه . ظهر فيها مقام سيدى مبارك الامى على علماء حضريين (١)

---

١) فصلت الحكاية فى غير هذا الكتاب . امـا فى (الترياق) وامـا فى (منية المتطلعين) . وكلاهما مطبوع .

وقد حدثنى الفاضيان : الحاج ادريس الوارزازى وابن العربى الدكالى والتاجران الابران : الحاج العربى برادة ، والحاج حماد اخوه • وآخرون كثيرون عنه اذ ذاك • زيادة على الفقراء المتجردين الذين معه حينئذ • حكايات عديدة وقعت له هناك مع اناس • ومحادثات شتى • ويحكى هو ايضا عن ذلك العهد وكان مما يحدثنى به كثيرا مشاهدته لشيخ الاسلام أبى شعيب الدكالى • فيذكر عن حفظه وذلاقة لسانه • واستحضاره وخوضه فى كل فن اعاجيب • ومن فيه ـ وهو يحدث عما رآه منه فى ذلك الطور ـ سمعت اول مرة باسم شيخنا هذا وسبقت الى محبته بطريق الاذن قبل العين (والاذن تعشق قبل العين احيانا) ثم لما رأيته سنة ١٣٤٢ هـ على المنبر فى مسجد (المواسين) • وجدته كجعفر بن فلاح • الذى قال فيه ابن هانى الاندلسى • وهذا مما حفظناه من دروس هذا الاستاذ بعد ذلك :

كانت مساءلة الركبان تخبرنا عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى

ثم بعد ذلك غادر المترجم (الحمراء) فساح على الفقراء فى (الحوز) الى ان وصل (تيزكين) من قبيلة (كدميوة) وهناك زاوية من زوايا الشيخ ، وفيها ثلة من الفقراء المتجردين ، كالحاج محمد البوطيبى الهشتوكى • وسيدى الحسن البرايبمى واهل (تيزكين) اذذاك كلهم فى الطريقة (الالغية) غرقى الى الاذان خاصتهم وعامتهم • فلبث هناك ما شاء الله ، ثم توجه فى طريقه الى الزاوية (الالغية) مع ثلة من الفقراء حتى وصل (اداوزيكى) وهى قبيلة كادت اذ ذاك كلها تكون الغية الطريقة • كبيرا وصغيرا • ذكورا واناثا • فهناك لاقاه رسول الشيخ يامره بالرجوع الى (الحوز) وان لاياتى الى الزاوية فرجع •

يسقط عن البغلة

عجبا من هذه الارواح التى استاثر الله بكنهها • ولم يطلع غيره على شىء من سرها • الا على قبس يتنوره من ولوا وجهاتهم الى الرياضات والخلوات وجمعوا الهمم فى اكتشاف ماهنالك • فيتجلى لهم ذلك اما ليحفزهم الى الامام واما ليقطعهم عما هم فيه من السير الى الملأ الأعلى •

كان صاحب الترجمة راكبا على البغلة • عند وقت العصر : ٢٨ ـ ١٢ ـ ١٣٢٨هـ • فاذا به لم يملك نفسه ، فخر عن مركوبه • وهو ما هو نحافة عظم ، وضعف بنية • وخصوصا بعد ان ارتاح من الانصاب والاتعاب والمشى على الاقدام • منذ ان التحق بتعليم ولد شيخه كما تقدم • حتى انه مثلا

ذلك العهد ولحمه يترهل • وأمراض مختلفة تتوالى على بدنه • وما كان منذ خروجه من (مراكش) فى هذه الاوبة الى (سوس) ليقدر أن يسير على رجليه كما كان قبل • فكان كل من مر به يعيره مركوبا الى أن يصل آخر ، ومن هذا كله يدرك ما سيعانيه من هذه السقطة التى رقد بها اياما • ثم كلف ان يتوجه بعد ابلاله الى (الحوز) حتى لايتأخر عن الامتثال لأمر شيخه وهو من هو فى المحافظة على مثل ذلك فى جميع أحواله كلها •

يطرقه نعى شيخه

فاظت نفس شيخه وقت العصر : ٢٨ - ١٢ - ١٣٢٨ هـ فى الوقت الذى حصلت له فيه تلك السقطة • فهل ما حصل له من الصدف لاغير • والحافر قد يقع على الحافر • والعوالم متشابهات الآثار • والمصادفات ما اكثرها فى حياة الانسان ، ولاجديد تحت الشمس • أو ذلك من أثر اتصال بين الروحين • روح التلميذ وروح الشيخ • حتى ان أحداهما تأثرت بما تأثرت به الاخرى • اما من لم تكن له نظرات فى الارواح • ولا كانت له فى علومها جولات • ولا طالع من كتب أهلها ما يرقق شعوره • ويوجه وجهته نحوها • فانه لايقول فى ذلك الا انه مصادفة • واما الصوفية ومن اليهم من كل من خدم العالم الروحانى من أى جهة حتى من جهة (اسبرتيزم) فانهم لا يستبعدون أن تشعر روح بروح من بعيد شعورا باطنيا • وان يشتد بينهما اتصال • حتى تحس احداهما بالاخرى على أن ذلك يتوقف على الاخبار بذلك من أصحاب دينك الروحين • وان يكونا صادقين فيما يقولان • وهذه القضية لم اسمع أن صاحب الترجمة ذكر حولها شيئا • ولا روجها فى الحوار بينه وبين أى انسان آخر • وانما اولع بذلك بعض الفقراء • وحسبوها له كرامة • وهو رحمه الله أهل لكل كرامة • ولكن ما أفضل الوقوف عند ما لم يسمعه الانسان • وما أولى العاقل ان يبتعد عن الرجم بالغيب (ولا تقف ما ليس لك به علم • ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) •

توفى الشيخ فكتبت الرسائل بنعيه • وابردت البرد الى كل صوب وتفرق الفقراء الحاضرون فى الزاوية (الالغية) الى كل جهة فيها الفقراء والزوايا ، فوصلت اليه رسالة من هذه الرسائل • فولى وجهته الى الزاوية (الالغية) فوصلها فى أوخر المحرم وقد اجتمع فيها جميع الفقراء المتجردين الذين كانوا فى السياحات • فرقهم الشيخ فى (انزكان) من قبيلة (كسيمة) فى أول رمضان • فما عتم بعد أن وصل • ان توفى فى ذى الحجة رحمه الله

صاحب الترجمة كرئيس في الزاوية

استخلف الشيخ فى وصيته ولده محمدا · واوصى الفقراء أن يقوموا بزاويته ما داموا فى الحياة · وندد بالمريدين الذين يتفرقون عن أمكنة أشياخهم وأوعز اليهم أن يتبع صغار الفقراء الكبار · وان يكون أمرهم جميعا . فلما كان رحمه الله ربى أصحابه وهذبهم · حتى حماهم بفضل الله من الدعاوى ومن التطلع الى المراتب · فقد قاموا خير قيام فى تنفيذ هذه الوصية · وامتثلوا كل بنودها بندا بندا · وحين كان صاحب الترجمة فى المتجردين كقنة الراس من الراس · لازم الزاوية · وصار مستشارا فى كل امر عرض · وولد شيخه الذى تولى الخلافة تلميذه · وربيب تربيته · فمن أولى منه بالقيام ازاءه لارشاده · وللاخذ بيده · حتى يرشد · ويبلغ مبلغ الرجال فهكذا صار كرئيس فى الزاوية طبيعيا من غير أن تسند اليه الرياسة · ومن غير أن يسلمه أحد صوجلانها فمضى شهر صفر · ودخل ربيع الاول · وكان يعتاد الاستاذ محمد بن مسعود فى (المعدر) اقامة الموسم فى عيد المولد للفقراء · فرأى من بالزاوية من جميع الفقراء المتجردين أن يكرموه ويجلوه ـ لمقامه العظيم بينهم ـ بالحضور فى موسمه هناك · فذهب الجميع وعلى رأسهم صاحب الترجمة · وخليفة الشيخ الخوليا الاكبر · فلم يشعر ابن مسعود فى المدرسة (البونعمانية) حتى بغت بهذه الطائفة · لانهم رأوا أن يلحقوه أولا هناك ثم يصاحبوه الى (المعدر) · فاخبرنى سيدى مولود ان ابن مسعود امتعض لذلك وكانه لايريد أن يزج بخليفة الشيخ فى منصة الرياسة الحقيقية حتى يتربى ويسلك مسالك الفقراء مقامة مقامة · فكانه نسب هذه الغفلة لصاحب الترجمة · وابقى ذلك نكتة فى قلبه نحوه · أدت الى ما سنذكره ·

اكفهرار الجو بين صاحب الترجمة وبين بعضهم

طالعت عند الاخ رسالة قيمة أرسلها اليه الاستاذ ابن مسعود فى أواخر ١٣٢٩ هـ وفيها أمره بان يسلك مسلك التجرد · فيلبس المرقعة · ويجهر بالهيللة · ويلزم الاذكار · ويقبل على مطالعة الكتب الصوفية العليا كالاحياء ونحوه · وعلى مدارسة العلوم الواجبة · وان يلزم الصف · وان يعرض عما سوى ذلك · وهى لعمرى رسالة تستحق الخلود · تنبىء عن نفس عال · ونصح تام لابن شيخه · وفى اثنائها يندد عليه باشتغاله بقرض الشعر وبعلم الادب وقال له : ان ذلك صنعة البطالين من الطلبة · وفى اخر الرسالة يأمره فيها أن لايطلع عليها احدا · هـذا بعض ما احتوت

عليه • ولاشك فى أنه لايرتضى السير الذى يسيره خليفة شيخه • حين يتصل ببعض الطلبة من الالغيين يعنون بقرض الشعر • وبعلم الادب • وما الى ذلك • وانه فوق ذلك يندد بمن لهم الاشراف عليه ــ كالمترجم ــ تنديدا وينحى عليهم باللائمة تعريضا • حين لم يكفكفوه عن ذلك • ولاشك أنه لايقصد بذلك الا صاحب الترجمة • لانه هو الذى وحده له الاشراف التام • وهو أيضا مما يظن به أن رأيه هو الراى الذى يمكن أن لايتخطاه تلميذه • والذى يدل على ذلك دلالة واضحة انه أوصاه أن لايرى الرسالة لاحد • وما كان أحد فى الزاوية بصدد أن يطلع على الصادرات والواردات • الا صاحب الترجمة • وفى الحقيقة ان تلك النكتة المتقدمة فى قلب ابن مسعود نحو سيدى سعيد • قد ازدادت بسبب الاستاذ سيدى أحمد البوالوقتى التيزنيتى • وقد كان ابن مسعود ارسله الى ابن شيخه ليذاكره فى بعض علوم • فحين وجده لايهتبل بذلك • ورأى أن صاحب الترجمة لايفارقه ظن أنه هو السبب • فصار يكاتب ابن مسعود سرا بذلك • ويصرح له بأن التنانى هو الذى يعسف بسيدى محمد عن الجادة • ويلهيه بما لافائدة فيه والاستاذ أحمد البوالوقتى ، ممن لايبالون بالقاء مثل هذا الكلام الذى يفسد ما بين القلوب • وبمثل هذا الكلام من الوساوس التى لااصل لها تمكن ما فى ذهن الاستاذ من اتهام المترجم بما هو منه براء • وقد كان له رحمه الله سرعة فى تصديق كل ما يسمع • فيتأثر كثيرا بسرعة عجيبة • فأداه ذلك حتى نفر نفورا عظيما فى حق المترجم وصدر منه كلام ، منه ما سمعته من صاحب الترجمة نفسه • فانه قال : ان الاستاذ ابن مسعود قال : اننا تركنا الزاوية للتنانى • ثم قال فقلت لمن نقل لى الكلام : اننى أقوم فيها بكل ما استطيع • وجلية الخبر أن ابن مسعود رجل لايحب الا الجادة • وسلوك مهيع الشريعة فى تربية ابن شيخه • ولكنه غائب عنه لايدرى ما يجول فيه • وهو لايزال شابا غرا كما تملص من قبضة والده • ويصعب ان ينقاد الا بمراوغة • وحسن حيلة • وهذا ما يجهله ابن مسعود ، لانه غائب لايرى ولا يسمع • واما صاحب الترجمة الذى حضر وعجم أعواد كنانة سيدى محمد عودا عودا • وقد كان رباه وأراد له المقامات العليا بتدرج ، فانه يسايره مسايرة المربية الحاذقة التى ترأم على وحيدها • فكان يوجهه لكل خير • بحسب المستطاع • ثم يماشيه فى الامور المباحة • لئلا يقع له منه نفور • وهو اذ ذاك كما انفلت من القفص الذى كان فيه أيام الشيخ وفقراء آخرون ممن ليست لهم هذه النظرات العليا التى

لصاحب الترجمة • يعلون سيدى محمدا فوق مقامه اذ ذاك ، والاذن محبوب اليها معسول الحديث • والانسان لايستميله الا التعظيم والتبجيل • وازاء هؤلاء اناس ممن لبسو لباس الفقراء • وليسوا من طينة الفقراء فى شىء فكانوا يزينون للشاب الغر ما يحبه الشباب الاغرار •

فهكذا كان صاحب الترجمة يعانى ما الله أعلم به ما بين انظار هذه الفرق • ونظره يرمى الى بعيد • فرأى أن يتعلم تلميذه أولا بعض ما امكن فحين رآه يميل الى الآداب وقرض الشعر • كان يغضى عنه فى ذلك • لعله يجد منه اسلاسا للنواحى الاخرى • وفى بعض الاحيان تقع امور من غير أن يشعر بها • فكان ذلك التزنيتى وامثاله ممن لاينظرون الا الى الظواهر، ولا ينفذون ببصائرهم الى الواقع • يقلبون الحديث • ويوصلونه لمثل سيدى محمد بن مسعود كما شاءت لهم الاهواء • ويكفيك أن صاحب الترجمة ما زال فى ذلك الدور بتلميذه حتى أحسن الترسل وجود الخط • وحبب اليه المطالعة • فهذه الثلاثة هى التى زانته الى الآن • وبحبه للمطالعة فتح له فى كل ما يدرك بالمطالعة على كثير • على أن صاحب الترجمة لاينفك معه فى كل يوم فى توجيه وتنبيه وحفز للهمة ، واستنهاض للمعالى • مهما غاب عن الاستاذ ابن مسعود • بل لايقدر أن يقوم به هو ولو ساعة • وهو مع ذلك يرى ويسمع من شذاذ الفقراء ما لايصبر له الا ذووا العزم • لم ان ابن مسعود بذلك النفور انتبذ حتى عن ميع الفقراء المتجردين • فقد كان حضر فى موسم : ١٣٢٩ هـ بالغ ، وهو موكأ الصدر على شىء • ثم أقام موسمه فى ربيع الاول ١٣٣٠ هـ فاذا بأجله قد حان فالتحق بالرفيق الاعلى رحمه الله (١)

اما صاحب الترجمة فقد لبث سنين وهو يبذل الجهد فى جميع الانحاء فى توجيه الفقراء وفى سير الطريقة • وفى معاناة تربية أولاد شيخه الصغار وقد تحمل من ذلك ما الله وحده به عليم • ولا يدركه فى ذلك احد • فرحم الله هذين العظيمين ابن مسعود وصاحب الترجمة • فلكل منهما وجهة هو موليها وما قصد الجميع الا استباق الخيرات •

فى جيش الهيبة إلى مراكش

ان من الامور المهمة التى أوعز الاستاذ ابن مسعود فى تلك الرسالة المتقدمة الى سيدى محمد أن يتنكبها ، أن لايقصد الهيبة وان لاينحاش اليه • ولكن من ذا الذى يقدر أن يتخلف اذذاك من نظرائه • فكان هو وجميع الفقراء

(١) كان المتجردون كلهم – هداهم الله – نفسوا عليه مكانته • فأراحه الله بالوفاة • واهم فى وفاته منامات • لاتعدو ان تكون منامات •

المتجردين من الذين خرجوا معه من (تزنيت) وصاحبوه الى أن وقعت عليه الواقعة بـ (الحمراء) ومن بين الفقراء صاحب الترجمة • وهو على بغلة الشيخ • لان الاخ اختار عليها فرسا حسنة • فوجد رحمه الله من الركوب على السريجة لطفا من الله به عليه لضعف بنيته •

أخبرني مخبر شاهده يوم استقل جيش الهيبة من (دوتركا) وتوجهوا نحو (المعدر) قد أوقف البغلة في جانب الطريق • ورد رأسها الى القبلة • فاطرق عليها وهي واقفة ما شاء الله أن يقف • وهو يتنهد ، قال وبعد زمان طويل وقد خلفه الناس • رد وجهة البغلة الى الطريق • فلحق بالجيش • لكن بعد لأى ، وكان يحكى أن الناس كثيرا ما ينسبون كرامات للهيبة • قال ولكنني لم أر الا شيئا واحدا ان أمكن أن يحسب كرامة • وهو عدم الذباب في معسكره مع كون الوقت وقت صيف • والامور التي تجلبه من الفواكه وامثالها موجودة • ولكن مع ذلك لاتكاد تقع على ذبابة • وكان وهو ذاهب مع الهيبة هذا الذهاب يحدث أنه رأى في بعض اخبار تتعلق بالتنبؤات بالمستقبل • أن صحراويا سيبايع ويسير حتى يدخل (مراكش) ثم ينهزم منها الى (تارودانت) ومنها الى (اسرسيف) ثم الى (أيت وادريم) ثم الى (كردوس) فقال وها هنا انقطع الخبر • اقول قد كان صاحب الترجمة يحدث بهذا اذ ذاك كثيرا من الناس • وكنت أظن أنه انما يستتر بنسبة ذلك الى بعض الاخبار • وأرى أن ذلك من كشفه الذي ءانسنا منه كثيرا حتى أخبرت أن جفرية محمد بن ابرهيم أعجلي البعقيلي • هي التي ذكرت ذلك بعينه • واخبرني الفقير بوجمعة البوعشراوى الكسيمي : انه كان قال لصاحب الترجمة ومن معه حين ودعهم ازاء بلده : اننا سنطلع اليكم بـ (مراكش) متى عيدنا قال : فقال سيدى سعيد أونحن نعيد عندكم هنا ، فصدقه الله • فقد دخل الهيبة (مراكش) ٣ رمضان ١٣٣٠ هـ ثم انهزم منه ٢٦ رمضان • وما عيَّد الا في (تارودانت) واخبرني أيضا مخبر انه شاهد صاحب الترجمة في الليلة التي سيغادر فيها الهيبة (الحمراء) يكثر أذكارا • وينتقل من علية كان فيها من قصر (الباهية) وفيها كان نزول الفقراء مع الاخ باذن الهيبة • ولم ينم في تلك الليلة • فحين ثار الناس ثورة رجل واحد • وقف هو برباطة جاش • على الذين كانوا يجمعون الاواني والمتاع وكل ما معهم • يحثهم على أن لايتركوا شيئا • وهو يقول لهم : لاتتركوا أى متاع • واجمعوا كل ما أمكن لكم • وحين تحملوا وسارت البهائم • مع سيدى محمد بن أحمد التزنيتي • وقد تفرقت طائفة الفقراء • خرج هو وحده • وعليه هياة حسنة حضرية • ولبسة تاخذ بالابصار • كانه من لباب الحضارة • فسار وهو لايخاف شيئا • لان كل من رآه من الذين يلقون القبض على كل سوسى • وهم ظاهرون ببداوتهم • ورثاثة ثيابهم •

وهيآتهم التى لا تمت الى أهل الحوز والحضر بشيء . لا يشك فى أنه حضرى . فالتقى ببعض معاريفه من المراكشيين . فلبث عنده . ريثما هدأت الروعة . وتمكن الاطمئنان من القلوب . فسار الى الزاويــة بـ (باب دكالة) فلبث فيها أياما . حتى اهتم القائد محمد كُرْما قائد قبيلة (أداوزنزم) الحاحية وقد كان تخلف عند القائد عبد المالك المتوكى . فأخذ له الامان . فركب معه بغلة من بغاله . فالتحق بـ (حاحة) ثم مر ببلده . وبقبيلة (كسيمة) عند رئيسها سيدى محمد بن عبد الرحمن . فــرآه محتاجا الى مركوب . فاهدى لــه بغلة . فكان يجد أفــراد الطائفــة التى تشتتت شذر مـذر فى (مراكش) أمامه . فصار يجمعهم حتى كانوا نحو نصف الطائفة . فسار معهم قليلا حتى وصل الزاوية . ثم لم ينشب أن طلب منه الاخ المصاحبة الى (تارودانت) للمثول بين يدى الهيبة . فــاذا بالاخ تعين رئيسا على قبيلة (اداوزيكى) فصاحبه اليها . وبــين ثنايا صدره . نــار تلظى . لان مثل هذه المجالات لا يرضى أن يرى فيها . ولكنه مضطر للمسايرة . ثم غادر تلك القبيلة الى (اداوتنان) ولم يلبث بعد ذلــك الهيبة طويلا أن زعزعــه القائد حيدة عن (تارودانت) الى (هشتوكة) فنجا الاخ ومن كانوا معه فى قبيلة (اداوزيكى) برأس طمرة ولجام . ولولا أنهم اتخذوا السرى مركبا . لتقبض عليهم جيش القائد عبد المالك المتوكى الذى أرسلــه برياسة بعض خلفائه . فرابط فى (تاركانت) فرجع صاحب الترجمة الى الزاوية بـ (الخ) فلازمها . وقام بالامامة فيها من أواخر ١٣٣١ هـ الى أواخر ١٣٣٨ هـ فما كان يفارقها الا نحو شهريــن من كل سنة يقضيهما فى فصل الصيف فى قبيلة (اداوتنان) ثم يرجع الى مستقره . وما كان بعد يسيح الا فى ممره الى قبيلته ذهابا وايابا . فاقبل على ربه . فوجد نفسه مضطرا الى الاقامة لتألب أمراض متعددة على ذاته . فصار لا يغب تعاطى الادوية . وقــد كان له فى علم الطب يــد طولى . وهو مــع ذلك قلما ينتفع بالتداوى . ويعمل العشبة التى أمضى بالخلوة فيها (٤٠) يوما . وأشد ما فيه داء البرد . حتى ان مــاءه لا ينحصر . فكان فراشه دائمــا خاصا . لا يــذرنا ونحن اذذاك نجلس اليه أن تقاربه . ويقول : انه نجس . ثــم تولد لــه من داء البرد : الحصا . فكان عليه أدهى وأمر . فكان يتعاطى المراهم التى تفتت الحصا . ويثابر على القرنفل فى الحليب . فكنت كثيرا ما أراه يعد سكرجة منه . فيفطر عليها عند الغروب . لانه ربما يسرد الصوم . فبذلك حبب الىَّ الى الآن شرب الحليب النىء بلا تسخين . وقد جلست اليه مرة فى سطح المصلى . فأرانى حصاة أكبر من العدسة . فقال هذه سقطت منى آنفا . ثــم لكثرة احتياجه الى الحليب للتداوى . يسر الله له الكريم القائد عيادا الجرارى .

وكان ممن يعرف مقامه • ويعتقد فيه الخير • فارسل اليه بقرة حلوبا • وكذلك القائد سعيد التكزريني الحاحي • ولكن الامراض اذا نهكت جسما ضعيفا كجسمه فقلما تفارقه حتى يفارق الحياة •

يتزوج باختنا

انهالت عليه الادواء وتتابعت • وأهمها داء البرد • فداواه بكل دواء • فلم ينجع فيه أى دواء • فقيل له : لو تزوجت لرجي لك منه شفاء • فوجه همته الى ذلك • فكان من سعادة اختنا الكبرى السيدة عائشة ان كانت هي الخاطبة بمضاجعة هذا الرجل الصالح الذى قلما تلد النساء له نظيرا •

فى عشية يوم جاءنى اخى أحمد • وأنا صغير قبل المراهقة لا أدرى ما يفعل الناس فاخذ بيدى • فدخلنا على تلك الاخت • فوجدناها تبكى فقال لها الاخ احمد هل وكلت أخانا الاكبر فى تزويجك فلا استحضر الآن اتكلمت أم اكتفينا بصماتها ـ وهى بكر ـ وكان ذلك بعد العشاء فوجدنا الاستاذ سيدى عبد الله بن محمد الالغى والاخ الاكبر • وصاحب الترجمة • والعم ابرهيم ، وأنا والاخ أحمد • ولم أدر أحضر غير هؤلاء أم لا • فعقد النكاح • واريحت السيدة فالتقى النيران • التقى الشمس والقمر • فناهيك باختنا هذه دينا وخيرا وعبادة ورقة قلب ، فلا أعلم فى اخواتنا • بل فينا أجمعين من يدركها فى ذلك حتى ان بعضهم رأى فى النوم من يقول له : انها فى مقام رابعة العدوية • فكانت الرؤيا موافقة لحالها رضى الله عنها • هذا وهى اذ ذاك شابة • ثم ظهر منها بعدما يوذن بما هو أعظم وأجل • وهى الى الآن يزداد توجهها الى ربها بعدما أسنت ونفضت يدها من هذا العالم • ووجهت همتها للعالم الآخر الدائم • أتم الله عليها نعمه واضفى عليها بفضلهرضوانه

ينتقل إلى (أزيار) مواطن آبائه

كان صاحب الترجمة كوالدنا، ومعاملته معنا معاملة من يربينا ويرشدنا ويهدينا سواء السبيل • وهو عند أمهاتنا من يمتثل أمره • ويتبادر عند اشارته • وممن يعرفن له نصحه وقيامه على أولادهن الصغار• حتى ادركوا خير قيام • وكذلك عند جميع الالغيين قاطبة • وقد تجد من نزل الالسن منا فيه • ولكنه هو لاترى من يلمسه ولو بأدنى لمسة • أويغمز منه دينا او مروءة أو عفة أو نزاهة نفس • وأما الفقراء فهو عندهم قطب الرحى • وكانت له بينهم سابقة • وقدم راسخة فى الطريق • ومقام عظيم فيما بينه وبين ربه • فما كانوا ينظرون منه الا الى الفحل الذى لايقدع انفه • ولا يبارى فى الميدان • فهذا مقام صاحب الترجمة مع الجميع

واما مقامه مع أخينا الاكبر سيدى محمد صاحب الزاوية • فمقام من يعرف له ما يعرف له كل الناس كما تقدم • فكان يستحيى منه • ولا يواجهه الا بالخير وصاحب الترجمة لايغب نصحه فيما رأى فيه خللا• ولا يسكت عن منكر تراءى له • وهو مع ذلك مائل للعزلة • نافض يده من التكلم الا فيما يرجع الى اقامة شعائر الدين • او الى الفقراء الذين يدافع عن كل ما يرجع اليهم • أو الى المصلحة العامة التى يذود عنها بلسانه • وهو منذ تزوج اتخذ له البيت الاكبر فى دار أخينا أحمد محله الخاص • فتقوم له السيدة بمؤونته الخاصة من المزاولة • وهى مع والدتها واخواتها • وهو يشترى الضروريات لها • ثم رزق بنتا لم تنشب أن استاثر الله بها • وحين انقسم ما بين الاخوة كان مع قرينته هذه عند الاخ أحمد ملازما للصلوات فى الزاوية • قيوما بما كان يقوم به الشيخ من مجالس الذكر والوعظ • وما زال على ذلك وهو لاينوى الا الاقامة فى زاوية شيخه • حتى يلقى ربه • ولكن قرينته الغيور ـ والنساء معلوم منهن حب الاستقلال ـ تحثحثه دائما على الرحلة الى بلده • لتتخذ لها دارا على حدة من أهلها • ليقر قرارها • ولتامن على مستقبلها ومستبل أولادها • فكان يسوفها ويصبرها • حتى اذا لم يبق فى قوس الصبر منزع • وألحت عليه الحاحا • رأى بعد ان استخار الله أن ذلك لاشك عائد عليهما معا بالمصلحة • فاستاذن بعض عقلاء المقدمين الكبار من الفقراء فوافقوه على ذلك• فتسوق موسم(تازروالت) فى مارس ، على أن يتسلف من عند التاجر سيدى محمد بن احمد التزنيتى الطاحونى ما يجهز به نفسه حتى يرده اليه • فلم يتيسر من عنده ما اراد ظنا من الرجل أنه مملق لا يجد مالا يرد به السلف ، فيقال : ان مصيبة عظيمة ألمت به تلك السنة • حين ألقاه الكنتافى فى السجن • حتى أتى على جل أمواله • أتته من أجل أنه كسر قلب هذا السيد المبارك • والله أعلم • ثم تيسر له ما أراد عند الفقير أبو جمعة البوعشراوى الكسيمى • وكان هذا اذ ذاك منقطعا الى الزاوية • وقد هرب من القائد محمد بن الحاج الحسن الكسيمى • فلما عزم على الاقلاع • ولم يبق الا أن ينشر الشراع • ليودع الزاوية وأهلها • ويودع الالغيين قاطبة وفى مقدمتهم الرئيس أحمد ابن الحاج ابرهيم الايغشانى • ذهب اليه فى داره فودعه وقد راوده أحمد الايغشانى على أن ينحاش اليه • وانه سيبنى له دارا من عنده • فلم يجبه الى ذلك • فقال صاحب الترجمة لبعض الناس عجبا من الايغشانى كيف يراودنى على ذلك • ولو كنت لا أزال بـ (الغ) لما فارقت دار أولاد شيخى

التى ما رأيت منها الا خيرا أيقن انتى لا أحب أن أساكنهم فبأى وجه اسكن فى (الغ) فى جهة ، وهم فى جهة • وهل بينى وبينهم ترة • وكان من حسن الصدف ان لاقى هناك فى (أكنىاديان) الاستاذ سيدى على بن عبد الله الالغى وقد كانت بينهما سنوات عديدة لم يتراءيا فيها منذ ثار بين الاستاذ وبين آل الزاوية ما ثار • بسبب غيلة ولده احمد فى حكايات مبينة فى غير هذا المحل • فودعه أيضا هناك • كما صادف أيضا اذذاك الفقيه الصحراوى سيدى محمد بابه • فذكره فى قطعة مع الاستاذ المذكور ، سيدى على بن عبد الله ، مطلعها :

زار الفقيـه وزوره محمـود وعلى المزور سروره ممـدود

الى أن قــال :

هذا ولما زار زار بأثره الشـ ـيخ الثانى السعيد سعيده

لا غرو ان اليوم يوم مسرة فيـه النبى المصطفى مولـود

والقصيـدة تقدمت كلها فى ترجمة محمد بابه ، فى (الجزء الثالث)

(المعدر) فبات فيها يومين • ثم الى (هشتوكة) ثم الى (المزار) ، ثم الى «اورير» ثم الى دار القائد الحسن بن ابرهيم التامرى من (ايمى واسيف) ثم الى (دوملت) عند القائد سعيد • فاستراح هناك • ثم حل فى دار أخيه سيدى عبد الله بـ (أزيار) فما وصل خبر وصوله الى قبيلة (اداوتنان) حتى سالت اليه البطاح بالمرحبين به من جميع التنانيين • فلم يبق أهل قرية كبيرة او صغيرة من آل (تانكرت) الا وفدوا عليه • وملأوا ما بين يديه بكل شىء : حبوبا وادادما ولحما • ثم اجتمع الناس على بناء داره ازاء الزاوية التى كانت تأسست هناك فى أيام الشيخ • فقام الناس كلهم له بكل ما يحتاج اليـه فى المؤونة وفى البناء • وأعظمهم فى ذلك القائـد سعيـد التيكزرينى • والتاجر الفقير الصادق المجد سيدى محمد أوجدى • فكان رحمه الله يقابل الناس بالبشاشة التى جبل عليها • وبالكرم الحاتمى الذي كان معروفا به منذ كان ، ولا يزال بين الفقراء • فقد كان من عادته أن يوثر بكـل ما لديه •ويصرح بأنه موقن بأن عرض الدنيا لم يشك قط فى أنه يجد منه كل ما يريد • وقد أخبرنى عنه بذلك سيدى أبو بكر بن عمر الايليغى رحمه الله • وقد يسر الله له على يد بعض الناس اذ ذاك من ابناء شيخه فارسل اليه من (مراكش) كل ما يحتاج اليه من أوان وفراش • وحين قيل له : ان فلانا كفاك كل ما تحتاج اليه ، قال : ان هذه دارهم وحدهم • فكل ما وضعوه فيها لايستمتع به الا هم وحدهم • فكان الامر كذلك يوم قـام الاخ عبد الله مقامه بعد وفاته •

هكذا استقر في قريته الاصلية • وسكن في ديار أهله بعدما فارقها (٣٢) سنة • وقد نزلها مكرما معززا مبجلا • كما فارق زاوية شيخه الالفية معززا مكرما مبجلا • أحب ما كان الى أهلها • فليت شعرى من اين تسرب الى الفقيه المؤرخ سيدى محمد الايكرارى ما ذكره في تاريخه الذى ترجم فيه رجال اهل عصره • في ترجمة هذا السيد • من أن سبب نقلته : اختلاف بينه وبين أبناء شيخه أصحاب مثواه • وان الناس اقبلوا عليه حتى نفسوا عليه ذلك المقام • فحسدوه عليه • فكان ذلك هو ما حمله حتى جلا عن (الـغ) الى بلده • فيعلم الله أن صاحب الترجمة ليس هنالك • وليس ممن يتعالى على أهل الشيخ • فكل من له أدنى المام بما يجرى اذذاك • يعرف جد المعرفة • ان هذا لا أصل له • وانه ما انتقل الا بالسبب الذى ذكرناه لا غير • والمؤرخ الايكرارى رحمه الله انما كتب ما سمعه من بعض الناس وهو معذور غير مواخذ • وقد نبهنا على هذا • لانه داخل في حكم لتاريخ • وسينصب المستقبل ميزانا عادلا لجميع اقوالنا هذه ايضا • فالهم سدد خطانا • وهيء من ينبه على ما نغلط فيه بدورنا •

ان انتقل صاحب الترجمة من الزاوية (الالغية) الى قرية (أزيار)

من قبيلة (تانكرت) بـ (اداوتنان) كان في شعبان : ١٣٣٨ هـ وقد صاحبه في هذه النقلة أخونا وسيدنا عبد الله • الذى سعد بهذه الصحبة، ثم بملازمته بعد • حتى كان هو الوارث لسره ولمقامه بعده • فهنيئا له ثم هنيئا •

ماذا يعمل في داره بـ (أزيار)

لنريث معى ايها القارىء • ولنرجع الى التامل قليلا • ولنتصور بعض الصوفية الذين نعرفهم هنا وهناك • ولنقدر أن أحدهم تهيا له من الشهرة وذيوع الصيت • والاحدوثة الحسنة • والثناء العطر • واقبال الخلق وحسن ظنهم • وانقيادهم الانقياد الاعمى • ما تهيا لصاحب الترجمة حين نزل بداره وبين اهله الذين قوبل منهم باعظم تبجيل يتصور • وباعلى احترام يمكن أن يوجهه انسان لانسان • فما تظنه يفعل • أو لا يسبق الى ذهنك ان يقول ان هذا من علامات الاذن في الظهور والتصدر للناس • والحمد لله الذى فضلنى على كثير من خلقه • وجعل ألسنة الناس رطبة بامداحى • والسن الخلق اقلام الحق • فكما انني خدمت الرجال • وتلمذت لهم حتى حصلت على هذا المقام • فيجب على انا ايضا بدورى • ان يخدمنى الرجال • وان يتلمذوا الى • لينالوا ما نلته في الثلاثة العقود التى امضيتها وانا غريب عن أهلى ودارى • فلاتصدر للناس ولانفعهم • فالاشياخ الكمال الذين

تلاقيت معهم ما تسنموا رتب الكمال الا بما نفعوا به الناس •

هكذا سيقول لنفسه • ثم يؤمن بكل أمانيه على دعائه • ثم لا يكون الا عشية وضحاها حتى تسير الاحاديث بتصدره للمشيخة • ويمد يده الى التلقين • ثم لا ينشب أن تكون له دعوى مدوية • يضرب بها الطبل •

أو لم يقع مثل هذا للشيخ التستاوتى حتى وقع بينه وبين سيدى احمد بن ناصر ابن شيخه ما وقع• مما سطر فى التاريخ • أو لم يقع مثل ذلك لكثيرين أمثاله • أوليس ان من كان فى مقام صاحب الترجمة جدير بهذا • وقريب أن يسلك هذا السبيل • لان عهدنا بكثير من صوفية هذا العصر • لا يرون أنهم كمال • الا متى تيسر لهم هذا المقام • واطلوا منه على أصحاب الافئدة التى تخفق باكبارهم واجلالهم من المريدين المتعطشين الى المشايخ البارزين •

حقا ذلك ما أتيقن أنا أن فلانا وفلانا وفلانا من أناس معاصرين استحضرتهم الآن فى ذهنى • دأبوا على المجاهدات سنين • وأمضوا شبابهم فى خدمة أشياخهم فى الزوايا • ولكن شيخنا هذا رأينا منه عجبا • فانه ما كاد يستقر فى داره حتى اتخذها خلوة ومعتزلا عن اناس • فلا يراه الا من قصده أو استضافه • فلم يخطر له بعد أن يلقن الورد لاحد • ولا كانت له همة الا فى استجداد مجاهدات جديدة • كأنه ما انتقل من (الغ) الى (أزيتار) • الا ليتفرغ لنفسه • وليقبل كل الاقبال على ربه •

ان كثيرا من الفقراء الذين يجاورون تلك القبيلة • ينتحونه فيضيفهم• ويذكر معهم كواحد منهم • ويفيض عليهم بكرمه • ثم يودعهم من غير أن يتزازل عن العزلة التى حبس عليها نفسه • ثم ازداد به ضيق الصدر • حتى انه ليستثقل المجالسة معهم كثيرا • فكان يتكلف ذلك اداء الحق لزوره • ثم ينفتل الى زاوية غرفته العليا • فيقبل على شأنه اقبالا • وقد قال يوما لبعض الناس : ان سعة الصدر التى كان الله أعطاها لى قبل اليوم قد رفعها عنى اليوم • فازداد حرجا من كثرة مزاولة الناس • فهكذا لوى راسه تحت طى الجناح • ونفض يده من الناس قبل أن ينفضوا أيديهم على رمسه •

كان ذلك البلد الذى يقطنه • بلدا جبليا • لا يكاد الانسان يجد فيه القوت الا بكد ونصب • فكان يتيسر له أن يحرث مثل الناس • ولا يحتاج الا أن يفتح فاه بذلك • ويسمعه منه الناس • فيقومون له فى ذلك بكل شىء • ولكنه معرض عن ذلك غير مهتم به • فيكتفى بما يفتح الله به عليه • من غير تشوف الى الادخار • وكثير من الناس حادثوه فى ذلك •

فكان يقول : اننا متى تصدرنا لمثل ذلك ، فان الناس سيتسالون علينا أكثر مما انثالوا علينا ، فيحولون بيننا وبين ما نريد ، ولان يرانا الناس بعين الضعفة والمساكين المحتاجين ، أولى من أن يرونا فى مزاولة الاشغال ، والامتلاك والادخار ، فيجاذبوننا حبالها ، وقد كان عنده هذا العذر عذرا مكشوفا ، ولكن لا يمكن أن يقول سواه ، وكان ضعفة شرفاء من أهل تلك القبيلة ، لا يتعففون فيقصدونه تكففا ، فكان لايخيب منهم أحدا محبة فى الشرفاء ، ويده كما كانت ، ولا يبخل بالموجود ، على ما هو معروف به من عهد تجريده ، فانه اذذاك لا يمكن أن يمر براع ، ولا بصبيان مكتب ، ولا بمسكين الا ناوله شيئا من جيبه ، ولا يشك الفقراء اذذاك انه لا ينفق من الموجود ، والا فمن اين يأتيه كل ما يعطيه ، هكذا كانوا يقولون والله أعلم ، ثم ها هو ذا اليوم ، قد صار مضيافا ، متنوع الاطعمة ، وينفق نفقة لاعتاد عند جيرانه ، ومن عادته أن يشترى ما ليس عنده دينا ، حتى اذا وصل اربعين ريالا حسنيا ييسر الله اداءها فى الحين ، وقد كان القائد سعيد التيكزرينى يوالى اليه كل ما يعرف انه يتوقف عليه ، وقد اخذ عليه العهود ان يوافيه بكل ما يتوقف عليه ، ولكن سيدى سعيد العزوف ، لايتطلب منه أى شىء وقد كان أودع عنده امانة من ذهب فى قمقم ، ثم لم يستردها منه الا فى مرضه ، وكان سيدى سعيد هو الذى ردها اليه ،

هذا مجمل احوال هذا السيد فى كرمه ، وقد بينا مصادره ، ولكنه مع ذلك لاتزال مكارمه موضع العجب فيما بين يديه من الخيرات ،

قال مرة لبعض الناس : انما تكلفت بناء الدار لتستقر فيها بنت الشيخ ليقر قرارها ، وليهدأ بالها ، وأما أنا فلا غرض لى فى أية دار ،

وقيل له يوما آخر : ان فلانا ــ وأنا هو المقصود ــ من عادته ان يستدين ، فقال : ان ذلك مقامه ، واما انا فلا اطيق أن يكون على أى دين ، وقال أيضا : قولوا لفلان ــ يعنينى ــ لايهتم بامر الدنيا ، فانها ستاتيه صاغرة ، من غير ان يدخرها ، اقول : اننى شاهدت كل ذلك بعده رحمه الله ، وقد كان لى منه ما كان من بشارات ، نطلب الله ان نكون بها سعداء دنيا واخرى ، والبشارات كالمنامات تسر ولا تغر ،

ذلك هو سيدى سعيد ، فانه ما كاد ينزل هناك حتى ابتسمت له الدنيا وفتحت اليه أيديها ، لكنه اراها كيف يكون الزاهد ، وكيف يكون من اعرض عن العرض الفانى رجاء فى الذى عند الله ، مما هو خير وابقى ، ثم انه مع ذلك يقوم بصغار اولاد شيخه وهم خمسة : عبد الحميد وعبد الله وابو القاسم وعبد الرحمن وابرهيم ، الى بهم من (الخ) وانزلهم فى دار القائد سعيد ، وشارط لهم من ابن عمهم الاستاذ سيدى محمد بن أحمد

معلما حتى أتموا على يده حفظ القرءان • وافتتحوا الامهات ، فكان يعتنى بهم اعتناء عظيما من كل النواحى • حتى انه لما اخبر بأن الصغير منهم ـ وهو السيد ابرهيم • الذى هو الاستاذ الكبير فى الحواضر اليوم ـ بلغ ، قال الحمد لله • ففى هذا الوقت القيت عنى حملا عظيما • ومسؤولية كبيرة امام شيخى ، فهؤلاء أولاده قد أدركوا كلهم جميعا • والحمد لله الذى وفقنا للقيام بهم حتى بلغوا مبلغ الرجال • فذاك هو سيدى سعيد • وذلك هو الرجل العظيم الذى قام علينا جميعا حتى كان كل واحد منا أخا القوم ، واستغنى عن المسح شاربه • فبأى جزاء نجازيك يا أبانا الثانى وبأى لسان نثنى عليك وأنت فوق كل جزاء • وأعلى من كل ثناء • فلا نملك الا ان تمتد ايدينا • فنطلب من الله أن ينوب عنا فى جزائك بما أنت أهله ، فقد كنت يا أبى أزورك هناك وأراك منبع يمنى وفجر سعادتى • فكنت تستنهضنى وتقدمنى الى الامام دائما • ولعل الرؤيا التى رأيتها تصدق ، فقد رأيت سنة ١٣٣٧ هـ وأنا نائم أمام زاوية الشيخ ، فى (أداونزم) أنك ناولتنى فانيدة حمراء حلوة • فقلت لى : ان من كانت هذه فى فيه هو الذى ورث سرالشيخ• فأخرجتها من فيك وناولتنيها فابتلعتها • فلتكن الرؤيا رؤيا حق ان شاء الله ، وليكن السر سر الايمان • والرؤيا دائما تسر ولا تغر

يلتحق بالرفيق الاعلى

مكث صاحب الترجمة هناك منذ انتقل من (الغ) من أواخر ١٣٣٨ هـ الى ١٣٤٣ هـ وهو فىغاية الاعراض عن الشهرة • وفى غاية الانقباض عما كان ينتظر منه • والالسنة تتعطر بالثناء عليه • ورجال قبيلته منكبون عليه من كل صوب • وهم كلهم آذان لما يخرج من فيه • لاعتقادهم أن لسانه منالالسنة التىيجرى الله الحق عليها • ولكن السيد ممن لايقعقع له بالشنان ولا يوخذ على غرة • وهو ممن أعروا أفراسهم ورواحلهم فى ذلك الميدان، وممن لم يمتد عنقهم الى التطلع الى ما ينتظره هؤلاء الناس • وماذا يتطلبون منه غير الله وما يقرب اليه • أفغرهم ما كانوا يرونه من كشوفات الرجل الصالح سيدى الحاج الحسن الكزويى ـ وقد كان مشهورا بالكرامات والكشوفات وبالعبادة والزهد التام ـ قال المترجم يوما لبعض زائريه من الفقراء :

ان كثيرين ينتظرون منى مكاشفةأو كرامة • كما كانوا ألفوا منى قبل أن أتصل بالشيخ • ويا عجبا • حين كنا نملك نحاسا • يهتبلون به وحين ملكنا بأيدينا الذهب الخالص مما يدل على الله ، أعرضوا عنه • أو يريد منى الناس أن أكون كسيدى الحاج الحسن • فاننى لست هناك فى مقام الكشوفات والكرامات • وقال يوما آخر أيضا : ان لاتتانيين عرفونا

بذلك اذ نحن لانزال لم نلتق مع الرجال • وأما اليوم فليس عندنا الا الدلالة على الله أو هم اقبلوا علينا وتألبوا علينا • وتبعوا مايصدر منا اذ نحن لانروج الا غير المعرفة بالله وأما الآن ـ وليس عندنا الا الذهب الابريز الذى هو الدلالة على الله ـ فانهم لايعرفون ماعندنا • ولاجل هذا وأمثاله نفض يده من هذا العالم وأهله • وزهد فيما يهتم به غيره • ويظنه أقصى الغايات • فقد سمعت ان هذا السيد الصالح سيدى الحاج الحسن الكزويبى الشهير رضى الله عنه • وهو الذى ذكرنا فيما تقدم أنه أخذ عنه علوما • قال لبعض الناس : سلم على سيدى سعيد • وقل له : الله يسخر لك الناس • ومن هنا تعرف ما بين الرجلين من الفرق العظيم • فهذا يعد الاقبال من الناس هو الغاية والآخر ينشد بلسان حاله :

ان كان منزلتى فى الحب عندكم ... ما قد رأيت فقد ضيعت أيامى

والحقيقة أن كلا الرجلين له مقام خاص به • فرضى الله عن الجميع •

ثم فى رمضان : ١٣٤٣ هـ اشتد عليه المرض الذى كان السبب لالتحاقه بالعالم الآخر فقد كنت قدمت عليه من (مراكش) فى ذلك الشهر ـ كما كنت اقدم عليه فى هذه السنوات كمريد يقدم الى شيخه ـ فوجدته فى نحول وسقم عظيمين ، ثم انه أبل ابلالا ما • ثم لايزال يراجعه مرضه الى أن كان يوم الخميس • الرابع من ذى القعدة • فشرب عنبرا • واتبعه لبنا فتلظى جوفه حرارة • ثم ماجاء يوم الاربعاء • حتى لفظ نفسه الاخير • فتولى غسله الفقيه الاجل سيدى محمد بن أحمد بن الحاج صالح الالغى • وقد طلع من مستقره من عند القائد سعيد • من قرية (دوملت) من قبيلة (ايت امر) وحضر جميع التانكرتيين • ورئيسهم الشيخ الحسن بوناكة • والحوال المترجم الى الطبيب • وكان الحفل عظيما • فصلى عليه الفقيه سيدى عبد الملك التيفاليمى • فدفن غربى زاويته فى محوط هناك •

هكذا انقضت حياة هذا السيد الجليل • كما تنقضى حياة كل عابد زاهد خائع منيب • فلم يورث أهله لادينارا ولا درهما • وقد خلف بنتين وذكرا • ولكن من كان لله فى حياته ، كان الله له فى أولاده بعد مماته • فقد سبق الى محله أخونا السيد عبد الله الذى هو ربيب تربيته وزهرة من زهرات روضه • فعمره خير عمارة • وخلفه افضل ما يخلف به من هداه الله الى سواء السبيل • وقد حكت السيدة قرينة المترجم انها ربما جاذبته الجمال فيمن ينفعها بعده • فكان يصرح لها بالسيد المذكور • بل حكى لى الاخ بنفسه : انه رأى مرة بعض اقرانه تطلب من صاحب الترجمة أن يلقنه الورد • فقال له ما الكشف عن أنه لم يفز منه بما أراد • قال وكنت على نية أن ألقنه منه • ولكن حين رأيته رد هذا السيد لم أذكر له شيئا •

قال : ثم استدعانى سيدى سعيد يوما فلقننى اياه ارادة من عنده .

أقول ان هذا من نفوذ بصيرته . حيث يعلم ما فى استعداد كل . فان ذلك السيد الاول . تبين بعد انه ليس فيه الا الاستعداد للعلوم لاللتصوف وهو اليوم فيها لا يشق له غبار فى العلوم . وأما الاخ المذكور . فها هو ذا اليوم ممن يغبطه كل من عرفه منه : اقبالا وانابة واخباتا واخلاصا فيما بينه وبين ربه . وقد ظهر منه أنه لا يصلح الا لذلك المقام . ولكل مقام رجال . وكل ميسر لما خلق له .

ثم ان كل أولاده التحقوا به . الا ما كان من بنته الصغيرة . فقد تزوجت وولدت الاولاد مع السيد أحمد (١) بن بلعيد التنانى التانكرتى . وهو ولد الفقير بلعيد التيشكجيى . من أحباب صاحب الترجمة . ومن خيار عباد الله فى رفع الهمة . وترك ما لا يعنيه . وقد رزق احمد بن بلعيد السكنى فى حاضرة (تالبرجت) فى (أكادير) موسعا عليه وعلى أهله فى التجارة . فالله يحفظه ويصلح له جميع الاحوال . وقد حفظ من زلزال (أكادير) هو وأهله . مع أن داره فى (تالبرجت) هلك فيه كثير)

ولده محمد

كنت آويت الى ابن شيخى هذا الى (مراكش) فهناك أستتم القرآن ثم افتتح المبادىء . فسار أشواطا . ثم بلغ الحلم . فحبب اليه الصيام ومزاولة الاسماء . ثم فرق الدهر بيننا بالنفى الذى أبعدنى الى (الـغ) مختتم : ١٣٥٥ هـ . ثم تابع فى كلية (ابن يوسف) فى النظام . الى أن كان متفوقا يناغى المعالى بالتحصيل مع علو همة . والنظرة العليا . والترفع عن السفاسف . فقد كان يزورنى فى (الـغ) ثم لما أفرج عنى . وانتقلت الى (مراكش) ثانيا . توالت عليه أمراض شديدة عانى بها العلاج فى (السويرة) ثم توفى بها . فدفن فى وسط قبة الزاوية الدرقاوية هناك . فذهب مبكيا على نجابته رحمه الله . ومن العجيب أنه كان فى صغره قبل نفيى مكبا على كتاب (الرحمة) المشهور . فكنت أراه يوالى الصيام دائما . فكنت أنهاه عنه . ليتفرغ لدروسه . فكنت أتشدد عليه فى التعليم . فقال لى بعد ذلك العهد أنه كان يصوم لاستخدام جنى بشروط وجدها فى الكتاب. قال : وقد صار الجنى يقف أمامى وأراه عيانا أحيانا . وحين كنت تتشدد على . قال لى يوما : انتظر شهرين . وستجد راحة مما تقاسيه من فلان . وبعد شهرين جاء النفى . هذا ما حكاه لى . وهو لسان صدق . وبالاشتغال بهذا أصابته أمراض ذهبت به رحمه الله .

١) القائد بعد الاستقلال على قبيلته . حتى غادر القيادة فاستراح .

ادبيات حول المترجم

رأيت فى طليعة هـذه الترجمة أن لشيخنا يـدا فى اعتناقى للادب . وقد كان يحب لى الادب والتمكن فى اللغـة . والتثبت فى مراجعة ضبط الالفاظ من القاموس والمصباح . وأتذكر انه ذكر يوما : الناووس . فراجعه فى القاموس . فلـم يذكره . وفى المصباح . فـاذا بـه نص على انـه قبر النصارى . فصار يضحك منبسطا على عادته . يمدح المصباح الذى يـدل على النور . ويتحامل على القاموس الدال على البحر المظلم . وفى الصباح قال : ان صاحب القاموس كأنه أخذته الغيرة . فقد رأيت هذه الليلة البحر مستنيرا . يظهر كل ما فى قعره للعين . وليس بمظلم .

وقد كانت أدبيات كثـيرة مخطوطة بقلمه . فى مجاميعه . وكذلـك قواعد لغوية . ومما حفظته منها :

وجـاء فى حـل بمعنى نـزلا	وجهـان فى مضارع وان جـلا
بمعنى فـك فاضممن وان غـدا	مقابـل الحرمـة فاكسر أبـدا

ومن ذلك أيضا الشوص واللوص والعلوص ، فى هذين البيتـين . عقد فيهما لفظ حديث مروى :

من يستبق عاطسا بالحمد يأمن من	شوص ولوْص و عَلوص كذا وردا
عنيت بالشوص داء الضرس ثم بما	يليـه ـدا الاذنِ ثم البطن مختتما

وحين كنت بـ(مراكش) وفدت عليه بهذه القصيدة القافية ، وذلك فى ١٣٤٠ هـ نأتى بها للاعتبار والتاريخ . وان لم يخف عنا الآن ما تتصف به مما لايوافق أذواق أدباء اليوم ، كما نأتى كذلك بأمثالهـا . ليعلم القارىء ما نحن فيه منذ أربعين سنة (والكتاب كتاب تاريخ . لا كتـاب منتقيات الآداب) وكل ما كان الغيا اذذاك فليكن اليوم فى كتاب الالغيين .

أبارق السفح فى جنح الدجا ائتلقا	أم الهلال جلا لما جلا الغسقا (١)
أم الغزالة يوم الصحو بـازغـة	فجللت بسنا أنوارها الافقـا
أم حضرة أشرقت شمس الحقائق فى	خضرائها فاجتلى المسترشد الطرقا
لاحت فلاح لأرباب القلوب بهـا	ما للكليم بدا فى الطور اذ طرقا
وفاح منها عبير الوجد فاندمجت	فى حضرة القدس توا روح من نشقا

---

١) جلا الاول بمعنى ظهر ، والثانى بمعنى كشف . والغسق الظلمة .

وهب منهـا نسيم الوصل فاعتنقت
خود الهنا من يعانى فى الهوى الارقا (١)

ماست بها عذبات القوم اذ رشفوا ريق المعارف من ثغرى فنا وبقـا
قوم تلوا سور التقوى مفصلة آياتها مذ كبا التوفيق قد عبقا (٢)
واقتطفوا ثمرات المجد يانعـة مذ خوط(٣)قصدهم بالسعد قد بسقا
واقتعدوا صهوات المجد منذ رأوا أن الذى يرتدى الرضوان من سبقا

وانبسـطوا فى بساط البسط مذ علمـوا
ان النوى لم يغادر للتقى الرمقا (٤)

وصافحوا الفتح مذ حلوا مقام (أبى
عثمـان) وارتشفـوا اسراره الغدقـا

شيخ بدا فاهتدى من كان مختبطا
وهب من فى مهـاد الغى قـد غفقـا (٥)

شيـخ تجمع فى أثناء حضرتـه من المفاخر ما فى غيرها افترقا
يلقى العفاة طليق الوجه فى خلق كالشمس مشرقة كالورد منفتقا
سعد السعود ومعراج السلوك على عليائه علم العرفان قد خفقا
نجم الهداية مفتاح القلوب اذا أدار خمرا على جلاسه وسقى
قطب السعادة مطلع السيادة بـا رق المجادة من افق العلا برقـا
وصل لمنقطع جبر لمنصـدع رشد لمستمع ، نور لمن رمقـا
حصـن لمعتصـم عـز لمنهضم يمن لمستلم ، أمن لمن فرقـا (٦)
زهـر لمقتطف ثغر لمرتشف بحر لمغترف ، فتح لمـا غلقا
صحو لمن ثملت بالحسن نظرته سكر لمن لم يكن بالوجد معتلقا
فرق وجمع (٧) لمجموع بطى بسا ط الحق أو من غدا فى النشر مفترقا
يختال فى حضرات القدس فى حلل منسوجـة بين منوالى صفـا وتقى

---

١) الخود بالفتح : الزاهية الجمال ، والجمع بالضم .
٢) الكبا بالكسر : العود الذى يتبخر به .
٣) الخوط بالضم : الغصن . وبسق : طال .
٤) مريض لقى بالفتح : اذا استنقى بالمرض على الفراش .
٥) غمـق : نـام .
٦) فرق كفرخ : خـاف .
٧)من اصطلاحات الصوفيـة .

فان جرى فى كلام القوم مرتجلا أبدى من السر ما يسوقف الحدقا
وكيف لا وبحار الوهب مغترف لكل من فى علوم الذوق قد نطقا
ذو همة طالما تهتكت شغفا بنيلها همم الاصحاب والرفقا
يبغون بالحزم والتشمير رتبتها هيهات ليس بفار كل من خلقا (١)
ان صممت تذر الاطواد ذائبة وستر ما ظلمات الكون منخرقا
كم غافل خلعت أثواب غفلته فراح مصطبحا بالذكر مغتبقا
وجاهل غازلت فحواه مقلتها فالتاح فى سلك أهل الرشد متسقا
كم جاهدت فى العدا كل الجهاد كما
قال الولى الذى فى كشفه صدقا (٢)
انظر وقد حكموا لولا العناية ما أبقوا لذا الدين لا حما ولا مرقا
بشرى لذا العصر اذ هذا الولى به سعدى لذا المصر اذ من شرقه شرقا
ياكل من رام ان ينال بغيته وان يشاهد نور الفتح مؤتلقا
وان يرى بشراب القوم منتشيا مصافحا نسمات الوصل معتنقا
أزج الركاب الى تلقاء حضرته لكى تشاهد ما تبغي بها فلقا
وزره كيما ترى ما لا يحيط به وصف وان أنفد الاقلام والورقا
وتجتلى أوجه الاحسان مشرقة وتجتنى ورد تحقيق كما انفتقا
وترتدى حلل الاخلاص ضافية مستفتتحا من كنوز الصدق ماانغلقا
وتستنير بنور لو تحوز سنا
ه الشمس ما انكسفت والبدر ما انمحقا
نور اذا ما تجلى للنفوس غدت دكا والمروح فى أفق الشهود رقى (٣)
يزج بالقلب فى عين الكمال مزحـ ـزحا له عن سماء الحضرة الشفقا

* * *

يا سيدى يا (أبا عثمان) يا أملا لكل من بحار الجهل قد غرقا
أدرك ذماء ضعيف روحه بلغت منه التراقى وامسى رهنه غلقا (٤)

---

١) خلق الجلد وفراه : اذا قدر كيف يقطعه ثم قطعه • ولفظ المثل : (ليس كل من خلق يفرى) ومن اللطائف أن بعض البلداء قرأ البيت هكذا : (ليس بفار كل من خُلقا) فبنى خلق للمجهول • وقال معناه : ليس كل من خلقه الله فارا • بل فيهم الفيران وغيرهم •

٢) تلوح الى قصة قيل فيها عن همة المترجم أنها فعالة ، وكثيرا ما يقول ان الشيخ قال لى : لايخافن الطليان من الاحتلال مادمت حيا • فلم يحتلوا الا بعد وفاته • وكثيرا ما يقول : ان الفجر قريب • يعنى الاستقلال •

٣) المروح يذكر ويؤنث • ورقى كرمى على لغة طيىء

٤) الذماء بالفتح : بقية الروح

عجل فقد بلغ السيل الزبى وعلا / على الفؤاد ظلام الذنب فانطبقا
عار على الحر في شرع الفتوة ان / يخيب ظن الذى بذيله علقا
فالعبد لم يتخذ من غيركم سندا / كلا ولا قط عن ميثاقه زلقا
ولا رنت للسوى من بعد نظرته / فالصفر ينكره من يعرف الورقا (١)
فجد له بالذى يشفى العليل وما / يروى الغليل وما ينفى به الشرقا
وجد له بدعاء كى ينال به / لحوق من بمقام الصدق قد لحقا
أزكى السلام على علياك ماسجعت / ورق الحمى فائزن وجد من عشقا
ثم الصلاة على روح الوجود ومعـ / ـنى الجود محض السجايا خير من خلقا
والآل والصحب أسد الحرب من بهم / قد فض مختوم كنز الرشد فانفتقا

كما وفدت عليه في رمضان ١٣٤١ هـ بهذه القصيدة الدالية التى احتذيت بها داليتى اليوسى والتاستاوتى في الشيخ سيدى محمد بن ناصر، وقد رقص المترجم للقصيدة . فرحا بكونى أتدرج في الادب . كما كان يحبه لى . وقد كنت حين قلت هذه . مكبا على (خزانة الادب) لابن حجة، فمنها أصبت بكل ما يراه القارىء، ان استطاع أن يقرأ :

صابت سحائب دمعى المتبدد / مذ شمت بارق ثغرك المتنضد
ورعى قتاد السهد سرح العين لـ / ـما ذدتها عن خدك المتورد
واختلت في متجدد التهيام اذ / يختال وجهك في السنا المتجدد
وتجمعت أفلاذ قلبى للهوى / لما أتيت بحسنك المتفرد
وامتد للأحشا التوقد من لدى / لهب الجمال بخدك المتوقد
اقعدتنى عن سلوتى واقمتنى / للشجو يا لك من مقيم مقعد
أضللت صبرى حينما ارشدتنى / للوجد يالك من مضل مرشد
هنّدتنى فقطعت عمرى بالبكا / غير العجيب القطع عند مهند
وقلبتنى بنبال حسن لم تدع / للقلب فضلة مسكة وتجلد
وكسوتنى ثوب الضنى لما ارتدى / ثوب الملاحة منك أحسن مرتد
وتلاعبت أيدى النحول بصعدتى / لما انعطفت بعطفك المتأود
فانظر الى جسمى تشاهد عظمه / مثل الهباء لدى الهوا المتردد
جسم يقلد منك خصراً رقة / لا عتب في شرع الهوى لمقلد
غيبت اذ ارقدتنى مهد الهوى / سلواى والتغييب شأن المرقد
وغويتنى بتكسر يا طرفه / فهتكت ستر تنكسى وتعبدى

---

١) الصفر بالضم : النحاس . والورق الفضة .

ورشقت الباب الورى فتركتهم   بين المضرج فى الجوى ومصفد

وسقيت كأس الوجد كلهم ومن   لم ينش بعد براحها فكان قد

ما أن تجرد فى الجفون مهندا   الا بغير قلوبهم لم تغمد

بأبى وبى أفديه من متعرض   نظم الجميع بسهم وجد مقصد (١)

ترك الاعزة اذ أماط لثامه   متهافتين على مقام الاعبد

متفضض الوجنات ما حييته   الا قلبت لجينها بالعسجد

متمايل كالغصن فى دعص النقا   مترنح مثل الغزال الاغيد (٢)

بسقت غصون جماله فتفتحت   فى وجهه الوجنات عن ورد ند

قد طرزت أيدى المحاسن خده   بمنمنم من صدغه المتجعد

صدغ أتى فاتنى الى نظاره   وجد يذيب تجلد المتجلد

يا شهوة للمشتهين ونزهة   للناظرين وفتنة المتعبد

جردتنى من مال صبرى ظالما   أو ما رثيت لوحشتى وتفردى

ما كان ضرك لو مننت على شج   من ريق ثغرك يا خلى بمبرد (٣)

هبنى صديقك قد صديت اجاز فى   شرع الصداقة منع ماء من صد(٤)

الله فى اتلاف نفس روحها   فى رشفة من ريقك المتشهد

لا تحسبن ان لم تغثه بقاءه   حتى العشى ، فكيف يبقى للغد

هلا رحمت متيما ساعاته   فى درس حبك فى بكا وتنهد

ورحمت صبا لم يكن لولاك من   عند الطلول بحائر متردد

كلا ولا لولاك لم يك هائما   (بين اللصاب وبين ذات الارمد) ٥

كلا ولا لولاك لم يك سائلا   عن أهل نعمان وأهل الغرقد

كلا ولا لولاك لم يك خائضا   لجج السراب مخاطرا فى الفدفد

كلا ولا لولاك لم يك ساهرا   ومسامرا للنجم ليلة ارمد

كلا ولا لولاك لم يك جسمه   فى رقة كالدين عند الملحد

فعظامه لعبت بها أيدى الضنى   لعب النسيم بخيزران املد

وخدوده معفوة بدموعه   عفو الطلول بصوب مزن مرعد

---

١) اقصد الغرض : اذا أصماه ، أى أصابه

٢) الدعص : الكثيب المتجمع من الرمل. والنقا : القطعة من الرمل المحدودبة

٣) يا خلى ، أو يا خليل من باب الاكتفاء . من المثل : ويح الشجى من الخلى .

٤) الصدى : العطشان ، أو يا صديق من باب الاكتفاء .

٥) من دالية اليوسى .

وضلوعه ذابت على زفراته   ذوب اللجين على لهيب الموقد

وشجونه أحيا بها دين الهوى   احيا سعيد رسم دين محمد

وجلا بها صدأ العفا عن ربعه   مجلى الضلال بيمن هذا السيد

شيخ همت فى الكون سحب نواله   فبدت أزاهير المنى للرود

شيخ بدت أفق الطريقة شمسه   فتبلجت طرق الحمى للقصد

قمر الحقيقة شمسها بصر الشريـ   ـعة سمعها عين الامام المفرد

بدر الدجى للمهتدى ورد الهدى   للمجتنى بحر الندى للمجتدى

رب الكمالات اللواتى ان عرا   نقص كمال الغير يوما تزدد

رفعت له أيدى المواهب منصبا   جر الذيول على السها والفرقد

مادت به مرحا عروس الفضل، اذ   شرفت به مرح الغصون الميد

أتكون أجفان الفؤاد قريحة   ولدى الاطبة ألف ألفى أثمد

وتضيمنى نفس متى ما سمتها   عظة تقابلنى بقلب الجلمد

امارة اعدى الى الشهوات من   (سيدى الغضا نبهته المتورد)١

وردت موارد بى اذا ما رامها للـ   ـخريت لم ينفذ لذاك المورد

بالله ثم بك التجى من لم يطق   منها مساورة الحباب الاسود (٢)

فكيودها أوهت قواى وانما   (أبدى لطرف الشامتين تجلدى)٣

أى ما رأت عين البصيرة منك ما   فعلت بشمل عزائمى المتبدد

غلبت على قلبى الضعيف بكيدها   يا للعجاب لثعلب مستأسد

شكواى من تلك العدوة هذه   فبحق ربك أشكنى يا سيدى

فوحقكم لم ادخر الا الولا ،   لمقامكم للحادث المتأكد

فيقول حبيكم اذا جهش البكا   بالخوف (لاتهلك أسى وتجلد) ٤

انى الرشيد غداة اعدو واثقا   من ظن رفقتكم غدا بمؤيد

(لا مرحبا بغد ولا أهلا به   ان كان تفريق الاحبة فى غد) ٥

حاشا الفراق وانتم ترعون حـ   ـق الابعدين ، فكيف غير الابعد

فبحقكم فبحقكم فلتسمحوا   بعلالة من بحركم لفتى صد

فبحقكم فبحقكم منوا على   هذا الضعيف بفتح باب موصد

---

١) من الدالية فى المعلقات السبع

٢) الحنش .

٣) من البيت : وتجلدى للشامتين أريهم   أنى لريب الدهر لاأتضعضع

٤) من تلك الدالية أيضا من المعلقات

٥) منها أيضا

فبحقكم فبحقكم فاجلوا بـه قلبـا باصداء المساوى قد صدى
بالله راعوا مقتضى حال وجو دوا لى بعزم لليقين مؤكـــد
فلقد وجدت وحقكم بركاتكم لكن من ذاق الهنا يستأسد

* * *

واليكها خرداء (١) يخلب حسنها بكـم قلوب الغانيات الخـرد
حليت بحلى مديحكم فتنزهت عن جوهر وزمرد وزبرجـد
سحبت بيمنكم ذيـول التيه عن نظم ابن أوس والوليد واحمد
جليت لخدركم هروسا فابذلوا فى مهرها ادناء عبد مبعد
لكـن حـد المدح منها فلـه كون المدى لعلاك غير محدد
فلتمنحوا ان انشدت لتزيلها كرما (اصاخة ناشد للمنشد) ٢
فلعلنى أحظى بنيـل قبولها فافوز بالكنز الذى لم ينفد

كما وفدت عليه أيضا فى المحرم ١٣٤٢ هـ فقلت هناك هذه القطعة ، وقد وردت على حـال عظيمة :

قرت بما تشتهى القلوب لـمـا بـدا حسنـك العجيب
عطفت روحى بمـا تجـلى فهكـــذا يعطـف الحبيـب
يـا صب أبشر فبالتدانـى من الحمى يفرح الغـريب
فالوصل أعـلامـه تجلـت أبصرهـا من لهـم قلـوب

ثم لما استأثر الله به ، حاولت رثـاءه ، فلم يتيسر الا هذه الابيات الثـلاثـة :

أيـا راحلا لبى نـداء مطـاع وداعا وان لم تتئد لوداع
وداع مريد كنت أراف مشفق عليه وفى سعداه افضل ساع
يودع منك الرشد والنصح والهدى بنفس على تلـك الخـلال شعاع

قولة الايكراري فيه

(ومنهم الفقيه العالم العلامة الورع الخاشع المتخشع الصوفى المتقشف سيدى سعيد التنانى كان يقرىء الطلبة فى مدرسة ، فجاز به الشيخ المربى

١) خرداء فى تلك البيئة ، ولكنها الآن فى هذه البيئة شوهاء حيزبون ،
٢) قـــال :
يصيــخ للنبأة أسماعه اصاخة الناشد للمنشد

الدرقاوى سيدى الحاج على الالغى • فجلبه لخدمته وصحبته • وترك المدرسة بما فيها ـ اقول هذا وقع لسيدى أحمد الفقيه الركنى لا للمترجم ـ وترك ابا وأما على ما قيل • وعصاهما فى خدمة مولاه • ولازم شيخه حضرا وسفرا وكان من منشديه • فى الحلق الذكرية • الى أن توفى شيخه • وبقى فى الزاوية مشمرا • فتزوج بنت شيخه • على خلاف ما اقتضته المروءة • لانهم عدوا ذلك من سوء الآداب الصوفية فلما استقر جاءمن قبل اولاد الشيخ انفة • لان الناس يقصدونه بالزيارة لعلمه • وأولاد الشيخ لا غرض فيهم الا مجرد التبرك • فنحوه ورحل أولاده لبلده (أداوتانان) فاقام زاوية هناك فلم يلبث أن مات فى ذى القعدة ١٣٤٣ هـ)

أقول : ان الشيخ سيدى محمد بن ناصر تزوج زوجة شيخه • ثم ان كثيرين كأحمد أحوزى وتلاميذ ابن ناصر تزوجوا بناته • ثم ان الاستاذ الايكرارى تزوج بنت شيخه ابن العربى •

فرضى الله عن الجميع •

احمد بن محمد التناني

١٢٩٣ = حى

نسبــــه :

أحمد بن محمد بـن محمد بـن الحسن بـن أحمد بن عـلى بن محمد (أنفلوس) من قرية (تاماروت) بـ (تانكرت) وأهلـه كانوا جلوا منذ أكثر من ٤٠٠ سنة عن مـواطن قبيلـة (أيت أوسا) من صحراء سوس • ويسمون (انفلاس) وذكر أن اخوتهم من تلـك القبيلة لا يزالون يحملون هذه النسبة • وقد تفرعت هذه الاسرة في هذه النواحى • ويوجد بعضهم فى قرية (تيليوا) من (أيت باها) بقبيلة (نكنافة) • وفى الاسرة رجال مذكورون بالعلم والصلاح •

١ – ومن هؤلاء عالم كبير يسمى محمد بن على علا شأنه فى عهد السلطان مولاى عبد الرحمن حتى كان قاضيا بـ (فـاس) – فيما ذكـر المترجم – ولعله كانت له معرفة بالسلطان أيـام خـلافته على (السويرة) فى أواخر عهد مولاى سليمان • ثم دفعه ذلك الى تولى القضاء بـ (فاس) • قال المترجم : كان جدى محمد بن الحسن يزوره هناك بـ (فاس) وقد كان هـذا تزوج رحمة بنت محمد بن على أخى ذلك القاضى • ويقال ان الاسرة بكرية • وان مشجر نسبهم فى يد هؤلاء الساكنين بـ (حاحة) والله أعلم • ولعل الاسرة من ءال (يعزى وهدى) البكريين المشهورين فى (أسا) •

٢ – ومن هذه الاسرة فقيه يسمى محمد بن بلقاسم دلت الرسوم على أنه عاش فى أواخر القرن العاشر الى أوائل الحادى عشر • ويقال انـه كان عالما ورعا له أملاك وزاويـة فى المحل الـذى فيه الآن مركز (ايموزار) بـ (ايدا وتنان) ففى مكان زاويته يوجد المنتزه العمومى هناك • ومما يوثـر عنه أن غنما له أغار عليها (أيت واعزون) فذهبوا بها وهو غائب • فلما رجع يومه أخبر بما فعلوا • فتبعهم الى ديـارهم فوجدهم قد فرقوا الغنـم يذبحونها • وحين رأوه اندسواعنه • فنادى على سطح المسجد بـان كل من بيده شىء من الغنم فهو له • ويحل له أن يفعل به ما يريد • وقـد دفن فى بيت مشهور ازاء (تاماروت) ولا يزال قبره مزارة الى الآن •

٣ – ثم جاء المترجم اخيرا يثلث هذين بما ستقراه عنه ••

مشاخذه

أخذ القرءان فى مسجد القرية أولا عن الاستاذ الحسن الرحمانى • ثم فى قرية (توكرو) قرب قريته الاصلية عن الاستاذ بلخير التازانتوتى • ثم فى مدرسة (سيدى محمد بن سليمان) بـ (نكنافة) بـ (حاحة) عند الاستاذ ابرهيم من أهل زاوية (أوحسن) الشهيرة • وكان فقيها يشارط من يعلم القرءان • ويعلم هو الفنون • ثم فى مسجد (تازانتوت) عند الاستاذ سيدى محمد البرايئيمى الشهير • قال : وبعد ان أتممت حفظ القرءان واتقنته عنده • أراد أن يفتح لى الاجرومية فابيت ، فذهبت الى مدرسة (بو العجلات) بقبيلة (هركيتة) حول (تارودانت) عند الاستاذ على بن الدكالى من المتخرجين بالاستاذ الضحاكى البعمرانى ، وكان هناك أزيد من ستين طالبا يأخذون عنه الروايات وكان قارئا من القراء الكبار على حرف البصرى ثم فى (تامدا) بـ (اداوزال) عند الاستاذ محمد الاخرضيفى التنانى ، وهو أيضا من القراء الكبار من تلاميذ الضحاكى ، فهؤلاء أساتذته فى القرءان • ثم كان فى مسجد (تيديلى) بازاء مسقط رأسه لدى أستاذ • فعنده عانق العلوم اذ أخذ عنه بعض الابتدائيات ، ثم سافر الى (بونعمان) عام ١٣١٨هـ فلازم الاستاذ سيدى محمدبن مسعود الى أن توفى عام ١٣٣٠ هـ • وكان فى طليعة النجباء الذين كانوا يعاصرونه • وكان الاستاذ اخيرا حينما رءاه مرءٍ على كل الفنون وتمكن فيها عينه لتدريس بعض الدروس ، ثم كلفه حينا أن يطوف على قرى (ايت برايبم) ليعلم الناس الضرورى من علوم الدين فى بعض عطلات الدروس • وقد أخذ عن الاستاذ الفقه والنحو والبيان والاصول والتفسير والحديث والتصوف • وقد كان يلازمه فى حالة تردده على مشايخ عصره • حتى استقر به المطاف عند الشيخ الالغى • ثم لما توفى الاستاذ بقى المترجم نحو سنة عند صنوه شيخنا أبى العباس • ثم ءاب الى أهله •

أحواله

كان ربانيا خاملا مسكينا مجدا فى تعليم القرءان فى مسجد قريته ، وكان حينا مسجد (أساكا) يدرس بعض الفنون • وقد عاش الى الآن بعض الآخذين عنه ، وقد استتموا عند غيره • وكان يشارط فى (اكرْ نبوحمد) هناك سنتين • وغالب عمره أمضاه فى قريته حيث لايزال الى الآن مكبا على تعليم كتاب الله بجد قليل النظير • وقد خرج كثيرين •

شرب كأس التصوف ، فزهد فى الظهور • وقنع بما تيسر • وكل شىء يحتاج فى هذه الحياة الى الاعلان ، حتى العلم • فمن لازم الخمول • وءاثره

على الظهور . اداه الحال الى أن يجهل الناس قدره ، فيكون فى بـاب العلم نسيا منسيا . وهكذا وقع للمترجم . فعاش عيشة من لاعلم عنده . مع ان عنده من المعارف مايعلو ببعضه كثير من المتعلمين . ومما وقع له انـه ادب مرة تلميذا . فوسوس بعض شياطين الانس الى ذلك التلميذ أن يرفع بـه الشكاية الى السلطة الحاكمة فذهب الى مركز (ايموزار) حيث الرئيس الاجنبى الفرنسى ، فشكاه اليه . فبعث اليه هذا فسجنه هو ووالد التلميذ بحجة أنه ينفر من التعليم . وقد كاد هذا الرئيس الاجنبى يمد يده فى المترجم بالضرب . وكان بطاشا سريع اليد . الا أن الله عصم وسلم . وقد أثرت فيه هذه الواقعة بعد ذلك ففتر عن الجد فى التعليم . ولله فى خلقه شئون .

ملاقاتـه بالشيخ الالغي

قـال : كنت جاورت فى مشهد (سيدى ابرهيم بن على) التنانى . فوهبت له ثواب ختمتين من القرءان . فارانى الله فى المنام مدرسة (بونعمان) وبعض من فيها . ومنهم أبو زيد العوفى . فذلك هو السبب حتى رافقت بعض الطلبة من عندنا اليها . ثم وفقنى الله فكنت على حالة حسنـة بينى وبين ربى . فلم نلبث أن دخل علينا يوما الحاج بلخير البوشتى . فمر بنا فى الدرس الى المصلى . فسمعنا بعض أصحابه يجهرون بما هو معلوم عنهم مـن الصرخات . فضحك منهم بعض الطلبـة . فكتب لنـا الاستاذ ابياتا - ولم يستحضرها المترجم الذى كـان يحكى لى يـوم اكتب عنه - ثم قال مستمرا فى حديثه : ثم داخل استاذنا ابن مسعود السيد الحاج بلخير . فرأى منه ما استهواه . فتلقن منه الورد . ثم حثنى أنا على ذلك . ثم صار الحاج بلخير يلاحظنى ملاحظة خاصة حتى جعلنى خديمه الخاص. ثم لما فترت همة الاستاذ فى القراءة ، وقد أنساه الحاج بلخير القراءة وما اليها . وصار لاشغل له ولا لنا الا مجالسة الحاج بلخير . وقد سلم له الجميـع . وصرنا نناديه بالشيخ . ارسل سيدى مسعود رسالة يوبخ فيها ولده استاذنا ، ويقول له ان المدرسة لم تبن الا للقراءة لا للفقراء ، ثم تبـع الرسالة فى اليوم الثانى بنفسه . فصلى بنا الظهر ، ثم صار يعظ الطلبة ويندد عليهم فى تركهم للقراءة . وقد كان الحاج بلخير حاضرا . لانـه اتخـذ المدرسة مثواه . ثم قبل العصر فى ذلك النهار امرنى الاستاذ ان ءاتى بالمداد ليضع قفلا على بيت فى المدرسة . ثم عزلت معه كتبه من كتب ابيه ، ثم اخرجنـا

مع الحاج بلخير من المدرسة ، ونحن خمسة وعشرون من الطلبة • والطلبة الآخرون منهم مـن بقى فـى المدرسة ومنهم مـن انتقـل مـن المدرسـة راجعا الى اهله • وقد كنا ازيد من مائة ، ثم توجهنا معالاستاذ ومع الحاج بلخير حتى ابتعدنا عن المدرسة • فامرنا الاستاذ أن نسير مع الحاج بلخير الى داره فنبقى هناك اسبوعا ثم نلتقى معه فى موسم سيدى أحمد بن موسى . وقد كنت خرجت من المدرسة مجردا . فألزمنى الحاج بلخير أن أرجع لآتـى بكل متاعى . ثم التقينا مع أستاذنا فى الموسم . فساح بنا الحاج بلخير فـى (اداوباعقيل) نحو شهرين . ثم رجع بنا الى داره . ونحن فى تقشف لامزيد عليه . فاذذاك جاء رئيس من أهل قرية (قصبة الطاهر) بـ (أيت براييم) فاستعطف الحاج بلخير لرد اليهم الاستاذ . وذكر له أن سيدى مسعودا رجع الى (المعدر) وارسل ابنه سيدى أحمد الى (بونعمان) ولكن القبيلة لا تريـد الا سيدى محمدا . فواعده الحاج بلخير موسم (سيدى بوعبدلى) فذهبنا اليه فبتنا فى (أيت جرار) فوصلنا خبر وفاة سيدى مسعود . ثم استقر الاستاذ فى المدرسة . قال وفى هذه الاثناء وقعتْ للحاج بلخير على أمور . منها أن الطلبة كانوا يتوضئون فى ءانية جديدة من عود . وفى المـاء رائحة ظاهرة تؤثر فيه . فنهيتهم عن ذلك . فقال لهم الحاج بلخير : نحن أصحاب حقيقة لاصحاب شريعة . ثم رايته أيضا يوما يلاعب حدثا . فشاهدت ـ والله مطلع ـ ما شهدت كما ظهر لى ذلك من تحت ثيابه . ثم صلى بنا بعد ذلك بلا وضوء بعدما لمس الحدث وظهر منه اثر التلذذ . ثم قال لى يوما : اننى أريد أن أدخل الخلوة . وسأكون أنا المهدى المنتظر . وتكون أنت مقربا الىَّ . فنفضت منه حين قال ذلك يدى . ثم استدعيت الاستاذ فى عشية جمعة على عادتى معه دائما . فاخبرته بالواقع . فقال : اننى رأيت منه أغرب من ذلك ، فقد ظهر لى شيطان فى صورة ؛ فقال لى : ان مفاتيح (سوس) نعطيها لـك . فصار يعظم امامى . فعرفته وأعرضت عنه . فذهب عنى . ثم لما تحقق الحاج بلخير ان بنيانه أنهار بيننا . تسلل من المدرسة . قال : ولم ننشب أن جاءنا الله بالشيخ الالغى . فجاء الفجر الصادق بعد الفجر الكاذب والحمد لله . فرأينا الشريعة القائمة . وهمة العلم والنصح الخالص للعباد . والنور الوهاج الذى لاريب فيه .

وليس يصـح فى الاذهان شىء   اذا احتـاج النهار الى دليـل

وللمترجم اخوان نجيبان سعيد ومحمد . وقد لازمانى فى (مراكش) فاذا بسعيد بعد ان حصل بنبوغ كثير مسرع . اعتبط بمرض فـاقبر فـى

(السويرة) حوالى ١٣٥٣ هـ . واما محمد فانه استتم ، ثم قطن فى (تادلة) فيعلم . وتزوج وتمكن فى الحياة الى ان توفى حوالى ١٣٦٨ هـ هناك . وقد حصل الاخوان معا تحصيلا تاما . ولكن لم يتح لهما من طول العمر مايظهر به مقامهما ، فظفر بينهما المترجم بما لم يظفرا به . فها هو ذا لايزال ممتعا بالحياة . وقد كنت قلت فى سعيد أيام مقامه عندنا قطعة ضاعت ، فلم استحضر منها الآن الا هذا الشطر الذى هو مطلعها :

اعيذك ان تكون غدا سكيتا

سيـدي

احمد بن مبارك التامارووتى

التنـاني

١٢٩٣ = أوائـل حجـة ١٣٧٦ هـ

نسبـــه :

احمـد بن مبـارك بن الحسن بن أحمد بن عـلى بن محمد أنفلـوس .

من فخذ يقول أبناؤه ان أهلـه من زاوية (اسا) ويقولون ان أنفلاس معروفون من قبيلة (أيت أوسا) وقيل لمحمد انفلوس اى النفلوسى نسبة . على عادة الشلحيين فى النسبة . وذكروا أن الدفين ازاء مسجد (تامارووت) المسمى أحمد بن بلقاسم كان منهم . وقد كانوا أولا نزلوا فى (تيليـوا) من (أيت باها) فى (نكتافـة) . ولا يـزال بعضهم هناك الى الآن . وقد كان منهم فقيه يسمى محمد بن على . كان مع الملك مولاى عبد الرحمن بن هاشم وقد تقدم بعض هذا فى الترجمة قبل هذه .

متعلمـه

أخذ سيدى أحمـد بن مبارك عن الاستاذ محمد التازاروالتـى . فى مسجد قريته . وعليه وحده جمع القرءان . وهو استاذ خرج كثيرين . لانه قطن فى القرية الى أن توفى نحو ١٣٣٣ هـ

ثـم اتصل بالاستاذ الشريف سيدى عـلى بن ابرهيم التازاروالتـى الساكن فى (تيديـلى) ازاء قريته . فأخذ عنه بعض المبادىء . ثم غـادره فاتصل بـ (ادوال) ـ وهو اسم لكل طائفة من طلبة القرءان يدورون فى البلاد . ولا قصد لهم الا أن يجمعوا ما يسخو به عليهم الناس . فيضيفون ويكرمون . وما أكثرهم قبل ١٣٣٠ هـ ـ فدار معهم الى أن وصل (تازاروالت)

فاذا به لاقى الشريف سيدى ابرهيم بن محمد بن اليزيد ـ القول هو ابـو زوجتى ـ فذهب به الى (بونعمان) عند الاستاذ سيدى محمد بن مسعود . فلبث هناك سنين من قبل ١٣٢٠ الى نحو ١٣٢٦ هـ فاخذ اخذا حسنا . وجال مع أستاذه هذا فى مجالاته . وأخذ معه عن الشيخ ماء العينين . ثم عن الحاج بلخير البوشتى . ثـم عن الشيخ الالغى حين القى الاستاذ بين يديـه عصا تقلباته . وفى نحو ١٣٣٦ هـ جاء والده سيدى مبارك . فطلب منه أن يطلب من أستاذه أن يسرحه فابى الاستاذ عليه . الى أن قال لـه أخيرا . اذهب الى شيخنا الشيخ الالغى فان سرحـك سرحتك . ولكنه لـم ينتظر بعد لا اذن أستاذه ولا اذن الشيخ . فرجع الى داره بلا وداع . فاداه ذلك ـ على ما يعتقده الناس ـ الى أن انغمس فى حمأة المشاجرات مع الناس . فجرحه انسان . وجرح هو اخر . ثم لم يثب الى رشده الا بعد أمة من الزمن .

مشارطاتـه

شارط أولا فى مدرسة (ايفرض أوطاها) . ثم فى مساجد شتى فى بلده . الى أن استقر به الحال أخيرا فى مسجد (الدشيرة) فى قبيلـة (كسيمة) سنوات بعد ١٣٦٥ هـ فبقى هناك يعلم القرءان فى وسط هيئة مرموقة وفى حسن ظن . وقد أمكن له أن يعيش معيشة الكفاية . بعد مـا ضاق به الرزق فى مسقط رأسه ما شاء الله . وللحركات بركات .

بعض احوالـه

كان فقيها حسنا يطالـع من مختلف الكتب . ويحفظ من الادبيات . وقد كان عنده كتاب (أزهار الاكم . فى الامثال والحكم) لليوسى . وناهيك بمن يكب على أمثاله . وقد سافر رحمه اللـه فاتصل بمثل شيخنا سيدى سعيد التانانى . فتهذب به وتشذب . وشرب من شراب القوم مـا شرب . وكم اغبرت قدماه فى سبيل الله . وقد مررنا سنة ببلده متوجهين الى موسم (الـغ) فاستثاره الشوق . فلم ينشب أن تمنطق . وحمل عصاه . فرافقنا على رجليه بهمة الشاب الفـرهد القوى .

وذو الشوق القديم وان تعزى مشوق حين يلقى العاشقينا

ولم يكن يفارق زيارة شيخنا المذكور منذ استقر فى بلده (الزبار)

وقد كان يحفظ كثيرا من اشعار القوم . فينشدها فى المناسبات ـ وقد كان يحكى كثيرا ما كان رءاه من الحاج بلخير يوم صاحبوه مع الاستاذ ابن مسعود . وقـد كان يخدمه . فرأى منـه ما يصدم الشريعـة صدمـا مثل ما تقدم مما حكاه أحمد بن محمد رفيقه المتقدم . وعليهما عهدة ذلك . فكان ذلك أحد البواعث حتى فارقوه . (أقول) ان أصحاب الحـاج بلخـير لايرون منـه الا الحسن .

وفاتـه

ساقته تربيته الى مدينة (السويرة) فانقطع هناك قليلا . ثم بلغتنا وفـاته رحمه اللـه .

سيـدي

الحسن التنانى التامارووتى

التشكجيبي

نحو ١٢٩٧ هـ = ١٣٢٧ هـ

هو من قريـة (تيشكجىَ) من قرى (تانكرت) بـ (ادا وتنـان)

هو من قرية (تيشكجى) من قرى (تانكرت) بـ (أداوتنان) لانعرف عنه الا أنه لازم مدرسة (بونعمان) عند الاستاذ سيدى محمد بن مسعود سنين حتى حصل الفنون واستحضر المتون . وكان من أفذاذ الطلبة همة واقبالا على شأنه . حسن الخط . له خلائق وسجايا وعفة لاتزال ألسنة عارفيـه رطبـة بذكرها الى الآن .

ولما كان عليه من الدين المتين . والامانة التامة . ولاه الاستاذ ابن مسعود ادارة شئون المدرسة . فكان هو القيم على الدخل والخرج فيما يروج بين يدى الاستاذ فى المدرسة . وعلى ذلك أدركه سيدى محمد بن عبد الله الزيكى الذى حكى لنا عنه . وقد أثنى هذا الحاكى على عزوفه وعلى حرصه أن لايفوته درس وان طوق ما طوقه من ادارة شئون الاستاذ . وكان تقيا نقيا . تشرب التصوف على يد الشيخ الالغى . ويحضر مع أستاذه الى الزاوية (الالغية) كلما رحل اليها ركب الاستاذ . وكان الامين على كيس الاستاذ فى السفر .

وقد أدركه أجله فى المدرسة فبكاه الطلبة . ولكن لاكبكاء استاذه الذى لم يملك دمعه أسفا على أخلاقه . مع أن الاستاذ صبور حليم قلما يزعزعه شىء ولكن العواطف اذا فاضت لاتجد غير انهمار الجفون تعبيرا صادقا . فرحم الله الاستاذ سيدى الحسن التنانى وغفر له .

سيـدي

عبد الملك التيغانيميني التناني

١٢٩١ هـ = ١٣٧٣

نسبـــه :

عبد الملك بن ابرهيم (الدشيري) ويرتفع نسبه الى الشيخ الجليل سيدى ابرهيم بن على بن الحسن بن موسى بن محمد بن عمر بن موسى بن يعقوب ابن على بن يوسف بن صالح بن طلحة بن جمعة بن على بن عيسى بن الفضل ابن عبد الله بن كنوز بن محمد بن أحمد بن الحسن ابن اسمعيـل بن جعفر ابن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبطى ابن على بن أبي طالب

أسرة هذا الشيخ أسرة أخرى شريفة. من الاسر الماجدة . المرتفعة الهامة بالشرف العلوى وهي أخت الاسرتين المحمدية التزنيتية. والوجانية الرئيسية والجميع من أخوات أسرة الشيخ سيدى أحمد بن موسى التازروالتي . وأسرة العلامة سيدى عبد الله بن يعقوب الادوزية . وقد تكلمنا على ما يتعلق ببعض نواح من هذه السلسلة المباركة فى نسب ءال محمد التيزنيتيين فى هذا الفصل نفسه عند ذكرنا لآل أوعامو . وهذا الفرع التنانى لـم يظهر الى الوجود بالمجد والعلم والصلاح الا بالشيخ سيدى ابرهيم بن على وبأولاده الاماجد . فقد نالوا فى قبيلة (ايداوتنان) من الاحترام والمكانة وسمو المقام ماتتذبذب دونه كل المقامات ، فلم يزل أهل الشيخ فى هالة متسعة بالتبجيل والاكرام الى الآن. فلنتتبع رجالات العلم والقراء والصالحين من الاسرة. من جدها الى أن نصل ذكر سيدى عبد الملك الذى عنونا به هذه الفذلكة المباركة .

الاول الشيخ سيـدي ابرهيم بن علي

هذا الامام الجليل أحد الافذاذ الذين ازدهرت بهم (سوس) فى القرن العاشر عهد المشايخ الكبار . عهد سيدى أحمد بن موسى . وسيدى سعيد بن عبد النعيم وسيدى محمد بن ابرهيم الشيخ . وسيدى عبد الرحمن بن على التلكاتى وسيدى أحمد بن عبد الرحمن المسكدادى . وسيدى محمد بـن

ويساعدن . وسيدى عياد التامازتى . فكان احدهم شهرة واعتقادا من جميع الطبقات . الا أن كثيرا من هؤلاء يكاد ذكرهم يطوى الا عند مزاراتهم . واما سيدى ابرهيم بن على فانه كالشمس لايزداد الا نورا. وماذلك الا لروحانيته القوية التى يرى الناس منها ما يرون . خصوصا اهل قبيلة (ايداوتنان) فان اعتقادهم فيه يكاد يعدو الطور المحمود . الى الغلو المقوت . فانهم توارثوا من اعتقاده خلفا عن سلف منذ قرون ما جعلهم ينسبون اليه جميع ما يقع فى أرض قبيلتهم من النفع والضرر . حتى انهم لمنعة أرضهم بالجبال الشامخة والاودية العميقة . يمتنعون من الاسترسال فى الاحكام المخزنية فينسبون له ذلك . فيزدادون فى خدمة مقامه واحترام أهله . وقد ذكر بعضهم يوما ذلك للشيخ الالغى . فقال له الشيخ : انما منعتكم جبالكم وجبيلاتكم . واما سيدى ابرهيم بن على فانه لا يأبى الصلاح . والحكومة وأفعالهـا لاتاتـى الا بالصلاح . هذا مع اكبار الشيخ الالغى لمقامه . ولكنه صرح بالحقيقة لينفش بعض ما يعتقده المغالون فى سيدى ابرهيم بن على رضى الله عنه . ومسامرات التنانين فى أنديتهم تطفح بالحكايات عنه لا فى عهده ولا بعـد عهده . وقـد اعتاد التنانيون أن يقوموا بجميع أولاد الشيخ بما يقاسمونهم من محصولات حقولهم . ومستغلات أشجارهم . حتى انهم فرقوا أولاده على أفخاذهم الثلاث أهل (تانكرت) و (أيت واعزون) و (ايسفاسن) . فيعرف كل شريف خدامه وخدام ابائه منهم . فيحوز المعتاد من الشعير والذرة والزيت واللوز والغنم، ثم ينزل هؤلاء فى أيام مواسم الشيخ على شرفائهم . فيقدمون لهم ما ياتون به اليهم خاصة . زيادة على ما تاتى به كل فخذ من الذبائح والبسيس والبيض والزبد — والعادة أن يذبح هناك من البقر والغنم الكثير — فيقتسم الشرفاء الجميع على عادة لهم متوارثة . كما يوتى بالبسيس المصنوع من الادام والبيض فيجمع ذلك كله فوق صفا أملس هناك . حتى يكون كومة . فيندفع الشرفاء وعبيدهم يتناهبونه بزحام شديد. وقد حكى لى عن ذلك من حضروه مرات . والعادة أنه كلما قرب الموسم لاتبيض دجاجة . ولا يمخض وطب . الا يكون البيض والزبد لموسم الشيخ . فمن ذلك يلت البسيس . هكذا كانت العادة الى جيلنا هذا . ثم لما جاء الاحتلال الذى يعجبه بقاء أمثال هذه العوائد غض الطرف عما يقع فى ذلك . ثم لما صارت الافكار تنفتح . وتنقشـع الغشاوة بالتمدين الحديث . وصار الانكار على المتغالين فى الصالحين يروج . وصلت ضبابة الى زاوية (تيغانيمين) — وهىاسم زاوية الشيخ — فصارت هذه العوائد تنقص عما كانت عليه . وان كان جلها لا يزال قائما الى الآن . وقد كان فـى الزاوية مقدم كان يتملق المحتلين . فيستدعيهم يوم الموسم من (أكادير) ،

فيفيض عليهم من النعم ثم يُلقى عليهم من الخطب ما يعجبهم من الثناء . ومن الانحياش اليهم . فيسوء ذلك الوطنيين . فكان ذلك هو السبب حتى ضعفت هذه العوائد من فجر الاستقلال . ولولا أن هناك قائدا تانانيا يعرف كيف يدارى . لأضمحل الجميع . والشرفاء اليوم قل فيهم العلم . بل كاد ينقطع ، وكذلك المرشدون ممن كانو يهدون الناس الى الخير فقد زرت مشهد هذا الامام بنفسى يوم الثلاثاء ٢٨ شتنبر ١٩٥٩ م بعد محاولات لزيارته مرات . ولكن لم تتيسر الا اليوم . فرأيت الزاوية فى شعبة بين جبلين شامخين . والماء قليل . وليس هناك الا منابع من ءابار وعوينة تحت مشهد الشيخ بنى عليها. ينزل اليها بالمراقى تبض بقليل من ماء . ثم دخلنا القبة الفسيحة . وفيها محراب . وأمامها مبلط . وازاء هذا المبلط نطفية ماء . قالوا انها موجودة من عهد الشيخ . ثم نزلنا من درج فدخلنا الى مسجدين أعلى فوق أسفل . وعليهما معا رونق جميل بالاعتناء بتحسين بنائهما . ثم ملنا الى مدرسة صغيرة قديمة متداعية البناء فيها الاستاذ سيدى الحسين بن موسى الافرانى التانكرتى . من المتخرجين بشيخنا سيدى محمد بن الطاهر الافرانى يلقى دروسا على ثلة من الطلبة كما رأينا هناك صبية يتعلمون القرءان . ثم ضيفنا الشرفاء فى نزل حسن الفراش . بطعام طيب . فاستنهضتهم على الاعتناء بالعلم والدين . فانه لاشرف الا بالعلم والدين . ثم لوحت لهم بأن الواجب عليهم أن يربوا الاولاد منذ الآن على مزاولة الاعمال الحرة . لينبذوا التكفف المالوف من الناس فان ذلك الاعتقاد الذى كان يسود على الماضى فينتفع به أمثالهم . صار اليوم ينقشع شيئا فشيئاً . ثم غادرنا المشهد المبارك أنا والقائد أحمد بن بلعيد (١) الذى رافقنا هناك . والقاضى سيدى عبد الحميد الزيكى . وقد حاولت أن أعرف عن الشيخ وأهله ماأمكن منهم. ولكن القوم الذين صادفتهم لايستحضرون الا الكرامات والروحانيات عن الشيخ وهى وحدها لاتكفى فى التاريخ . فهاك ما قاله فيه الحضيكى :

(ابرهيم بن على بموضع (ايضمين) ــ محل فخذ من التنانيين ــ من تلاميذ شيخ الحقيقة . وامام الطريقة . سيدى سعيد بن عبد المنعم . كان رضى الله عنه من العلماء العاملين . تضرب الرحلة لزيارته قديما وحديثا . ومناقبه وكراماته مشهورة . قال (٢) فى (الفوائد) حدثنى محمد بن عبد الرحمن المسكدادى أنه ظهر رجل بــ (حاحة) يخبر الناس بالمغيبات ــ ويصدق ــ فاتى به الى الشيخ . فقال له أحق ما يقول الناس فيك . فقال له نعم . فقال

---

١) أعفى هذا القائد منذ سنة نحو أواخر ١٣٨٠ هـ وقد نال منيته بذلك . لانه لم يتول قبلُ الا مرغما كما يعلمه كل الناس .

٢) أى التامانارتى .

له الشيخ مات صاحب لنا في هذه الايام . فتخبرني به وبما صنعنا له . وبما قلنا له حين ودعناه . فقال انكم لما غسلتموه وكفنتموه . اخرجت الناس عنه وقبضت بابهامه اليمنى . وقلت له ثبتك الله على شهادة ان لا اله الا الله . وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لهم الشيخ : صدق فعظم قدره في القلوب . ثم بعد قليل خذل . فوجد يزني بامراة . فاتى به الشيخ ؛ فقال له انك مستدرج . ولست على الاستقامة . فما معصيتك ؟ فقال يا سيدي اني تبت الى الله على يدك . فان لي صاحبا من الشياطين اركع ركعتين له في متمرغ الحمر كل يوم . فيخبرني بما كنت اخبر به . وكان عاليا وليا جليلا . لقى ابا عثمان سعيد بن عبد المنعم . فاخذ عنه . وامره بالمسير للشيخ سيدي احمد بن موسى الجزولي السملالي . فاتاه فاخذ عنه ايضا . قيل وكان من ابي عثمان ان يدل على ابا العباس . وكان ابو سالم يقول : اذا قيل لـه عمن اخذت : سيدي سعيد بن عبد المنعم طهر آنيتي . وسيدي احمد بن موسى ملاها عسلا)

وقد ترجمه ايضا ترجمة صغيرة في كتاب (صفوة من انتشر) والم به التامانارتي في كتاب (الفوائد الجمة) والتاغارغارتي في كتابه . كما ذكره الفقيه الكاشطي في كتابه عن التانانيين (١) ولم يذكروا وفاته الواقعة ٩٨٩هـ. كان أوى الى سيدي سعيد بن عبد النعيم سنة في حكاية تذكر عند الناس لازمه فيها يسرح عنده.وكراماته حياة ومماتا متواترة.وهنالا سيدي يسمى الفاسي عليه قبة . قالوا انه تزوج بنت الشيخ . كما ان هناك اثارا تظهر من احجار تنسب للشيخ كاثار خارقة للعادة . ويقال ان هذه القرية ما سميت (تيغانيمين) الا لأن الشيخ انتقل اليه من (تيغانيمين) من قبيلة (الساحل) هذا ما يقال وان كان الذى جاء من هناك هو سيدي على والد الشيخ . فقد كان نزل في (ايسن) أولا . فصادف هناك رئسا يسمى عمونا . فخرج هذا الرئيس للصيد يوما بالكلاب السلوقية . فافزعت كلابه بنات صغارا لسيدي على . فكان ذلك هو السبب حتى ارتحل على الى (اكنى) من (امسكروض) . وقبر على لايزال هناك معروفا . وقد دعا سيدي على على عمون أن يسلط الله عليه اضعف خلق الله. فسلط عليه البعوض حتى أجلاه عن هذه القرية الى قرية (أكلو) بـ (ايداولين) من (ايداوزيكى) ولا يزال أعقابهم هناك الى الآن . ثم لما ظهر الشيخ كان مقامه في (تيغانيمين) هذا ما يتداول والله اعلم .

وقد كنت رايت ظهير تحرير لأحمد الذهبي المبايع ٩٨٦ هـ قبل وفاة الشيخ بثلاث سنوات . ويقال ان الشيخ لاقاه قبل وفاته . ووقعت معه خارقة للعادة .

---

١) لم يحضر الآن عندي كتابه . والا فانه أول من ينقل عنه .

الثاني محمد بن ابرهيم بن علي

هذا ولد من أولاد الشيخ . هو الذى بقى بعده . وأما أخوه أحمد . فانه مات قبل الشيخ ــ كما تقدم ــ وقد كان سيدى محمد . نزل فى (تاماگوست) من قبيلة (ايداوزيكى) فلم يسكن حيث أولاد أخيه أحمد بـ (تيفانيمين) . فوقع له يوما أنه ذهب ليزور ضريح والده بعد ما توفى . فبات هناك . فكان أولاد أخيه خافوا على فتوحات المشهد أن يشاركهم فيها . فتركوه حتى نام . فقصوا شعر لحيته وهو نائم . لايشعر . فلما استيقظ ورأى ما وقع عليه من أبناء أخيه صبر واحتسب . واراد أن يستر ذلك . فذهب ملتثما الى أهله . فاذا بزوجته حكت لأولادها ما وقع لأبيهم من أبناء عمومتهم . فذهب بعضهم ليأخذ ثار لحية أبيهم . ففتك ببعض أولاد أحمد . فقامت قائمة أبيهم سيدى محمد . فخاصم أولاده على ما فعلوه . فطرد الفاعل منهم . ونفاه عنه فذهب الى (فيكيك) حيث أبقى هناك عقبا لم يزل يزداد حتى نمت افراده نموا كثيرا

كان سيدى محمد محترما مبجلا . ينظر اليه كخليفة لأبيه فى سره . فبقى ساكنا فى (تاماگوست) الى أن توفى هناك . فكان قبره مشهدا لايزال يزار من ذلك الوقت . فيه اشتهرت زاوية (تاماگوست) وفى أوائل هذا القرن بنيت عليه قبة . وازاءها مدرسة للعلوم . يقوم بها أهل (الدير) من قبيلة (ايداوزيكى) بربع العشر من محصولاتهم . وقد كان الشيخ الالغى ممن أعان فى ذلك بخمسة وثمانين ريالا جمعتها قبيلة (ايداوزيكى) له . فأمرهم أن يعمروا بها المدرسة هناك . وقد كان كتب الى القائد عبد الملك . فأعان فى ذلك أيضاً ولاسيما حين كان هناك الفقيه سيدى عبد الله الشناج استاذ القائد كما بينا ذلك فى ترجمة الشناج الآتية (وهذه من عادة الشيخ الالغى فى اعانته فى العلوم . وهكذا أيضا يفعل بمثل هذه الهدايا القبلية . فانه لايدخل الى زاويته الا هدايا أصحابه من الفقراء وحدها . ويقول : الزاوية زاوية الفقراء . فكل ما فيها لهم . وما ينقصها فمنهم) .

ثم اعلم أن العلماء والصلحاء فى هذا البيت كثيرون . وقد استفرغنا الجهد حتى جمعنا ممن تيسروا بين أيدينا من نقدمهم للقارىء من أولاد سيدى محمد بن ابرهيم بن على . وأولاد أخيه أحمد بن ابرهيم بن على . وسنذكر أولا أولاد سيدى محمد بن ابرهيم الذين عرفناهم من أولاده . ثم نثنى بمن نعرفهم من أولاد أخيه أحمد بن ابرهيم بن على . ولكن قد نتوقف فى البعض فلا ندرى أهو من هؤلاء أم من هؤلاء . فنسوقه كما تيسر . كما نسوق أيضا بعضهم . وان لم نتوصل بنسبه المتصل .

الثالث محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن ابرهيم بن علي

هو ابن عبد الرحمن حفيد الشيخ سيدى ابرهيم بن علي . صالح مشهور معتقد . عليه قبة فى قرية (اكنى) حيث أعقابه . وازاء المشهد مدرسة قديمة كان الاستاذ محمد بن محمد بن الحبيب بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ـ المترجم ـ يدرس فيها ما شاء الله . وسياتى ابن الحبيب هذا قريبا . لانعرف عنه غير ذلك الآن .

الرابع اليزيد بن عبد الله

من أهل (اكنى) . أخي هؤلاء . ولم نتوصل بسلسلة نسبه بينهم . كان من القراء الكبار السبعيين . كان يزاول العدالة مع أحمد بن محمد بن محمد بن الحبيب ـ الآتى ـ ويشارط فى (ايداوبوزيا) وفى (تيزگى الشرفاء) من (ايداوتنان) . وكان يعلم القراءات أينما كان . وله قبصة من المعارف . استطاع بها مزاولة العدالة . توفى بعد ١٣٦٢ هـ عن نحو تسعين سنة .

الخامس ـ محمد بن عبد الله منهم . ولا ندرى أيضا كيف نسبه فيهم . هو من القراء الكبار أيضا . أمضى عمره فى تعليم القراءات . وله ذكر حسن ويعتقد فيه الخير . توفى ١٣٥٨ هـ .

السادس ـ محمد بن محمد بن الحبيب بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ابن أحمد بن محمد بن الحبيب بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن ابرهيم ابن الشيخ ابرهيم بن علي . ولد ١٢٧٥ هـ فى (أسيف بيگ) فاخذ عن الاستاذ سيدى محمد البرايبيمى . فى (تازانتوت) ثم أخذ العلوم عن سيدى مسعود المعدرى فى (بونعمان) وبعد تخرجه من هناك شارط فى (ايداوكازنو) بـ (حاحة) ثم فى (الكفيفات) بـ (هوارة) ثم فى (أولاد تيمة) هناك . ثم فى مدرسة (سيدى أبى السحاب) وكان يدرس حينا أيضا فى مدرسة (أكنى) حيث أهله وكان مع ملازمته للتدريس يلازم الافتاء ثم كان نائب قاضى (تارودانت) حينا. ثم رجع الى زاوية (اكنى) أخيرا وبعد الاحتلال زاول العدالة من قضاة (أگادير) مع نيابته عن بعضهم ان غاب . ولم يزل كذلك الى أن وافاه أجله ١٣٥٦ هـ . وقد حكى لى عنه القاضى سيدى رشيد بن المصلوت . وقد عرفه فحكى انه مستحضر متقن للنوازل . وهى شهادة خزيمة .

السابع أحمد بن محمد المذكور قبله

ولد ١٣٢٣ هـ . وأخذ القرءان عن الاستاذ الحسن ابوگارى . ثم العلوم

عن الحاج مسعود الوفقاوي . وقد كان عدلا حينا . ثم صار مدرسا في مدرسة أهله بـ (اكني) ما شاء الله . ثم لازم داره . وهو أريحي وسط في معلوماته . وهو الذي افادنا كثيرا عن أهله . كان يزاول ما شاء الله . الى ان توفي أوائل ١٣٨١ هـ .

الثامن : ابرهيم بن محمد اخو المذكور قبله

ولد ١٣١٨ هـ وتخرج في العلوم بسيدي الحاج مسعود الوفقاوي . فقيه صالح يعتقده الناس . فيتبركون به . ثم لما توفي في صفر ١٣٤١ هـ في (ايكونكا) من (هشتوكة) بني عليه مشهد يزار هناك . مات وهو لا يـزال يستتم .

التاسع : الحسن بن محمد اخو المذكورين قبله

ممن أخذوا أيضا عن الحاج مسعود ككل اخوته . وله نجابة . ثم لم ينشب أن اعتبط نحو ١٣٤٥ هـ

العاشر : عمر اخوهم ايضا

تخرج بالفقيه محمد المعدري المعروف بلقب (المضارات) كما أخذ عن اخيه أحمد المتقدم . وقد زاول العدالة حينا من الدهر . ومعلوماته حسنة ولا يزال حيا الآن ١٣٨١ هـ .

* * *

هؤلاء كلهم من أهل (أكني) من قبيلة (ماسكّينة) . احد المواضع التي فيها أولاد الشيخ سيدي ابرهيم بن علي .

الحادي عشر : احمد بن عبد الرحمن بن مَحمد بن ابرهيم بن علي

رأيت آنفا أخاه مَحمد بن عبد الرحمن جد ءال (اكني) . وأما اخوه أحمد هذا فانه جد أهل (أسيف يسّيگ) . وهو عالم جليل . وقاض مذكور . ومعتقد الناس فيه عظيم . ولذلك بنيت عليه قبة في قرية (ايخرضيضن) جوار (أسيف يسّيگ). ـ وادى البـَطم ـ

الثاني عشر : عبد الله بن عمر بن محمد بن عبد السميح بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن محمد بن ابرهيم بن علي

شيخ كبير المقام . يكاد يكون هو الذي جدد مكانة أهله في القلوب . فقد كان عالما جليلا . ومعتقدا مقصودا محترما مبجلا . يحترمه الملوك فمن

رقم 225 الركان الاكاديمي

دونهم . وناهيك بمن كان ملك عصره العظيم سيدى محمد بن عبد الله العلوى يصاحبه احيانا . وقد كان معه فى جملة من معه من العلماء والصلحاء . والمتبرك بهم يوم يؤسس (السويرة) كسيدى يوسف الناصرى وامثاله . ثم كان له اتصال بالمولى سليمان بعد ما مشى نمّامون بينهما . فاشار بعض المتنصّحين لعبد الله بن عمر أن لا يصل الملك . وقد أرسل اليه . فقال : لا دين لى ان عصيت امامى . فذهب اليه توا . ففتح الله له باب قلب الملك . فرجع بكل خير . وهو الذى شيد زاوية (أسيف يّيگ) وابقاها مرموقة الاعلام . وقد أدركته وفاته فى الحج سنة ١٢٣٠ ه . وقد ذهبت به امه وهو صغير الى الشيخ الحضيكى ليأخذ عنه . فقال له : ارجع الى دارك . فسياتيك العلم اليها . فلم يلبث أن جاءه عالم من (فاس) هارب فالتجأ اليه . فصار يأخذ عنه . حتى حصل ما عنده . وهذا العالم توفى هناك . وقبره لا يزال معروفا الى الآن . وهـذا الفقيه يسمى عند الناس (الصرصرى) نسبة الى (صرصر). ويحكى الناس عن المترجم خوارق للعادة . كشجرة مر تحتها فازال غصن منها عمامته . فنظر اليها فيبست فى الحين . وكقوله لاهله . لما توجه الى الحج : متى رجع اليكم مرجل النحاس فاعلموا اننى متوفى . فاذا به يوما عندهم . ولا يزال هذا المرجل عندهم فيما حكى لنا . ومن أصحابه سيدى محمد بن الحسين دفين (تافيلالت) من قبيلة (ايدا ومحمود) . حيث يقام عليه موسم كبير تجارى سنوى الى الآن . فقد وفد عليه ثم ودعه . فقال له اذهب الى (تافيلالت) فلما وصل (تيـزى الحجاج) أشكل عليـه ما هـو المقصود بـ (تافيلالت) لانها متعددة . فرجـع الى الشيخ فسالـه . فقال له : (تافيلالت) بـ (ايدا ومحمود) . وقد توفى محمد بن الحسين هـذا وهو سبط الناصريين وليس منهم سنة ١٢٨٠ ه . وقـد أعقب ولدا اسمه أحمد . توفى ١٢٨٣ ه وبنتا تسمى رقيـة . وهى التى تزوجها گرسيفى . ثم ذهب الكل بلا عقب . قالوا ان أصل ابن الحسين هذا من الموضع المسمى (بوواضو) من (راس الوادى) وقـد ذكر مع الناصريـين السوسيين فى (الجـزء العاشر) .

وقد ذكر أن فى زاوية (أستيف) من (سكساوة) كتابا فيه اخبار كثيرة عن عبد الله بن عمر . لانـه شيخ جدهم . وهـذه الزاويـة لا يزال بعض أهلها يذكر . فمنهم سيدى حدوش الذى يوثر عنه اخبار بمغيبات مع صلاح . وقد كان يذكر عن الحرب الثانية كثيرا قبل أن تقـع . كما كان يخبر عن جلاء الفرنسيين . ولا يزال حيا الآن ١٣٧٩ ه .

هذا وقد وقفت على خطاب سليمانى اليه . ونصه بعد سقوط اوله :

(سلام الله عليك ورحمة الله (وبعد) وصلنا كتابك . وعلمنا به وقوفك مع ابن اخينا مولاى عبد الملك . ولد أخينا الارضى سيدى عبد السلام . وأحسنت في ذلك . وكذلك أحسن الفقيه السيد احمد (١) التاناني في وقوفه وأنه على محبتنا . وتشوق قبائل أهل (سوس) لقدومنا السعيد علناه . وذلك عزمنا ومرادنا . وقد أردنا في هذه الايام القدوم لـ(رباط الفتح) والله تعلى يلهمنا لما فيه رضى الله ورضى رسوله والسلام . وفي الثامن عشر من ربيع الثاني عام ١٣٠٩ هـ . (ومن تمامه) فالمقصود الاهم عندك ان تقف كل الوقوف في الذب عن أهل (رودانة) تدفع عنهم كل ما يروم ضررهم بمكروه . . (٢) وتقوم بعون الله فتكفى ذلك ؛ وقل لكل قبيلة مريدة ضررها : أن كل من يفعل ذلك فوالله ثم والله لأعاقبنه العقاب الذى يأتى على بدنه وماله . والسلام فى التاريخ أعلاه)

نفهم من هذا الخطاب مكانة المترجم اذذاك . وما كان يقوم به بين القبائل وبين الحكومة وما تأتى له ذلك الا بالمكانة التى تبواها فى القلوب كلها وهذا هو المعروف عن فقهاء (سوس) من قديم . وقد كان سيدى محمد التاساكاتى الماسى . وسيدى على بن ابرهيم الادوزى قاوما الثائر (بوحلايس) ١٢٠٧ هـ حتى هلك فى أيدى من استثارهم من أهل القبائل عليه ؛ وهكذا يؤدى الفقيه السوسى ما عليه نحو العرش دائما . وقد ذكرنا فى ترجمة على بن ابرهيم الادوزى فى (الجزء الخامس) بين الادوزيين اخبار بوحلايس المذكور

واما عبد الملك المذكور فهو ابن عبد السلام بن محمد بن عبد الله . وقد كان خليفة لمولاى سليمان على (سوس) كما كان والده مولاى عبد السلام كذلك خليفة لوالده سيدى محمد بن عبد الله على (سوس) أيضا . وعبد السلام هو ذلك العلامة المؤلف المشهور من أولاد سيدى محمد بن عبد الله . وهو ممدوح الشاعر محمد بن أحمد بن ابرهيم بن بلقاسم الهوزيوى . كما ذكره فى ديوانه المخطوط فى الخزانة الناصرية . وقد أدخلنا منه فى كتابنا (مترعات الكؤوس) ما يليق من القوافى .

الثالث عشر : عبد الله بن عمر (ءاخر)

حفيد المذكور قبله ؛ وهو من أهل (أسيف بيگ) فقد وقفنا على هذا الظهير باسمه :

(أمين سيدنا الارضى الحاج العربى الطريس . وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله . عن خير مولانا نصره الله (وبعد) فلابد أن تعين الشريف السيد

١) لا نعرفه الآن .

٢) محو فى الاصل

عبد الله بن عمر بن عبد الله . من زاوية (وادى البطم) ـ اسيف بيگ ـ على قبض الثلاثين أوقية المنفذة من قبل مولانا المنصور بالله لوالده رحمه الله والسلام فى السابع والعشرين من ربيع النبوى ١٣٦٨ هـ) وعليه طابع لايمكن أن يقرأ . وانما يظهر فيه (محمد) فالغالب أنه محمد بن عبد الرحمن ولى العهد اذ ذاك . أمر بتقييد ما أمر به والده مولاى عبد الرحمن . فعرفنا ان ءال عبد الله بن عمر الشيخ الكبير مـا زال أولاده واحفـاده يتوصلـون من (السويرة) بما نفـذه لهم الملك سيدى محمد بن عبد الله من عهد سيـدى عبد اللهبن عمر الذى كان معه يوم أسس (السويرة) وقد رأينا ظهيرا ءاخر حسنيا باسم عبد الله بن عمر . وهو ظهير حسنى نصه :

(يعلم من كتابنا هذا أسماه الله أننا آذنا ماسكه الشريف سيدى عبد الله بن عمر البطمى قبض العشرة مثاقيل من أحباس ثغر (السويرة) التى كانت منفذة لجده بل والده رحمه الله حسبما بالظهـائر التى تحت يـده . فنامر الناظر على الاحباس المذكورة أن يمكنه منها فى كل شهر . والسلام فى ثامن صفر الخير عام ١٣٠٣ هـ . وفى الطابع الحسن بن محمد الله وليه) فالغالب أن عبد الله بن عمر هذا هو ذلـك الحفيـد نفسه لا ءاخر . لقرب العهد ما بين ١٢٦٨هـ وبين ١٣٠٣ هـ . وان كان يعكر عليه انه نفذ له اولا ثلاثون . ثم نفذت لـه عشرة .

الرابع عشر علي بن عبد الله بن عمر بن محمد بن عبد السميح

وصف بأنه فقيه نوازلى يقضى بين الناس ويفتى . وكان حينـا فـى (حاحة) ثم رجع الى مسقط رأسه (أسيف بيگ) حيث توفى نحو ١٣٠١ هـ

الخامس عشر محمد بن عمر بن عبد الله بن عمر بن محمد بن عبد السميع

تخرج بالعلامة عبد الله بن عمر التيفيراسينى البوشوارى . فرجع فيخوض فى النوازل الى أن توفى ١٣٠٢ هـ عن سن عالية .

السادس عشر الحاج عبد الله بن على وقفنا له على ظهير نصه :

(جددنا بحول الله وقوته . وشامل يمنه ومنته . لماسكه المرابـط الحاج عبد الله بن على واخوانه حفدة الولى الصالح السيـد ابرهيم بـن عـلى القاطنين ببلاد (ايداوزيكى) يعلم من ظهيرنا الشريف المتضمن سدلنا عليهم أردية التوقير والاحترام . والرعى الجميل المستدام . اننا اسقطنـا عنهـم الوظائف المخزنية . والتكاليف الامامية . رعيا لوقوفهم فى مصالح الرعية واعانتهم . . (١) الا ما أوجبه الله عليهم من زكاة الاعشار التى عـلى عموم المسلمين اذ لا تسقط عن مسلم . فنامر الواقف عليه مـن خدامنـا .

١) محو فى الاصل .

ووولاة امرنا ، ان يعمل بمقتضاه . ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه . صدر به امرنا الشريف المعتز بالله فى السابع والعشرين من ذى الحجة عام ١٢٨١ هـ . وفى الطابع محمد بن عبد الرحمن)

وهناك ظهير ءاخر مماثل لهذا مؤرخ بـ ١٢٨٣ هـ . وطابعه الحسن ابن امير المومنين .

هذا كل ما عرفنا به هذا الشريف . ويظهر انه صالح يقف مصالح الرعية على عادة أرباب الزوايا المخلصين اذ ذاك .

السابع عشر الحاج عبد الله بن احمد

هذا فقيه من متاخرى فقهائهم ويعرف بالشناح . وقد افردناه بترجمة لأنه على شرطنا فانتظره قريبا .

الثامن عشر الحبيب بن احمد اخو من قبله

الحبيب بن أحمد . أخو من قبله . فقيه صالح يذكر بكل خير من أصحاب الشيخ الالغى أيضا . وحين لم يظهر كما يظهر الذين نفردهم بالتراجم نكتفى بذكره هنا . ومما يتعلق به أن الشيخ كان يوما هووطائفته عندهم . فذهب الشيخ لحاجة . فوجد الفقراء قد تراخوا فى الذكر . فتناول عصا يضرب به كل من رءاه منهم . وقد غلب عليه الحال . فاذا به ضرب سيدى الحبيب فالتفت اليه سيدى الحبيب ليعلم الشيخ انه هو . فقال له الشيخ : أنحن فى لعب يا سيدى الحبيب ـ فجرى ذلك مثلا عند أصحاب الشيخ ـ وكان له مقام محمود مذكور توفى نحو ١٣٣٠ هـ .

التاسع عشر محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عمر ابن محمد بن عبد السميح

من أحفاد عبد الله بن عمر الشيخ المذكور ءانفا . أخذ العلم من مدرسة من (أملن) لعلها المدرسة (الجيشتيمية) ثم التحق بـ (فاس) حيث بقىاحدى عشرة سنة . ثم لما حصل رجع فزاول القضاء نائبا عن سيدى محمود قاضى (تارودانت) فى المدينة نفسها الى أن توفى سنة ١٣٢٠ هـ .

العشرون الحاج عبد السميح بن عبد الرحمن

اخو المذكور قبله شارك أخاه فى مآخذه حتى فى القضاء وفى النيابة

وقد التحق بمسقط رأسه فتوفي ١٣٤٧ هـ ولعله الفقيه الذي سمعت بانه من الآخذين عن الحاج مبارك بن المصلوت . ويتولى القضاء في سوق ببلده حيث لاقاه سيدي أحمد ابن الحاج مبارك . حكى له انه اخذ عن والده .

الحادي والعشرون محمد بن الطاهر الامين

فقيه أتصل بالملوك . فاتخذوه أمينا . حتىعرف بأمين السلطان مولاي الحسن .

(أقول) : انني كنت أعرف شريفا من أولاد سيدي ابرهيم بن علي . كان شبه قنصل للمغرب في العهد الحفيظي في (القاهرة) ما شاء الله وهو صهر العربي الديوري الوطني المشهور بـ (مراكش) وربما كان احد أقارب هذا الامين وقد توفي محمد بن الطاهر ١٣١٠ هـ .

الثاني والعشرون سيدي عبد الرحمن بن الحاج (بوعادروش)

صالح مجذوب تؤثر عنه كرامات وكشوفات . يتناقلها الناس ، و (أعادروش) العصا الغليظة كان يحملها ويضرب بها كل من لقيه . وكان يصاحب القائد الحاج بيهي (أشاو) التاناني . وكان يقول له انا وانت لا نزال مصطحبين دنيا وأخرى . فصادف أن دفنا معا في محل واحد ، ويقال انه أغاثه يوما وقد كاد يغرق في واد . فاخبر المترجم بذلك منحضر ثم لما ورد (أشاو) كان الامر كذلك .

ومنلطائفه . أنه سمع أن الخليفة المتوكي المهدي حين نزل في (بوزكار) تحت (أمسكروض) سيذهب بكبش ليذبحه في مشهد (سيدي أبيالسحاب) فذهب في السحر فتلوى في ثوبه على عتبة باب دار الخليفة وامتد كانه ميت . فلما أصبح الخليفة أخبر أن انسانا ممتد على عتبة الباب . فقال : انظروا من هو . فلما كشفوا عنه اذا به هو وقد عرفوه . فقالوا : ماتصنع هنا . فقال انني ميت ؛ وقد سمعت أن الخليفة يريد ان يذهب بكبش الى ميت . فأردت أن أكون انا ذلك الميت . ما دمتم لاتزورون الا من الموتى ، مع انني أولى بذلك . لان لي أولادا جائعين وافضل ما يزار به دفع جوع عيال فقراء . فأعطوه الكبش فذهب به وقد جرب الناس انه يصاب كل من كسر خاطره . فيراعيه الناس . توفي نحو ١٣٤٦ هـ . وقد مات هو والقائد(أشاو) في وقتين متقاربين ؛ واصطحبا حياة ومماتا كما قال .

الثالث والعشرون عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الله
ابن أحمد بن عبد الرحمن بن مَحمد بن ابرهيم بن على

من فرع من أهل (آسيف ييگ) فى قرية (تاماروورت) كان رجلا صالحا معتقدا له باع فى العلوم . لايزال دوى سمعته يطن فى الاندية الى الآن . كان فى قرية (تادرارت) فى (أيت واعزون) ولعله توفى قبل ١٣٠٠ هـ .

الرابع والعشرون ابرهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد
ابن عبد العزيز بن عبد الله بن احمد بن عبد الرحمن بن مَحمد بن ابرهيم
ابن علي

من الفرع التاماروورتى . أخذ معلوماته عن عبد الله بن باش من (ايرازان) من (رأس الوادى) . ثم استتم بـ (مراكش) ثم شارط فى « تادرارت» وزاول القضاء والافتاء . ولكن شهرته بالدين والصلاح والتقوى . وتوثر عنه فى الناس كرامات وكشوفات . وقد حدث ثقة عنه بمثل ذلك . وكان حكيما عالى الهمة ؛ عزوفا عابدا ناسكا . توفى ١٣٢٩ هـ

الخامس والعشرون القاضى سيدى مَحمد الساكن فى (سيدى أبى السحاب)

فقيه ءاخر من هؤلاء الشرفاء . له ذكر بين علمائهم الاماجد . ولا نعرف الآن عنه غير هذا .

* * *

أولئك أولاد الشيخ سيدى ابرهيم بن على الموجودين خارج زاوية (تيغانيمين) . وأما أهل هذه الزاوية فقد اتصلت بأحد فقهائهم الموجودين الآن . فحدثنى عمن يعرفهم منهم . فقال : انهم على فرقتين : أولاد سيدى على. وأولاد سيدىالحسن . فالاولون: ١ ـ (ءال واوكَنارت) ٢ ـ (ءال الشيخ) ٣ ـ (ءال عبد الرحمن) ٤ ـ (ءال اكَرّام) والآخرون : ١ ـ (ءال القاضى) ٢ ـ (ءال أواحيان) ٣ ـ (ءال ادريس) ٤ ـ (ءال تاكوشت) ٥ ـ (ءال أكَليد) ٦ ـ (ءال اقْصريْنى) ٧ ـ (ءال ووْلدِى) ٨ ـ (ءال بنْواكرى) وكلهم من أولاد أحمد ابن الشيخ . ثم ذكر من يستحضرهم من علمائهم فمنهم .

السادس والعشرون سيدى محمد بن أحمد بن مَحمد بن عبد الله بن أحمد
ابن مَحمد بن عبد الرحمن بن على بن أحمد ابن الشيخ ابرهيم بن على
الواوكَنارتى

قال فيه الراوى بقلمه : (الفقيه العالم الجليل الكبير العلامة الدراكة

السيد محمد بن أحمد . كان رضى الله عنه عالما كبيرا . معظما عند الناس . ءاخذا بالسنة . اخذ علمه عن أستاذه الكبير الشان . المشهور بالعلم والولاية فى زمانه السيد الحاج سعيد الشريف الهشتوكى بمدرسته من (ايداومحمد) ثم انتقل الى بلده بزاوية جده . واشتغل بنشر العلوم فى مدرستهم . ولقيه فيه العالم الاجل الانور الفهامة البركة السيد الحاج مسعود الوفقاوى رضى الله عنه . وسرد عنده حديث البخارى فى شهر رمضان . وغير ذلك من أنواع العلوم . وكان يفتى للناس فى المسائل الشرعية فى بلدتهم . وكان لهجا بتلاوة القرءان العظيم . ويكثر قيام الليل بالعبادة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . ويحض على اتباع السنة غاية . الى أن مات رحمه الله تعلى فى داره بـ (تيغانيمين) سنة ١٣٣١ هـ أو ـ ١٣٣٢ هـ . وله من العمر ٨٧ عاما تقريبا) .

(أقول) : نعلم من هذا ان الوفقاوى أخذ عنه . وكان ينبغى أن نعده من أشياخ الالغيين فى بابهم المتقدم . ولكن لم يذكره لى الوفقاوى فى مشيخته فاكتفيت بذكره هنـا .

السابع والعشرون سيدى عبد الكريم بن عبد الرحمـن مـن (ءال اكرام)

قال فيه المذكور :

(العالم العلامة الكبير العارف بالله . الذى عم صيته الدانى والقاصى . سيدى عبد الكريم الكرامى . كان رضى الله عنه عالما زاهدا متواضعا ؛ خاشعا لله خائفا ؛ ءاخذا بالسنة . دالا على الله بحاله ومقاله . كان كثير الاوراد من الذكر والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . وتلاوة القرءان العظيم . قواما بالليل . ءامرا بالمعروف . ناهيا عن المنكر . لقى رضى الله عنه جلالة الفقيه ؛ والولى الصالح . الذى عمت مناقبه جميع النواحى . ابى عبد الله السيد محمد بن أحمد الكنسوسى بمدينة (مراكش) واستفاد منه علوما شتى واسرارا ربانية . وأنوارا محمدية . نفعنا الله ببركتهما ءامين)

(أقول) : كان يأخذ فى (مراكش) قبل ١٢٦٧ هـ بسنوات بدليل ما أرخت به الرسالة الآتية التى كتبها اليه شيخه المذكور . وقد ظفرنا بها من خط سيدى العربى الساموكنى . فهاكها كما هى بنصائحها :

(الاخ الفائز بالفلاح . السالك على سبيل الرباح والصلاح . المرابط البركة الانور الفاضل الماجد الاخير . سيدى عبد الكريم ابن سيدى محمد ابن عبد الرحمن حفظ الله علاك . وبارك لك فيما خولك وأولاك . سلام الله البر الرحيم . الواسع الكريم . على مقامك العظيم . ورحمة الله وبركاتـه تتواليان على مثابتك من حضرة مولانا تبارك وتعلى

(أما بعد) فانا نحمد اليكم الله الذى لا محمود فى الحقيقة سواه . وهو الذى عند ظن عبده به فى كل ما نواه . نسأله سبحانه أن يجمع أهواءنا وأهواءكم على موجبات رضوانه . وأن يعاملنا واياكم على كل حال بفضله واحسانه وغفرانه .

(هذا) وما زالت الارواح منوطة بودادكم . حافظة لعهودكم . على الحالة التى لايلحقها تبديل ولا تغيير ان شاء الله تعلى . وقد انقطعت عنا اخباركم الا ما يخبرنا به عنكم الاخ البركة سيدى سعيد(١) حفظه الله فيسرنا اخباره بانكم على خير وعافية . وقد أخبرنا قبل هذا العهد أنكم تحولتم من الزاوية القصبية الى محل اخر . فالله يجعل فيما يقضيه لنا ولكم كل خير وبركة . ونحن والله مهتمون بشانكم وشان جميع الاخوان فى الله . بما يلحق من اثار هذه الشدائد التى عمت البلاد ؛ ببعض ما كسبت أيدى العباد ؛ فاذا ذكرنا الاشفاق لأحوالكم؛ دعونا الله تعلى أن يصحبكم الالطاف الخفية. فكيف أنتم اخى . والسؤال انما هو عن حالة الباطن وأما الظاهر فمعلوم كيف هو . فهل أنتم راضون مطمئنون. أو انما تظهرون الرضا. والقلوب ساخطة كما هى حالة العامة ؛ أعاذنا الله واياكم بمنه وكرمه . فقد جرى على الالسنة اذا سئل بعض الناس أن يقول بلسانه فقط (نحن بخير) ويرى أن ذلك غاية الادب. ولم يعلم أن ذلك مزلقة على مهواة الهلاك . وذلك أنه أساء الادب مع مولاه تبارك وتعلى . والحامل للانسان على ذلك انه لايرى النعمة الا الرفاهية فى العيش وكثرة المتاع الفانى . وسعة الحال فى المأكل والمشرب والمنكح ونحو ذلك . فكلما فاته شىء مما تهواه نفسه من ذلك تسخّط على الله . وموجب هذا فى الحقيقة هو النظر الى من هو فوقه . ممَّن قضى الله تعلى فى أزله بتفضيله فى الرزق . ويريد من الله تعلى الذى يفعل ما يريد أن يعكس قضاءه . بأن يجعل الذى قضى بغناه فقيراً . والذى قضى بفقره غنياً . وذلك لايكون . ولو نظر الانسان حق النظر لعلم ان لله عليه من النعم ما لا يحصى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) (ان الانسان لظلوم كفار) ويعلم أيضا أن الله تعلى قد دفع عنه من النقم ما لا نهاية له . وقد ذكر فى (منهاج العابدين) أن نبيا شكا الى الله تعلى بعض ما أصابه من المكروه . فأوحى الله اليه (تشكونى ولست بأهل ذم ولا شكوى . هكذا بدىء شانك فى علم الغيب . فلم تسخط قضائى عليك ؟ أتريد ان أغير الدنيا لأجلك . وأبدل اللوح المحفوظ بسببك فاقضى ما تريد دون ما أريد . ويكون ما تحب دون ما أحب . فبعزتى حلفت

---

١) هو سيدى سعيد الدراركى المتوفى نحو ١٢٨٦ هـ وقد ذكرناه فى (الرحلة الرابعة) من (خلال جزولة) .

لئن تلجلج هذا فى صدرك مرة أخرى لأسلبنك ثوب النبوءه . ولاوردنك النار ولا أبالى). انتهى

فلينظر المومن اذا كان هذا الوعيد الشديد مع انبياء الله تعلى . فكيف بغيرهم . ولا يصف (١) العاقل . فان جلال الالوهية عظيم . قال الشيخ الشعرانى رضى الله عنه (اعلم ان عصمة جانب النبوءة تقتضى ان يكون امثال هذا المراد به اسم الانبياء لا هم . فالخطاب لهم . والمراد غيرهم . وهذا الحديث الكريم فيه سياسة عجيبة لمن وفقه الله تعلى . ثم اعلم ان الانسان ولاسيما الضعفاء امثالنا لايمكنهم عدم التالم عند الشدائد ؛ بل ذلك لابد منه للبشر ولكن المراد الرجوع بعد ذلك الى الرضا بقضاء الله ؛ والتسليم لحكمه ؛ فيضمحل ذلك التالم الحاصل . ولا يستقر ولا يبقى له اثر . أشار الى ذلك سيدى محمد بن عبّاد فى رسائله الكبرى واستدل بقوله تعلى : (ان تكونوا تالمون فانهم يالمون) فلم يحكم بعدم التالم . ولكن حكم لهم بان ذلك الالم مغمور بقوة الرجاء بقوله (وترجون من الله ما لا يرجون) فالالم أول ما يفجا لمقتضى الطبع . ولكن المومن لا يلبث ذلك أن يذهب ويزول مما يكر عليه من جنود ايمانه ويقينه ومعرفته. وهو بمنزلة الطائف الذى ينهزم بالذكر . قال ابن عطاء الله فى (التنوير) فى قوله تعلى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) . لم يقل لم يمسهم ولا لايصيبهم . ولكن اذا مسهم بعض المس أى لايتمكن منهم تذكروا ، فيزول ذلك المس فى الحين فاذا هم مبصرون . اهـ

وقد كتبت هذه النبذة شوقا الى مخاطبتكم . واستئناسا بذلك بدل مكالمتكم . والمراد بذلك نفسى لا غير . والله يتولى الجميع بمنه وكرمه . ولا باس أن يراها الاخ الصالح سيدى سعيد فانه منوّر الباطن . من المومنين الذين تنفعهم الذكرى . بارك الله فيه . والسلام عليكم من جميع الاخوان . خصوصا ولدنا عبد الله فادعوا لنا وله بالخصوص . ولجميع الاخوان بالعموم. والله تعلى المسؤول بفضله ان يرفع ما نزل بهذه البلاد من المحن فقد بلغت القلوب الحناجر من غلاء الاسعار مع مرض ووباء (٢) فلّما ينجو منه أحد وقد مات منه ما يفوت الحد . وقد مات من اخواننا من حضراجله ورحمة الله أقرب . وعفوه أرجى . ولا ملجا الا اليه . ولا معول الا عليه ؛ وهو المسؤول أن يتول حفظنا فيكم ويعلم قلوبنا وقلوبكم . بمنه وكرمه وعلى العهد والسلام

---

١) هكذا ولعله لعلا يعجب .

٢) هذه الشدة هى التى ذكرها سيدى محمد بورشن التنالى فى مقيده أول ترجمة سيدى سعيد المتقدمة فى هذا الجزء نفسه .

فى متم جمادى الاخيرة عام ١٢٦٧ هـ اخوكم الضعيف محمد بن احمد اكنسوس)

(اقول) لاندرى متى توفى سيدى عبد الكريم هذا . ولعله توفى قبل ١٣٠٠ هـ .

الثامن والعشرون سيدي محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد

هو ابن أخي سيدى عبد الكريم المذكور . فقيه جليل يذكر . شارط حينا فى (أورير) يفتى ويجول فى النوازل . وقد توفى فى (أورير) فى وقت لانعرفه . ويذكر له أخ يسمى مَحمدا لانعرف عنه الا اسمه فقط . ولذلك اضربنا عنه .

التاسع والعشرون سيدى محمد بن عبد الكريم من ءال القاضى :

ولعله ابن المذكور قبله : قال فيه :

(الشريف الابر الطالب الانور . أبو عبد الله . السيد محمد بن عبد الكريم . كان رضى الله عنه حافظا للقرءان العظيم . قرأه على أستاذه الطالب الاجل . سيدى أحمد الجرارى مدة اقامته بزاوية جدهم . قرأه برواية حفص . ورواية المكى ؛ وتخرج على يده تلاميذ عديدة . لانه مشارط فى مسجد (تيديلى) من(تانكرت) . ثم منها الى مدرسة زاويتهم. فاقام فيها بتعليم القرءان الكريم الى أن توفى رحمه الله تعلى سنة ١٣٧٣ هـ . وله من العمر ٨٣ سنة تقريبا) (أقول) : ذكرناه لانهم من القراء الكبار أصحاب الروايات الذين نعنى دائما بذكرهم .

الثلاثون الحاج محمد بن عبد السميح : من (ءال القاضى)

فقيه يذكر . لانعرف عنه شيئا الآن الا أنه فقيه يذكر . والذى كان قاضيا من جدوده مجهول عندنا .

الحادى والثلاثون سيدى محمد بن ابرهيم بن عبد السميح السويرى . من (ءال القاضى) . قال فيه :

(هو ابن أخت سيدى محمد بن عبد الكريم . وعليه قرأ القرءان حتى اتقن حفظه . ثم لازم شيخه سيدى الحاج أحمد الكاشطى فى مدرسة (الما) حتى حصل عنده ما قسم له من العلوم . وهو الآن فى مدرسة حديثة فى : (ايداوتانان) يعلم فيها) (اقول) : رأيت مخطوطا بخط هذا السيد حول جده

سيدى ابرهيم بن علي . فاعجبني انشاؤه . وهو لا يزال شابا . ولم اتشرف بمعرفته الى الآن ١٣٨١ هـ . وهو من بقايا المحصلين للعلم من (ءال الشيخ) رضي الله عنه .

الثاني والثلاثــون سيدى الطيب بن محمــد مــن (ءال اقصربى) .
قال فيه :

(قرأ علمه على الفقيه سيدى عبـد الملك بن ابرهيم ـ الآتى ـ فـى مدرسة (سيدى ميمون) من (كسيمة) ثم أقام في زاويتهم حينـا . وتوفي في داره ١٣٦٦ هـ . وله ولد يعلم الآن في مدرسة (الانوار) في (البيضاء)

الثالث والثلاثون سيدى أحمد بن عبد الرحمن . من (ءال 'وولدى)
قال فيه :

كان رضى الله عنه عالما عاملا بالعلم . أخذ علمه عن الاستـاذ المعظم العلامة فريد عصره . ووحيد زمانه السيد أحمد الرسموكى (١) في مدرسته من (بوعانفير) من(أولاد أبى السباع) ثم الى كلية (ابن يوسف) بـ«مراكش» سنة ١٢٦٩ هـ ثم بعد ذلك رجع الى بلده . وتولى خطة القضاء في(تارودانت) مدة اقامته في (أيت باها أوباها) فوق (وادى سوس) ثم رجـع الى زاويتهم فاقام بمدرسة جده . فاشتغل بتدريس العلم فيها . وبارشاد الناس وتنبيههم الى غير ذلك من الصالحات . الى أن توفاه الله رحمـه الله سنـة ١٣٢٩ هـ أو ١٣٣٠ هـ وله من العمر تسعون أو اثنان وتسعون تقديرا)

الرابع والثلاثون سيدى محمد بن عمر بن أحمد من (ءال 'وولدى)

ابن أخى المذكور قبله . كان يقطن في (ايغالن) مـن (أيت واعزاون) شريف فقيه محترم . قابع في داره الى أن توفي نحو ١٣٤٦ هـ . هذا ما قاله المذكور .

الخامس والثلاثون سيدى الحاج محمد بن عبد العزيز بن مَحمد بن محمد ابن مَحمد بن أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد ابن الشيخ ابرهيم بن علـى . قـــال فيـــه :

(الفقيه الجليل العلامة ابو عبد الله سيدى محمد بن عبد العزيز . عالم كبير . وله رضى الله عنه همة عالية . وولاية كبيرة . أخذ علمه عـن استاذه الجليل القدر المشهور عند الخاصة والعامة بالعلم والولاية . سيدى سعيد الشريف في (ايداومحمد) ثم الى (مراكش) التى قرأ فيها على الفقيه العلامـة الجهبذ النحرير السيد أحمد بن محمود من (البحيرة) اخذ عنه علوما شتى،

١) ذكر في (الثامن عشر) .

واسرارا كثيرة وانوارا ربانية . ثم رجع الى بلده . فأقام بمدرسة (ايسيمنا) من (تانكرت) يعلم فيها مدة ولاية الحاج محمد بوناكة . الى ١٣٣٥ هـ . ثم اشتاق الى الحج . فحج تلك السنة . ثم رجع فيرشد الناس . وأخذ طريقة الصوفية ؛ فصار يحيي عامة الليل بالاذكار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . وبتلاوة القرءان وغيره من أنواع العبادات . الى أن ظهرت عليه خوارق واسرار . وكرامات عظيمة . ولكنه يخفى ذلك غاية . لايحب الظهور ويحرض أهله وأولاده وأصحابه وأحبابه على اتباع السنة . ويؤكدهم غاية التوكيد على أداء الصلوات الخمس فى أوقاتها بشروطها . ويوصيهم بأكل الحلال ولبس الحلال . هذا ديدنه عمره . ولا يحب الرخص فى اموره . الى أن أتاه داعى ربه فى ليلة النصف من شعبان ١٣٣٦ هـ وهو فى داره فـى محل (كَومان) ودفن فى روضتهم المعلومة . وله أولاد ذكور مذكورون .

(أقول) كان الفقير الصادق المتجرد (١) سيدى الحاج أحمد الايسدغاسى يذكر لى أنه حج معه . فوصفه بكل خير . ثم ان ممن أخذوا عنه الفقيه سيدى عبد الملك - الآتى - والاستاذ سيدى محمد بن ابرهيم علامة (ايداوتانان) فى وقته . وهو أستاذ كبير . له خط جميل . ترجمه الاستاذ الكاشطى فى كتابه الذى لم يحضر عندى الآن .

السادس والثلاثون سيدى الحسن ابن الحاج محمد المذكور : قال فيه بعد ذكر الحاج محمـد وَاعزيز :

(ومنهم ولده البار العزيز النبيل سيدى الحسن . تركه والده صغيرا فى المكتب . يقرأ القرءان على استاذه السيـد سعيـد بـن أحمـد الملقب (المشيرحات) فبعد ما حفظه . التحق قبل بلوغه بالاستاذ سيدى الحاج أحمد الكاشطى فى مدرسة (الما) الى أن حصل عنده المبادىء . ثـم انتقـل الى (مراكش) فلازم دروس سيدى محمد المختار السوسى الذى يأوى اليه الطلبة السوسيون اذ ذاك هناك . فحصل عنده العلوم والادب واسرارا كثيرة . ثـم اخترمته المنية قبل وصوله ٢٢ سنة تقريبا ؛ ودفن ازاء والده فى بلـده)

(أقول) : ولد نحو ١٣٣٠ هـ - وتوفى ١٣٦٢ هـ فعمره ٣٢ سنة . ولعـل ما كتبه المذكور سبق قلم . فانه أدرك أن يتعلم فى المكتب سنة ١٣٣٦ هـ يوم توفى والده . فيكون له اذذاك نحو ست سنين على الاقـل . ثـم اننى سمعت أن من بين أساتذة سيدى الحسن فى القرءان الاستاذ سيدى محمد ابن عبد الله فى مسجد (ادعمران) هناك فى (تانكرت) قبل أن يلتحق بالكاشطى مـن هـو الكاشطى ؟

وهو مدرس عصره فى تلك القبيلة . فقد طفحت به مدرسة (الما) علوما . وقد كان أخذ قليلا بـ (سوس) ثم التحق بناحية (جبالـة) حيث أخذ

١) مذكور فى (منية المتطلعين) .

كثيرا عن علماء تلك الجهة . كما اخذ أيضا من (فاس) ثم رجع بهمة واقدام، فانتصب للتدريس . وكان نشيطا مقداما . وقد حمدت معاشرته فى رفقتنا معه فى الحجة التى ترافقنا فيها سنة ١٣٦٥ هـ . وله ادبيات ومباحثات . منها كتابة له حول الصلاة ايماء فىالسيارة التى لايملكها الانسان. وقد خاف من خروج الوقت . فعارضه فيها فقهاء سوسيون . والحق معه بهذا القيد . وقد دارت هناك قواف (١) وكذلك دارت بينه وبين شيخنا الافرانى قواف منها ما وجهه اليه شيخنا المذكور . وقد وجدت ذلك بخط ابنه شيخنا سيدى محمد . قال فى ديوان والده :

(وقال رضى الله عنه يخاطب الفقيـه السيد أحمد الكاشطى التنانى وذلك فى حدود ١٣٤٣ هـ :

سـلام كشذا الروض أو كشذا القسط (٢)

على ابن على سيدى أحمـد الكشطى

سلام أخ ما زال يرجو لقاءه ... ويامل أن تطوى له شقة الشحط
فيفشى كلا الصَّبين سر غرامه ... ويشرح ما يعيى به قلم الخط
وتقضى حقوق طالما مطلت بها ... حوادث دهر ليس يحكم بالقسط
بقيت لصدق الود تحفظ عهده ... ونفسك تفديها نفوس ذوى الغمط

الاخ الذى محكم أخائه . لايخلفه حادث بؤس الدهر ولا رخائه . ونمير وداده . لايتكدر بلين الدهر ولا اشتداده . الفقيه العلم . بليغ اللسان والقلم؛ الجالى حالك الظلم ؛ الحبيب الكريم الاسعد الاصعد . الانجد الامجد ، سيدى أحمد ابن الحاج على الكاشطى . أدام الله اسعاده واصعاده . وابناءه واولاده ، وسلام عليه سلام شوق حثيث . وود حبله غير رثيث . ورحمة الله وبركاته (هذا) وقد وصلت الرسالة المباركة على يد ولدنا وعبدكم أحمد . هداه الله . فكان وصولها سعيدا . ويومها عيدا . ومجتناها يمنا . ومجتلاها أمنا ؛ لاسيما وقد تفاءلنا بما ذكرت من رجائك . لقدومنا لزيارة مولانا الشيخ رضى الله عنه وعنا به . وصحبتك لحضرة شيخنا المقدم المفرج . مولانا سكيرج . أطال الله بقاءه ؛ وادام ارتقاءه . فالله يحقق رجاءك الذى هو غاية رجائنا آمين فكأنك ان شاء الله بأخيك هذا العبد الضعيف. وقد طلع عليك متابطا هراوته متنكبا أدواته . معتقلا ظبيته (٣) متقلدا مديته . والبداوة تمسه على الخرطوم وتقوده قود الجمل المخطوم . فحينئذ تصفق بالايدى . ويقول لسان الحال تسمع بالمعيدى . والله يغفر ويستر . وتلك رحلة لم يزل عائق الدهر ينشد فيها (كيف الوصول) فيجيب لسان الرجاء (يصل المشوق) الخ

١) تكلمت على هذه المسألة فى (الرحلة الاولى) من (خلال جزولة) وهى مطبوعة
٢) القُسط بالضم : العود الذى يتبخر به . والقسط : العدل ، وهى بالكسر
٣) الظبية بالفتح : تطلق عندهم بالدارجة على جراب صغير .

قال الناقل المذكور : والابيات المشار اليها هى :

كيف الوصول الى سعاد ودونها قنن الجبال ودونهن حتوف
والرجل حافية ومالى مركب والجسم ضاو والطريق مخوف

الجواب :

يصل المشوق الى سعاد بجودها ان الكريم على الضعيف عطوف
صدق المحبة سلّم فاعلق بـه تصل الحبيب ولا يرعك مخوف)

وكذلك دارت بينى وبينه قواف . فهاك ما تيسر الآن عندى منها . وهى رسالة وجوابها . ونص الجميع :

(نسألك اللهم بأعظم أنبيائك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان تزيد رفعة ومهابة لمن أطلعته لنا بدرا لا يافل ضياؤه . ولا تتقلص أفياؤه . فخر زماننا . وموقظ قلوبنا . العلامة ابن العلامة سيدى محمد المختار . نجل العلامة الشيخ سيدى الحاج على بن أحمد . أطال الله لكم فى الحياة . واسبغ عليكم النعم الحسية والمعنوية . ءامين ءامين .

وعلى سيادتكم ازكى السلام . (وبعد) ففى أسعد الاوقات حلت بيدى رسالتكم التى لا أشهى الىّ منها (١) . فقد سرحت فيها عينى . وفاضت عند رؤيتها أدمعى . لسوء حظى من ملاقاتكم . مع قرب المسافة ؛ فياطالما تلهفنا على ملاقاتكم قبل . وفى اليوم التلهف أعظم وأعظم . وقد كنت فى العام الماضى اجتمعت بالفقيه المانوزى بـ (مكناسة) واخبرنى أنه اشتغل بشرح قصيدتكم العصيدية الغراء . ثم عجل بنا القدر دون رؤيتها . واتطلب من سيدى متى تيسر لكم أيضا الحلول بـ(أكادير) أن تعلمنى لتشفى الغليل باللقاء . وليرحم الله تلميذكم الشاعر سيدى الحسن التنانى . فقد طال الاسف عليه . وقد وصلنى (وشى المطارف) فرفع الحجاب عن المسألة . وهاكم ما كتبته حول المسألة (٢) وان لم أكن مثلكم من الفحول . لولا الفضول . واننا اليكم لفى شوق كبير :

ألا هل لنا قسط بوصل أحبة سجاياهم أذكى من العنبر الشحرى
هم ذخرنا فى النائبات متى دهت ويا لهم - والشكر لله - من ذخر
هم ثمر الخيرات جمعاء يانعا وناهيك من قوم هم ثمر الخير
فسيدنا المختار قد عاد رحله لـ(سوس) جميعا بالعلوم وبالفخر

---

١) كنت أرسلت اليه رسالة مع قصيدة أولا . ولكن لم تحضرا عندى الآن
٢) (وشى المطارف) رسالة حول ثبوت الهلال بالهاتف . توجد فى (مجموعة الغ الفقهية) .

تلألأ سوسنا باشراق نوره ... فيا (سوس) ميسى بالتعالى على الغير
ذكاء وعلم فى خلائق فذة ... منورة قد اكسفت وضح البدر
ففى كل يوم منه شعر كأنه ... رياض الربا تختال فى حلل الزهر
وكثرة تأليف فيغرف علمه ... اذا رفع الاقلام من وسط البحر
فيستنهض الاقوام للمجد والعلا ... وللعلم والابحاث كالبيض اذ تفرى
فلله هاتيك الرسالة انها ... تفوح حواشيها بنفح من العطر
فهيبته فى الناس أملت عليه أن ... يتوجنى تاج المهابة والقدر
عليك سلام الله ثم تحية ... تهب عليه هبة الريح فى القفر

٥ ـ ذى الحجة ـ ١٣٦٣ هـ

الجواب ارتجالا :

تدوم أيا كشطى للمجد والفخر ... وللعلم دفاق المباحث كالبحر
وللدين والدنيا وللهمة التى ... علوت بها فوق المجرة والنسر
فما كان لولا ما تشيد (تنانة) ... سوى جبل من كل عارفة قفر
طلعت به درسا لكل الفنون فى ... مطالع لم تعرف سوى طلعة البدر
رحلت لادراك المعالى فابت فى ... أكاليل من عز المعارف والفخر
ومن يرتحل فى المجد والعلم لايؤب ... الى أهله الا بوقر على وقر
فهل يستوى من ظل فى حفش أمه ... وطالب مجد العلم فى البر والبحر(١)
فكل له أثمانه والعلا لها ... على طالبيها الجود بالنفس والذخر
فلولا اغتراب الفذ (أحمد) لا نرى ... الآن بـ (الما) ما نراه من السر(٢)
علوم ودين واهتمام كأنها ... عزائم شتى فى مجالاتها تفرى
أيا خل زر (الما) لتبصر ما به ... من الهمة القعساء فى العصر للخير
تلاميد من كل الجهات تواردوا ... فيصدر كل بالمعارف كالنهر
فداموا ودام القطب أحمد للعلا ... وللدرس ما دامت دوائر من دهر

توفى العلامة سيدى أحمد الكاشطى نحو ١٣٧٦ هـ

أما أديبنا الشاعر المفوه الحسن التنانى ، فانه التحق بنا . فنشأ فى طبقة مالت أعنتها الى الادب. كالاخ الاستاذ ابرهيم. وابن العم الاستاذ ابرهيم بن أحمد والاديب البونعمانى ومحمد التنانى التامارووتى واحمد شوقى، وعرفة الفاسى ومحمد الردانى مع من يترددون الينا اذ ذاك من السادة المراكشيين كعبد القادر حسن . ومولاى أحمد النور. فلم ينشبوا أن عادوا أدباء كبارا . فصاروا زينة جيلهم ؛ وفى مقدمتهم صاحبنا الحسن التنانى الذى يكاد يبذ الجميع . وحين فرق الدهر بيننا يوم نفتنى الحكومة التصق ببيئة شاعر الحمراء سيدى

١) الحفش بكسر فسكون : البيت الصغير . أو من شَعَر .
٢) (الما) : محل مدرسة بـ (اداوتنان)

محمد بن ابرهيم . فترقى شعره وفكره حتى كاد ينفرد بثاياته البينـات عن أقرانه . وبيئة شاعر الحمراء بيئة أدبية عالية المنزع

وقد اتصل بالكتابة عند باشا مراكش . فقال فيه قصائد عـديدة . من متخيرات ما قال . كما له فى الملك سيدى محمد بن يوسف أيضا أخريات. وقد انطلق فى ميدان الشعر حتى كان أكثر أقرانه شعرا . بقى عزبـا على حالته هذه . يصاحب هـذا ويزورُ عن ذاك . يرضى فيمدح . ويسخط فيقدح . وحين زرت (مراكش) برخصة من (الغ)١٣٦٢ هـ وجدتـه فى اخلاق خارجة عن نطاق ما كان معهودا فى بيئتنا . فذكرت له ذلك . فقال لى : يافلان . انـك كنت متبوعنا يوم كنت بيننا . فنزن ما بين الفضيلـة وغيرها بالقسطاس المستقيم . فحين فرقت الاقـدار بيننا . وانـدفعنا الى معاشرة ءاخرين . اندمجنا فى أوساط أخرى ليست فيها هـذه الموازين . فلـم نملك أنفسنا حتى غرقنا فيها كما ترى . فحـين ألححت عليـه فى أن يراجع وأن يزن . وان يمشى على الصراط . بكى أمامى كثـيرا . فقال : ان الزمان لم يجن عليك أنت بالنفى ، وانما جنى علينا نحن بـأن حرمنا منـك بتوجيهات صالحة خلقا وءادابا ، ثم ان مرض السل الح عليـه يوم لاقيتـه . فاشرت عليه أن يرجع الى أهله الذى فيه الجو الصحى . ليتداوى من المرضين معا . مرض السل ، ومرض تلك الاخلاق . فأسعفنى رحمه الله فحل ببلـده فاذا بتربته هى التى استدعته . فجرى بيننا ما ذكرته فى (الجزء الثالث) من (الالغيات) من كـل ما كان يجرى بينى وبينه باسهاب فى رسالـة خاصة اليه طويلة . احتصر بها ذلك الكتاب (١)

ثم لم ينشب أن نعى لى . فوصلتنى اضبارة أشعاره فى مسوداتها . وصى اهله : أمه واخوانه أن يوصلوها لى . قائـلا لهم : لا مـال عندى ولا متروك الا هذا . ولا كان بعدى من يقدرها قدرها الا أستاذى وحده . فسلموا عليه منى . وقولوا له عنى : ها أنـذا التحق بربى . ولا ءاسف الا عـلى ما امضيته فى الذى كنت فيه بعد فراقى اياك . وقد ندمت غاية الندم ، فيدى الآن صفر مما يقدم به مثلى على ربه . فلا استعداد عندى . فكان ذلك ءاخر ما قال رحمه الله . ووفاته فى تاسع شوال ١٣٦٢ هـ

ذلك هو الشاب الاديب الحسن التنانى . بل الزهرة التى سرعان ما ذبلت اثرتفتحها. فليسمعالآن السامعون مانفث به قلمه منالقوافى. وسأجتهد فى الاختيار مما بين يدى . ولكن قبل أن أسوق ما بين يدى أذكر كلمة كان كتبها بعض الادباء السوسيين عن المترجم فى حياته . فى كتاب أدبى نصها:

---

١) لاتزال (الالغيات) بأجزائها الثلاثة مخطوطة .

(شاعر الشباب الجنوبي . وعندليب رياض الادب الفينانة الأغصان ، أنجبته قبيلة ما نحسب أنها أنجبت مثله قط في بلاغته وسلامة الفاظـه . وحلاوة قوافيه . وهو من اسرة علمية . فاستولى على تراث الاجداد . فـزاد عليها الادب علاوة . وذلك فضل الله يوتيه من يشاء . اخذ عن ابى العباس الكاشطى التنانى . ثم ربض بـ (الحمراء) حتى ارهف حده . وتفتحت شهيته فتاتى له هناك وسط أدبى سوسى يعرف قيمة الادباء أمثاله معرفة ما . فحبب اليه ان يغازل ربة الشعر . فلم يعتم أن استهيم بها . وقـد حدبت عليه . فكان فى مواصلتها من المغرقين . وهـو اليوم لا يزال هناك يستتم دراسته . وقد شارك ولكن النعرة الادبية لم تترك فى كاسه الطافحة فضلة من قلبه لعلم آخر . ولذلك كان أبرز فنونه اليوم الادب . وقرض الشعر. ولا نرتاب فى انـه ان دام على ذلك سيكون لـه بعد اليوم شان اى شان . ولعل ولادته نحو ١٣٣٠ هـ . وعاطفته عاطفة الشعراء . تقوده غمزة لاسيما من مقلة وطفاء . وتستثير عظمته مسّة . حتى يستشيط فيقلب الارض على السماء . وله آثار قيمة عالية النفس . ولكن لـم نستحضر الآن الا ثـلاث نتف من ذلك . ساقتها له السعادة ليتاتى ذكره بين اخوانه الادباء المشترط فى ذكرهم هنا أن نجد لهم فى الوقت الحاضر آثارا . وقد جاء وفق اقتراح بعض الكتاب المغاربة فى قوله : (لا أريد أن تكون لنا لانقاذ الادب اساليب تعبير محدثة . وتفكير جـديد فحسب . بل نريد أن تزينها طلاوة الطابـع العربى من جهة . ومتانة التعبير وخفة الروح الانشائية المتحدلـة فى كل الشئون من جهة أخرى) (١)

قال أديبنا التنانى من قصيدة يخاطب صاحبه البونعمانى :

الى آخرها . وستاتى

لا تلمنـى فاننى معمـود　　　ان هـذا الملام ليس يفيد

الـى آخـرهـا

ويقول من اخرى ـ وستاتى ـ

رب مـالى وللقوافى ومثلى　　　ليس يرضيه غير خلع العذار

الـى آخرهـا

ويقول فى اخرى ـ وستاتى ـ

اما القريض فقد اتيت بنايه　　　لكن ارى قومى بها كفارا

الـى آخرهـا

* * *

---

١) من مقالة ـ ببعض تصرف ـ للموزالى حول الادب فى عدد من جريدة « السعادة » مؤرخ بـ ٢ ـ ٥ ـ ١٣٥٧ هـ

من اقواله فى أعياد العرش ما قاله ٢٢ رمضان ١٣٥٧ :

تحيـــــة العرش

الى متى لا افى للعرش من أدبى كأننى لم أكن بالشاعر الدَّرب ؟
الى متى لاتقيم الارض قافيـــة منى وتقعدها من خفة الطرب ؟
والشعر ان لم يك التجديد يغمره فانما هو محض اللغو والصَّخب
ماذا يعالج فيه المرء ان هو لا يأتى بما ليس فى خمر ولا عِنب
ان لم يكن ترجمان القلب رائعه فليس لى فى القريض الدهر من أرب
والشعر ما كان روح العبقرية قد كساه فى المرء من أثوابه القشب
هذا الذى اتمنى لو ظفرت به أقضى عن الشعراء ذمة الادب
وطالما كنت أدعو من شوارده ما قد تنكبنى وجد فى الهَـرب
ها هو ذا جاء فيك اليوم رائعه عفوا ؛ بما لم يجيء بالكد والتعب
والطبع مهما اتى معنى يلائمه ياتى الفتى فى بديع الشعر بالعجب
يا طائر الشعر هذا اليوم أبصره يفتر روض المنى من ثغره الشنب
فغن أنت بلحن كنت أعهده يسير منك الى الاقوام بالطرب

* * *

يا أيها الملك المحبوب ان لنا فى عرشك المعتلى نهاية الطَّلب
عرش سما بك مذ بوئت هامته وقمت تحمى كيان المُلك من نوب
أوليته فوق ما قد كان يطلبه عصر به العز فوق الانجم الشهب
ان لم يكن يوقف الافلاك دائرة فأى عـذر لدى الهندية القضب ؟
عرش له كل عصر ما يردده لكل جيل أتى ؛ تاريخه الذهبى
وكم تسطر من ءاى له غرر فى جبهة الدهر بالصمصام لا القصب (١)
كم ثل فى الدهر من عرش وكم خفقت بالنصر أعلامه فى جحفل لجِب
وكم تقاد اليه الصيد مرغمة وكل قلب يدق الدَّهر بالرُّهب
وهكذا كل عصر كان عرشك ؛ لا يوتى اذا اشتبك القنا من القُطب
وهكذا قد سما فى الدهر منزلة بكل أصيد لا يخشى من العَطب
أجدادك العظماء الصيدُ تكلأه منهم رعاية بيض الهند واليلب (٢)
ما فيهم غير من ؛ ان جال جولته يوما اذا بفؤاد الدهر فى رعب
هذا اذا اشتعلت نار الوغى واذا جاء المكارمَ كان الدهر فى طرب
كم من مئاثر لاتحصى ترى لهم قد سجلتها يراعات على الكتب
وحسبك العرش هذا فى مكانته فهو الذى قد أزال سائر الريب
ان نال ما يتمنى فى عهودهم فان عهدك يجنى منتهى الارب
سمت به همة قعساء منك على هام المجرة ؛ لا يهوى مدى الحقب
حققت لـ (المغرب الاقصى) أمانيـه لولاك يبقى مدى الازمان فى كرب

---

١) يعنى بالقصب : القلم ٢) اليلب : الدروع .

مذ انت بوئت هذا العرش قمت لما ... يحيى ويعلي بلادا سامي الرتب
مهدت كم منهج للعلم واندفعت ... عناية منك تدنى كل مطلب
بالامس وجهت نحو (المعهدالقروى) ... عزما يرى كل شيء منه عن كثب (١)
وناولته يد الاصلاح منك اذا ... به يشع كنجم فى سما الادب
فاسترجع (المعهد العلمى) منزلة ... كانت له قبل فى اعلى ذرى السحب
قدمت فيه جهودا لست أذكرها ... ولا تزال تواليها بلا لغب
و (المعهد اليوسفى) اليوم نشهده ... ان غاب ذاك فهذا بعد لم يغب (٢)
الى مثائر أضحى الشعب يدرك مذ ... بدت له ما يرى عزا بلا تعب
ان قام يهتف هذا اليوم لا عجب ... وهل ترى فى أداء الحق من عجب
تملك البشر هذا الشعب اجمعه ... وأى قلب لهذا اليوم لم يجب
يوم به أشرقت شمس السعادة فى ... هذى البلاد فزالت ظلمة النوب
فدم لها وليدم ولى عهدك من ... يرعاه منك لهذا العرش خير اب

وقال أيضا فى ذلك اليوم السعيد :

(وحي العرش)

٢٥ شوال ١٣٦١ هـ

هل يرتضيني العرش من شعرائه؟ ... وأنا حليف الشعر تحت لوائه
افلا يغنى الطائر الغريد فى ... روض أثار الروض حسن غنائه
انا ذلك الغريد ليس علىّ من ... حرج على ترداد اى ثنائه
فى ظله انتعش القريض وقد سرت ... روح الحياة اليوم فى اعضائه
وتكاثر النبغاء بين هواته ... وتكاثر الانتاج فى نبغائه
هل كان هذا العرش منذ قيامه ... للمغرب الاقصى سوى نعمائه
جر الذيول بها على الدنيا وسا ... ر اليوم نحو المجد فى خيلائه
متمتعا بالوحدة الكبرى التى ... كانت له فى الدهر كل رجائه
متقلبا فيما له أسدى وما ... هو لم يزل يسديه من آلائه
عمت جوانبه الحضارة واغتدى ... يخطو به سرعان نحو علائه
صان الذمار له واوسع عهده ... لـ (المغرب الاقصى) بحسن وفائه
هو قد تعهد أن يدير شئونه ... فيما يفيد الشعب فى ابنائه
وفق المصالح ساس هذا القطر لا ... يبغى ـ وحاشاه ـ سوى اعلائه
شاد البناء له فارضى فى العلا ... الشعب والاسلام حسن بنائه
يا خالد العرش انثنى انثا لما ... اوليت نبغى اليوم بعض جزائه

---

١) يعنى القرويين بـ (فاس)
٢) يعنى كلية ابن يوسف بـ (مراكش)

لكنه ما عندنا الا الولا   هل ترتقي منا بمحض صفائه ؟
هل عندنا الا قلوب كلها   حب لما فى الشعب في بأسائه
فخر الملوك المعتلى عرش العلا   بدرا منيرا فى فضاء سمائه
من كان فذا فى الزمان بفكره   ومسدد الخطوات فى ءارائه
منذ اعتلى عرش الامارة لم يزل   يسعى لهذا الشعب فى احيائه
متحملا اعباء ذاك وانما   يدرى مقام المرء فى أعبائه
شعب يريد العلم يهتف باسمه   زمنا فجيتَ جواب صوت ندائه
شعب يخاف الفقر يطلب الغنى   أمنته وهديته لغنائه
شعب يؤمل أن يعيش كغيره   متمدنا حققت كل رجائه
هذا لسان العلم يشهد أنه   بيديك تسعى الدهر فى ارضائه
تتلو جهود منك اخرى مثلها   لم تأل جهدا قط فى انمائه
فى كل ناحية مدارس أصبحت   للشعب ـ هذا ـ ملتقى ابنائه
فى كل ناحية ملاجىء اسست   جبرا لكسر الشعب فى ضعفائه
وال سواها من ما ثرك التى   كانت يدا للشعب فى أعلائه

* * *

مولاى ان الشعب هب مرددا   يهناك فى الترداد حسن ولائه
قد قام محتفلا بعيدك هاتفا   بدوام ملكك ساميا وبقائه
مولاى دم للشعب ترعاه ودم   ترعى ولى العهد فى عليائه

﴿ تحية المؤتمر السابع لطلبة شمال افريقيا ﴾

٣ ـ ٧ ـ ١٣٥٦ هـ

باسم العروبة والاخا وبلاد   أحييتموها ، قد وقفت أنادى
وبوحدة ضمنت لنا عهدا نرى   فى طيه عهدا من الاجداد
وبغاية تسعون فى تحقيقها   متضامنين، وباسم حسن مبادى
وبما به للعاملين احس من   تقدير ما قد قدموا لبلادى
انى وقفت محييا أعمالكم   بقصيدة يهتز منها النادى
أوحى بها منى صفاء سريرة   شعرا يُرى حيا مدى الآباد
يا أيها الجمع الذى أبدى لنا   ما ليس من أمل البلاد بباد
يا أيها الجمع الذى ضمنت لنا   عزماته تحقيق كل مراد
أطلعتم شمسا أزاح شعاعها   عنا ظلام الجهل والانكاد
أهديتم للشعب كل حياتكم   ان الحياة هدية الامجاد
وبثثتم روح التضامن والولا   فقضت على داء الجفا وتعاد
لولا جهود منكم جبارة   من راح منا ما التقى بالغادى

انا نرى أعمالكم قد مثلت … بين الجماهر ها هنا فى النادى
تبدو لنا مثلا علا تدعو الى … تحرير امة يعرب ، وبــلاد
قد شادها حسن الجهادكما ترى … اعظم بما قد شاد حسن جهاد
تلك التى نشرت لنا ما قد طوت … من مجدنا أيدى الزمان العادى
تلك التى نهضت بنا نعلو الى … اوج منيع الشاو للقصّاد
فتبوأت منه بنا ما يرتضى … شمم العروبة فى العلا ، والضاد
حياك يا رمز الشهامة شاعر … هو بالذى أوليت اعظم شاد

* * *

أبنى الاباة من الغطارفة الالى … قادوا الزمان وكان صعب قياد
اجدادكم زمنا هم ساسوا الورى … حمد الزمان سياسة الاجداد
ومشوا على سنن العدالة حينما … يأبى العدالة غيرهم ويعادى
ملكوا البلاد وكان يقدم جيشهم … عزم صحيح لا يلين لعاد
خاضوا الحياة جميعها ودليلهم … عقل الحكيم وعزة الانجــاد
اسدوا أيادى ليس يُجهل قدرها … وبقدرها التاريخ جاء ينادى
صرح الحضارة هم بناة اساسه … شتان بــين متمم والبــادى
العلم يعرف من هم؟ والسيف ان … زحفوا بمجر عساكر لجلاد
شادوا المدارس للفنون وعلموا … ان المدارس منبت الامجاد
الشعب لا يحيا اذا لم تكن … فيه المدارس غاية الافراد
هيهات ان تحيا بلاد ، اهلها … لهم على جهل الحياة تماد
أبنى الاباة الى الامام فانما … هاذى النفوس الى الامام صواد
سيروا الى العلم الصحيح بأمــة … ضلت زمانا عنه نهج رشاد
وعليكم آمالها فاسعوا الى … تحقيق ما تبغيه من اسعاد
واليكــم يا منتهى آمالنــا … منى التحية من صميم فؤادى

﴿ رثاء الشاعر الزهاوى ﴾

٢٥ ـ ١٢ ـ ١٣٥٤ هـ

الا هكــذا تعنرو خطوب النوائب … ويسوَدُّ عيش الحرّ من كل جانب
وتبل بسوء الحظ نفس كريمة … فيقضى لها على جميع المطالب
ويمرح فى ظل السعادة جاهل … وتعبث بالاحرار ايدى المصائب
ويقبل دهر خائــن بنعيمــه … على كل مافون عن المجد ناكب
ويعرض عن حر لبيب اذا به … يتجرّع بالاعراض مرّ المشارب
اذا مابكى يستهزىء الدهر ان رأى … لبيبا تاسى بالدموع السواكب
وماذا الذى تجدى الدموع وانت فى … معارك للاهوال بين الكتــائب

فهيئ لها درعا دلاصا متينة   اذا قارعتك بالسيوف القواضب
والا فدونك الفجائع ان دهت   تشيّب حزنا كل سود الذوائب
ومن اعجب الاشياء انك لم ترع   بما راع كل الكون من نعى ناعب
نعى لشعوب الضاد كلا فقيدها   وقد كان معناه أجل النوائب
نعى للقوافى والقصائد ربّها   وأبّن للاقلام أعظم كاتب
وغادر (بغداد) تشق جيوبها   وهيج فى (بغداد) دمع النوادب
وهدّد اركان الشعور نعابه   والهب ما بين الحشا والترائب
الا قد قضى (صدقى الزهاوى) نحبه   كأن لم يكن فى الدهر احدى العجائب
فليت حمام الموت يبغى فداءه   فتفديه نفسى بين تلك المخالب
فياليته يختار فى الناس غيره   ويتركه للشعر فوق المناصب
مضى واثار فى الضلوع مضيه   لواعج ضيعت جميع التجارب
فقدنا بنى الآداب بعد بفقده   معالم للآداب مثل الكواكب
ثكلنا به خير الفوارس فى الوغى   يحزّ بسيف العزم هام المواكب
كما ثكلت به خطيبا منابر   يفيض بيانا فوقها كالغوارب
هوت راية الآداب بعد وأظلمت   بعيد أفول الشمس كل الجوانب
وحدت لفقدك القصائد بعد ما   تميس لديك ميس بيض الكواعب
فهاهى فى القرى تقيم مئاتما   تعدد من ذكراك خير المناقب
وفى (أوربا) يغدو صداها مرددا   ويقطع خلفها بعيد السباسب
كذاك جليل القدر يبقى مخلدا   عظيما وان أودته أيدى النوائب
وان متّ (ياجيل) ياشاعر الورى   واقصدت من أيدى المنايا بصائب
ستذكرك الآثار انت تركتها   وتندب فيك اليوم أعظم ذاهب
وتثنى عليك فى الزمان مواقف   وقفت بها للشعب دون المعاطب
تدافع عن حقوقه لست راضيا   بما سامه به لئام الاجانب
برايك طورا أو يراعك ذائدا   عن الوطن المغصوب عدوان غاصب
حفظت كيانه وأحييت مجده   وساءك أن يكون لعبة لاعب
اينساك شعب الضاد والارض كلها   تشيد بما اسديته من مواهب
اينساك شعب الضاد ، أنت رعيته   زمانا وحفظ العهد أوجب واجب
مضيت فمن للشعب يحمى ذماره   ويورده وراك عذب المشارب
ومن للفتاة اليوم بعدك راحما   وقد كنت للفتاة ملجأ هائب
وقم للفتاة (يا جميل) فانها   وراءك نالتها جميع المتاعب
تكابد فى الحياة بؤسا وانها   لتبكى عليك بالدموع السواكب
ووارحمتا لما اصاب فؤادها   وقد ضعفت عن حمل تلك المصائب

ستبكيك عمرها على أن ذا البكا قليل على من كان افضل ذاهب
ولكنما البكاء غاية عاجز توقد جنباه بصرف النوائب
فسر يا فقيد الشرق والغرب اننا وراك بنا ضاقت جميع المذاهب
على تربة ضمت عظامك والعلا سلام كزهر الروض غب سحائب

وقال يرثى من اسمه (أحمد) لعله أحمد علان الاسفى : أحد النجباء عندنا ؛ توفى زهرة ندية كما افترت

٨ ـ ٧ ـ ١٣٥٦ هـ

لم أبك جسما فى الثرى قد غيّبا لكن بكيت فتى يموت مهذّبا
وبكيت أخلاقا كما هبت صبا أرأيت عند هبوبها ريح الصبا
وبكيت اٰمالا لنا ما أشرقت حتى أتى ابانها أن تغربا
أكذا تمر بك الحياة سريعة ؟ ما حقها بك هكذا ان تذهبا
لكن عمر الحر يمضى مثل ما قد شمت برقا فى السما فتغيبا
الله أكبر ما رعت ذمما ولا رحمت أخا يبكى عليك ولا ابا
لم تدر حين دهاك منها خطبها ان قد دهت أدب البلاد ومطلبا
لو انها تدريك ما سلبت لنا ما عز فيك على الورى ان يسلبا
قد كنت ترغب فى الحياة لو أنه يجدى الفتى فى أمره ان يرغبا
احببت طول العمر حرصا أن ترى هذى البلاد تبوات بك منصبا
أبدا يسوءك أن نرى شعبا أبى عزا ولكن ما تقول لمن أبى
يا طالما قد سمته عزا فلا يكن الهوان لعيشه مستعذبا
صاحبتنى زمنا حمدت مضيه أجدر بمثلك فى الورى أن يصحبا
فعرفت ما ترمى اليه وما غدا لطموح نفسك فى المفاخر ماربا
وعرفت منك خلائقا وهى التى هاجت عليك مشاعرى أن اندبا
ما مات من أبقت له أخلاقه ذكرا يسير مشرقا ومغربا
الرزء رزء المجد والشرف الذى يبقى قرونا بالفتى متقلبا
من كان مثلك ليس يجزع أن يرى سهما اليه من المنون مصوبا
واذا الفتى حر فما أولاه أن شرعت سهام الموت أن لا يرهبا
ولتحى (أحمد) فى علاك ، وانها هى كل ما أدرى اليك محببا
واليك ممن قد شجوت تحية هى بعض ما حق الوفا قد أوجبا

وقال يرثى (حصارا) السلوى . الشاب الوطنى الغيور :

لم لا اذوب وقد طفت أشجانى واستنزفت عبراتها اجفانى
ان لم يذب هذا الجنان عليك من حزن ومن اسف فليس جنانى
غادرت نيرانا يشب ضرامها فى هذه الاحشاء من احزان

ماذا أقول وانني ذاك الذى … اخذ الاسى وزفيره بلسانى
أرثيك او أرثى بلادا ضعضعت … منها برزئك سائر الاركان
فقدت بفقدك همة تمضى اذا … ضاق الفضا بأسنة المرّان
حاولت أن تحيا البلاد وانما … تحيا حياة العز بالعرفان
واذا بلاد علمت أبناؤها … أمنت مدى الازمان كل هوان
ولطالما قد كنت تندب باكيا … حال البلاد بكل دمع قان
ودعوت للاصلاح لو اصغوا الى … داعى الهدى وفضيلة الانسان
وندبت للعليا وانك دائما … كالمستهام بحسنها الفتان
عانيت ما هد الجبال وانما … عانيته لمنافع الاوطان
ونهضت بالشعب النبيل وقدته … نحو المعارف والعلا بعنان
من ذا يسير كما تسير بشعبه … ويشيد ما قد شدت من بنيان
من ذا لآمال البلاد سواك يا … من قد سما عن همة الاقران
ما كان دأبك فى الحياة جميعها … غير الهدى لمعالم الايمان
اديت حق الشعب يا رب العلا … وطليعة العظماء والشجعان
ومضيت لو تفدى لكان الشعب من … يفديك بالارواح والابدان
ولئن قضيت فلست من ينسى له … ذكر زرى بالورد والريحان
خلفت فى الدنيا طنينا قد سرى … مسرى الصبا فى سائر البلدان
فالشعب بعدك كله يشدو بما … أسدت يداك بسائر الالحان
فانعم فقد خلدت فى الاوطان ما … ليست تنال طوارق الحدثان
وعليك يا (حصار) كل تحية … فى الخلد بين الحور والولدان

وقال فى ١ – ١٠ – ١٩٤١ م تحت هذا العنوان :

﴿ الصديق المودع ﴾

كنت ان ساعة مضت لا أراك … يعترينى ما يعترينى لذاك
كيف بى ان مضت أسابيع عنى … لم أكن فى خلالها القاك
سوف يقضى علىّ حتما اذا ما … حيل بينى أنا وبين لقاك
كنت فى كل ساعة تنتحينى … لتراني فى وحدتى وأراك
ليس يثنيك فى الدنا أى ثان … كيفما كان أن تزور أخاك
لا ولا حال حائل أن تؤدى … حق عهد أراه رهن وفاك
انما الحر من اذا أنت ترعا … ه على عهد وده يرعاك
أنت برهنت لى على نفس حر … بالذى قدمت الىّ يداك
فتعلمت منك كيف الفتى يو … سع عهدا حسن الوفاء بذاك
واطمأنت نفسى لكل صديق … بعد شك ينتابنى لولاك

لا تلمنى ان سوّت بالناس ظنا   اذ دهانى ما لم يكن قد دهاك
فاسبرن الجميع دهرا فما منـ   ـهم فتى ان تُواليـه والاك
كلما قمت أوسع الناس خيرا   أوسعونى اساءة واعتراكا

* * *

كدت مذ أن عرفت صدقك أنسى   كل ما قد لقيته من سواك
اذ تجليت لى بما كان عندى   من قبيل المحال قبل لقاك
ليت شعرى منذا يظن فتى فى   عنفوان الشباب كان هناك ؟
يحفظ العهد حفظك اليوم عهدى   أو يرى يفتدى الوداد فداك
مفرد أنت فى الوفاء وأعلى   مثل أنت فى الزمان بذاك
مذ تعرفت يا أخى بك ما جئـ   ـت بشىء يريب منك أخاك
دائما لا ولا تغيرت عنى   فكما كنت لا تزال اراك
ليت شعرى هل أنت أيضا ترانى   من يجازيك بالولا عن ولاك ؟
لست أدرى وليتنى كنت أدرى   أجدير انا ببعض رضاك ؟
اذ أرانى أقصر اليوم عما   كان يقضى به الوفا لعلاك
وَيح نفسى ماذا أقدم عما   لك عندى به يكون جزاك ؟
قد نعمنا معا يبادل قلبى   قلبك الحب صافيا بصفاك
وتمتعت بالـوداد طريـا   واجتنت منه ما تحب يداك
وحدتنـا مبادىء فامتزجنـا   امتزاجا يُحيل بعدُ انفكاكا
ان تـألمت تستفزك الا   مى كأن ما دهى أخاك دهاك
او تألمت مرة أنت أغدو   دامى القلب من لواعج ذاك
بين روحى وبين روحك معنى   فوق ما يدرك الفتى ادراكا
ان تألمت من فراقك حزنا   وامَضّ الفؤاد منى نواك
فلقد كنت أنت لاشك مثلى   ماأعترانى من الفراق اعتراك

وقال يرثى مصطفى صادق الرافعى :

﴿ لهفة شاعر على شاعر ﴾

– ٥ – ١٣٥٦ هـ

بأى لسان اغتدى اليوم راثيا   وقد عقد الاسى عليـك لسانيا
عهدتُ البيان كيف شئت يطيعنى   اذا ما دعوتـه يلبى ندائيـا
ولكنه قد أصبح اليوم حينما   قضيت كما تراه ينفر عاصيا
كأن لم أكن ذاك ألذى يخلب النهى   اذا ما أثار الوجد منى القوافيا
بلى ، اننى قد كنت لكن ما أرى   وما حل بى قد ضل فيه بيانيـا
فأصبحت جازعا تفيض مدامعى   وقد كنت قبل اليوم عز بكائيا

أصعد زفرات عليك وانها
وذا الشعر من تلك اللواعج كله
اذا ما توقدت جوانح شاعر
قضى(مصطفى) فارتجّت الارض كلها
ونكست أعلام البيان وصوحت
هزار القريض قبل يطرب شاديا
ففى شجوه ما يصدع القلب وقعه
أيا(مصطفى) قضيت نحبك وارتقى
وغادرت وجه الدهر أسود كالحا
وقد كانت العلياء عز جنابها
وخلفتها ثكلى تئن كئيبة
درتك فتاها كلما جد جدها
أيا (مصطفى) فارقت (مصر) وانها
لئن لبست عليك ثوب حدادها
ففى سائر الاوساط قامت مئاتم
وذا (المغرب الاقصى) ونحن لسانه
يعالج داء منك عز دواؤه
وحاول صبرا لم يطق عنك حمله
على أن داء النفس ليس يفيده
أيا(مصطفى)ما(النيل) ذا اليوم وحده
ولكن أعزى فيك أبناء (يعرب)
فنم خالدا يا (مصطفى) وعليك فى

لآية ما قد ناب منك فؤاديا
وان ضم من سحر البيان معانيا
أتى الشعر أنّات تهز الرّواسيا
أسى، واستحال الجو بالخطب داجيا
خمائله وكن قبل زواهيا
وها هو هذا اليوم يندب باكيا
وان كان الحانا اتت واغانيا
الى الملا الأعلى بك الموت راضيا
وقد كان أبيض الملامح زاهيا
فلما قضيت اليوم أصبح واهيا
ولو وجدت دمعا لأجرته قانيا
يحن اليها قلبك الدهر هافيا
لفى مضض الاحزان مذ كنت نائيا
وأمست تعانى مذ قضيت الدواهيا
تفيض من الاسى عليك مراثيا
يشارك (مصر) فى مصابك ءاسيا
واين لدائه يلاقى مداويا
ففاضت دموعه عليك جواريا
اذا كان حزنا ان يرى المرء باكيا
أعزى لان قد بات بعدك خاليا
جميعا ، وءايات العلا والقوافيا
ضريحك ناعما جليل سلاميا

أصاب شاعر (الحمراء) مرض . فكتب اليه ٧ - ١٢ - ١٣٦٠ هـ

﴿ وارحمتاه ﴾

لاتنزعج واهدأ برغم الاسى
جرح ضئيل قد تدارك شأنه
ما فى القضية ما تعير لشأنه
أدريك من يلقى الحوادث باسما
هيهات ان دهمتك أن تلفى سوى
لا تستلين قناته من هولها
ليست بأولى ما لقيت وما جنى

فيما رماك به الزمان القاسى
ءاس لديك وحبذا من ءاس
نظرا ولا تحفل بذاك الباس
فى وجهها ويكون صعب مراس
جلد الفؤاد المشمخر الراسى
بل يلتقيها دائما بالبأس
- وارحمتاه - عليك ظلم الناس

لا تذكّر يا شاعر (الحمراء) ما ... قاسيت منه وما تزال تقاسي
وتناس ما استطعت الحياة فانما ... يرتاح بالا عندها المتناسي
ماذا تؤمل فى الورى من بعد ما ... جهلوك كالملحود فى الارماس ؟
هون علينا اننا مما عرا ... فى غمرة الحزن العميق القاسى
ما بيننا من لم يكن مما جرى ... مستوقد الاحشاء ، أشقى ءاس
ماذا لقيت من الزمان وأهله ... الا عداء العقل والاحساس ؟
كم ارهفوا منك الشعور وجرعو ... ك الدهر للاهمال كم من كأس
لسنا نلوم الاغبيا فيما أتوا ... فالذنب كل الذنب للاكياس
عن رغم ذلك كله لا تيأسن ... فالشر أضحى كلـه فى اليأس
فلديك من يرعاك رعى بنوة ... بين الشباب الحى خير الناس
فهو الذى ياسو جروحك وحده ... أعظم به بين الورى من ءاس

وخاطبه أيضا بقوله ــ ٢٢ ــ ٣ ــ ١٣٥٧ هـ

«إلى شاعر الحمراء العظيم»

لمن يشكو الاديب سوى الاديب ... هموما فى سويداء القلوب
ودهرا يمتطى بالحر هـولا ... ويقرعه بأسياف الخطوب
كأن لـه ذحـولا يقتضيها ... ولكن من دم الحر الاديب
اتنتظر الزمـان يتوب مما ... يقارف فى الاديب من الذنوب
وتطمع أن تلين له قنـاة ... يريح الحر من هذى الحروب
وقد خضب الفضا بدم برىء ... واثخن فى الشباب وفى المشيب
اليك أشاعر (الحمراء) أبدى ... عواطـف شاعر حر كئيب
كلانا قد تحمل عبء هم ... وأضحى فى عباب من خطوب
كلانا يستثير قلوب صخر ... اذا غنى بألحـان الكـروب
كلانـا شاعر يبكـى ولكن ... على من ليس يسمع بالنحيب
أنسمع من ضروب الفن من لا ... يرى يهتز من تلك الضروب
فهيا (شاعر الحمراء) نشـدو ... لانفسنا وللادب الغريب
وللحب الذى سنديز منـه ... معتقة عـلى هاذى القلـوب
نغيب بها عن الارزاء انى ... أرى طيب الحياة مع المغيب
اذا ما العقل أسعد كل قوم ... سعدنا نحن بالعقل السليب
علامَ أ (شاعر الحمراء) تنبـو ... كأنى لم أكن لك بالقريب
أرى دوما أحاول منك قربا ... يفرق بين قلبى والوجيب
أيغدو الحظ حتى فيك ، منى ... كما تهوى العدا حظ الاديب

أناشدك الاخوة وهى ليست ... بأمر هين عند الحسيب
قضيت جميع ما أهوى اذا ما ... أنا أحرزت منك على نصيبى
متى يا (شاعر الحمراء) تحنو ... علىَّ حنو من يدرى كروبى
وتونس غربة قد أوحشتنى ... ألست أنا بدونك بالغريب
ولو انى صحبت البدر يوما ... لأهوى أن يميل الى الغروب
وانك من أود الدهر ان لا ... أفارق منه أى أخ أديب
سموت مكانة لم يسم يوما ... اليها المرء فى كل الشعوب
ولم احلم بها يوما وانى ... تنال مكانـة الفـذ المهيب
ولكن بيننا أدب سيـدنى ... كما نهوى بعيدا من قريب
ومثلك ليس يطغى ان تسامى ... وهل يطغى سوى الوغد المريب
حنانيك (شاعر الحمراء) انى ... على ما فات منك لفى لهيب
على انى سأنشد طول عمرى ... لديك متى أديب من أديب

وخاطب الاديب البونعمانى بقوله ـ ١١ ـ ٩ ـ ١٣٥٥ هـ :

لا تلمنى فاننى معمـود ... ان هذا الملام ليس يفيد
ابدا تعترى فؤادى ذكرى ... فتذيب الفؤاد وهو حديـد
ليس للذكريات معنى اذا لم ... تترك المرء وهو عان عميد
ليس للذكريات معنى اذا لم ... تنس للمرء أنه موجود
واذا لم تهيج الوجد ذكرى ... فى فؤاد فانهـا تفنيـد
أيها الشاعر المجيد أمالى ؟ ... كل عذر اذا أنا معمود
ولقد كنت شاعر الحب يامن ... هو بالوجد دائما مفؤود
ولقد كنت شاعرا كلما فا ... ض شعورا اذا الفضاء يميد
يبعث الشعرصرخة فاذا الكو ... ن قيـام لوقعها وقعـود
انما الشعر ما تثير عيون ... ناعسات ـ اذا بدت ـ وخدود
كنت من يستهوى الجمال ويصبى ... لبه دائما حسان غيـد
وكن اليوم عاذرا لمشوق ... دلَّهت قلبه عيون وجيد
أولست الذى يقول خليعا ... (ان ذا الحسن عندنا معبود)
أى شىء دهاك رب القوافى ؟ ... أين ذاك الوفاء أين العهود ؟
لاتلمنى على هوى وغرام ... انما اللوم فى الغرام مزيد
واذا لم تجد من اللوم بدا ... فكما شئت فهو ليس يفيد
ليس انى أبيت لكن طبعى ... فى الهوى قد عرفت ليس يريد
ما كفى الدهر فى فؤادى سهم ... فرمانى بآخر فيعيـد
لم يكن ذلك المصيب فؤادى ... غير أن المزار منى بعيد

أيها الشاعر العظيم جنابـ ... ـك لمن شفه اشتياق شديد
كن على العهد والسلام على من ... ملأ الكون منه ذكر حميد (١)
وليصن تلكم العهود الى ان ... نلتقي كما نشا ونريد

وخاطبه ايضا بقوله ـ ١١ ـ ١١ ـ ١٣٥٥ هـ :

(غـادة الشعر)

فاض فكري بالشعر في الاعتـذار ... كـل حين كمن بذاك يباري
انني لو تصفح القوم شعري ... لـدعوني بشاعر الاعتـذار
رب مـالي وللقيـود ومثـلـ ... لا يواتيـه غيـر خلـع العذار
وانـا شاعر طموح أبي الـ ... ـنفس لا ارتضي حياة الاسار
ان ورد الحياة مرٌ اذا لـم ... يـك فيه الفتى من الاحرار
مستبـد بنفسه وحجـاه ... وشئون الحيـاة والافكـار
واذا ما غدا الى اللهو يوما ... ليس يثنيه مـن يقول حذار
يتحلى بكل ما يرتضي الذو ... ق وان لم يكن لباس الوقـار
تظهر الوجد زفرة منـه تتلو ... زفرة ، لا يكنها خوف عار
خلق المرء ان يـدين لهـا ذا الـ ... ـحسن عن رغمه ، على مَ يواري ؟
ان شأن الجمال شان كـبير ... لا يواتي سوى النفوس الكبار
كل من لم تهج لحـاظ الغوانـي ... قلبه لا يعـد فـي الاحرار
لا يروق الاديب بعد الغواني ... غير عود وغير كأس العقار
هـذه نفثـة البيـان وان لم ... أك أدعى من قبـل بالسحار
هـي مرءاة شاعر يتجـلـى ... قلبـه كيف كان للانظـار
شاعر المغرب العظيم اذا ما ... قيل عدّ العظام في الاقطار
هـذه غـادة تحييك لكـن ... انها غادة مـن الاشعـار
خجلت حينما رأتـك عظيمـا ... لا تلمها ، فذاك شان العذارى
واحذرنها اذا رأتك فاغضت ... تلك حرب تشـار خلف الستار
ها كذا كل ما نقول اذا ما ... دب فينا الهوى دبيب الخمار
وانا من دريت أو سوف تدرى ... كيف وجدي ان كنت لست بداري
حي مني رفيقك الشهم ابرا ... هيم رب العلا وربه الفخار (٢)
وعلى شاعر (الرباط) سلام ... كنسيم الرياض في الاسحار

---

١) المقصود ابرهيم الالفي .
٢) ابرهيم الالفي .

لست أعني به سوى من تغنّى فوق أيك الاشعار مثل الهزار

وخاطب في ١٨ – ٣ – ١٣٥٧ هـ الاديب ابرهيم الالغي . رفيقه في الدراسة في (الرميلة) :

مـاذا يكـون لشاعر ءاثارا ... أبقيه عندك يا أخي تذكارا
أما القريض فقد أتيت بثّايه ... لكن أرى قومي بها كفارا
أسمعتهم وحي الضمير، وهل دروا ... – أواه – الا الـدف والمزمـارا
وهمست في أذن الطبيعة همسة ... ملأت بها هذا الفضا اسرارا
ووقعت عن وتر البيان بريشتي ... وقعا يرى الطرب الفتي أدوارا
فاثرت أشجار الرياض فتفتحت ... لسماع ما أشدو به أزهارا
وسرى النسيم يردد النغم التي ... أرسلت فاستهوى بـه الاطيارا
والقوم لا اسماع منهم للذى ... أبديه من معنى ، ولا انظارا
لم يعرفوا انى تذوب حشاشتى ... فيفيض منها ما رأوا اشعارا
الشعر ما يعلي الحقيقة في الفتى ... ويزيل عما في الضمير ستارا
فاتي يصور ما يساور ربّـه ... ويشع وسط حياتـه أنوارا
ما قلت الا ما شرقت بهمـه ... وجرت به منى الدموع غزارا
وتمزقت نفسي شعاعا حولـه ... وأمر عيشى هكـذا امرارا
ما العبقري سوى الذى يدلي بما ... في قلبه ويبين ما قد وارى
اعلنت في شعرى ميولى كلها ... واذعت للتاريـخ لي أسرارا
ان ثار همٌ بي توقد في الحشا ... أرسلت عنه من القصائد نارا
أو هاجني حسن الطبيعة قلت ما ... يحكي النسيم اذا سرى أسحارا
ما خانني في موقف فكرى على ... ما شئت من معنى له اظهارا
شيدت من أدبى النضير مكانة ... ورفعت منه لمعشرى أقـدارا
الشاعر الممتاز يعلي قومـه ... ويقيم فيهـم للكمـال منارا
ورسالة الشعراء ان يهدوا الى ... نهج العـلا وينوروا الافكارا
لو أن قومي يقدرون لشاعر ... قـدرا لعاشوا سادة أحرارا
وسرت بهم روح الحياة وأصبحت ... لهم المعـالى والفخـار شعارا
لاتعذلني ان أشيم بمنطقى ... سيفا على قومي يرى بتـارا
ان ثرت مما قد لقيت فهل على ... حر أبي لومـة ان ثـارا
دقت المرارة في الحياة وكابدت ... نفسي هموما لا تطاق كبارا
اأخي الذى أبدا أحن لعهده ... هاك الذى تبغيه لي تذكارا
شعرا تموج به الشجون كما ترى ... وتهب ريـح طيّه أعصـارا
لولا الذى بيني وبينك ما أنا ... أسفرت عما نابني أسفارا

ولنحي بالذكرى كما نهوى وهل احيا سوى ذكرى الاخا ، احرارا

وكتب الى الاديب سالم الرحماني ـ ٧ ـ ٨ ـ ١٣٥٧ هـ (١)

دم كما كنت للوفاء مِثالا وتذكر من ليس ينساك حالا
الفتى الحر من على العهد يبقى ويرى أن يحيد عنه محالا
لا يبالى مال الزمان يمينا لا يبالى ان كان مال شمالا
وارع عهدا تبسم الدهر فيه وأرانا ثغر المنى يتلالا
كان عهد الاحلام ُينعش منا املا فى الحياة عز منالا
يتراءى لديه وجه الامانى باسما يزدهى علينا جمالا
فنعمنا ، والحب يبعث فينا ما ترانا به نتيه اختيالا
نحن فى سكرة الهوى لانبالى عذر القوم أم أثاروا جدالا
فكأن الزمان القى زماما ان نقل يسمع الزمان مقالا
وكذا المرء كلما غمرته غبطة فى الحياة ينسى الزوالا
لم نزل نحتسى من الحب كاسا فاذا العهد حين ذاك استحالا
قد تولى به الزمان سريعا وكذا الدهر ليس يلزم حالا
فافترقنا وفى الفراق بلاء وخطوب على الفتى تتوالى
سيما اننى بقيت غريبا فى (جنوب) وقدقصدت (الشمالا) (٢)
فتبوأت فى الشمال جنانا وتبوأت فى الجنوب تلالا
كل يوم ترى الطبيعة تبدو غادة تخلب النفوس جمالا
فى جنان هناك تجلو بها الا زهار للناظرين سحرا حلالا
فغدت معبدا تقدس فيه لجمال يسبى النهى تمثالا
ليت لى ساعة هنالك اقضى ذمما للهوى علىَّ ثقالا
ان بى لوعة تثير دموعا وشجونا على الفراق طوالا
كنت جلدا على النوائب ، لكن ان تكن بين من احب فلالا
ان يوما ودعت مثلك فيه لهْو يوم أثار لى اهوالا
كيف أنسى رغم الحوادث عهدا كنت فيه اداعب الامالا
ولئن زال بعد ذاك فعندى ذكريات لذيذة لن ُتزالا
ما سوى الذكريات ينعش قلبى لا ولا غيرها يروح بالا
فانتعاشا بالذكريات ففيها ما يزيح العناء والبَلْبالا

---

١) سالم اليوم قاض كبير . وقد كان من تلاميذ (البرميلة) فاستقلم من (القرويين) .

٢) يعنى (فاسا)

ومن خطه رحمه الله :

وكتبت الى أصدقائى (مولاى مبارك الكتانى) و (مولاى الصديق العلوى) و (الاديب محمد العيادى) ومن اليهم (١)

﴿ صوت الاخاء ﴾

مالى وما لمدينة (الحمراء) ؟	أن أحى فيها كالغريب الناءى
لا من يحن لرؤيتى منكم ولا	من يستفز فؤاده لقياءى
افضى حياتى بينكم فى وحدة	فكأننى من جملة الغرباء
كم ظلت ابحث عنكم من ها هنا	لهنا واقضى اليوم فى استقصاء
ان خلت ناحية بها ألقاكم	أمشى لها فى لهفة وجواء
متعقبا خطواتكم انّى بدت	اثارها للعين فى (الحمراء)
متسائلا هذا لذاك كأننى	متقطع الاسباب فى الظلماء
لكننى - واحسرتا - كم عدت فى	اخفاق مسعى بعد طول عناء
ينتابنى ألم القطيعة ثم ما	يمنى به أملى من استعصاء
تتجاذب الآلام منكم مهجتى	فانا بها فى كربة وشقاء
وحدى أقاسى ما تسبب بعدكم	فكأننى 'متسبب' فى داءى
فعلى الاقل اليوم كونوا ان أغب	تتشوقون على الدوام لقاءى
ما ان احاول أن تكونوا انتم	فى كل ما ينتابنى شركاءى
عن رغم ما يقضى الاخاء من التسا	وى بيننا فى سائر الاشياء
ما ها كذا عودتمونى أن أرى	منكم لدى السراء والضراء
ادريكم تهفون نحوى مثل ما	يهفو المشوق الملهب الاحشاء
تترددون علىّ كل عشية	من غير ما ضجر ولا اعياء
ان غبت عنكم ساعة يشتد ما	تلقون من جراء طول تناءى
وانا كذلك مثلكم طبعا وقد	عرف الجميع مودتى وولاءى
ان كان هذا شانكم يا اخوتى	فابقوا كما قد كنتم كبقاءى

---

١) هؤلاء كانوا اذ ذاك مع شاعرنا أقرانا يتعاطون الادب فى (كلية ابن يوسف) ثم صار الاول أستاذا كبيرا فى الكلية وقد ورث المكانة العلمية التى لوالده مولاى على الدمناتى المرحوم . والثانى هو اليوم رفيع المقام (باشا) زطاط . بعدما كان كاتب المجلس الذى يشرف على الكلية . ثم كان فى سفارة (العراق) زمنا . وهو أديب كبير من أعلام الادب . وأما الثالث ، فقد أمتاز بين اخوانه باخلاقه وسمو فكره ، ففاز برضا والده . وهو اليوم قائد ممتاز فى (الرحامنة) وهو من أنشط الشباب .

عـودوا الى ما كنتـم وتيقنـوا … انى بدونكـم غريب نـاى

ومن خطـه ايضا :

قلت على لسان التلميذ النجيب السيد محَمد بن القائد العيادى وقد اتى بما يبهر الالباب . مما ينبىء عن مسقتبله المزدهر ـ ٦ ـ ٢ ـ ١٣٥٦ هـ

انا فى سماوات العلا ذلك البدر … نشرت ضياءى كيف طاب لى النشر
ترى اخوتى قد أحدقوا بى مثل ما … ترى البدر أحدقت به الانجم الزهر
نشأت على ما يرتضى المجد والذى … له ناشىء مثلى يحق له الفخر
ولى همـة لا تطمئـن الى مـدى … وان اغتدى من دون مبلغها النسر
اذا ما تجلى لى عـلاء مضى لـه … طموحى كما تمضى الى الثغر السمر
فأحـرزه والنفس تشرق بعـده … لما فوقـه . والسير يتبعه السير
اذا ظمئـت للمجـد نفس فانمـا … ترووى اذا ما اهتز من فخرها العصر
وسوف ترون الارض تهتز والسما … تميـد اذا مـا سار لى فيهما ذكر
ستخفق رايات العـلا فوق هامتى … ويحتف بى من جندها العسكر المجر
ملامح مـا أرمى اليه تهللت … بوجهى وذاك النور آياته الغر
وان كنت لم أزل صغيرا كما أُرى … فـانى شهـم أمره فى العـلا أمر
وكيف ولى من محتـدى أىُّ مفخر … اذا ما يباهينى بمحتده الغير
أقارعـه بكل أصيد ماجـد … من ءابـاءى الالى يحق بهـم فخر
ولى فوق ذاكم من معارف ما اذا … ذكرت يحق أن يصفق لى الـدهر
تتوجت بالآداب والخلق الذى … ترى مثل ما عن كمه انبثق النور
حبتنى معارفى بكـل عظيمـة … فأصبح يزدهى بىَ البر والبحر
فها أنـذا فلتغبطونـى سيدا … تساوى لديه السهل فى العز والوعر
أدل بنفسى اليـوم تيهـا وعـزة … وأشدو كما يشدو اذا طرب الطير
الا يا أبى لتفرح اليوم اننى … لما نلت من مجد يحق لـك البشر
وها يا أبى ما شئت من أدب ومن … علوم ومن خلق بها يثلـج الصدر
وقر بمجدى منـك عينـا فاننى … بفخرى حقا ذلـك الولـد البرُّ

وكتب الى الاستاذ سيدى محمد الرُّدانى (١) ٢٠ ـ ٣ ـ ١٣٥٧ هـ :

حنانيك أصليت الفؤاد ملاما … واوقدت فى الاحشاء منى ضراما
واوليتنى ما غادرتنى همومه … اعانى شجونا فى فؤادى، عظاما
فاصبحت حيران الجنان ، فما انا … افرق بعدُ من وراء اماما
ومن كابد العيش المرير فكيف لا … على عيشه يختار بعدُ زؤاما

١) ذكر هو واهله فى (الجزء الرابع عشر)

توالت صروف الدهر فيَّ وأظلمت   حياتي، وهل أرضى الحياة ظلاما ؟
عليَّ أود العيش ان لم يكن سوى   شقاء أقاسيه ، الحياة علاما ؟
ولولا اخلاء خلقت لحبهم   سللت على هذى الحياة حساما
وانك يا أخي (الرُّداني) منهم   فترعى على طول الزمان ذماما
فيبقى اخاء بيننا متمكنا   يحاكي بصافي اللون منه مداما
أنا ذلك الخل الوحيد فلا تدع   لريب عراك اليوم فيَّ ، مقاما
وتلك ظنون يعترى المرء بعضها   وليست كما علمت الا اثاما
ومن ذا يراعي للاخاء عهدهم   اذا ما سحابي كان فيَّ جهاما ؟
فان لم أزركم حينما كنت زائرا   هناك فلي عذر يرد ملاما
سأدلي به يوما اذا ما لقيتني   على شاطئ البيضا فانضو لثاما
وماذاك اني خفت عدوى كما ترى   أيعدى صحيح من يعاني سقاما ؟
وكيف وقد عاد الزمان كما تشا   اليك واني لا أزال مضاما (١)
أتى تائبا عما جنى بصروفه   عليك، وروَّى اليوم فيك أواما
وانا فرحنا مذ سمعنا بأنه   أنالك من بعض الامور مراما
وطب ياأخي نفسا وعش ناعما اذا   غدا الدهر ملقيا اليك زماما
وها أنذا خلي سأنهي اليك من   فؤاد براه ما براه ، سلاما

وكتب اليه أيضا في ١٣٦٠ هـ :

أكلما سُددت لي أسهم العَذَل ؟   بالحق استنجد الاشعار تشفع لي
واتقى سورة الغضبان منك بما   أنا أحبره في الشعر من حيل
فاستثير حنان القلب منك اذا   ما صغت فيك قريضا مضرب المثل
هناك تنكر ما قد كنت تعرفه   وينطلي عنك وجه الحق وهو جلي
نعم والا فكيف اليوم تحسبني   فيما جنيت بريء القول والعمل
ولم يقف بك حسن الظن بي وبما   مني جرى عند غض الطرف عن زللي
بل قمت تبعد عنك اللوم معتذرا   والله يعلم أولانا بذا العذل
وان ما قد حسبت أنت فاعله   أو قلته أنت لم تفعل ولم تقل
اني لأولى الورى بالاخذ عن زلل   وحدي أنا اذ جميع الذنب من قبلي
وانني لأنا المسئول ـ أعلنه ـ   وليس منك ـ وحاشا ـ أي مازلل
لكن سلامة قلب منك تجعلني   من ابرأ الابريا وكيف ذلك لي ؟
مع انني جد عالم بأن يدى   فيما جرى هي ذات الحادث الجلل

١) كلمة فيها كلام كثير : راجع اخر (الرحلة الثانية) من (خلال جزولة) فهي مطبوعة .

فكيف تزعم أن الذنب ذنبك لا ذنبي واني ما أوريت من خطل
كانما انت تبغى ان تغالطنى حتى اسلم ما قد قلت عن جدل
اذ ذاك تفجانى بالحق منقلبا عنى ، وتاخذنى بالذنب عن غفل
اهكذا انت بى تبغى لتوقعنى وقد سددت علىّ سائر السبل
وكيفما كان هذا الامر لست أرى غيرى جنى ، رغم ما ابديت منحيل
الله بى وبقلب مضه اسف منى واضحى بذاك جد مشتعل
هذا على أمل فى نيل صفحكم فكيف بى لو أنا فيه بلا امل

وهنأ النقيب ابن زيدان بحجته ١٣٥٧ هـ :

أكذا حياتك كلها ءايات هى للزمان وأهله غرات
أنى حللت فضجة تدوى اذا هذى الحياة جميعها نغمات
ليس العظيم مصدقا ما لم تقم فى كل أرض حوله ضجات
ان سار تخلفه احاديث العلا غصت بها للقوم منتديات
يدع الشعوب وفوقها جلال ما أبداه فيها تخفق الرايات
مثل (ابن زيدان) الذى ملأ الدنا ذكرا كما قد فتحت زهرات
سل (مصر) سل (بيروت) سل (أم القرى)
فيما تروم جميعها لهجات
واسأل ممالك،كلها مذ شاهدت وجه (ابن زيدان) بدا ، بسمات
ولكم من العظما أتوها قبله فكأنما هم دونه لم يالوا
لاغرو يا فرد المفاخر أن ترى بدرا له كل الدنا هالات
أسمعت صوت (المغرب الاقصى) الذى
لك فى سماء ربوعه ءايات
واقمت فى كل منزل تمثاله وكذاك تفعل للبلاد أباة
ونشرت فيه معارفا أضحى بها قومى وهم افذاذها ودهاة
كم من يد أسديت للعلم الذى هو للحضارة والعلا مرقاة
أوليتنا كم من عظائم انما يولى العظائم فى الزمان سراة

* * *

يا أيها الفذ الذى تهتز من كل البلاد لعزه جنبات
لك فى سماوات المكارم غاية وقفت حيارى دونها غايات
والمجد عندك من عقود طريفه درر على اللبات منتظمات
أما تليدك فهو ما ملأ الدنا صورا تطاطىء دونها هامات
انت الذى بعث النفوس الى العلا وأنار منك سبيلها مشكاة
دم هكذا والمجد جندك ، والعلا أبدا عليك كما تشا ، رايات

وخاطب كاتب الباشا سيدى محمدا الشرعى ١٤ سبتمبر ١٩٤٠ م بقولــه :

حنانيك لاتوسع فؤادى أنا عتبا وان كنت هذا اليوم مقترفا ذنبا
ولا تاخذنى بالذى كان واقعا فلا يد لى فيه فاستحق العتبا
ولكنها الاقدار هل يملك الفتى أمام القضا من غير أن يرضى القلبا
لئن كان تقصيرى من أسباب ماجرى فعذرى انى لست من يعلم الغيبا
على اننى من ذاك أحذر دائمـا واخشى الذى أدريه لايختشى الربا
الى ان جرى ما قد جرى فتحيرت دموعى أريد السكب منها فلاسكبا
وكادت تطير النفس من سورة الاسى شعاعا واضحى القلب ممتلئا كربا
وهل ينفع الاسى وان ذهل الفتى وأصبح من بلـواه لا يملك اللبـا
فرحماك لا تعتب علىّ لما جرى فانك أولى الناس بالصفح والعتبى
ولا تنتزع منى يد الثقة التى أباهى بها الاعداء فى الدهر والصحبا
لقد ظفرت يمناى منك بما أنا به ازدهى فى علوها الانجم الشهبا
وهل مطلب من بعد يبقى اذا أنا عطفت على الروح باللطف والقلبا
احس بعطفة اليك تهزنـــى وتجذب منى القلب نحوكم جذبا
بعطفة نجل مخلص الحب للذى رعـاه وأولاه العنايـة والحبـا
الا أيها الندب الذى فيه جمعت جميع خصال الخير والمجـد قد شبا
جمعت الى العلم الشريف خلائقا لطافا يحاكيها النسيم اذا هبا (١)
الى العنصر الذى تسلسل فى العلا كعقد يروع الشرق بالحسن والغربا
فجئت تتم العقد واسطة له فان لم يتم العقد لا يخلب اللبا
فكنت على تلك الارومة زينة وتاجا فطب بالعز أجمعه قلبا

وقال فى مولدية ربيع الاول ١٣٥٩ هـ . والعالم اذ ذاك يتلظى :

﴿ وحي الذكرى ﴾

كذا كلما حاولت دهرى قوافيا تفيض على الذكريات معـانيـا
وتسمو بروحى عن عوالم جمة وتجتاز افاقـا بها ومراقيـا
الى عالم فيـه تغازلنى المنى وتومىء امـالى الى ، دوانيـا
الى عالم فى جوه الحب قد صفا وفيه أرى كل الامانى زواهيا
الى حيث قلب المرء تنعشه المنى وتبعث امـالا بـه ودواعيـا
هنـاك الحياة المعنوية حلـــوة أعاقر من صهبائها ما صفا ليا

---

١) كلمة حق فى المخاطب . فانـه من أكثر النـاس وداعـة وملاطفـة . رحمه الله .

هناك المعانى يغمر النفس سحرها ... و'يروى فؤادا للسعادة ظاميا
انا الشاعر الدامى الفؤاد وانما ... اعزى فؤادا بين جنبى' داميا
دهتنى صروف لا تعد كثيرة ... فما لصروف الدهر ويحى وماليا ؟
وانى لذاك المرهف القلب بالهوى ... فرحماك ربى لاأطيق الدواهيا
ومن تعرك الايام مثلى فؤاده ... فاجدر بان يبقى مدى الدهر ءاسيا
حياة أضلتنى مناهج غايتى ... فأصبحت لا أدرى الورا من أماميا
فكم منية حاولت جهدى مثالها ... فاخفقت فيما كنت فى الدهر ساعيا
وكيف يعيش المرء ، لم يدرك المنى؟ ... «وليست حياة المرء الا امانيا» (١)

* * *

اذكرى أثيرى ما بى اليوم كامن ... فقد ضاق ياذكرى بذا القلب ما بيا
واحيى شعورا كان قلبى مهاده ... وينبوعه الفياض قبل معانيا
واملى على سمع الزمان روائعا ... من ءايات عهد كان بالمجد زاهيا
وعودى أياذكرى بروحى ورفرفى ... بها فوق عهد ماجد كان ماضيا
وسيرى بهذا العالم اليوم نحو ما ... يعالج داء فيه ما زال ساريا
وناديه فهو اليوم حيران انه ... على حفرة قد كاد يصبح هاويا
طغى فيه سيل جارف من عناصر ... تداعى بها ما لم يكن متداعيا
فاصبح والارزاء تفتك جهدها ... به يملأ الارجاء طرا مئاسيا
ففى كل أرض مأتم بعد مأتم ... وفى كل قطر ما يهيج المئاقيا
ثكالى وايتام ينسيك هول ما ... تقاسى من الآلام ما لست ناسيا
غدا العالم المنكوب للشر مسرحا ... يمثل ماساة به ومخازيا
صراع عنيف سوف يعصف بالورى ... ويهوى، بلا رحمى؛ بمن كان ساميا
وينقض ما قد شيد العقل فى الدنا ... ويقضى عليها أن تعود كما هيا
أثارته أطماع اذا ما تحققت ... – وأنى لها – فقم على الكون ناعيا
أرى كل شىء قد تناهى لحده ... وتأبى على طول الزمان التناهيا
فرحماك للانسان يا رب انه ... اذا لم تغثه اليوم يصبح فانيا
اذكرى أثيرى فى الحياة سبيلنا ... وكونى لنا عونا الى الحق داعيا
فانك ذكرى من هدى الخلق أولا ... الى الحق فاهديه لقد ضل ثانيا
وابدى لنا سرا كذيالك الذى ... به كان عهد المصطفى قبل باديا
يوحد أفكارا اذا ما توحدت ... سينضم بعض الناس للبعض راضيا
واذ ذاك رايات السلام ستغتدى ... ترفرف فوق العالمين عواليا
ومن لى بعهد مثل عهد (محمد) ... يحقق ءامال العلا والامانيا

---

(١) شطر قديم .

ويلقى على الدنيا شعاع اخوة ... ويجعل كل العالمين سواسيا
ويهدى شعوب الارض للحق انها ... لفى حاجة لمن يرى اليوم هاديا
ويرجع للاسلام سابق عهده ... ويعلى منارا للفضيلات عاليا
ويحمى حمى عصر الحضارة والعلا ... ويطلع فى أفق الحياة الدراريا
ويوحى لها ذا الكون بالمثل العلا ... ويجلو قلوبا بالمساوى صواديا
فتحيا كما تهوى الشعوب وتعتلى ... مكانا على هام الحضارة ساميا

وقال فى (مراكش) :

لا ينمحى بتتابع الاعوام ... ما شاده فى المجد كل همام
يبقى على طرس الخلود مثاله ... كالتاج للايام فوق الهام
ماضر رب المجد ان سكن الثرى ... من بعد ما قد نال أوج مقام
رب الفخار وان تقادم عهده ... نرعى له فى الدهر كل ذمام
فليهن أرباب الفخار خلودهم ... ان الفخار قضى لهم بدوام
ءاثارهم سور العلا تتلى على ... سمع العصور بالسن الاقلام
انظر الى ما شادت العظماء من ... ءاى الخلود بعينى الاعظام
واجل لحاظك فىالقصور ومالها ... من باهر الابداع والاحكام
فمدينة (الحمرا) اذا ما شوهدت ... ءاثارها تنبى عن الاعلام
فيها من ءاثار البراعة ءاية ... وكفى بها هذا المنار السامى
تاهت على كل العواصم وارتقت ... للمجد والعلياء فوق سنام
ومواقف الضرغام يوسف بوأت ... لمدينة (الحمرا) عظيم مقام
وغدت بها أم العواصم كلها ... ومقالها فيها مقال حذام
شادت لها عرشا على متن العلا ... بظبا الصوارم والقنا وسهام
دانت له الاقطار طرا انه الـ ... ـعرش العظيم لمالكين عظام
جعل الملوك أذلة ما ان هم ... لولاه الا ضراغم الاجام
فليسأل التاريخ أعظم شاهد ... عن منتهى (الحمرا) فى الاعظام
ماذا لها فى كل عهد منذ ما ... مهدت لها العليا يد المقدام
فى كل عهد تستزيد كمالها ... مجدا يوطده غرار حسام
كم من بنود فوقها خفاقة ... رفعت لنصرة دولة الاسلام
ولئن مضت تلك العهود ومن بها ... من ماجدين متوجين عظام
فمدينة (الحمراء) ما زالت على ... رغم الحوادث معهد الاعلام
كم من معاهد للمعارف شيدت ... فيها وكانت منهل الافهام
هذا(ابن يوسف) معهد قدكان مذ ... عصر طويل فى أعز مقام
احيا علوما قد عفت ءاثارها ... ومحا بنور العلم كل ظلام

كم من نوابغ تابعت تخريجهم … جيلا لجيل سائر الاعوام

وقال متغزلا :

اعلمت انى كل حين … ينتابنى الوجد الدفين ؟
فاظل أرسل أدمعى … والدمع قد يشفى الحزين
لكننى لا الدمع فى … وجدى يفيد ولا الانين
انى عميد هل ترى … داء كداء العاشقين ؟
أعيا الورى داء الهوى … ايفيده الدمع الهتون ؟
كلا ولكن انما … يغرى العميد الى الحنين
يا من تملك حبه … خفاق قلبى منذ حين
رفقا بقلب لا يرى … لسواك فى الدنيا يدين
ما حسن وجهك كل ما … أصبحت منه فى جنون
كلا ولا القد الذى … يهوى اليك الناظرين
لكن معنى فيك لا … يدريه الا الشاعرون
لما تجلى قمت – لا … أدرى شمالا من يمين
ووضعت ممّا راعنى … كفى على القلب الحزين
فكأننى التمثال لا … أبدى الحراك ولا السكون
يا من أعانى فى هوا … ه اليوم أصناف الشجون
انى كما تدرى وكن … فيما دريت على يقين
ما شاعر من لم يدن … فى الحب للسحر المبين

وقال يخاطبنى ٧ – ١١ – ١٣٥٤ هـ وهى من أولياته :

هويت وما تدرين ما كان من أمرى … وهذى دموع الوجد من مقلتى تجرى
وانى على ما تعلمين يهيجنى … الى ما أقول ما أكابد من هجرى
اذا ما شكوت الحب قلت فضحتنى … ولم ترحمى دمعى ولم تقبلى عذرى
فها أناذا أطوى جناحى على الجوى … ولست اذا أفشيت سرك بالحر
افاتنتى هل ما أريد بلوغه … قريب وقد قاسيت مالم يطق صبرى
افاتنتى ردى لحاظك انها … احدّ على قلبى من البيض والسمر
سل عنى الليل البهيم فانه … سينبيك عن صدق بما كان من أمرى
ابث اليه ما ألاقى من الاسى … ولست لغير الليل أكشف عن سرى
سل عنى النجم المراقب فى السما … اذا هجع النوام، مايعترى صدرى؟
أبيت واننى على مضض الجوى … تفيض دموعى كلما جلت فى فكرى
حنانيك من نفس تذوب وعبرة … تفيض وقلبى من دلالك فى شكرى
افى كل يوم أبصر الجو قاتما … اما لليالى الصد والهجر من فجر ؟

متى تصلين هائما بك مغرما ... فيحظى بما يهواه منمرشف الثغر

* * *

لعمرك ما شاق الفؤاد كواعب ... يمسن كأفنان مفتحة الزهر
ولكن دعا قلبى هوى خير سيد ... غدا ذكره مثلالنسيم الذى يسرى
محمـد المختـار ذالكم الذى ... يجل ثناه فى الزمان عن الحصر
بأى لسان أم بأيـة صيغـة ... أردد بعض ما يخصك فى العصر
لان الذى أقول دون الذى أرى ... لديك من المجد الصميم ومن فخر
وكيف تفى بما لديك قصائدى ... وفى كل يوم أنت للمجد فى سير
بلغت مقاما فى المعارف لا يرى ... لغير الذى يجرى اليه كما تجرى
تبوأت فى العلياء ما لا يخالـه ... رجال مضوا ، ينال فى آخر الدهر
فانـى لأشعارى لديك ملجلج ... وان كنت ءاية ـ اذا قلتـ فىالشعر
خلقت لهذا المجد ما غيرك ارتقى ... وللشعب تحميـه بعزمك من شر
وللعز والهدى وللعلم والندى ... وللدين والدنيا وللشعر والنثر

* * *

(أقول) : هذا ما اخترت أن أسوقه فى ترجمته هنا . وقد اجتهدت أن أسوق من كل ناحية . وتركت الباقى حتى نطبعه فى ديوانه ان شاء الله فان له فى مخدومه الباشا وغيره قصائد طنانة . رحمه الله . ولاريب أن الذى يقرأ كل ما تقدم يخرج بنتيجة واحدة . وهو أن الرجـل خلـق شاعرا . ولكنه لم يعمر حتى يروق ما يقول . ولذلك تراه يعلو أحيانا ويسف أحيانا فايا كان فهو احد شعراء (سوس) الشباب . وكفى به مفخرة .

* * *

السابع والثلاثون سيدى محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن محمد ابن محمد بن أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد ابن الشيخ ابرهيم بن على ابن أخى الفقيه سيدى الحاج محمد "واعزيز ـ بتشديد الواو . وبـذلك عرف ـ أخذ القرءان عن الاستاذ سيدى محمد بن عبد الكريم ـ المتقدم ـ الذى يعلم فى مسجد (تيديلي) ثم فى (تيغانيمين) ثـم لازم سيـدى الحـاج مسعودا من ١٣٣٨ هـ الى ١٣٤٨ هـ . ولما تخرج شارط فـى مسجد (أيت ملـول) ثم فى مدرسة (سيدى ميمون) . وهو الآن ١٣٨١ هـ فـى مسجـد (ايرحالن) من (كسيمة) . وهو فقيه هين لين . له خط جميل . وقد لاقيته مرارا وجالست يوما . فمما أنشدنى :

وطول مقام المرء فى الحى مخلق ... لديباجتيـه فاغترب تتجـدد
فانى رايت الشمس زادت محبة ... الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد

ومـن ذلك أيضـا :

حكى أباه بما جرى فلا عجب فوثبة الشبل تحكى وثبة الاسد

ومـن ذلك أيضـا :

واذا الكريم مضى وولى عمره كفـل الثنـاء بعمر ثـــان

ومـن ذلك أيضـا :

ان الشباب لرابح من باعه والشيب ليس لبائعيـه ربـاح

الثـامن والثلاثـون : سيدي عبد الملك بن ابرهيم بن احمد

هذا هو الفقيه الذى عنونا به بادىء ذى بدء . وهو الذى كان علىشرطنا وهو من أولاد سيدى الحسن بين أعقاب الشيخ سيـدى ابرهيم بن عـلى . قال فيـه المذكور :

(كان رضى الله عنه عالما جليلا . أخذ أولا عن علماء أهله . ثم لازم الفقيه سيدى محمد أوعابتو . ثم لازم المشارطة فى مدرسة (سيدى ميمون) فـى (كسيمة) يدرس فيها . ثم فى مدرسة (ايسيمنا) ما شاء الله فى(تانكرت) يوم سكن فى مسقط رأسه (تيغانيمين) ثم راجـع سكنى (كسيمـة) حيث أمضى طوال عمره الى أن شاخ . وقد لزم الخلوة والعزلة عن الناس . مشتغلا بتلاوة القرءان . ولاسيما بعدما كف بصره . وقد كان يلازم ءال الحاج العربى رؤساء (الدشيرة) الى أن توفى فيها ١٣٧٣ هـ وله من العمر ٨٧ عاما تقريبا)

(أقول) : اننى عرفت هذا السيد . ولاقيته مرارا . بل كنت أحرص على رؤيته كلما مررت هناك . وهو وسط فى معلوماته . وقد افادنى كثيرا فيما أنا بصدده من جمع أخبار أهله وغيرهم . وقد لاقى الشيخ الالغى واخذ عنه . ويرفع رأسه بذلك . وقد انساق الى ذلك بسبب ءال الحاج العربى التابعين للشيخ . ولايزال يلهج باخباره . وهو حسن النيـة والمقاصـد . يحترمه الناس ، ويكرمونه الى أن توفى . وقد امتد بـه العمر حتى ذهب أقرانه . وعاش فى بيئة لا يوافقها ولا توافقه . فراى كيف تكون الغربة فى وقت قيدته فيه الشيخوخة والعمى . فصابر الى أن لقى ربه رحمه الله . وبترجمته انقضى الكلام فى ءال الشيخ سيدى ابرهيم بن على الذين نحس باننا لم نوفهم حقهم الواجب ، ولعلنا تركنا منهم البعض . كما اننا لم نات بظهائرهم . لاننا لم نتلقها منهم وكيفما كان فقد بذلنا الجهـد . ومن بـذل جهده فهل عليه من ملام ؟

الشريــف

سيـدي عبد الله الشناح

نحو ١٢٥٠ هـ = نحو ١٣٢٨ هـ

نسبــــه :

الحاج عبد الله بن أحمد بن على بن على ـ مكررا ـ بن أحمد بن على بن عبد الرحمن بن محمد ابن الشيخ ابرهيم بن عـــلى التاناني مـن الفرع القاطنين في قرية (تاماگوست) لم نعرف من أوليته شيئا . الا أنـه حفـظ القرءان وحصل ما حصل من العلوم . ثم رحل الى (فيگيگ) يتطلب سلسلة نسبهم المتصلة بسيدى ابرهيم بن على . فبقى هناك سنة . وقد كان مشارطا فى مدرسة (سيدى أبى السحاب) حينا فى مبادئه . ثم ذهب بسلسلة نسبه الى (فاس) ليتوصل بالتحرير . فبقى سنة ليتصل بملك الـوقت سيـدى محمد بن عبد الرحمن . أو ابنه مولاى الحسن . ثم اتصل بالملك بعد مـا اهدى له مصحفا بخطه الجميل ، فكتب له هذا الظهير :

(جددنا بحول الله وقوته . وشامل يمنه ومنته . لماسكه المرابط الحاج عبد الله بن على (١) واخوانه حفدة الولى الصالح سيدى ابرهيم بن عـــلى القاطنين ببلاد (ايداوزيكى) حكم ما بيدهم مـن ظهيرنـا الشريف . المتضمن سدلنا عليه أرديـة التوقير والاحترام والرعى الجميل المستدام . واسقطنا عنهم الوظائف المخزنية . والتكاليف الامامية . رعيا لوقوفهم فـى مصالـح الرعية ، واعانتهم لنا . الا ما أوجبه الله عليهم من زكاة الاعشار . الواجبة على المسلمين . اذ لا تسقط عن مسلم . فنأمر الواقف عليه من خـدامنا ؛ وولاة أمرنا أن يعمل بمقتضاه . ولا يحيد عن كريم مـذهب ولا يتعداه . صدر به أمرنا الشريف المعتز باللـه فى ٢٧ ذى الحجـة ١٢٨١ هـ . وفى الطابع محمد بن عبد الرحمن)

---

١) نسب هنا الى جده . والا فهو ابن أحمد بن على .

ثم انـه طلب من الملك اطلاق القائد محمد المتوكى المسجون اذ ذاك بـ (فاس) . وقال للملك : اننى لا أعرف القائـد . غير اننى أسمع الثناء عليه من جميع الناس . فسرحـه الملك . فصاحبه القائد معه ؛ فالزمـه ان يبقى معه . وأن يعلـم أولاده . فهو الذى قرأ عليه ولـده القائد عبد الملك القرءان ؛ وبين يديه شب فنال عند القوم حظوة . فكانت بغالهـم لا تزال تتردد الى داره بالخيرات دائما طوال حياته . ثم تولى القضاء فى عهد القائد عبد الملك . مع قيامه بزاويتهم فى (تامكوست) وهو رجل صالح توثر عنه الكرامات عند السامرين بأخباره . وكان لمكانته عند القائد يستشفع بـه الناس عنده كثيرا .

اتصاله بالشيخ الالغي

حضر مرارا أمام الشيخ فى وفاداته على ءال (بووابوض) (١) فرأى كيف يصرصر عليهم بمواعظه وكيف يطأطئون رؤوسهم أمامه . حتى القائد عبد الملك الذى كانت هالته هيبة لا تتخطى . فانهـا تنماع اذا كان أمام الشيخ الصؤول . فاثر ذلك فى المترجم . فأداه ذلك حتى تقدم الى الشيخ ؛ مادا اليه يده . فأعطاه العهد على أن يؤوب الى ربـه . وقد كان ذلك وشمسه على أطراف النخيل . فلم ينشب أن أتاه أجله رحمه الله .

وهو أحـد العلماء التيغانيميين . وقـد رأيت كيف بنو عمومته فيما تقدم . وليس عندنا الآن عنه الا ما سطرناه .

كيـف مـات

فى ءاخر حياته كان شيطان من شياطين الانس الذين يعادون أهـل الخير . يتنكر هو وأهله للمترجم وأهله . حسدا لهم على الذى أعطاه اللـه لهم ؛ ففتك به وهو فى المسجد . ويقال انه كان قال اذ ذاك لجليس له : ان الذين سيفتكون بى جاءوا . وأسند ذلـك الى صياح طيور صاحت أمامـه . فرحمه اللـه .

---

١) اسم مركز قيـادة المتوكيين .

سيدي

الحسين التامكونسى التنانى

١٢٧٢ هـ = ١٧ - ٢ - ١٣٦٥ هـ

نسبـــه :

الحسين بن سعيد بن محمد

نحن الآن فى ترجمة عارف بالله كبير المقام . عظيم القدر . أمضى عمره . وقضى شبابه كله فى باب الله . ولم يزل طوال عمره فى ميدان التوجه الى الله انابة وارشادا ؛ الى أن أسلم روحه لربها . وهو واسع الترجمة . وقد استطاع ولده الذى ورث مقامه أن يكتب جملة صالحة فى أخباره . ولذلك نترك له وليراعه أن يجلو لنا المترجم . فان أهل مكة أدرى بشعابها ؛ الا أننا سنأخذ من كلامه ما يوافق مشرب هذا الكتاب . وقد يعتنى هو ببعض أمور لم يألف القارئ أن يقع كثيرا عليها فى هذا الكتاب . مما يروج بين الفقراء من الخوارق التى يلم بها الروحانيون وحدهم . كما يرى ذلك فى الكتب التى يترجم فيها أكابر مشايخ الزوايا . كالمرقى . والمعزى . والتشوف وأمثالهما ، والمؤرخ يقبل ما نقتبسه للاستنتاج وللاعتبار . وهل يكتب كل ما يكتب للتاريخ الا للاستنتاج وللاعتبار . على أن الكرامات ثابتة بالكتاب والسنة . وان كانت الحياة العادية لاتؤسس عليها .

قال بعد الخطبة :

هو الحسين بن سعيد بن محمد . التامكونسى التنانى أصلا ومنشئا . ونسبه ينتهى الى سيدى سليمان بن الحسن فى (أباينو) من (أيت بعمران) وعليه مشهد وحَمّة ماء يقصدها المرضى كما تقصد حمة أبى يعقوب بـ (فاس) . ولسيدى سليمان سلسلة نسب فى الشرفاء المشهورين (١) ولد والدى سنة ١٢٧٢ هـ

متعلمه

قال كنت أقرأ وحدى فى مسجد قريتنا . وكان أبى محبا للخير

١) ذكر فى(الجزء العاشر) فى ترجمة محمد المرسى المعدرى .

وذويه . وكان يمشي معي في الثلث الاخير من الليل . ويسخن الوضوء . وانا اقرأ حتى يستيقظ الامام .

قال وكان ابي كلما قرأ الطلبة القرءان يبكي حتى تخضل لحيته بالدموع . وكانت أمي تقوم في منتصف الليل متوجهة الى القبلة . مبتهلة الى الله ان يصدق رجاءها في حتى أحفظ كتاب الله الكريم .

على هذا النمط نشأ الوالد . ووالده يحفزه الى كل خير . الى ان وصل سورة (الانعام) وهو لم ينس شيئا مما مر عليه . بل حفظ كل ماقرأه حفظا جيدا . وبعد ذهب الى (ايسّقال) (المدرسة الشهيرة عند التنانيين بكل خير حتى الآن) فصار يأخذ دروسه من تتميم حفظ القرءان . ومن حفظ بعض المتون المتداولة في المدرسة . كالتحفة لابن عاصم . والالفية لابن مالك وما أشبه ذلك .

النفحة الصوفية الاولى

أخبرني رحمه الله قال : كنا نظن أن الرجولة في تعلم العلم وحده . فبالغنا في تحصيله حتى حصلنا منه ما شاء الله ولكن لم يرو ذلك غلتنا . فطوينا ذلك كله طي السجل للكتاب . ثم رجعنا الى المنهل العذب فشربنا وسقينا فروينا وأروينا والحمد لله . ومن لم يجمع التصوف الى علمه فلن يعيش الا في الظلمات .

قال : كنت في أيام دراستي في (ايسقال) هائما بحب الاولياء وذكرهم . فكنت أقول في نفسي ليت شعري كيف حال هؤلاء ابشر مثلنا أم ملائكة أم قوم آخرون . فذكرت ذلك لاستاذي سيدي ابرهيم الايسقالي فقال لي : أشتغل بقراءتك . وقد كان فانيا في العبادة . وفي سرد الحديث في الرمضانات . وبينما أنا في تلك الحيرة ذات يوم . اذا برجل مقبل في الهاجرة . وقد تلفع بكساء . ودخل توا الى قبة سيدي محمد البوفرواني – وهو صالح عليه مشهد هناك ازاء المدرسة – قال : فقلت في نفسي ربما يكون هذا أحد الاولياء . فقمت من حيني وأتيته بماء بارد . وخبز وادام . فلما شرع في الاكل سألته قائلا: ياسيدي بالله عليك اخبرني الخبرالصحيح عن هؤلاء الذين يسمون الاولياء . هل هم بشر مثلنا . أم كيف هم ، قال : وانا اذ ذاك قبل البلوغ ، فحملق الى الرجل ما شاء الله . ثم اطرق . وقال : عليك بطريقتهم . فان لم تلحقهم لحقوا بك ، ومن سبق له شيء يناله

قال الوالد ولم اقنع بهذا الجواب الغامض . فارسلت الى استاذنا صديقا له يسمى فقيه (أيت مبارك) وبذلك يسمى وكان لايفارق استاذنا الا قليلا . قلت للرسول : أريد من الاستاذ ان يدلني على رسول الله صلى الله

عليه وسلم . فاني اليه لمشتاق، وبتلهفي على رؤيته لمحترق . قال وبعد يومين سألت الرسول عن الجواب ، فقال : ان الاستاذ يقول لك . الزم لوحتك . فتلك منازل لايدركها الا الرجال ، قال فزادني جوابه احتراقا . وما كنت أدرى اذ ذاك أن الاستاذ المسكين ، لما يصل الى شيء مما ظننته فيه . وان كان عابدا . قال : فسرت على هذا النمط الى أن من الله علينا بسبب كل خير . واذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه ، قال : كانت المدرسة الايسقالية متاخمة لـ (حاحة) ومجاورة لها وكان أستاذنا فيها . مطاع الكلمة . مفتي زمانه ، لاترد له فتوى . ولا تعجزه دعوى . وكان اذا افتى فى مسألة يقول لمستفتيه اجعل هذه الفتوى على رأسك من هنا الى (فاس) فان ردت عليك فخذ ما أعطيتنى عنها وهو من الآخذين عن أحمد أوجمل الاستاذ الكبير (١)

قال : وكان يجمع أعشار نخل (أيت عيسى) ويفرقه بالسوية على المساكين . والمدرسة غاصة بالطلبة من كل حدب ينسلون . وقد يبلغون الى مائة ، ولا يقلون عن خمسين . قال : وكان الفقيه متمسكا بالطريقة الاحمدية وكان مجدا فى نشر العلم وفى العبادة حتى انه فى رمضان يظل النهار على حديث البخارى نهارا يجتمع لذلك الناس من القرى حتى البعيدة الى العصر ثم يختم فى كل ليلة ختمة من القرءان . وما زال على هذه الحال . الى أن قيض الله الرجل الصالح سيدى محمد بن على الافنتارى الماسى . كان مشارطا فى قرية من (أداوتنان) وكان مستهترا بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ان كل من لقيه يسأله أكان يرى النبى صلى الله عليه وسلم . فان أجابه بالنفى يقول باكيا : ضاعت الاعمار من الناس . وتوثر عنه كرامات فقد ذكر أنه أدلى دلوه يوما الى بئر ليتوضأ لصلاة الفجر . فامتلأ الدلو فضة فصبها فى البير . فأعاد الدلو فامتلأ ذهبا . فصبه أيضا فى البير ، وقال اللهم انى لا أريد منك الا ماء أتوضأ به لصلاتى . فامتلأ الدلو فى المرة الثالثة ، ماء فتوضأ .

وأكدت زهده فيها ضرورته   ان الضرورة لاتعدو على العصم

قال الوالد ـ وكان فيمن حضر يوما مع الطلبة دروس البخارى فى رمضان ـ فبينما السارد يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، اذ غمز برجله أويده استاذنا قائلا : ان هذا الذى تذكرونه حاضر معكم الآن . يعنى النبى صلى الله عليه وسلم . قال الوالد وكان المجلس غاصا بالمستمعين . فاطرق الجميع فكأن على رؤوسهم الطير . فسكت الاستاذ ما شاء الله . ثم استانف درسه الى أن أتمه فأوصى تلميذه ، الفقيه الناسك سيدى محمدا الدمناتى أحد التلاميذ المرابطين فى المدرسة (الايسقالية) اذ ذاك وكان صواما قواما وممن

١) ذكر فى (الجزء الرابع عشر) فى مشيخة أحد العلماء الماسيين .

يصوم الدهر كله . اخبرنى عنه والدى قال : أحيا ليلة السابع والعشرين في رمضان . فقال لزوجته انى نائم نومة ريثما يسخن الوضوء ، فاذا سخن فايقظينى ولا تدعينى حتى يطلع الفجر . قال : فلما اغفى اذا به يرى فى المنام استاذنا ــ وهو ميت اذ ذاك ــ يقول له اتظن ان الرجال فى الدنيا هم الرجال في الآخرة . كلا ثم كلا . ان الرجـال ههنـا من ياكلـون العشاء ويفتشون عن الغداء ، لكن اذا صلوا . لكن اذا صلوا . يكررها حتى استيقظ الراءى من نومه . فكانت له أعظم حافز . واكبر منبه من الغفلة ، قـال : أوصى الاستاذ تلميذه المذكور أن يهيىء عشاء يناسب ضيفه فانضج قديدا في طويجنة . كما أوصى الحاكى وهو الوالد أن ياتى بخبز من دار الفقيه ، لان الوالد كان يدخل دار الفقيه ويأتى منها بكل ما لابد منه . وقد كانت له صلة بينه وبين والده سعيد . ولأنه صغير لم يبلغ الحلم بعد ، قال الوالد أنا الذى أذهب بمايقبضه من الفتاوى والقضاء . فأضع الدراهم فى الصندوق اضع ريالة على أخرى . الى أن تبلغ أعلى الصندوق الذى هياه الفقيه للدراهم والانصاف والارباع كذلك . فاذا فتحت الصندوق تجده كله منضدا بالفضة فلما صلى الناس العشاء أختلى الاستاذ بضيفه . وثالثهم هو الوالد . وهو يناولهم الماء للشراب والاتاى لما يكن اذ ذاك موجودا عندهم فى تلك الناحية قال : فتحادث الصالحان الاستاذ والضيف معاً ما شاء الله . ثم قال الاستاذ اننا طالما أنضينا الرواحل فى هذا المضمار . ولم نصل بعد الى شىء ، ولـو كان أحد يصل الى شيء من هذا بعبادته واجتهـاده لكنت أنـا أوفر حظا ، فقال له ضيفه هذا لايذوقه الا من سلك الطريق على يد شيخ حي عـارف ، من أرباب الشان . ليوصله الى مراده . بلا تعب ، فقال له الاستـاذ : قـد راينا ذلك فى كتب الصوفية . ولكن لاشيخ حيا فى هذا الزمان وهو العرب من العنقاء . فقال له سيدى محمد : معاذ الله . ان الامر بخلاف مـا تظن ، فان المشايخ الاحياء الذين يصلحون للتربية لايزالون موجودين حتى تقوم الساعة . فقال له الاستاذ : ومن لى بهم يا سيدى ؛ وأنا كما ترى ، منهمك فى التدريس ، ولو اردت أن أفتش عنه . لما اهتديت اليه . لأننى لا أدرى فى أى جهة كان ولا علامته . فقال سيدى محمد انا ضامن لك أن ياتيك الى هنا ، فلا تبحث عنه . قال : فقبل الاستاذ رأس ضيفه فرحا . واغرورقت عيون الجميع بالبكاء تاثرا . (أقول) : نعرف هذا السيد الافنتارى الماسى من هذه الحكاية ، واننى لم أقف له عـلى خبر الا هنا)

وقـوع المترجم على الشيخ الذى يتطلبـه

قال الوالد : انتهت هذه المحاورة وانا منتبذ عنهما اسمـع ، وقـد خلفت فى قلبى من اللهيب والتلهف ما لايطيقه البشر . لكـثرة تطلعى الى

الشيخ الحي المربي ، كما كان الشيوخ الاحياء المربون قبل اليوم. قال الوالد كان سيدي علي البراييمي من خريجي هذه المدرسة مشارطا في (ايت عيسى) وعنده كتاب (ايسر المسالك) مؤلف سيدي العربي الادوزي . فكنت أذهب يوم الخميس والجمعة لاستنساخه من عنده . وبينما أنا عنده اذا برجل صالح يدعى سيدي الحاج صالحا الاكماري السوسي(١) رجع من الحج راجلا ، وقد نفد زاده . فتوسمت منه مخايل الصوفية . فسألته عن الشيخ الحي ، وأين محله اليوم ؟ وهل هو في المشرق أم في المغرب . فقال ان الشيخ في هذا الزمان في (سوس) واسمه سيدي سعيد بن همتو المعدري . وهو رجل أمي . ولا يتخلف عن موسم (تازاروالت) وعلامته هو واصحابه أن يقولوا جهرا (لا اله الا الله) قال الوالد : فكدت أطير بهذا النبأ سرورا . فرجعت أعدو في طريقي كالنشوان . بعد ما وعدني سيدي الحاج صالح بالزيارة في الخميس المقبل . فلما كان يوم الخميس الموعود زارني مهيللا جهرا على عادة الفقراء ، فاشرف الناس عليه من شرف . واطبق عليه الطلبة يرجمونه بالظنون وبالاحداق . الى أن دخل حانوتي الصغير الحقير ، فخرست الالسن اعجابا بالواقع . قال الوالد : وبعد ما ودعت ضيفي في الغد . ووعدني بالمرافقة الى نيل المنى في موسم (تازاروالت) المقبل شرعت أتاهب للسفر ولم أعلم أحدا بهذا النبا . لان أمر السفر اذ ذاك صعب المراس . لايركبه الا من يتحمل الاخطار . لانقطاع الطرق . قال : ولما آن الوقت للسفر ، لم يات سيدي الحاج صالح ، أظلم الجو أمامي . وقلت لاحول ولا قوة الا بالله ضاعت متاعبي ، فخابت ظنوني . قال: فقلت للاستاذ : انني سازور والدتي فاذن لي . وقلت لأخي الكبير الذي كان يقرأ معي هناك معتذرا : اني ذاهب الى زيارة أمي . وأريد كذلك أن أحتجم هناك عند حجام عندنا في القرية . قال : وبعد امتناع ومحاورة أفلتت منهما معا . من غير أن يعلم أي واحد منهما ما انطوت عليه طويتي . قال : فرحت الى رجل ظننت به خيرا . فناشدته الله والقربى أن يرافقني الى (تازاروالت) فطمأنني قائلا لايكون الا الخير ان شاء الله . فلما تعشينا عنده . قال : انني غير ذاهب معك ، فنقض غزله انكاثا قال الوالد فضاقت علي الدنيا بما رحبت . فوددت لو قصرت ليلتي لافارق هذا الرجل المائن . فبت مصليا داعيا مبتهلا ان لا يخيب الله رجائي . وبعد طلوع الفجر ، أصبحت في دارنا عند الوالدة . ولم أخبرها بشيء . لكيلا تكون هي أيضا حجرة عثرة في طريقي . فذهبت الى المسجد . فوجدت فيه غالب أهل البلد . قال وبينما أنا أضرب أخماسا في أسداس . اذا برجل دخل علي يحمل على عاتقه خرجا . فسلم سلام من عرف الجماعة . ففرحوا

---

١) من تلاميذ سيدي محمد بن ابرهيم الافرانى التامانارتي ، وقد ذكر بين اهله الاغرابوئيين .

به ، وسالوه عن احواله واهله . وبعد أن استراح التفت الي . وقال : الك أرب في (تازاروالت) فقلت نعم فتعجبت من تخصيصه اياى بالسؤال دون سابق معرفة . فقال ليفرخ روعك ، فانا رفيقك الدليل الخريت .فقد زرت المحل بضع مرات ، فتهيأ فنحن بحول الله مسافرون بعد الظهر . قال الوالد : ففرحت أيما فرح بهذا الرفيق الميسر . فذهبت توا الى والدتي اخبرها الخبر . قال : ولم يكن بيني وبين ما كنت أتوقع الا أن اخبرتها ، فقد قامت منها على القيامة وقالت لاسبيل لك الى السفر. أو تقتلني بفراقك فسقط في يدى أن اخبرتها . ولكن كل هذا لم يفت في عضدى شيئا . بل ازمعت على السفر وبعد بكاء وعويل وتاكيد رفيقى لها انه سيرجع بي اليها سافرت . وشيعني أعمامي وأوصوا الرجل بي . ولم يكن زادى الا لويزات من عند الوالدة لاننا فقراء مدقعون . قال الوالد : وما رايت رجلا صالح الرفقة . مثل ذلك الرجل الصالح المسمى الحسن المتوكي . فانه لم يزل يراعيني مراعاة الوالد لابنه . واذا نمت يحرسني وياتيني بالوضوء متى استقظت . وجميع مئونة السفر كفانيها ، قال سافرنا الى ان وصلنا (اداوعيسى) قرب (ماسة) فنزل الركب أصيلا حول مسجدهم وهم متجمعون خوفا من اللصوص . فصلى الناس المغرب وقرأت الحزب انا والطالب معا وبعد تمام الحزب التفت الي الطالب يسألنى من أين انتم . فتوقفت عن الجواب لانه وقع شنئان بين التنانيين والمعدريين. فخفت أن انتسب الى قبيلتي فاواخذ بما اجرموه قبل اليوم على عادة القبائل فسكت عن الجواب ، فاجابه رفيقي بانه هو متوكي . وأنا تناني . فقال السائل أتعرف سيدى ابرهيم بن الحسن الايسقالي ، فقلت له نعم . فقال أهل الله أمنوه على جماعة (ايداوتنان) سنة كاملة . بعد أن كانت عند الشيخ عبد الله أزروال ، حتى غدر برجل في داره . فانتزعوا الامانة منه . وجعلوها عند سيدى ابرهيم ، فقلت له سيدى ابرهيم لايتدخل في مثل تلك الامور ، وانما هو فقيه لا غير . فقال انما هو امين لا امير . ثم قال أتعرف (توشكا) فقلت نعم ، فقال : برح (نادى) أهل الله أن تكون قفرا يبابا سبع سنين . أتدرى كيف فعلوا يومئذ. انما أتى أهل المشرق من المشرق . وأهل المغرب من المغرب . فلما تراءى الفريقان صفقوا على ما قلت لك ، من غير أن يلتقى بعضهم ببعض . ثم قال اتعرف (بنووشان) وهو لقب شخص عندنا . فقلت نعم أعرفه . فقال الله سيحكم (ايداوتنان) سبع سنين . قال الوالد : وعند هذا الحد من الكلام سمعنا نداء يقول قوموا أيها الزائرون للشيخ احمد بن موسى الى عشائكم ، وكان كل من قصد الموسم الا ذاك يسمى زائرا . فيحترم ويكرم فقمنا ،

فلما اكلنا بحثت عن الطالب . فلم اجد له عينا ولا أثرا . فلما رجعت صار ما حدثني به الطالب يقع شيئا فشيئا . قال : أما (أزروال) الآنف الذكر فانه كان جبارا عنيدا . حكم على فرقة من (ايداوتنان) وكان من القساوة بمكان حتى انه ليعقد مجلساً عاما يحضره أعيان أولئك الفجار من أصحابه . فيامر من وجب عليه بعض الحقوق أن يتصارع هو وخصمـه على شفا جرف عال . فان ترديا معاً فذاك . وان ردى أحدهما الآخر ، فاز الباقـي ؛ وأمـا الساقط فلا يصل الى الارض الا وهو اشلاء ممزقة . يلتقطه ورثته في قفة . ان أرادوا اقباره ، الى أن جزاه الله من جنس العمل . فاغتاله أحد اصدقائه بـ(فاس) حادة على جمجمته . فاستراح الناس من جوره . بعد أن استباحوا أمواله ، وخربوا داره . وأما مولاى محمد (بُوو'وشـَّان) المتقدم . فانه يظل صامتا ؛ والناس في أخذ ورد في ناديهم . الى أن يعييهم ابرام مايريدون. فيقول بكلام لين ألا يليق بكم ان تفعلوا كذا وكذا . فيقول الجميـع الراى رأيك . والصواب حليفك ، الى أن مضت سبع سنوات له عـلى ذلك فقـال لزوجته : انى ميت اليوم لا محالة ، وقبرى فى المحل الفلانى . وبعد ما زار سيدى ابرهيم بن على التنانى قتله أحد الابالسة فى الطريق غدرا . وأما غابة (توشكا) فانه وقع شنئان بين من حواليها من القبائل . فلم يجرؤ أحد بعد أن يمر بها . الا بعد أن انقضت المدة المذكورة ؛ وكان الله حكيما عليما .

(رجـع وانعطاف)

قال : سار الركب مدجين من المسجد المذكور . ودخلوا (تازاروالت) أصيلا فصرت أفتش عمن يقولون (لا اله الا الله) جهرا . حتى دلني شخص على مسجد لاطىء بالارض . فدخلته فوجدت فيه ثلاثة جالسـين . فسلمت عليهم سلام المرتاب ، قال : فجلسنا مطرقين بعد أن سألنى أكبرهم عـن هويتى . وبعد حين قال أكبرهم قد أظل وقت الفقراء بعد ما ابطاوا بنـا لنلتقى بهم . ثم علمت بعد أنه هو الشيخ الذى تطوى اليه القفار . فحمدت الله على وجود ضالتى المنشودة أمامى . قال : وهناك سمعت ورأيت هيللة الفقراء لأول مرة . وزيهم الذى لم نالفه في بلادنا . من سبحة ومرقعة وعكاز مع مودة وصفاء وأدب ورزانة ووقار . وكانوا يعاملون الشيخ بكامل اعظام واكبار . وبعد أن أخذنا مجالسنا وحدثت الشيخ بقصدى لقننى الورد أنا ورفيقى . وبتنا ليلة لم أر مثلها ذكرا وشوقا وبكاء ووجدا وجذبا وصحوا . فلله درهم ما أحلى العيش فى كنفهم :

ما لذة العيش الا صحبة الفقراء   هم السلاطـين والسادات والامراء

وبعد صلاة الصبح خرجنا من (تازاروالت) فلما وصلنا محلا يسمى (ايسكراد) ندبنى الشيخ للامامة فى الصلاة بالناس . فنالنى من الحياء ما لا أطيق . ولا يحمله بشر ، حتى اننى بللتموقفى من هيضورة الشيخ التى صليت عليها بالعرق . وبعد السلام تنحيت أدبا فدعا الشيخ الدعاء المعتاد بعد الصلاة . فرجعنا الى (المعدر) وبقيت أنا ورفيقى هناك فى حصاد زرع الزاوية شهرا كاملا . حتى صار الناس ينعوننا فى البلد . فلما أراد الشيخ وداعنا أعطانا الاذن أنا ورفيقى فى تلقين الورد للعباد . وارشادهم بهدى خير العباد . وبعد رجوعنا لم يلبث الرفيق سيدى الحسن ان توفى فىسنته تلك ، وذلك نحو ١٢٩٣ هـ قال وكان الشيخ وعدنى أن يزورنى فى محلى؛ وبعد شهور ساح الفقراء . ومعهم الشيخ الى بلاد (ايداوتنان) فسألوا عنى فوجدونى فى المدرسة ، وقد أخبر استاذنا بكل ما وقع . فاستغرب جراتى وتأسف على كل ما فاته . لانه كثيرا ما يقول : كل من لم يلتق فى عمره مع شيخ التربية الحى فقد ضاع عمره ، قال الوالد : زارنا الشيخ سيدى سعيد فى المدرسة . فقامت الجماعة وعلى رأسهم الاستاذ بضيافة الشيخ ، فلما خلا لهما الجو ؛ قال الشيخ للاستاذ كيف حالك مع تعبك واجتهادك ؟ فاجابه أنا كالنحل بلا عسل . فقال الشيخ : هات يدك لنعسل عملك ، فلقنه الورد وأمره بتلقينه لمن شاء . فلقنه لأهل داره ، وبعض الافراد ؛ وكان ذلك فى شهر شعبان ١٢٩٤ هـ فلما أهل رمضان رجع الاستاذ عما يكون معتادا منه من الاجتهاد ظاهرا . فكان اذا سلم من الصلاة استقبل بوجهه المحراب ذاكرا اسم الجلالة (الله) بشروطه . فلما أنكر طلبته التيجانيون حالته ، ذهبوا اليه وقال : لعلك يا أستاذ سحرك هذا المشعوذ الامى كما يسحر غيرك منالعامة فقال لهم أشتغلـوا بأنفسكم . فقـد أشتغلت أنا بنفسى . فكـان كذلك بقية تلك السنة وفى أوائل ١٢٩٥ هـ وفى ءاخرها اخترمته المنية راضيا مرضيا وكان اذا قيل له مات فلان فى مجاعة تلك السنة . يقول ءاخر ما تغرب منه الشمس الجبال ، فتوفى فى ءاخر السنة نفسها ؛ رحمه الله ورضى عنـه . قالالوالد : كانت عندى نوبة قنديل المدرسة للمطالعة على العادة فىالمدارس وليس عندنا ادام نستضىء به . فذهبت الى السوق فى الهاجرة ، فلما دخلت السوق . تلقانىانسان ، وقال لى هل سمعت النداء ؛ فقلت له أنا كما دخلت السوق ؛ لم اسمع بعد شيئا . فقال ان أهل الله نادوا بعامين الا ربعا من الجوع ، فقال لهم العامة : ان فعلتم ذلك فانـا نعيث فـى الارض فسادا . فنقتل الناس وناكل اموالهم ، فقال لهم الخاصة : افعلوا مـا شئتم . ولـن تموتوا الا موتة الحمر . وعليك عهد الله أن لاتبوح بسرى لأحد ما دمت حيا

قال الوالد : فسقط فى يدى . وتذكرت أمى الارملة ، ولا معيل لها غيرى ؛ فذهبت توا الى أخى أستعطفه أن يشترى لها ما أمكنه من الزرع . قال : فلما أمرته بشراء الزرع . قال ان الزرع كثير لاينفد . ولو كان ما كان ، وفى ذلك اليوم باع طالب عشرين صاعا من الزرع بمثقال لكل صاع فصرت أطلب أخى أن يشتريه منه فأبى . وبعد التى واللتيا اشترى صاعا واحدا وابتاع بالباقى جلودا وملحها ليتجر بها فى (السويرة) قال الوالد : ولم تزل تلك الجلود نطا عليها الى أن مضت تلك المسغبة العامة . التى لم تبق ولم تذر . وقد أظهر الله فيها من أنواع البلاء والجوع والخوف ما لايطيقه بشر وقد أدى الحال بالناس الى الاقتيات بلحوم البشر . وغاض الامان ، وفاض الجفاء من قلوب الخلق ، ولم يسر الناس فى المدة المذكورة قطرة مطر . ولا قزَعة سحاب . ولا هبة ريح ممطرة ـ انا لله وانا اليه راجعون ـ وقبل هذا ذهب الوالد فى أول السنة ، وشارط فى (تارسلت) من بلاد (متوكة) ليستدرك مايعول به أمه . قبل أن تقوم القيامة ، قال وهناك رأيت قصب(١) السكر فى بساتينهم ، وأكلته وهو كساق الذرة وهناك رأيت مولاى عبد الملك التاولوكولتى معتقد القائد المتوكى رجلا قصيرا . كث اللحية لا ترى من بياض وجهه الا عينيه ، من كثرة الشعر . وهو رقيق القلب كثير البكاء فما تمضى عليه ساعة الا وهو يبكى من خشية الله ، قال الوالد لما رآنى قال لزوجته الصغيرة السن : هذا ضيفنا ، فأتينا بنار نصطلى بها ؛ والوقت وقت برد ، قال : فصرنا نسرى فى شجون الكلام ؛ الى أن قال : ان أولياء الله سجنونى فى ذلك البيت . فاشار الى بيت فى فناء الدار ، ولم يطلق سراحى الا سيدى الطيب بن على التامارووتى التنانى . فلذلك احببت (ايداوتنان) فاذا رجعت فبلغ سلامى لسيدى الطيب . وقل له العلامة بينى وبينك ، يوم كنت فى مرض شديد ؛ حتى أيس منك أهلك . وحلقوا عليك ينتظرون ماذا يفعل الله بك . وأنا اذ ذاك عند رأسك ، وقد اغثتك بفضل الله فعوفيت ؛ وأنا اليوم فى أعظم من تلك الشدة . وأريد منك أن تغيثنى كما أغثتك ، وذلك أن رجلا ناصريا يقال له (بوشاكا) تزوج بينت سيدى عبد الملك . فلما أملك بها أراد أن يذهب بها الى (تامكروت) فوقع سيدى عبد الملك فى حيص بيص ، فان منع الناصرى مما أراده مما هو له حق يستحى من الله ومن الخلق ، وان تركه فلا يريد مفارقة ابنته ؛ قال الوالد : فلما اخبرت سيدى الطيب الخبر استضحك ، وقال : لن ينجبر الناصرى ابدا . وكان الامر كذلك ؛ قال الوالد كان سيدى عبد الملك اذا عارض القائد

---

١) تنبه لهذا .

او احدا فى امر ، يقول : اين انتم ايها الغربان . فيدخل عليه الغربان من كل جانب ؛ حتى يمتلىء المجلس . ويقول هذا عسكرى انا ، فمن حاربنى حاربته بهؤلاء الغربان ، فهاب الناس شوكته ؛ واطاعوا امره . وهو الذى يقام عليه موسم (تاولو كولت) الآن فى بلاد (متوكة) بامر من القائد عبد الملك . وعند ذلك قلت للوالد اهو من كبار الاولياء ، فقال : انما هو فى دائرة الصالحين . فقلت له واما صهره (بوشاكا) فمن اى دائرة هو ؟ فقال من الدائرة العامة . وهى المحيطة ؛ وفى داخلها دائرة الصالحين ودائرة العارفين . وكلما مات أحد من العارفين استبدل بئاخر من الصالحين . وكلما مات واحد من الصالحين استبدل بواحد من العامة . وهلم جرا ما دامت الدنيا واهلها . (أقول) : هذا كلام لايفهمه الا أهله (وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

(رجـع وانعطاف) :

قال : فى أواخر هـذه السنة . توفى أستاذنا المذكـور فى الوقت المتقدم . فبموته انتثر عقد الطلبة ؛ فتمزقوا شذر مذر . وكنت ممن عصفت بهم الريـاح فقصدت (مراكش) وفى نفسى استيطانهـا . وفى طريقى الى (مراكش) نزلت ضيفا على شخص من حشم القائد المزوضى لى بـه سابق معرفة . وفى العشى كان فى المدرسة . وفيها ستة من الطلبة ؛ فلما وضع الطعام بين أيدينا قال فقيه المدرسة : لا ناكل هـذا الطعام حتى ينشد كل واحـد منكم بيتا من الشعر . فبداوا بمن قبلى ؛ ومرادهم تقريعى أنـا . فلما بلغت الـدورة الىّ قلت لهم : انما أنـا ضيف . والضيف لا يكلف بتكاليف اهل المحل . فقال الفقيه : من لم يكن طالبا لا ياكل طعام الطلبة. فانشدتهـم حينئذ :

تحامق مع الحمقى اذا ما لقيتهم   ولا تلقهم بالعقل اذا كنت ذا عقل

فلما سمعوا كلامى تفرقوا عن طعامهم ؛ ولم ياكله احد منهم . وفى الصباح استانفت رحلتى . ووجـدت طالبا فى حوز (مراكش) يشتغـل بعلم الكيمياء . قال : اخرج طبقا وفيه سبائك من ذهب وفضة . ودراهم خالصة ومزيفة . قال المؤلف : فقلت لـه لم لم تتعلم منه شيئا . فقال لى : كانت لى همة اعلى من تلك السفاسف . قال : فلما دخلت (مراكش) زرت الشيخ أبا العباس السبتى على تلك النية المتقدمة . نية الاستيطان . وبت فى مشهده ليلتين . وكان الذى يقوم بضيافتى شخصا مجهولا . قـال : دخل علىّ شخص اول يوم وقال لى : هـل أكلت شيئا ؟ فقلت لـه : لا . فاعطانى نصف خبزة . وقال لى : لا تلتفت الى غير هذا السيد . واشار الى قبر ابى العباس . وفـى العشى اتانى آت آخر . وذهب بى الى المدرسـة

العباسية . وهناك بت الى الصباح . وفى الظهر انعقد فى المشهد مجلس الفقراء البوعزاويين أتباع الشيخ البوعزّاوى الشاوى المشهور . فدخل المقدم على الضريح . وفى يده مرشة فيها ماء الزهر ؛ يرش به الفقراء . فلما رأيت صفاء الماء ينصب من المرشة كصوب الغمام . تاقت اليه نفسى . ووددت لو أمكن لى شربه . فلما بلغنى المقدم . قال لى : افتح فاك ؛ ففتحته فصار يصب المـاء فى فىّ الى أن ارتويت . فانكف فتعجب الحاضرون من تلك المعاملة . قال : وفى الصباح ذهبت لزيارة سيدى محَمد بن سليمان الجزولى . فلما توسطت صحنه . عارضنى المقدم العباسى بكل فظاظة وقال: ما ذا تريد ههنا ؟ وما تفعل هنا بعـد زيارتـك لابى العباس ؟ اذهب الى حال سبيلك . انما الزيـارة كحسوة طائر . فـلا تحدثك نفسك بالبقـاء هاهنا . فان أهل المدينة ليسوا بمتوكلين . انما المتوكلـون أهل البوادى الذين يحرثون ثم يستسقون ربهم . وأما أهل المدينـة اذا انسـدت هـذه الابواب . انسدت قلوبهم . وتضعضع ايمانهم . فاذهب فـان (مراكش) ليست لك بدار مقام . قال : فخرجت متأثرا بهذه الفظاظة التى قابلنى بها فاستشعرت منها كل خطر . فقلت فى نفسى أوليس هذا هو الذى سقانى ماء الورد فى المشهد العباسى. وها هو ذا بعينه يمنعنى منزيارة ابن سليمان ويخاطبنى هذا الخطاب الجافى . قال : فهمت فى أزقة (مراكش) أمشى سادرا الى أن وصلت بعض الكتاتيب . فدخلته وكتبت بعض الالواح . وفى الحين دخل أناس من (الويدان) محل ازاء (مراكش) وهم يفتشون عـن طـالب يشارط عندهم . فذهبت معهم . ومكثت عندهم بضع شهور لازمتنى فيهـا الحمى، حتى اننى لااقدر على القيام؛ ففررت بروحى الى مدرسة(أيتأووريز) وفيها فقيه يسمى سيدى المحجوب (١) وهو من طلبة (تيمگيدشت) قال : فلما رءانى وسألنى حتى عرف اننى من تلاميذ سيدى ابرهيم بن الحسن ، بكى بكاء شديدا . وترحم عليه ؛ وكان كلما أتم الدرس يترحم عليه ، وبعد أشهر سلم لى زمام المدرسة ، وقد بنى لالقاء الدروس مكانا خاصاً . أنابنى الى ان يرجع من زيارة (تيمگيدشت) قال: فوجدت الطلبة انما همهم التجارة فى السوق . يشترون ويبيعون الزيت من أشجاره وفى الاسواق . قـال : فأمرت بافراغ دكاكين المدرسة مما سوى ما يليق بالمدرسة . فشق ذلك على الطلبة . كما أخذتهم بالجد والحزم . حسبما رأيته فى المدرسة الايسقالية

---

١) هذا معدود من أصحاب الشيخ سيدى الحسن التيملى الايرازانى وهو الذى نقل عنه الطريقة الدرقاوية الايرازانية الى الحوز ولعله اتصل به بعد ما أخذ من (تيمگيدشت) .

ولكن الطلبة انشقت عصاهم وتمرد جلهم عن القراءة . وقالوا لانرضى بك استاذا . والفريق الثانى استانفوا دروسهم عندى بكل نشاط . ولم يرجع الفقيه حتى وجد المدرسة بلغت اوج الرقى . نظافة ودراسة . فلما راى ما راقه ، جمع الطلبة وخطب فيهم قائلا : من شاء رضاى فليتبع هذا السيد . ومن لم يرده فليخرج من المدرسة . قال : ثم لما رجع الفقيه ، اشتاقت نفسى الى الرجوع الى مسقط راسى . فعارضنى الفقيه قائــلا : ان شئت زواجا زوجناك . فاجلس وعاونا فى الدراسة . الى أن نلتحق بالله سالمين غانمين .

قال ثم تذكرت وصية امى ، فانها أوصتنى بالتزوج فى البلد بمجرد بلوغى ؛ وكانت تقول : ان أبناء الشارب ينفعون اللحية . وابناء اللحيـة ينفعون الشيب . وأبناء الشيب ينفعون الغير . قال : وبعـد لأى غـادرت المدرسة راجعاً الى بلدتى ، فلما دخلتها وجدتها تبدلت رجالها واهلها . فلم يبق فيها الا حشف الناس. فتزوجت من البلدة وفقا للوصية. فصرت اشارط فى الاماكن المجاورة للبلدة . وهناك زارنى الفقراء يوم ذهابهم الى (جبالـة) برئاسة الشيخ سيدى الحاج على سنة ١٢٩٩ هـ وهناك وقعت حادثة للفقراء وذلك أن ابن الفقيه مسمار التيغانيمينى صلى بالفقراء عمدا بغير وضـوء . فصار يقول للناس أرأيتم هؤلاء الدرقاويين الذين يدعون السر والمكاشفات قد صليت عمدا بهم بلا وضوء . فلو كانوا كما يزعمون لأطلعوا على سريرتى . فشاع هذا النبأ حتى اتصل بالفقراء . فجمعتهم الاقدار معه فى الموضع الذى شارطت فيه . قال : وبينما أنا جالس أكتب للتلاميذ اذ دخل علىّ سيدى مبارك أوباكا التيزنيتى ، الشهير بالكرامات . وخرق العادات . فاذا بابن القاضى (مسمار) دخل فى اثره . فلمـا رآه أوباكا . قال له : اانت الـذى تقول للناس صليت بالدرقاويين عمدا بلا وضوء ثم لم يشعروا بى ؛ فسكت ابن (مسمار) فقال له سيدى مبارك : ان كنت فعلت ما ذكرت . فقد عصيت الله . وفضحت نفسك على رؤوس الاشهـاد ولسنا بموكلين عـلى الغيب . اما نحن فصلاتنا بك صحيحة حين لم نطلع على ما فعلت . ولو اطلعنـا على شيء منك لوجب علينا ستره . لأن الله يحب الستر . والآن : ان شئت أن ترى سِرّ الدرقاويين وما منحهم الله ؛ فلنخرج الى باب المسجد . وفيه أهل القرية جالسين . وهم يعرفون غطاء ضريح سيدى ابرهيم بن عـلى . فاختر اذن اما أن تاتى بـه بيدك من على دربوز مشهده ، وارده أنا من هنا الى هناك . واما أن آخذه أنا وترده انت . فهيا بنا . فصار يجذبه بعنف ، فخجل ابن الفقيه واستكان . ثم قال أوباكا : هذه مقالة هو عبد من عبيد الفقراء . واما السادات من الفقراء فهم فى المسجد نيام . قال : كان سيدى

مبارك من كبار أصحاب سيدى سعيد بن همو . وقد حصل له مقام عظيم . وكان دائما يغسل الموتى . ويحمل الصبيان بين يديه الى المقبرة . وقد قال: كنت كلما أتيت بميت الى المقبرة أشاهد أهل القبور يخرجون . وهم يحصبونني بالحصى ، ويقولون الى أين تريد أيضا بذلك . ويكلمونه ويكلمهم وكان يقول كل من فرقت قفة من التراب بينه وبين حبيبه فليس برجل ، رضى الله عنهم أجمعين .

(قال المؤلف) :

مكث الوالد على هذه الحالة الى سنة ١٣٠٠ هـ وفيها فى صفر توفى الشيخ سيدى سعيد بن همو ، وقبلها زاره سيدى الحاج على . مع ستة من الفقراء فيمرورهم الى (جبالة) كما تقدم. وقال له : انما سلكنا هذا الطريق مع ما فيه من المشقة من أجلك وحدك .

قال الولد : ثم لما توفى سيدى سعيد بن همو اجتمع الفقراء من كل ناحية . لتأبين شيخهم . ولاقامة خليفة له على الفقراء . فقالوا لابن الشيخ سيدى محمد بن سعيد : انت ابن شيخنا ، فكن على ما كان عليه أبوك . فابى عليهم ذلك . قائلا : لست من فرسان ذلك الميدان . ولكن انظروا التاموديزتى يقوم بشئون الفقراء . ريثما ترجع البعثة التى سافرت الى (جبالة) وربما يكون سيدى على أكرام (١) أولى من يقوم بهذا العبء الثقيل قال الوالد : جلس سيدى سعيد الشيخ هو وزوجته فى الدار يوما فى غيبة سيدى على ورفقته الى (جبالة) سنة ١٢٩٩ هـ وهما ينقيان الزرع . فتنهد الشيخ ثم تغير وجهه ثم قفَّ شعره . وصاح (الله) ثم قال : ايه وقد اعتراه حال عظيمة : الآن دفع سيدى على أبواب الحضرة فدخل . وسيدى على اذ ذاك لما يرجع فى (جبالة) ثم نظر سيدى سعيد الى ساعده النحيل . وقال : ذهب سعيد . فقالت له زوجته بالله عليك يا سيدى سعيد ألزم دارك لئلا تموت فى محل بعيد عنا ، فقال الشيخ : أينما مت فسوف يحملنى الفقراء الى هنا . وفى الغد ساح الى (افران) فنزل فى (تانكرت) عند سيدى سعيد ابن حمو(٢) من أكابر أصحابه . وهناك توفى رحمه الله تعلى ورضى عنه ثم دفن فى المقبرة التى توجد فى شمال المدرسة وراء الصفا الموجود عند الباب الاعلى للمدرسة . قال : فبقى الشيخ سيدى سعيد فى (افران) مدفونا سنة كاملة ثم رأته فقيرة صالحة فى المنام . وقال لها : قولى للفقراء أن يصنعوا تابوتا من الخشب الذى فى المحل الفلانى . ويحملونى فيه الى (المعدر) .

---

١) اكرام المرابط . وبذلك كان يدعى الشيخ الالغى بين الفقراء قبل أن يتصدر للتربية . ويقال له الشيخ . (٢) فى قرية الخندق .

قال : فذهبنا الى الموسم (ولا ادرى ماذا يعنى به أموسم (تازاروالت) أم غيره) فلما سامتنا (المعدر) قلت للفقراء الذين معى : أطلبوا الله بهمة عالية ان نجد سيدى سعيدا فى محله . وفى نيتى أن نجد روحانيته . ولما دخلنا (المعدر) وجدنا الزاوية لا أنيس بها . فقلت لصبى : اين ذهب الفقراء . فقال ذهبوا ليحملوا جدى من (افران) . قال : فلم نلبث الا قليلا . فاذا بهم أتوا به فى التابوت . فلما رأيته لم أتمالك من الشوق الى رؤية محياه . فساعدنى وحدى الفقراء على ذلك . ففتحت التابوت والكفن حتى قبلت جبينه الوضاح . ولم يطرأ عليه أى تغيير ، اللهم الا ما كان من صفرة كفنه . قال الوالد : كانت القطبانية فى البلاد الشرقية ما شاء الله . فلما أتى بها سيدى أحمد بن عبد الله المراكشى ، وفتح لاباب لها الى (سوس) . عاتبه أهل الحضرة . قائلين : ان هذه الطريقة لاتصلح الا لمن كانوا اتقياء اسخياء أصفياء . والسوسيون ليسوا كذلك . فقال لهم سيدى احمد ما باذنى فعلت ما فعلت . انما ذلك باذن من الله ورسوله . قال وهى لا تزال فى (سوس) والحمد لله ما قاموا بها

(قــال المـؤلف) :

جلست معه رضى الله عنه فى زاوية (بوكودوين) فقــال لى : أتعرف القطب من النجوم ـ يعنى القطب الشمالى ـ فقلت له نعم فقال : أرنيه ، فأريته اياه . فقال : أما القطب الارضى فى زماننا هذا فهو فلان (وسمـاه) وان قال الناس فيه مـا قالوا (وتراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون) (١)

(قــال المـؤلف) :

والى هنا ينتهى الدور الاول من حيـاة الوالد فتطوى هـذه الصحيفة بموت شيخه سيدى سعيد . ولنستفتح دورا اخر باتصاله مع وارث سر سيدى سعيد ألا وهو سيدى الحاج على بن أحمد الالغى فنقول: تقدم لنا ان الشيخ سيدى الحاج على زار الوالد فى بلده (ايداوتنان) يـوم مروره الى (جبالـة) سنة ١٢٩٩ هـ ومن هنا نعلم ما كان بينهما من الاتصـال . وهمـا تلميـذا سيدى سعيد ورضيعاه فى آن واحد. الا أن الوالد رحمه الله اذا أطلق الشيخ فى كلامه فالمراد به سيدى الحاج على وحده . حتى صار ذلك عادة مالوفة عندنا جميعا . فاذا قيل الشيخ . فالمراد به ذلك . وكفى به شيخا ، وقبل سكنى الوالد فى بلدته . صار يبنى فيها دارا ، وفى أثناء البناء وجده الشيخ مع طائفة لما يتتمم داره . فأمر الشيخ الفقراء ببناء الدار وتسقيفها بسرعة . فتم ذلك فى أيام قليلة . فلما أكملوها ساحوا والوالد معهم . وفـى تلـك السياحة نزل الشيخ فى موضع يسمى (ايبادارغن) من (كدميـوة) بحـوز (مراكش) . وبعد صلاة العصر صار يعظ الناس بهمته المعلومـة . وهـو

---

١) لايزال هذا حيا الى الآن ١٣٨١ هـ ، وحاله الاشتغال بأمور معاشه .

مستغرق فى المذاكرة . وأهل البلد يأتــون بالقصــاع المملــوءة كسكسا وقلقاسا . والفقراء يتأهبون للسفر . ولم ينتظروا الا فراغ الشيخ من وعظه . وبينما هم كذلك ، اذا ببعض أهل القرية يقول لنا مر الفقراء باكل هذا الطعام يا سيدى . فان وقت ذهابكم قد أظل . فنظر اليه الشيخ شزرا . وقال : كنا عزمنا على الرحيل . والآن لن نأكل طعامكم . ولن نبيت الا عندكم فاستأنف الشيخ وعظه وارشاده . ثم قال : هل من واهب ذبيحة لله . فنطق خمسة من أهل القرية بالتبرع بها . فقال الشيخ : من يهب اناء من الطعام لله . فنطق المتبرعون – وهم كثيرون – فأمر الشيخ بالذبائح فذبحت . وقسم لحمها على المتبرعين بالطعام . وقال الشيخ هيئوا كل ذلك قبل صلاة المغرب . فأكل الفقراء ما حضر من الطعام . وبعد صلاة العشاء أمرهم الشيخ بالهجوع . فلما استراحوا ادلجوا واصبحــوا فــى (مزوضة) أو (بوعنفير) – الشك منى – وفى (مزوضة) وجد الشيخ رجلا قارن جنية . فاخبرته أنه سيزور قريتهم غدا رجل من خيار عباد الله . فأمر ذلك الرجل أهل القريــة . أن لايذهبوا الى أى موضع حتى يروا ما خبرت به زوجتــه الجنية . فلما أقبل الشيخ والفقراء ، فرح بهم ذلك الرجل لأمرين أحدهما أنه تلاقى مع خير عباد الله . والثانى أنه يأمل تنفس مختنقه على يــد هــذا الشيخ . ليتملص من هذه الجنية القرينة السوء . فقد اجتواها وود لو وجد من يخلصه من يدها . وقد زار كبار الاولياء والصالحين لذلك من غيــر مــا جدوى . فصدق الله رجاء الرجل . فقد فكه الشيخ من أسره ، وأعطاه الشيخ عمامة من عنده . فلم ير بعد تلك الجنية ؛ قال الوالد : وفى هذه السياحة ترحمنا على سيدى أحمد بن محمد المزوضى المتوفى ١٣١٢ هـ وعزينا أخاه سيدى الحنفى . وقد سافروا من زاوية (مزوضة) بعد أن صلى الشيخ الظهر بالناس فى قبة سيدى محمد . وهو امام . فلما رجع من هناك أتبعه الطلبة برسالة ظاهرها استفتاء . وفى باطنها هم ناوؤا المراء . وفحواها هل يجوز لمسافر مثلكم أن يكون اماماً مع وجود امام راتب . فلما قرأ الشيخ الرسالة سأل رسول الطلبة عن التوحيد . فلم يعرفه ، فأمر الشيخ بعصا فأحضرت وصار كلما سأل الرسول عن مسألة دينية فلم يجبه عنها ، يضربه بالعصا الى أن علمه الواجب . فأجاب الرسالة بما بدا له . ثم ملأ بياض الرسالة (سلاما سلاما) فلما وقف الطلبة على جوابه . ذهبوا به الى الفقيه سيدى الحنفى . فقال لهم : فضحكم الله كما فضحتمونا . فمن أمركم بما فعلتم . أرأيتم كيف صيركم جهالا ، وهو غير كذوب أما علمتم قوله تعلى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) هذا هو

مراده .

قال : ذكر الشيخ سيدى أحمد بن محمد المذكور . وقال انه منور الباطن . وقد أخذ عنا الآن . فأتم الله له معناه على يدنا . ذكر أن ذلك وقع له معه فى سفرة قبل هذه . وذكر الشيخ اذ ذاك ما يدل على قرب وفاته . فها هو ذا توفى فعزى فيه الآن ـ وقد ذكر هؤلاء فى (الجزء الثامن عشر) ـ

(رجـــع) ءاب الشيخ والوالد من تلك السياحة الى مسقـط راسه (تامكونسى) من (ايداوتنان) فتركه الشيخ هنالك مشارطا عند أهل قريته بعد أن عين لهم الشيخ الشرط . فقال لهم : هذا طالبى لا طالبكم . قـال الوالد : فافاض الله الخيرات على أهل البلد فى العامين اللذين جلست فيهما عندهم باذن الشيخ . وحين ودعه الشيخ ألزمه أنيتسوق موسم (تازاروالت) لتجديد العهد بالاخوان . قال الوالد : لما رجع الشيخ من (جبالة) وجد سيدى الحاج الحسن التاموديزتى أمر الفقراء بترك ذكر (العمارة) مستدلا بقوله تعلى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) فلما رجع الشيخ ضمهـم مجلس واحد هو والتاموديزتى . فلما رأى الشيخ ما حل بالفقراء من ضبط الاشباح وخاف أن تحذو حذوها الارواح . ورأى أن لا طاقة لهم بذلك . قام الشيخ الى ذكر (العمارة) فتبعه القوم ومن ذلك اليوم تحققت له الرياسة القومية رضى الله عن الجميع . وابتدأ انقسام أصحاب سيدى سعيد . بين السيدين الشيخ والتاموديزتى . (قال) : سحنا أول مرة فى أواسط ١٣٠٥ هـ حول (السويرة) فأرسلنى الشيخ الى الزاوية الدرقاوية فى (السويرة) ان أعلمهم بالمبيت . فوجدت مقدم الزاوية . وهو سيدى عمر أماهو. وهو يفتح الزاوية فلما أخبرته الخبر ، قال : مالنا وللسوسيين . قطعوا نخـاع الطريقـة . وبدلوا وغيروا فيها برأيهم . قال فأجبته أن سيدى على بن أحمد هذا الذى سياتى ليس علىهذه الوتيرة . وهو معك فىهذه الفكرة . وعن قريب سترى ما يسرك . فاستطار الرجل سرورا . وقال : اذن قل له : مرحبا بك وبمن معك . قال : فرجعت واخبرت الشيخ ، فلما دخل (السويرة) اجتمع عليه أهل المدينة بقضهم وقضيضهم . وباتوا على ما يروق من اذكار الى الصباح فجدد بذلك ما وهى من الطريقة رضى الله على الجميع

(قـــال المؤلف) :

بقى الوالد فى مشارطاته هناك ما شاء الله . وهـو يزور الشيـخ . والشيخ يزوره . ويسيح مع الشيخ سياحات عديدة . الى ان امره الشيـخ بالنزول الى (بوكودوين) ببلاد (ايداوزيكى) وذلك سنـة ١٣١٣ هـ ، قـال الوالد سحنا مرة فى (ايداوتنان) فـ (ايداوزيكى) فلما دخل الشيخ بـلاد

(ايداوزيكى) قال : الحمد لله ما اطيب والين قلوب (ايداوزيگى) يميلون كيفما أملتهم . واما بلادكم (ايداوتنان) فقلوبهم قاسية مثل أحجارهم . قال الوالد : يجتمع الزيكيون على الشيخ من مسافة بعيدة . وربما حملوا الموائد على رؤوسهم من مكان بعيد . محبة للشيخ . وبينما هو كذلك والزاوية فى هنالك غاصة بالفقراء والمستمعين رجالا ونساء . والواعظ يشنف الاسماع . والشيخ يحث على عادته بهمته العالية كل ما أراد الاستراحة . ايه . ايه . والناس من هنا وهناك تسمع حنينا . وربما زفيرا وشهيقا . وفى الصباح ناداه الشيخ . فقال : ليكن فى بالك أن تنزل الى هذا المحل لتعمره قال الوالد : فتذكرت أمر الحرث. وان بلاد (ايداوزيكى) لايكون فيها الزرع فقلت له يا سيدى ليس هذا محل الحرث . وأنا ذو عيال كما علمت . فقال الشيخ : ان لم يكن بلد زرع فهو طريق ياتيه الزرع من كل مكان . قال الوالد : فسكت وندمت على ما فرط منى من سوء أدب مع الشيخ . وبعد ما ودع الشيخ ارتحل الى (بوكودوين) فلقى فى بادىء أمره ما شاء الله من المشقة. فقد توالت عليهم سنون كسنى يوسف عليه السلام. قال سيدى(١) (فلان) الفقير المتجرد كنا نجتمع فى الزاوية ولا طعام لنا غير الجراد مدة شهرين . فقلت لأبيك ذات يوم : يا سيدى قد نسينا الزرع . فقال له بهمة عالية : صه . فقد بوأكم الله مقامات الصحابة والانبياء . فصرتم تتعرضون لحكمه . بل يلزمكم أن تحمدوا الله على ما أولاكم ، وأسبغ عليكم من نعمه . قال الوالد : أنا أول من لبس جبة وما كانوا يلبسون الا القمص والاردية والخنائف (٢) الغليظة السوداء فى البرد . فى هذه البلاد . وأول من أظهر السبحة الغليظة والمرقعة . وقد ألزمنى الفقراء بالسؤال فى سوقنا على وجه خرق العادة . فصرت أتكفف الناس . ولا انسى ما وقع لى اذ ذاك مع أحد الاثرياء ، وقد مددت اليه يدى ؛ وأنا مطرق برأسى وأنا أقول : (متاع الله – وهى الكلمة التى تقال عادة عند التكفف – تتاع الله – فصار يفتش فى شكارته . وأنا أسمع خرير الفلوس حين يقلبها حتى عثر على قيراط بال فاعطانيه . فقلت له وكيف كنت اذ ذاك . فقال :

(وكل الذى فوق التراب تراب)

وقال ايضا : سحنا مع الشيخ مرة فى بلاد (ايداوتنان) فبتنا فى (تازانتوت) قرب (تيغانيمين) مدفن الشيخ سيدى ابرهيم بن على المشهور.

---

١) لعله سيدى محمد بن بيهى دفين (ايداوكرض) بـ (حاحة) فهو الذى كان يحكى كثيرا عن المترجم امثال هذه الحكايات .

٢) جمع خنيف وهى عربية فصيحة : الثوب الغليظ

فصار الناس يجتمعون على الشيخ . والشيخ يحضهم على الزهد فى الدنيا . فلما خرج ، وله بغلة مسرجة . قال له زعيم القوم الحاج احمد (بوزكرا) : كنت تنهانا عن الدنيا «انفا . فاذا بك أكثر الناس اقتناء لها . فان مثل هذا المركوب لا يكون الا فى دار المخزن . فقال له الشيخ : أيها الحاج ان هـذا فى حقى قليل . وأنا بفضل الله لا أغتر منه بشىء وقد اضهر بذلك للناس انني غنى عنهم . وأنت تغرك منها قلامة ظفر . ثم قال له ألا تبيت عنـدنا ياسيدى ، فلم يجبه الشيخ ؛ بل همز بغلته الى الموضع الذى وقف فيه الوالد فقال له : انبيت ههنا . فأجبته بقولى : لاأعلم . فقال الشيخ : بل نذهب بالحوائج الى أربابها ، فودعهم الشيخ وباتوا عند الولى الشهير سيدى محمد ابن حمو وهو كما دخل الطريقة اذ ذاك . ولما يتادب بئاداب القوم . فلما وضع الصينية أمامه وهو يقيم الاتاى ، شرع يتكلم بكل طلاقة . فقال للشيخ رأيت منا ماكان شخصا مثلك عليه طاقية حمراء . وعليها عمامة . وله شكارة كبيرة . وهو يضرب فيها . ويقول لى لاتجزع وارفع رأسك ، فكلما رمته فهو هاهنا . يعنى فى الشكارة . ثم قال له الشيخ : كنت اذ ذاك نائما . وأما الآن فانت مستيقظ . فأماط الحائط عن العمامة . والطاقية الحمراء تحتها . فصار يضرب الشكارة ، ويقول له : كل ما تريده فهو هاهنا . فظهر من الشيخ ما يستغرب منه . لان مثل هذا لم يولف منه أن يقولـه . فكـانت احدى نوادره . قال الوالد : ان سيدى محمد بن حمو . رجل من الابدال . وقد توفى بعد ١٣٤٥ هـ .

(قـــال المؤلف) :

حضرت مجلسه مع الوالد . وهما يتحادثان معا سنة ١٣٤٥ هـ وانا اذ ذاك لايؤبه بى لصغر سنى . فقال له الوالد : هل عندك علم بهذه المجاعة قبل وقوعها ؟ قال نعم . رأيت كأن الزرع استوى على سوقه . فأتته الريح السموم . فصيرته هشيما ، فقال كيف ظهر لك هذا الطاعون قبل وقوعه . قال : رأيت كأن رجلين معهما شهاب . وكلما مرا على دار . يقول احدهما للآخر احرق هذه . فاذا مرا بدار ولم يقل له عنها شيئا . فان تلك الدار لايقع بها طاعون . كما سمعته أيضا يقول لوالدى : ان أمر خروج هـؤلاء القوم ـ يعنى النصارى ـ متعلق بك (١) وقد حضرت معه أيضا هو وسيدى مبارك من («ال مبارك») الزيكى . وهما ياكلان عصيدة . وأنا خارج الباب . فقال له الوالد : ألاتزال ترى سيدنا جبريل عليه السلام . فقال نعم . فقال على اى صورة تراه ، فأجابه الرجل جوابا نسيته . فقال له فى اى محـل عقدتم المجلس هذه المرة . فقال فى (تازناغت) من جبال (ايداوتنان) فقال

١) كان المترجم بعد ما نفاه المستعمرون . اتظن فرنسة أنهـا تمسلى وتنجو . فالله لها بالمرصاد .

له : كيف ذهبت ماشيا أم طائرا . فقال : بل طائرا . قال كيف ذلك الطيران . قال : نطير وبطوننا الى السماء . وظهورنا الى الارض . فقال له على أى بلدة مررت ، فقال : لا أدرى غيراننى مررت بقرية (كذا) والى هنا انتهى الكلام بينهما . ففارقتهما لكيلا أكدر عليهما صفو المورد .

قال الوالد : كنا فى زاوية الشيخ (الالغية) فخرجت الفقيرة فاطمة موهدوز الشهيرة بالكرامات فصارت تعظنا وتذكرنا الى أن قالت : أى محل هو معظم عندكم أنتم التنانيين . فقلت لها (تامريساتين) فقالت ستجد هناك علامة تدل على اننى كنت هنالك وسابنى كومة احجارى بين كومات احجاركم . ثم قالت لما همت بالانصراف : ان طعاما سيخرج من الزاوية الآن . فكل من أكل منه لقمة حرم الله جسده على النار . وعلامته أن يخرج فى غير وقته . والعادة فى الزاوية (الالغية) أن يهيلل المؤذن فوق السطح اذا تهيا الطعام ليجتمع الفقراء من هنا وهناك . قال : فلما دخلت هيلل المؤذن هيللة الطعام والناس متفرقون . ما بين نائم . وغاسل ثيابه . فمنهم من حضر ومنهم من لميحضر ، ففاز بالغنيمة أهلها (هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون)

(قال المؤلف) :

كان والدى يقول كثيرا : جزى الله الشيخ خيرا عنا . فلولاه لظننا الخير فى كل من عظمت عمامته . أو طالت لحيته . ولكننا عرفنا به الغث من السمين والبهرج من الثمين . وكان يقول منذ عرفته : لم التفت الى غيره كائنا من كان وقال أيضا : وقف الشيخ مع بعض أحبابه عند مختتم موسم سيدى احمد ابن موسى . وشرع الشيخ يقول لفقيران فلانا ولى . وفلانا وفلانا . ويريهم اياه فى ذلك المجتمع . فقال له الفقير : والله لو كان كل من على وجه الارض أقطابا ما التفت الى غيرك . فقال له الشيخ : هكذا فليكن المريد الصادق مع شيخه . لان ذلك مفتاح السر عند القوم . وانما مرادنا منكم أن تجمعوا ماءكم لتستقوا منه وتشربوا ، (قال) : قد ألححت عليه فى بعض الايام ان أكتب عنه كل ما وقع بينه وبين الشيخ من الاسرار . فقال : ان ذلك ما لا يمكن ان يوحى به لاى انسان كيفما كان . لان الباطن اذا كتب صار ظاهرا (١) ثم لايفيد بعد . وهذا ما لا أريده ما حييت . واخبرنى أن الشيخ زار مرة (ايداوتنان) فمر بسيدى ابرهيم بن على ولم يزره . فلما كان فوق جبل (بُووُغا) عارضه سيدى ابرهيم بن على قائلا : لِم لَم تزرنى . فقال : انما أخرنا ذلك حتى نطرقك فى رجوعنا . فقال : سبحان الله

---

١) قال محمد عبده : ما جنى التصوف الا من كتبوا فيه كل ما فيه :

االكون مطروقا فقط بل ارجعوا . فرجع الشيخ فى الحين من هناك وبات ثلاثة أيام فى زاويته . ففاض عليه من ذرية الشيخ كل خير . فقلت له : كيف ارغمه على الرجوع . وهو ميت . فقال : انه وان كان فى عالم الارواح فكل ما بدا له فانه يفعله باذن الله ، وذلك يقع لبعض ذوى الارواح لاكلهم . واخبرنى ايضا أنه جلس مع الشيخ فى منزل رجل . فقال الشيخ لذلك الرجل : ان فعلت كذا فانا ضامن لك الجنة ما دمت تعمل صالحا (ان الذين ءامنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) قال الوالد : فخفت أن تفوته هذه الفرصة . فصرت أقرصه واغمزه بفخذى حتى قبل . فلما خرج تبسم الشيخ . وقال : تعبت فى أمر هذا . فقلت له : خفت أن تفوته الفرصة السانحة . واخبرنى قال: تعلق فقير بالشيخ، وهو يستغيث ويستحرم به وهو يأخذ بأذياله . فقال له الشيخ تكلم ما مرادك . فقال : منزلتى فى الجنة . فقال له الشيخ : انما أردنا منكم أن تكونوا رجالا . وأما الجنة فربما لاتعدم من يجرك بفضل الله حتى يلقيك فيها . وقال ايضا : ما وقع نظرى على الشيخ الا وتبسم فى وجهى مذ عرفته الى آن فارقته . وقد قال لى : اننى لا أتخطى (وادى الغاس) الا من أجلك نتلاقى لله وفى الله . وقال : كان الشيخ يخصص لى مجلسا نتذاكر فيه حول جميع الامور . حتى من احسن او من أساء الينا فى الطريق . فلما كان الموسم الاخير . قال لى لاتنتظر ما كنت ألفته منى . فان الوقت أعجل من ذلك . وكل ما تذكرته مما يحتاج الى المذاكرة فاذكره . قال وفى تلك المرة أرسل الىّ فوجدته مضطجعا . وعنده لبدة حمراء . فلما دخلت أومأ الىّ أن أجلس على اللبدة فامتنعت حياء منه ، فقال لى : ذهب وقت الادب اجلس . وقل كل ما هنالك انى ذاهب الى ربى ، قال الوالد : فلم أطق حصر البكاء حين قال ذلك ؛ وقد ادركت قرب أجله . فقلت له انما اشفقنا من الفراق . وأما الموت فقد عرفنا انه فرض عين على كل حى. فقال : ان الفراق عند أهل هذا المعنى يوم يذهب فريق الى الجنة ، وفريق الى السعير فذلك هو الفراق الحقيقى حفظنا الله منه ثم قال : خصنى ربى بخاصية . وذلك أن كل من أخذ عنا فقد امتلات زجاجته سواء عرف أو لم يعرف . ما دام لم يكسرها . فقلت له وكيف يكسرها . فقال : ان اخذ عن غيرى بعدما ياخذ عنى وكسر التوبة التى تنبنى عليها تربيتنا هذه . فقد خسر الدنيا والآخرة باذن الله ورسوله والشيخ . فان صاحبى الواقف على الحدود كالبيضة التى قامت عنها الدجاجة بعد افراخها . فانه لو كانت بعد ذلك تحت دجاج الدنيا جمعاء لاينتج منها فرخ ابدا الا ان مريدى اذا رجع فان الله يجبر كسره بفضله . واخبرنا ايضا قال :

لما كان الشيخ يتهيأ الى الحج . وقف عليه النبى صلى الله عليه وسلم وقال له انك ستزورنا وتبقى هاهنا . قال الشيخ فكنا على تلك النية الى ان بقيت خمسة أيام . فوقف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أخرى . وقال انك ستزورنا وسترجع بجسمك الى محلك ويزداد خيرك فيكون المقصود ان روحه هى التى تبقى فيحضرة الرسول . وأخبر أيضا أن امرأة كانت ترى النبى صلى الله عليه وسلم يقظة . فجاءت الشيخ فقالت له يا سيدى كنت أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحادثه . أهكذا يكون الوصول . فقال لها الشيخ اذا كان حقيقة ما تزعمينه من المحادثة مع الرسول . فاسأليه عن ذلك . فانه هو يخبرك . وبعد أيام رجعت . فقالت للشيخ : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال اما أنا فقد وصلتنى . وأما الله فلم تصلى اليه بعد بالمحادثة معى . فقلت له من يوصلنى الى الله اذن . فقال عليه السلام هو الذى أرسلك الىّ. فلما اخبرت الشيخ لقنها الورد رضى الله عنهم اجمعين .

نزل الوالد رحمه الله الى زاوية (بويگدوين) فلاقى ــ كما تقدم ــ عنتا فى المعاش . ثم توالت عليه بعد ازمان الفتوحات الربانية فى جبال (درن) و (متوگة) و (حاحة) و (ايداوزيكى) فامتلأت الزاوية امتلاء عجيبا بالخيرات. يفد عليها الناس من كل صوب . لكنه رحمه الله لا يعبأ بما يرد عليه من الهدايا . بل بقى على شظف العيش هو وأهله . ولقد رايته وقد أعطاه انسان قميصا . فلما أراد لبسه قطع رَقَبَيَّته (١) وكان غالبا يلبس الجبة وحدها عارى الصدر . وقد شاهدت منه أحوالا غريبة . وكان لايقدر أن يمسه أحد ولو باصبعه . وربما باغته أحد بذلك . فينتفض كأنما يمس على غفلة من سلك كهربائى . سواء كان نائما أو يقظان . وعند ذلك يقول (الله) مادا بها صوته . ويحمر وجهه وعيناه . ثم لايئوب الى رشده الا بعد حين . وقد جالسته يوما وفى يدى ساعة ذات ثمانية أيام . فلما رأى محركها لايفتر عن الدوران . قال : هكذا قلوب العارفين . لاتفتر عن ذكر الله . وان سكنت ظواهرهم . فبواطنهم مشتغلة بذكر الله (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) وما رأيته قط مضطجعا اضطجاعة الراحة . وانما ينام جالساً أو متكئا . وان اضطجع من غير أن أراه فربما والله أعلم . وما مد قط رجله أمامنا نحن أبناءه . وكان يقول : لايمد النبى صلى الله عليه وسلم رجله بين أصحابه . ولذلك أكره أن أمد رجلى أمامكم . وهو متمسك بالسنة فى افعاله واقواله ما استطاع الى ذلك سبيلا . وكان لايحب الرفث من القول.

١) وهى المسماة بالعربية الجُرُبَّان . بضمتين ثم باء مشددة .

واذكر اننى لعنت دجاجة امامه فضربنى . وقال : مالك ولها . وكان يقنع من الطعام بالبلغة . وربما يطوى يومين أو ثلاثة . وفى بعض الاحيان، وهو قليل ، ينبسط انبساطا ؛ وربما يطول مجلسه الى ما بعد وهْن من الليل يجمعنا فيه نحن أولاده خاصة . ولا نتفرق الا فى السحور . وكان يقول : احفظوا ما اقول لكم قبل أن أموت فتنتظرون أن ءاتيكم مناما أو تاتون الى قبرى فتدقون الاحجار فوقى . واخبرنى أن سيدنا الشيخ لما أراد الذهاب الى الحج رتب للفقراء أشغالهم كلها أهل الحس للحس . واهل المعنى للمعنى ثم واعدهم باللقاء يوم كذا من شهر كذا فى (السويرة) قال : فلما اظل اليوم الموعود ذهبنا لنلتقى مع الشيخ فى اليوم الموعود. فبتنا قرب (السويرة) فى ذلك اليوم الموعود . علنا نجد من يخبرنا الخبر الصحيح عن الشيخ . فاذا به نزل فى (السويرة) فى اليوم بعينه . لم يتخلف عنه ولو ساعة لضبط ذهاب الباخرة وايابها . وكان لقاؤنا بـه عنـد دار القائـد الحسن التكنافى بـ (حاحة) وأول كلمة نطق بها أن قال : أحمدوا الله أيها الاحباب حين شغلكم بذكره فى زمان غفل عنه عامة الناس . ثم قال والله والله ما لسيناكم هناك فى جميع المزارات . وعند جميع الدعـوات . ولم نفتكم الا بالاقدام . وأما الخير فنحن فيه سواء . والحمد لله . (قال) : اخبرنى الشيخ انه قبل ذهابه الى الحج اشتاق الى ذلك غاية الاشتياق . فلما وصل الى هنـالك علت همته على كل ما سوى الله . وقد تحدث بأنه لايجد قلبه الا فى مجلس الفقراء تحت ميزاب الرحمة ازاء الكعبة . وقال الشيخ أيضا فى الذاهبين الى الحج من غمار المغاربة . من كان له ايمان ونصف يرجع بايمان كـامـل فقط . ومن كان له ايمان يرجع بنصفه . ومن كان له نصف الايمان يرجع بلا شئ (١) وهم الكثيرون . كما وقع لرفيقى (فلان) فان الذى معه من الايمان نفد بعد رجوعه الى (بنسركاو) (٢) عصمنا الله وذلك لعدم تلقى مشقة الحج بالاطمئنان المطلوب . والصبر الجميل . وأخبرنى ايضا قال : امرنا الشيخ سنة بالسياحـة فى جبل (درن) الى أن نصل الى المحـل المسمى (تازرت) وهى آخر قرى الوادى . قـال : فلاقينا هناك ما شاء اللـه من شظف العيش . وقلة النظافة . وكثرة السهوكة . فاجمعنا أمرنا على أن لا ناكل الا العصيدة التى لا تمسها ايدى أولئك القوم . قـال : فلما بلغنا الى المحل عشية . وجـدنا الماء الذى يتوضا بـه القوم لا يصلح للوضوء .

---

١) من امثال العامة فى بعض المجاج (من تجاوز برقة . فلا تبقى فيه مـرقـة)

٢) قرية ازاء أكادير

فنهينا الجماعة عن الوضوء بمثل هذا الماء . مع وجود الماء الصافي في تلك الجبال . فاستنكفوا من ذلك . وتركونا بلا عشاء . وبعد أن تفرق الجميع أضافنا امام المسجد وحده . فلما استوى بنا المجلس معه سألنا من أنتم . ومن أين قبلتم . فأخبرناه الخبر . فصار يبكي بكاء شديدا . وقال الله أكبر . الى أرسلكم الشيخ وحدى في هذه الجبال النائية . وذلك أنه كان شيخ القبيلة في بلاده . فقدّر عليه قتل شخص . ففر الى الشيخ يستشيره وهو من أصحابه . فأمره الشيخ بالفرار بنفسه ؛ فقال له انما أخاف من فراقك وفراق الفقراء . فقال له الشيخ : ان الفقراء ياتوك حيثما كنت . قال الوالد : فمكثنا عنده ثلاثة أيام ثم رجعنا . والشيخ لم يحدثهم عن الرجل بعد رجوعهم من عنده . وأخبرني سيدى حمّاد قال : تسوقنا أنا ووالدك (سوق الجمعة) وكانت سبحتى غليظة . فلما قربنا من السوق هممت بادخالها تحت جبتى لئلا أكون أضحوكة الفاسقين أثناء السوق . فاذا به التفت الى وقال : اذكر الهيللة . فلم يسعنى الا أن أذكر الهيللة جهرا . وهو مار في وسط السوق . والناس يحدقون فينا من كل جانب . فوقع أكثر مما كنت أخشاه . وهانت على نفسى من ذلك اليوم . فلا أبالى بأى شىء كان . فاستوى عندى المادح والقادح . وأخبرنى سيدى عبد الله الكابوسى قال : كنت أصاحب والدك في بدايتى فرأيت منه عجبا عجابا . فصرت أنا كذلك أترقى في المقامات الى باب الاخلاص بحيث لا اقدر أن آكل طعاما الا اذا كان صاحبه مخلصا في عمله ولو مت جوعا . قال: وهنالك توقفت . قال : وصاحبته يوما الى (تيزى الحجاج) قرب (أسيف يتّك) فلما كان وقت الزوال قال لى : تهيأ للسفر الى (أضارضور) قال : فاشفقت من طول الطريق في تلك الهاجرة . فقال لى : أنظر الظل كم فيه من قدم . فقلت : قدم واحدة . فسرنا نطوى تلك الجبال والادغال ولم تمض علينا الا برهة قصيرة حتى كنا في (أضارضور) فلما دخلنا قال لى أنظر الظل هل وصل الظهر أو لا . فنظرت فاذا في الظل قدم واحدة . من غير أن يزداد الظل قيد أنملة . فكانت كرامة واضحة . وسمعته يتكلم عن الاحتلال وما بعده سنة ١٣٥٩ هـ فقال : ان الامارة لا تصفو لاحد أيا كان حتى ياتيها ربها . ثم قال : اختلف أهل الديوان في خروجهم - يعنى المحتلين - فقال قوم ليخرجوا فقد تعدوا الحدود . واستباحوا الحريم . وقال آخرون . وهم الاكثرون حتى يصلحوا ما جاءوا من أجله من الطرقات وغيرها . وأخبرتنى الوالدة قالت : انهال علينا رَجْلٌ من الجراد يوما . فاجفل الناس يذودونه عن الحقول . ولم يمض علينا الا قليل حتى انحسر

كأنه لم يكن . فقال الوالد : هكذا يكون حال هؤلاء المحتلين ينجلى بسرعة . فقالت له : ومتى ؟ فقال : يوم يمر الطريق . فى المحل الفلانى . وقد مر الآن (١) .

(قال المؤلف) :

كنت أردت الذهاب الى بعض المواسم من غير اذنه . فارسل من يردنى من الطريق . فلما دخلت عليه ، شرع يصب علىّ ما فى جرابه من العتاب الى أن قال : لايكونن الامر فيك كما تريد أنت . بل كما أريد أنا فيك ، باذنه الله ورسوله . وقال مرة أخرى اذهب ما شئت فانى آخذ بزمامك والى عندى مآلك . وودعنى مرة الى موسم الشيخ الالغى يوم كان فى منفاه ممنوعا من الاسفار . وقد كان نفى من (بوكودوين) من(ايداوزيكى) الى مسقط رأسه (تامكونسى) من (ايداوتنان) وذلك بعد واقعة الفقيه سيدى الحسن الواغزنى ١٣٥٤ هـ. التى حملت الاستعمار حتى أساء الظنون بكل من له أدنى شهرة من أهل الزوايا . (أقول) : واعان على ذلك كونه يزورنى فى (مراكش) وان ولده عبد الحميد ــ كاتب هذه الترجمة ــ يأخذ عنى). فحين أردت ذلك السفر قال لى : اقرأ السلام على الشيخ عند قبره ، وقل له كذا وكذا . فقلت متجاهلا : مات الشيخ وصارت عظامه رمة . فكيف اهدى أنا ازاء قبره بهذا . فقال : أدّ الرسالة كما قلت لك ولا عليك . ثم قال : جاء بعض الفقراء مرة الى ما فوق قبر الشيخ . فصار يقرأ سورة (يس) فغلط فيها . فقوم له الشيخ الآية من قبره . ثم قرأ علىّ بعد الحكاية (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) واخبرنى ايضا قال : سقطت طفلة من أعلى سطح ، فانشقت شفتها السفلى . فسهرت عليها امها . وهى تبكى . لأن بنتها ستكون شوهاء الخلقة . وربما لا تتزوج فى كبرها ؛ فاغتمت من أجل هذا . وهى فقيرة صادقة من صواحب الشيخ . قال : وبينما هى فى بيتها وحدها ، والطفلة بين ذراعيها . اذ دخل عليها الشيخ معاينة دخولا محققا بشخصه المعروف ــ وقد عرفته من قبل ــ فلم يكلمها ، الى أن لم شفة ابنتها باصابعه . فالتامت كأنما لم يصبها أذى من قبل . وقد حصل له هذا يقظة . وبينها وبين بلد الشيخ بلاد شاسعة . واخبرنى قال : كان فى وقت موسم للشيخ الالغى عسل عندى أريد به الذهاب الى الزاوية . ولا رفيق ولا بهيمة . فذهبت الى السوق . وطلبت من الحى البهيمة فاخذ يسوفنى الى الاصيل . ولم يبق الا القليل من الناس فى السوق

١) يعنى الطريق الطالعة من (امسكروض) والعجيب أنه بمجرد ماوصل الطريق المرصوف المحل الذى ذكره جاء الاستقلال .

فقلت له يا أخى ان كانت البهيمة فارحنى بها . وان كان غير ذلك فاقض ما أنت قاض . فقال: ان البهيمة أردتها للقاء غرض مهم وكفى. قال: فاستودت الدنيا أمامى . فوقعت فى ارتباك شديد . فخرجت سادرا . فاذا برجل راكب على حمار متين ، له لجام . فقلت يا فلان ألا تبيع هذا الحمار . فقال بلى فقلت له : بكم . فقال : بثلاث ريالات حسنية ، فقلت له أنزل فهو مبيع . قال : فلما نزل وركبت الحمار ، قلت له : الاجل فى الثمن بينى وبينك خمسة عشر يوما . فقال : من أنت ؟ فلما عرف من أنا رضى بذمتى فاجلنى قال : فرحت الى الدار ، فبقيت مسألة الحمل التى أحمل به زقاق العسل فظهر لى أن اخذ قميصا لى من الصوف وخطته خياطة الاحمال ، وجعلت فيه جلود العسل . فسرت من ليلتى لالحق الركب المتوجه الى موسم (تازاروالت) ولم أدخل الزاوية الا بعد عشاء يوم الاثنين . وموسم الشيخ كما هو معلوم يبتدىء من يوم الاحد الى يوم الاربعاء . قال : فلما ذكرت الهيللة خرج الشيخ بنفسه كأنما كان يترصد لى . فتلقانى بوجهه الضاحك . وقال قبل أن يقول لى كلمة : هكذا يفعل الفقير بنفسه . يجعل قميصه حملا ان لم يجد حملا . ثم اخرج القميص فى الحين ليلا لغسله قائلا ان العسل صابون بنفسه. قال وبعد ارفضاض الموسم حدثت الشيخ بتفصيل ماوقع لى فامرنى ببيع الحمار فى (تازاروالت) فبعته بثلاث ريالات وأعطيت الدراهم للبائع فى يوم الاجل المعين . قال ايضا : حملت على بهيمة حملا ثقيلا من الشعير فعثرت به . وانا وحدى فى الخلاء . فاستغثت بالشيخ ، فاذا بالبهيمة تنوء بالحمل وتقوم من غير أن يعينها أحد . وأخبر أيضا : أن الشيخ ينزل على سيدة شريفة فى زاوية (أسيف ييكًّ) فتامر الحاج عمر ـ وهو رجل هناك ـ مع اللصوص ان يسرقوا بغال الشيخ. ان كان الشيخ هناك مرة أخرى. نكاية بها وبضيفها فلما رجع الشيخ طرق السيدة كعادته . وبمجرد نزوله أمر بالبغال فربطت ازاءه حيث تراقب الى الصباح خارج الدار . وقال : هاتوا بالفراش الى هنا. فحلق الفقراء أمام البهائم وفى أثناء الذكر سقط فنار عظيم من أعلى الشجرة التى جلسوا تحتها على صفاة . فسمعه كل من حضر . فظن الناس أنه تكسر تكسرا متفاحشا. فاذا به لم يقع فيه أى عطب. ولم تنطفىء الشمعة التى فيه . وما كان الفنار الا مستعارا من عند بعض الجيران . فلما عاين الوشاة تلك النادرة الخارقة خلصوا نجيا يتعجبون . فحصلت لهم الهيبة . وأخبر ايضا ان أبا هذه الشريفة الصالحة وهو سيدى محمد ارسلته أمه الى الشيخ ليسلفه ثمن بغل يشتريه من (تازاروالت) فلما أخبر الشيخ بالخبر . قال له : اذهب الى الموسم واشتر البغل . فانا أؤدى ثمنه . فذهب الشريف الى

الموسم.وبمجرد تمسكه بلجام بغل في الموسم وقع انفجار هائل من البارود، احترق به كثير من الناس . فحيل بين البائع والشريف . فذهب الشريف بالبغل غنيمة باردة وقد فتش عن صاحبه ولم يجده . (أقـول) : هذه السيـدة المذكورة تسمى للا كلثوم . من صواحب الشيخ الفذات القانتات العابدات توفيت حوالى ١٣٤٠ هـ) .

(قـــال المـؤلـف) :

اخبرني ايضا والدى أن فقيرا من (الدير) فـي (ايداوزيكي) أعطـى للشيخ فردية من الماء . وهي عبارة عن سقى يوم كامل . أو ليلـة كاملـة . فلما علم بعض الوشاة بذلك أرسل من يدعى أن الماء له وليس للمعطـى . وتداعيا الى الخليفة المتوكى . وهو اذ ذاك فى (ايمى نتانوت) والمراد أن يسجن الفقير حتى يموت . ويذهب الوشاة بالماء . فلما علم الفقير بذلك اجفل أى اجفال . وقال لوالدى : وداعا يافلان ، فلن ترى أخاك بعد هذا اليوم . قال الوالد : فودعته فى يد الله بعد ما أمرته أن لا ينسى الشيخ . ففعل الفقير ما امره به الوالد . فذهب الى السوق فـي (ايمينتانوت) واشترى نصف قنطار من السكر . واعطى فيه عربونا ثلاثة قروش . وهى كل ما يملك . فترك السكر عند البائع حتى يوفيه الثمن . فظل الفقير يدور لعله يجد من يسلفه ولو دانقا . وكلما مر أمام البائع يقول له ارفع سكرك . فاني ساذهب الى حال سبيل . والفقير يسوفه ريثما يجد تمام الثمن . وهكذا الى الاصيل فلما همّ الفقير بالمرور مرة اخرى أمام البائع . قال له البائع : والله لاتجوز امامى حتى ترفع امامتك . فتوكل الفقير عـلى الله . ورفـع السكر . فلما انصرف ناداه البائع : ان خذ ما بقى لك مما عندى من الدراهم . واعطـاه الثلاثة القروش التى كانت عربونا . فعلم الفقير أن هنالك شخصا اخـر ادى ثمن السكر ببركة الشيخ رضى الله عنه . وزاره فقراء من (اكادير ايداوسوار) ففرح بهم غاية . فاكدهم وحرضهم على التمسك بعهد الشيخ ويقول : عليكم بالشيخ وان كان ما كان . فقلت فى نفسى : واعجبا كيف دلهم على الشيخ من دون ان يدلهم على الله ــ كما يقوله دائما المنكرون عـلى الصوفية من الطلبة ــ فالتفت الىّ غاضبا ، وقال : لاتظنن انى لم اعرف الله فانما ادلهم على من يوصلهم الى الله . ولم يدر القوم ما المراد بذلك . ولكن انا وحدى المدرك لمعنى مـا قال لى . فخسئت نفسى حتى لا احـير جوابا . واخبرني ايضا ان الشيخ ارسل اليه رسالة يقول فيها : بمجرد وصـول هذه الرسالة اخرج من (بوكودوين) الى ما جاوره مـن قرى (ايداوتنان) قال : فلما قرأ ت الرسالة : قلت لا أذهب حتى أجز صوف شياه كانت لى

عند بعض الناس . فبينما أنا أجزها اذا بسرية أتت على القرية فاجلتهـا . وأحرقت دورها الى الزاوية . قال : فما رجعت الا والدخان يتماوج فى عنان السماء . فذكرت قول الشيخ . فندمت ولات ساعة مندم . وأخبرنى سيدى حمّاد بوعايدا الفقير المتجرد (١) قال : كان من عادتنا ونحن شباب من الفقراء أن لانتخلف عن مجلس الصباح والمساء فى الزاوية عنـد والـدك . فتخالفنا فى عيد الاضحى لألعاب شعبية ـ وذلك أن نلبس الجلود ونتزيـا بزى النساء وغير ذلك ـ قال : فلما قدمنا فى الغد . قال لنا أبوك : أيـن كنتم . فاخبرناه الخبر . فقال : كل واحد منكم يقضى ما فاته مـن مجلس الامس . فقام فقير للذكر فضحك منه بعض الجلاس. فقام الوالد الى الضاحك فأخذ بعضده ورماه بصحن الزاوية كريشة . قال : فتعجبنا من هذه القوة الربانية منه . وأخبر سيدى حمّاد أيضا قال : قال والدك يوما لنا يذهب فلان حتى يعصى الله فيأتينى . ويجلس أمامى ينتظر ان أخبره بما فعـل . ولكن اولياء الله على صفة الله يحبون أن يستروا ما ستره الله . ثم قال لنا : أرأيتم هذه الكاس لكأس فى يده . اذا امتلأت ماء . أيخفى عليك منها شيء ، ولو قليلا ضئيلا . فقلت لا . فقال : هكذا خلق الله عندى لايخفى عنى منهم شيء بفضل الله . الا اننى أغضى عن العورات . وأخبرنى سيدى حمّاد أيضا قال : حتم علىّ والدك الذهاب معه الى زاوية (تاماكوست) وقد أصابنى شيء فى عينى الصحيحة ـ لأنه كان أعور ـ قال فاقتحمنا الهاجرة . وتسلقنا جبالا وعقبات . حتى رحنا الى الزاوية . فاذا بسيدى سعيد التنانى مع طائفة من الفقراء المتجردين راحوا هم كذلك الى الزاوية . قال : فعلمت أن المراد من تلك الحركة هو اللقى بسيدى سعيد . قال فبت بلا عشاء فى الزاوية . لاننى كنت نائما من شدة ما نالنى من التعب . فلما استيقظت توضأت وصليت العشاء بعد منتصف الليل ونمت مرة أخرى. فاذا بشخص أيقظنى واخرجنى من موضعى الى صحن الزاوية . والفقراء كلهم نيام فيه . فوجدت ثلاث قصاع من الكسكس . وكلها مسنمة باللحم والخضر فأيقظ ذلك الشخص فقيرين اخرين فشرعا يأكلان فى احدى القصع . وقال لى كل أنت من هذه وحدك كما يأكل فقير اخر وحده من القصعة الثالثة . قـال فلمـا شبعت تركت الطعام والاكلين. واستأنفت نومى . فقلت له : أفى النوم رأيت هذا أم فى اليقظة ؟ فقال : بل يقظة ولكنها كرامة . لان ذلك لم يقع فى عالم الواقع المحسوس . واخبرنى الوالد بمثل هذه الحكاية . قال : كنـا فـى موسم (تيغانيمين) زاوية سيدى ابرهيم بن على. فأكل الناس ما شاءت لهم أنفسهم

---

١) ذكر فى (منية المتطلعين) المطبوعة .

من أنواع الطعام . ولكنه لا ماء في الزاوية . فبات الناس عطاشا . قال : فلما مضى طرف من الليل أتاني آت . وقال : أتريد ان تشرب . فقلت له : نعم . فقال : اتبعني ، فاتبعته الى ما تحت القباب الذى تصب منه عين الزاوية . فاذا بالماء ينبع منه كأحسن ما يكون . وهو أبيض من اللبن . قال فلما شربت تذكرت رفيقي فاتيت اليه من الماء . فأيقظته فلما اخذ اناء الماء وهمّ بالشرب . فاذا بذلك الشخص أخذ الاناء من بين يديه نزعه منه وقال : ليس كل من قال عطشت يشرب . فبهتنا من هذا العمل . كاننا في الحلم . فقلت لرفيقي (١) (الرجاء في الله)هذا ما عليّ . واخبرني الوالد ايضا : ان فقيرا أعطى رمكته للشيخ يركبها في بعض سياحاته . فلما رجعت الرمكة الى ربها ولدت له مهرتين اثنتين متشابهتي الخلقة . وكلتاهما ذات غرة بيضاء قال : فكان ذلك الفقير كلما أراد ايراد الرمكة من البير يطلق معها احدى المهرتين . ويمسك الاخرى في الدار خوفا من افشاء السر . الى ان كبرتا فباعهما معا ويعد ذلك من كرامات الشيخ . لان ذلك غير معهود . واخبرني ثقة اخبره الاشكر بن علي بن مالك التناني الوقوح . قال : قلت للشيخ : ان الاولياء يظهرون كرامات ليتبعهم الناس . وأنت يا سيدي الحاج علي لم تظهر لنا شيئا . فقال له الشيخ : حسن ان شئت الكرامة فستراها . فذهب الاشكر الى بلده . فوجد أناسا يتشاجرون . فلما اقتتلوا اخذ يمشي بينهم لأجل أن يصطلحا . فارسل أحدهم حجرا فالتقى مع الاشكر عفوا في فيه . فتساقطت أسنانه الامامية كلها . فتذكر ما أوعده به الشيخ من الكرامة . فعرف من أين أوتي فاناب من وقاحته على الشيخ . ووجدت الوالد ذات يوم جالسا وحده . فسلمت عليه وقال : قال سيدي فلان لابنه : وجدتني كما خرج عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له ابنه لعلك ايضا تهذي . فقال له الحق أقول لك . ففطنت لتلويحه الى انه هو الذي وقع له ذلك . واخبرني رجل من (أكادير اداوسوار) يسمى عليا الشاطر . قال : كان والدك عند الفقيه سيدي الحسن من «ال أحمد أويهي» السيد الصوفي التقي النقي المشارط في ذلك المكان . الى أن مات ١٣٥٢ هـ - وسيأتي - فدخلت جماعة يسلمون عليهما . الى أن سلم عليه بيهي أومزيل فصوّب طرفه اليه . فقال له : اجلس ، فجلس ازاءه . فاخذ والدك بتلابيبه امام الجم الغفير من الناس . وقال له : لم أكلت كبشي يا فلان . فتحير الناس من هذه التهمة التي يجهلون اصلها . والرجل ساكت لا يحير جوابا . وهو

---

١) كلمة تقال عند الناس عادة عند العجز التام .

آخذ بتلابيبه . حتى بلغ منه الجهد . قال الفقير علي : فلما رأيت حرج الموقف تكلمت وقلت : دعه يا سيدى فان أكل شيئا . فأنا اغرمه عنه . فقال بعد أن دحرجه بعيدا عنه : بل ندعه لله . قال : وفي ذلك اليوم بعينه جلس عند أناس يحرثون زرعاً . فلما هم بالقيام أنّ أنّة . فقيل ما دهاك . فقال احسست كأن شخصا ضربني برصاصة على قلبي. ولم يمض عليه الا أيام ثلاثة حتى توفي رحمه الله . وأصل هذه التهمة أن غنما لبيهي بن بيهي وهو صهر المترجم . ضل منها كبش فظفر به ذلك المتهم ، فذبحه وأكله وقد ورد بقية الغنم كلها لربها . فلما سأله عن الكبش . قال انما ظفرت بما رأيت فقط . ولعله أكله الذئب ،فمضت على ذلك أيام بل شهور الى أن فضحه المترجم بين الناس. وأخبر أيضا الفقير علي أنه حضر في مجلس الوالد . فوقع شنئان بينه وبين شخص من الجبابرة كلمة سوء . فاخذ الوالد بتلابيبه فاستكان ذلك الجبار . وهو آخذه بيده النحيفة . حتى كادت روحه تزهق . قال : فهممت أيضا أنا بالانصراف . فاقعدني بيده اليسرى . وقال : اجلس حتى ترى ما يفعل الله بهذا الظالم . فصار يقول له مكررا : لم تعرفني . ولن تعرفني . الى أن فكه الفقير علي من يده . وهذه القوة الغريبة . شاهدها فيه جل الناس ، وهو اذ ذاك ينيف على التسعين من عمره . وقد اعطاه الله سلامة الحواس . حتى انه يرى الشيء قبل أن نراه نحن أبناءه . ولكن عيناه لاتخلوان من الاثمد المشتمل على سبعة عقاقير . وكان يطالع الكتب كثيرا . ولا يقتصر على نوع منها بل يطالع كل ما وجد كـ (الاحياء) و (حياة الحيوان) وكتاب (الرحمة) و (نعت البدايات) و (تسهيل المنافع) و « مكارم الاخلاق » و (المدخل) وغير ذلك . ووجدته في بعض الايام يطالع كتاب (الاحياء) للغزالي . فقلت له : ما أحسن هذا الكتاب في باب السلوك . فقال : انما هؤلاء قطاع الطريق . فالطريق الى الله لايحتاج الى هذا التعب عند أهل هذا الزمان ، وقد أمليت عليه بعض الفقرات من كتاب (الفتح الرباني . فيما يختص بالمريد التجاني) ومرادى بذلك استشارته كي ينصدر منه شيء في الموضوع . فقال لي وقد مد راحته : الدنيا كلها ههنا وأشار الى راحته . ثم قال انما أردنا منكم أن تكونوا رجالا . واما ان اتبعتم مثل هذه الترهات التي تمتد من الاوراق فسوف ترون اذ انجلى الغبار أفرس تحتكم أم حمار . ثم قال أتدرى ما وقع لسيدى سعيد التناني . في هذا الميدان مع سيدى الحاج الحسن الكزويي . قال لسيدى سعيد خذ عني الورد ، فقال له سيدى سعيد : ان كنت شيخ التربية فسآخذ عنك. والا فلا أقنع بصلاة الفاتح فقط أتفيهق بها مع وحمان نيت مبارك وأمثاله . وهؤلاء ممن يذكرون الوظيفة

مع سيدى الحاج الحسن . فقال له سيدى الحاج الحسن : سابحث لك عن الشيخ الماذون له . وبعد أيام أرسله الى سيدى محمد الامغارى مقدم الطريقة الاحمدية فى (حاحة) فلما وصل سيدى سعيد اليه . قال له انى سائلك عن شيء ، ان كذبت على فيه فانى مؤاخذك به بين يدى الله عز وجل . فقال له : قل . فقال سيدى سعيد أسألك عن شيخ التربية ان كنته فلا تغشنى . وان لم تكنه فلا تكذبنى فانت وسيدى الحاج الحسن منزهان عندنا عن الكذب . فقال له سيدى محمد : ان الشيخ لا وجود له فى طريقتنا هذه بعد شيخها وانما نحن مقدمون لا غير . فان قنعت ببركة الاذكار فذاك . والا فانظر محلا آخر لاسيما عند هؤلاء السوسيين الدرقاويين . فاننى اشم منهم رائحة ما تفتش عنه . فقد نصحت لك لوجه الله فلا تبحث عن الشيخ الحى الماذون له بالتربية فى طريقتنا هذه سواء عندى أو عند غيرى . فرجع سيدى سعيد واخبر شيخه سيدى الحاج الحسن بالخبر . ومكث على تلك الحالة ما شاء الله فاذا بالشيخ الحقيقى سيدى الحاج على ساح الى تلك النواحى فوصل (ايسفال) فلما صلى بالناس الظهر فى مدرسة (ايسفال) والمسجد غاص بالناس مد يده الكريمة ، وقال كل من أخذ يدى هذه فان الله بفضله ينجيه من كذا . وكان اول من قام فاخذ بيده الفقيه سيدى الحاج الحسن لحسن ظنه . ثم تتابع الناس على أخذها الى أن كان آخر من أخذ يده فى ذلك المجلس سيدى سعيد التنانى . بعد أن قال له الشيخ هات يدك أيها السيد . ودع عنك الوسواس . فانا هو ذلك الشيخ الذى تبحث عنه . فلما اخذ بيده الكريمة قال الشيخ لسيدى الحاج الحسن . قد علمت أن هذا تلميذك . وانك اول الناس به . والآن ها هو ذا بين يديك . فان ضمنت له ما يتطلبه من الوصول الى الله فذاك . والا فدعه لمن يحمل عنك اثقاله . فقال له الفقيه : سلاما سلاما يا سيدى . وبعد ما أخذ سيدى سعيد عن الشيخ شارط فى (تيديلى) من قرى (ايداوتنان) فارسل اليه استاذه سيدى الحاج الحسن بعض كتب الطريقة الاحمدية ، يسرده على من هنالك من الفقراء الاحمديون . وذات ليلة وسوست له نفسه بانه ربما كان عند هؤلاء ما يتطلبه دائما . لكثرة ما يراه فى الكتاب من الوعود . وفى الليل رأى كأن الشيخ سيدى الحاج على يطل عليه من أعلى قصر عال وهو يتلاعب برجليه المتدليتين من اعلى القصر وسيدى سعيد فى الارض جالس ازاء قبر الشيخ سيدى مولاى أحمد رضى الله عنه فجعل الشيخ يقول له : قل لصاحب ذلك القبر ان يرقيك الى هنا الآن . فاستيقظ سيدى سعيد مذعورا . فاسرج القنديل وكتب الرؤيا ، وفى الصباح جمع ما تيسر له من شرطه . فودع الجماعة . ولحق بالشيخ

الالغى بعد أن كتب الى المترجم رسالة يخبره فيها بجلية الامر . ولحق بالشيخ فى (تاسيلا أوزاريف) أو فى مكان ءاخر . وفى تلك السياحة وحدها رأى النبى صلى الله عليه وسلم كذا وكذا مرة (١) . وذكر يوما آخر . قال : دخلت على سيدى الحاج الحسن العابد المنقطع النظير فى رقة القلب. فوجده يبكى بكاء مرا . وقد رد طرف ردائه على وجهه . فسلمت عليه . فقلت له : مالك ياسيدى . فقال : لماذا لا أبكى وقد انقطع عمرى من غير أن التقى بالشيخ الحى الذى يوصلنى الى الله . فقلت له ها هو ذا الشيخ الحى موجود . فقال هيهات . فاتنا الركب . وربطنا أنفسنا رباطاً أبدياً لاننفك منه وقد كان هو وسيدى محمد الامغارى من افاضل زمنهما رضى الله عنهما . وكان الوالد رضى الله تعلى عنه يقول: أنا مجذوب فاذا تكلمت فلا تعارضونى فى أى أمر . وكان يقول فى أخريات أيامه : أنا ميت منذ زمان . وانما هى روحى تخاطبكم . واخبرنى أيضا أنه كان فى الزاوية (الالغية) والثلج يتساقط واسنان الفقراء تصطك من الزمهرير . فزار بعض أعيان تلكم القبائل الشيخ . فاعتنى باكرامه أيما اعتناء . فما شئت من كرم ومذاكرة وفرح . قال : فجزت أمام الباب الذى فيه أولئك . فنادانى الفقير المكلف بهم أن أدخل الينا . وكل طعاما سخينا . فقلت له : انى مشفق من الشيخ أن يجدنى فى غير محلى بين الفقراء . فقال الفقير ان الشيخ دخل الدار . ولا يرجع الا بعد حين . فدخلت وشرعت آكل . فاذا بالشيخ خرج . وجلس على عتبة الباب خارجا ، فصار يخاطب أولئك القوم بكلامه الجهورى . ومن جملة ما قال لهم : انى رأيت الليلة فى المنام القائد عبد المالك المتوكى فى مجلس من الاولياء . فصاروا يعاتبونه ويقولون : فعلت فعلت . فوعدهم أن لايعود الى فعله أبدا . فقالوا له : لابد من ضامن يضمنك . فالتفت يمينا وشمالا . فلم يجد من يضمنه . فضمنته أنا . ثم قال وقد وجه الىَّ الخطاب من وراء حجاب ، وأنا مختف عنه : ذكرنى يا سيدى الحسين أن أعطيك رسالة الى القائد . قال الوالد : وعند الوداع أعطانى الرسالة . وفيها تلك الرؤيا بعينها . وذهبت بها الى القائد . فقرأتها عليه . ففرح بها غاية الفرح وبقى القائد عبد المالك لا من يعكر عليه صفو المورد . حتى توفى ١٣٤٥ ﻫ فكان ما كان . وبمثل هذه الحكاية أخبرنى عن القائد ابرهيم الدليمى الهشتوكى قال : ثار ثائر على مولاى سليمان العلوى فقام سيدى محمد

---

١) توجد هذه الحكاية حول سيدى سعيد كما سمعتها منه باذنى . وانه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين مرة . وقد مرت ترجمة سيدى سعيد بكل ما فيها .

ابن أحمد التاساكاتي . فشن حربا شعواء على ذلك الثائر بمؤازرة جد القائد الدليمي . وهو القائد محمد . فلما خضدوا شوكته . واخمدوا جذوته قال سيدي مَحمد التاساكاتي : اللهم اجعل الدليمي وراء الدليمي حتى تقوم الساعة . فكان الامر كذلك الى ان كان سيدي محمد (أبو البيصات) وهو احد السبعة الذين أخذوا الطريقة عن سيدي أحمد بن عبد الله المراكشي وهو من رجال التصريف . وهو خال سيدي الحسين المزاري المتجرد الشهير فاتى بطائفة من الفقراء الى باب دار القائد ابرهيم . فذكروا الهيللة ما شاء الله فارسل اليهم رسولا يقول لهم: باذن القائد اذهبوا الى المسجد. فسترون ما قسم لكم من الرزق . فرده الفقير سيدي محمد قائلا : قل لسيدك قد عرفنا المسجد . ولو شئنا لذهبنا اليه . ولكن جئتك بهؤلاء الفقراء لتتبرك بهم . فرجع الرسول ، وقال لهم قولته الاولى . فذهب الفقراء الى المسجد . فلما قرأوا الحزب قال الفقير سيدي محمد : اشهدوا أيها الاخوان انى برىء من ذمة هذا القائد منذ اليوم . فانا هو المكلف دائما بحراسته والذود عنه عند اهل الديوان . واليوم اذ فعل ما فعل فأنتم شهداء بأنني براء من ذمته . قال : ولم تمض أيام قلائل حتى تجمعت جموع (هشتوكة) فاجلوا الدليمي وخربوا داره فتشتت شمله . رغم دعوة سيدي مَحمد التاساكاتي لدارهم بدوام الرياسة حتى تقوم الساعة (١) . قال الوالد : وسيدي محمد (ابو البيصات) هذا هو الذي برح على السلطان مولاى الحسن أن لايبقى في بلاد (اداوتنان) أكثر من ثلاث ليال . وذلك أن مولاى الحسن أتى التنانيين بجيش جرار . فيه احد وسبعين الف جندي . فلما نزل في المحل الذي يسمى (تيقي) أرسل أهل الديوان سيدي محمدا ليأمره أن لا يمكث أكثر من الضيافة السنية . وفي اليوم الرابع أحتوشته النار ليلا من كل جانب . الا الجانب الشمالي : الناحية التي سلكها . ولم تفتر عليه النار حتى خرج من تلك الارض . هذا ما حدث به جمهور التنانيين والله أعلم . قال الوالد : لما نزل السلطان مولاى الحسن في (تيقي) اخبرت أن موقته كان فقيرا . فصرت افتش عنه حتى وجدته . فلما رآني تلقاني بكل سرور . وقال : تبلغوا بهذه التميرات فان ما معنا من الزاد قد نفد . لان العادة ان لا آكل الا

---

١) الثائر الذى قاومه التاساكاتى هو بوحلاس سنة ١٢٠٧ هـ وقد عرفنا الرياسة من ءال الدليمى كانت ابتدأت من ذلك الوقت والسلطان الذى كان عهده مبتدئا اذ ذاك هو مولاى سليمان العلوى ١٢٠٧ هـ = ١٢٣٨ هـ وقد رجع القائد ابرهيم الى داره بعدما خربت مرارا الى أن توفى ١٣٠٧ هـ وقد ذكر الدليميون هؤلاء فى (الرابع عشر)

مما يأكله السلطان . والسلطان قد طوى منذ الامس . ولـم يذق ذواقـا ، قال الوالد : فقلت لهم أنتم هكذا جياع . والخير ينهال عليكم من كل جانب . وقال ان السلطان لا يأكل الا مما يأتيه من داره ليلا يقع فى أكـل الحرام . قال الوالد : فوعدته بالرجوع غدا . وفى الغد هيأت طعاما وأتيته به . فاذا بهم قد ارتحلوا مع طلوع الفجر . وأخبرنى أيضـا أن الشيـخ مر يومـا بـ(أكادير ايداوسوار) ففرحوا به واخذوا عنه الورد . فلما رجع وجد سيدى الحاج الحسن الايسقالى، قلبهم رأسا على عقب . بأن طوقهم الطريقة الاحمدية ونبذوا الطريقة الالفية . الا القليل منهم . فلما نزل الشيخ بهم فرحوا به كعادتهم . وأتوا بطعام كبير . لان رئيسهم كان فقيرا مجدا . فلما رأى الشيخ اجتماعهم ، قال لهم : اجلسوا للطعام سبعة سبعة . فجلس كل من هنالك. ولم يبق أحد منهم . فكان ذلك أعجوبة عند الحاضرين لان القـوم كـثيرون . ولا يمكن للشيخ أن يعدهم فى تلك اللحظة . فلما أكل القوم صار الشيخ يؤنبهم على أن فرطوا فى العهد الذى عاهدهم عليه . وقال لهم ماذا قال لكم الذى أعطى لكم الورد بعدى . فقالوا بلسان واحد : قال لنا الشيخ هو سيدى مولاى أحمد . وانما أنا واسطة . فقال : الله يرضى عنه لقد صدقكم . وأهل الصدق هو ، فلا حجة لكم عليه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة . فاولى لكم أيها القوم أولى كذبتمونى أنا القائل لكم أنا هو الشيخ بعينى باذن الله ورسوله . وتمسكتم بمن يدلكم على غيره . ثم قال رضى الله عنـه : أتعـرفون المشايـخ الكبار : سيدى أحمد بن موسى . ومولاى عبد القادر . وسيدى ابرهيم بن على وسيدى محمد بن يعقوب . وسيدى أحمد التيجانى واضرابهم . فقد أعطاهم الله فى أزمانهم ما أعطانا فى زماننا . والسر الذى يضعه الله فى كل زمان يجعله فى أهل ذلك الزمان نفسه . فمن لم يعرف ربه من أهـل زمانـه . لايعرفه أبدا . فالاذكار اذكار كيفما كانت . ولكن السر فى ملاقـاة الرجال فى كلام كثير هذا معناه (١) . واخبرنى أيضا قال : جلس الشيخ رضى الله عنه للمذاكرة فيما بين العشائين كالعادة . فلما فتـح الكتـاب ، شرع يئن ويتنهد . ويقول عفوك اللهم يارب ان لم ترحمنا فمن يرحمنا . وان لم تعف عنا فمن يعفو عنا . وان عذبتنا فلا قدرة لنا على عذابك . وما زال يتضرع الى أن اذنت العشاء . حتى أشفق الفقراء مما يحدث ولكن الله سلم . وقد كان الشيخ يكثر التضرع الى الله كلما توجس مخوفا .

---

١) نأتى نحن بأمثال هذه المجاذبات بين الطرقيين الصادقين لنصور حالة المجتمع بينهم اذ ذاك . ونحن نسلم المجميع . ولا نحب التفرقة بين المسلمين لابالمذاهب ولا بالطرق. فضلا عن هذه الاحزاب التى هى من بقايا الاستعمار

واخبرني أن سيدى سعيدا التنانى اخذ قملة كبيرة من مرقعته اثناء مذاكرة للشيخ فتحير فى أمرها ان قتلها فجلدها نجس وان اطلقها فلا تسمح نفسه بذلك . وبينما هو كذلك اذ بالشيخ يقول : مع من نتكلم الآن انما نخاطب القمل فلما عرف سيدى سعيد أن الخطاب موجه اليه أطلق القملة فى مرقعته . فاقبل على الشيخ .

وحكى أن سيدى سعيدا سأل بقلبه الشيخ فى مجلس عن قوله تعلى: (لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل) الآية. فاجابه الشيخ بقوله: لايستوى من يفتح له بالمجاهدة مع غيره . كما لايستوى الفقير الذى يقول لا أتبع الشيخ حتى أرى منه كرامة أو مكاشفة .مع من يقتدى بالشيخ من غير أن يرى منه شيئا . فان مقام الثانى أعلى من مقام الاول (وكلا وعد الله الحسنى) هذا ما قاله الشيخ بالمعنى باختصار- وقد تقدم ذلك فى ترجمته -

واخبرني سيدى حمّاد قال : أرسل الىَّ معفقيرسيدى سعيد التنانى من (أودجو) لنرافقه الى (أزيار) لنكون ثلاثة . ونفوز بفضل الجماعة . وقال : لاتخبرسيدى الحسين انني هنا . فانك ان أخبرته فسيعوقنا بثقله (١) والوقت أعجل من ذلك . قال: فاخبرت سيدى محمدا البوكودوينى بالخبر، فحار ، فلما هممت بالرجوع اذا بسيدى الحسين يخرج من داره وفى يده عكازته متهيئا للسفر . فلما رآنى ضحك وقال : أهنالك سيدى محمد اوبيهى . فقلت نعم . فقال : قل له يصحب معه عكازته حينه . فلما خرج سيدى محمد أوبيهى وسرنا فى الطريق التفت الىَّ وقال : ما تقول فيمن يخاطبه الله ؟ فسيدى سعيد ممن يخاطبهم الله . قال : ولما دخلنا على سيدى سعيد ، فرح بنا ولم يقل له سيدى الحسين عن ذلك . بل بتنا الى الصباح. وسرنا نحو (أزيار) فلما كنا فى اثناء الطريق وسيدى سعيد راكب على بغلة ، ونحن مشاة . قال لنا سيدى الحسين : قولوا لسيدى سعيد يعلمكم شيئا تستعينون به على نوائب الزمان . فلما لحقنا سيدى سعيدا ، قال له سيدى الحسين ما قال لنا . فانتقع لون سيدى سعيد . وقال : أتريد ان نفعل بهم ايضا كما فعلنا بالفقير محمد أوجدى . فانه منذ غمرته الدنيا ما رئى فى مجلس الذكر بعد . وهؤلاء انما خلقوا للمجالس . ثم انصرف عنا . ولم يتكلم مع واحد منا بعد ، قال : ومراده أن يدافع عن بعض الخوانه ظاهرا . والا فان همته لا تتعلق بسعة الرزق لنا ولا لغيرنا . رحم الله الجميع

واخبرني سيدى حايدو قال : حضرت فى محل يسمى (ايمىأوگلى)

---

١) كان المترجم أثقل الناس فى اموره كلها .

عند الصخرة التى عند دار سيدى الحسين بن العربى . وكان هنالك سيدى محمد بن حمو . وسيدى مبارك أزكوك . وسيدى الحسين والـدك . فقـال سيدى مبارك أزكوك لسيدى محمد بن حمو : قم وبرح . فقال لهم سيدى الحسين : لا لاتفعلو . فأصروا على قولهم حتى ساعدهم سيدى الحسين . فقام سيدى محمد بن حمو . وبرح بصوت منخفض بأن أهل الله يقولون : لاحكم لـ (متوگة) على (ايداوزيكى) بعد هذا اليوم . قال : ولم تمض الا شهـور . حتى رفع الله (متوگة) عن (ايداوزيكى) وكفاهم شرهم . بعدما كانوا يلاقون من مغارمهم وكلفهم ما لايكاد يطاق .

واخبرنى سيدى عبد الله (وابيبا) التنانى قال : رأيت الشيخ فـى المنام ، وقال : قل لسيدى محمد بن حمو يدفن مولاى الحسن التنـانى وهو دبلماسى التنانيين بينهم وبين القائد عبد الملك وغيره من قواد تلك النواحى وتطأ عليه برجليك أنت ، قال : فوجدت سيدى محمد بن حمو هو وسيدى الحسن أفكور جالسين تحت شجرة أرگان ، فقلت له : يقـول لك الشيـخ كذا وكذا فقام من حينه ، وأخذ عودا فدفنه ؛ وقال طأ عليه . فلما فعلنا ذلك أخبرنا سيدى الحسين الخبر . فلم تمض الا أيام حتى أصيب مولاى الحسن بحصى المثانة . فصار يستغيث ولا يغاث . حتى عافه أقاربه . حتى أكل منه الدود وهو حى فمات . ومولاى الحسن هذا ممن كان يحرض القائد على اجلاء المترجم عن الزاوية ، فى (بوكودوين) ولقد رأيته أنا بعينى حين أصيب بما أصيب به يستحرم بالوالد ولات حين مناص .

واخبرنى سيدى الحسن (أفكور) أيضا أنه رأى الشيـخ منامـا فـى عرصات القيامة . والناس من ورائه صفوف . فقال الشيخ للراءى : أخرج هذا أخرج هذا . فصرت أخرجهم من الصف ، الى أن وصلت الاعرابى من سكان (أگاديرايداوسوار) فقال لى بالله عليك يا سيدى الحسن دعنى حتـى أصلى صلاة واحدة خلف الشيخ. قال فاستحييت منه وتركته . فالتفت الى الشيخ وقال ادفع يا بهيمة بهيمة أخرى . فدفعته حتى أخرجته من بـين الصفوف وقال الشيخ خرج من صفنا فى الدنيـا . وأرادنا فـى الآخرة . قال الوالد : لانه نقض عهد الشيخ من الناقضين له هناك .

واخبرنى سيدى عبد السميع بن محمد التيغانيمينى . قال : كنت فى موسم (أسيف يىگ) عند سيدى محمد باجو . وهناك بعض المنكـرين على الفقراء من أهل (تازانتوت) فقالوا لعبد اذهب الى هؤلاء الفقراء وانهق كما ينهقون . وكان العبد من الصادقين . فلما سمع منهم ذلك دخل مجلس الفقراء . وهم جلوس ، وهو قائم فصار يقول (الله) (الله) بأعلى صوته . فلما

رأى منه سيدى الحسين ما رأى من امارات الجذب . قام وقام الفقراء وحلقوا حول ذلك العبد . وبينما هم كذلك . اذ بالعبد استل خنجرا تحت ابطه . وشرع يضرب به رأسه حتى جرحه جروحا ثخينة . فلطخ جل من حوله بالدم . وكذلك الحصر . فانتزع منه فقير ذلك الخنجر والعبد فى حالة الجذب فلما خبت ناره وءاب الى وقاره . جلسوا وأخذ سيدى الحسين يعاتب من نزع منه الخنجر . قائلا : من أمرك بما فعلت . فأتى بعض الفقراء بماء ليغسل الدم . من الحصر ، فزجره أيضا . فبات الفقراء بين مسلم ومنكر . فلما أصبح الصباح تفقدوا ذلك الدم ، فلم يجدوا له أثرا لا فى ثيابهم ولا فى الحصر . ولا وجدوا جرحا فى ذلك العبد المجذوب . فكان ذلك كرامة للفقراء أمام أولئك المنكرين . ووجدت بخط الوالد ما نصه :

(رأى بعضهم سيدنا جبريل فى المنام . فقال له أنا جبريل . الم اقل قوله تعلى : «يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لايضيع أجر المومنين» الى « و اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن أمرتهم ليخرجن » ألم اقل «ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوتقى » ألم أقل « آليتنى من الملك وعلمتنى من تاويل الاحاديث » ثم قال مالك ضيقت على نفسك بما لا تعلم . فالغلاء والرخاء لله . وهو مخلص الغلاء والرخاء . فارح نفسك ، فالامر لله . قيدت هذه الرؤيا سنة ١٣٦٣ هـ) انتهى من خطه مباشرة .

فوقعت المجاعة سنة ١٣٦٥ هـ وجلست عنده أيضا مع بعض الناس ، فقال ما هذا الشهر فقلت له أكتوبر . فصار يعد الشهور الى أبريل . فقال اعاننا الله . ما أبعد العفو . فدهش القوم الجالسون . ثم قال : عجل الله بالجراد لينعش الناس ، ولم تمض الا أيام حتى جاء الجراد . فعاش الناس فيه حتى انكشفت الغمة . وقال لى أيضا سنة ١٣٦٠ هـ ان هنا رجلين يخاطبهما سيدنا جبريل عليه السلام . ولم يسمهما لى تسترا .

واخبرنى سيدى محمد (بوكودوين) الفقير المتجرد (١) قال : سحنا فى بلاد (متوكة) وكان معنا فقير مجنون . فلما اعتراه حاله الجنونى . نفر الناس منه الا أنا . فانه ضبطنى . وقال : مكانك . فصرت الاطفه الى ان قال : أنا من الجن المومنين . وأنا من فقراء سيدى الحاج على . ومسكنى فى (فم تاقانلوت) فى (حاحة) فقلت له ان كان الامر كما تزعم . فلم تعذب اخاك الفقير هذا . وهو مسلم فقير مثلك . فهذا لايجوز شرعا . فلم استتم كلامى ، الا والعارض قد انصرف . فعلم من هذا ان لسيدنا الشيخ رضى الله عنه مريدين من الانس ومن الجن . وقد كنت ذكرت له يوما ان (فلانا) يجمع الفقراء المتجردين فى كتاب . فقال انه يجمع المتجردين من الانس .

١) مذكور فى (منية المتطلعين)

ومن أين له المتجردون من فقراء الشيخ من الجن . وهـم أكـثر وأكـثر .
واخبرنى الوالد أيضا عن سيدى الحسن أفكنور . قال : رأيت الشيخ بعد وفاته فى المنام وهو يعاتب سيدى محمد بن مسعود المعدرى عـلى تصدره للتربية امام أولاده (١) فقال له : أنت بنفسك ياسيدى محمد تقدر أن تربى امام أولادى . والحاصل لا يليق بفقير يخوض فيما لا يعنيه الا الموت . قال : وبعد أيام نعى الينا سيدى محمد بن مسعود رحمه الله . وكان الوالد فى آخر عمره كثيرا ما يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم . بهذه الصـلاة : (اللهم صل على سيدنا محمد النـور الـذاتى . والسر السارى فى سائر الاسماء والصفات) فقال : رأيت فى منامى ، من قال لى زد عليها (وعلى آله وصحبه وسلم) ومما رأيته من مكاشفاته أن أخى عبد السلام أتى بقنفـذ من بعض أسفاره لتأكله صبية أصيبت بمرض الغيلة فوضعه فى محل ريثما يتفرغ لذبحه . ففر ذلك القنفذ . فبحثنا عنه حتى أيسنا منه . فقال الوالد انظروا الكوة الفلانية . فى البيت الاسفـل فان فيها القنفـذ . فذهبنا فاذا بالقنفذ فى ركن مظلم . فى الكوة الموصوفة . فعلمت أن هذه مكاشفة منه رضى الله عنه لانه لايمكن عادة أن يعرف أنه هناك . وتعشينا ذات يوم وقال عجل الله بقالبين من السكر غدا . وفى الصباح الباكر ذهبت الى المسجد . فالتقيت بمن حملهما على ظهره . فتذكرت دعوة الامس . وما رأيته طلب رزقا قبل ذلك اليوم ولا بعده . أما من الناس فقد اعرض عنهم اعراضا كليـا ، فما طلب من أحد شيئا قط . ولو برسالة أو رسول . وما رأيت أحدا ثبتت قدمه فى التوكل مثله . ولا من قهر نفسه مثله . وكثيرا ما كان يذهل عـن بعض أبنائه . حتى دخلت صبية ذات يوم ، فقال من هذه ؟ فقلت له أختى فلانة . فصار يمعن فيها النظر . كأنه لم يرها من قبل . وتكرر ذلك منه مرارا . وقرب وفاته رحمه الله زارتـه الاخت التى كـانت حينـذاك فـى (بوسكرى) فلما أراد وداعها . صارت تبكى . فقال لزوجها ما لهذه . انما تبكى لضغط وقع عليها . ولم يعلم أحد أن هنالك ضغطـا . فلما خرجت قال لها : أراحنا الله . فلم تلبث أن توفيت فى ريعان شبابها . فاتضح لنا ذلك الضغط الكائن بعد وفاتها رحمهـا الله . وقرب وفاته بقليـل كـانت احوال من الجذب تعتريه فلا يطاق . حتى ان من لم يعرف أحواله يظن أنـه يتجاهل عليه . قلت له فى مرضه الذى توفى فيه : مات فلان . فقال : ليمت من شاء . ليت شعرى متى أقطع هذه العقبة لنحظى بلقاء الاحباب الـذين تقدمونا . فقد اشتقنا اليهم . واشتاقوا الينا وهنالك نجد الشيخ والاقطاب والاحباب . فماذا نصنع بعد فـى هذه الدنيا . ولم نلبث أن توفى رحمـه

١) كانه يعنى بأولاده أصحابه الكبار .

الله . وفى مرضه اوصانى قال : هذه امانة الله فى يدك ، فعليك بالفقراء فهم اخوانك وابناء جنسك . ولا تخالف الخليفة ابن الشيـخ . ولا تفضـل عنه احدا فانه هو بلا ريب يعتريك . وأبناء الشيخ كلهم فى الخير سواء . فاذا قضى الله بما شاء فادفنونى فى هذا التابوت فى المحل الفلانى . وابنوا من حولى براحا يسع الفقراء . وعليك بأمك واخواتك . فان نصف الخير فزت به . واياك أن يفوتك النصف الآخر . ولا تنازع أخاك عبـد السلام عل الدنيا . فانت تاخذ من عند الله وأخوك المختار ان أخذ من كل شيء طرفا فضمه اليك . الى غير ذلك من الوصايا . فقلت له انى خائف ممن أنا فــى وسطهم . فأخذ بلحيتى حتى ظننت أنه ينتفها . فقال: أضعك فى الثريا . وانت تسف الى الثرى . فسكت ، ثم قـال : أذكـروا الله وتأدبوا . فـان الملائكة معكم فى المجلس . ومات ريان . فاذ صببنا الماء فى فمـه يشير أن لا تفعلوا . وتوفى سحر يوم الاربعاء سابع عشر صفر ١٣٦٥ هـ رحمه الله ورضى عنه) انتهى مااقتبسناه من الكتاب. وليسامحنا القارىء الذى لايعـرف من احوال الصوفية شيئاً . فاننا مؤرخون نذكر الاحوال كما هى بلا تزويق فان كان بعض القراء لايعجبهم هذا . فان هناك من الصوفية من لايعجبهم الا هذا . ومن المؤرخين من يستفيدون الحالة الاجتماعية من هـذا وأمثالـه .

ذيـل من جامـع الكتـاب

رأى القارىء ما كنت اقتبسته قبل اليوم مما كتبه عن المترجم ولـده الفقيه القاضى سيدى عبد الحميد . وقد غلب عليـه لسان الفقراء . فاعتنى بهذه الناحية التى قرأها المطالع . وحين نعلم أن الكتاب فى التاريخ كالمائدة المفعوعمة بالوان من الاطعمة . أغضينا حتى سقنا كل ما ذكره ــ باختصار احيانا ــ وان كنت أنـا أتنكب الاكثار من ذكـر مثل هذه الاحوال فــى هذا الكتاب . لا لان أمثال هذه الاحوال يزهد المؤرخ فيها . بل لاننى أريد ان أتنازل عند أذواق أناس ضاقت حواصلهم . وتدلت مداركهم . وفهموا من الحياة فهما اضيق من الحبالة فى عين المحبول . والا فمن ينكر أن الواجب عل المؤرخ أن يذكر كل شيء كما هو ليصح أن التاريخ كالمصورة التى تاخذ جميع الالوان والمقاييس كما هى . فيجد كل باحث طلبتـــه . باحث فــى الاجتماعيات وباحث فى العقليات وباحث فى الماديات وباحث فى الروحيات فمتى كانت أطوار الامم تخلو من كل ما يتطلبه هؤلاء الباحثون عل اختلاف ميادين بحوثهم . وسنجات موازينهم . ومقاييس انظارهم . فخير المؤرخين من لايعمل لافساد التاريخ بزخرفته وتنقيته عما هو فيـه . حتى يسوقـه حسب شهوته . ولهذا يرانا القارىء نحرص عل ان نسوق عن هؤلاء الرجال

كل ما عسى أن يحوم بهم . وان كنا نحن نقتصر فى ذلك على ما يصور حياتهم من غير اكثار . ثم اذا دفعنا الى مثل هذا السيد الذى ترجم أباه كما هو . فأكثر مما أكثر منه . فان صدورنا لذلك ـ والحمد لله ـ رحبة الجوانب . وانظارنا بعيدة المدى لاننا نعرف ما للارواح والمهتمين بها من عجائب لايزال يعجز العلم المادى عن ادراك كنهها . فنفسح المجال لكل ما يقال . ثم ذلك لا يهيمن لا على الشريعة الاسلامية . ولا على التصوف النقى وهما عندنا وعند كل من يلم بالسلفية معروفان حق المعرفة . فان السلفى من يعرف الرجال بالحق لا من يعرف الحق بالرجال .

اخبار اخرى عن المترجم

كنت أعرف هذا السيد الجليل من صغرى . فقد كان ـ على علو شانه ـ خاملا لايظهر بين الطائفة التى يقدمها الى (الغ) فى المواسم الالغية وفى غيرها . فقد كان صموتا مطرق الراس دائما . ولايفارق سلهامه وكيسه الذى يتقلد به . وفيه بعض شذوذ اجتماعى فمثلا لايشرب الاتاى الا من كؤوس غسلت أمامه فلا يقبلها مغسولة وراءه . وكذلك النعنع لابد أن يشاهده حتى يغسل تحت بصره . وقد حضر يوما فى دار انسان من الاغنياء عنده خادم أسود ـ حرطانى ـ فرآه يقلب قميصه الذى يلى جلده فمسح به الكؤوس . والوقت وقت صيف . والعرق من الاسود يسيل وصنان الاسود معلوم كيف يكون فى وقت الحرارة . فمال على جليسه فقال له : أرأيت بعض أعذارى حين اقترح غسل الكؤوس أمامى . كما أنه رأى مرة فى دار الرئيس التاماعيتى قطا يتحكك بالنعنع فى مستنبته . ثم قطع منه للاتاى . فأراد الحاضرون أن يستعملوه بلا غسل . فنبههم لما رأى . وكان يأتى الى (الغ) دائما على رجليه . وان كانت معه بهيمة . فلم يمل الى الركوب حتى أسن كثيرا وقارب التسعين . وقد أثر عنه من المغيبات ما ليس ما ذكره ولده عنه الا كحبة رمل ازاء كثيب . حتى ان هناك من الحجاج من قالوا انهم رأوه بأعينهم يطوف بالكعبة . شاهدوه مشاهدة لايشكون فيها . كما أنه كان يحول بين الحافرين للكنوز وبين أعمالهم . فلا يدعهم يستخرجونها . ويذكر أنه يقف على أحدهم من الغيب متى عزم على حفر لذلك . وقد كان يصاحب دائما سيدى محمد بن حمو . وسيدى على الايكردانى من احفاد الشيخ سيدى ابرهيم بن على . وسيدى أحمد بن مسعود الزيكى ونظراءهم. فلايخالفون له أمرا . وكذلك ربى بعض رجال فكانوا أفذاذا كسيدى محمد ابن بيهى ، وسيدى حمّاد بو عيدة . وقد لاقيا من تربيته عرق القربة . لانه لايحب الا الجلال والاقلال وضيق المعيشة . على عكس سيدى سعيد

التنانى صاحب الجمال والتوسعة . قال سيدى محمد بن بيهى : ما شبعت قط الطعام انا واهلى حين اقتدينا بسيدى الحسين . ثم لما تملصنا من قبضته استطعنا أن نعيش . وكان عجبا فى الثقل فى كل أعماله . وقد قال فيه الشيخ يوما : حاولنا ما حاولنا أن ننقله عن ذلك الحال . ولكن لم نقدر على نقله عنه . وقد حكى سيدى محمد بن عبد الله الزيكى أنه كان يصاحبه ويقتدى به حينا . فكان فى عنت شديد . وفى الطبع بالثقل عدوى منه . حتى اذا جلس يوما هو وسيدى سعيد . وهم يشربون الاتاى . فمد سيدى الحسين الكاس الى الحاكى ليشربها من يده . فاذا بسيدى سعيد مد اليه أيضا كاسه . قائلا بل كأسى هى التى سيشربها سيدى محمد بن عبد الله . قال : فلم أكد اشرب كأس سيدى سعيد حتى أحسست بان زمام قلبى تحول من يد سيدى الحسين الى يد سيدى سعيد . فكان ذلك أول ما وسع الله به علىّ . فاتخذت سيدى سعيدا أمامى . فوجدت الفرج والسعة فى الرزق وفى الاعمال . وفى كل شىء . وكلا الرجلين مفتوح عليه . الا أن سيدى الحسين مفتوح عليه فى الجلال ، وسيدى سعيدا فى الجمال . وقد قال القوم لايربى الشيخ الا فى المقام الذى فتح عليه فيه .

بينه و بين سيدي سعيد التناني

لم يكن يرى لاحد بعد الشيخ مكانة كبرى كما يراها لسيدى سعيد فكان يقتدى به دائما . ويرد عليه بطائفته يوم نزل فى (أزيار) ولا يبطىء عنه وكان يقول لايجوز لنا أن نعقد شيئا ولا أن نحله الا اذا شاورنا سيدى سعيدا . فكان هذا دأبه معه دائما حتى توفى سيدى سعيد ١٣٤٣ هـ فبقى يرد على (أزيار) فى الموسم الذى يقيمه الاخ سيدى عبلا على مشهد سيدى سعيد . وقد صاحبه أيضا هذا الاخ حتى ورث منه الثقل فى الاعمال . ولعله ورث منه ايضا أسرارا فى القلوب والله أعلم .

بيني وبينه

كان المترجم يراعينا نحن أولاد شيخه مراعاة عظيمة ـ كما كان عليه غالب أصحاب الشيخ ـ وقد مررت به مرة فى قرية (تامكونسى) فى الوقت الذى نفى فيه اليها . ثم صار يرد علىّ بـ (مراكش) بطائفته . يأتى من بلده الينا . ولا يقصد الا الزيارة حسن ظن منه . وقد كان الحق بنا ولده سيدى عبد الحميد ـ هذا الذى كتب ترجمته ـ فكان يتعهدنى بالتوجيه ، وبالنصائح . فاعده من جملة اشياخى فى طريق القوم . وقد كان يعتنى بى اعتناء خاصا منذ لازمت محبته . وكثيرا ما يقول للفقراء (ايداوزيكى) :

زوروا . زوروا . زوروا فلانا ما دمتم تجدون منه فراغا لكم أيها الفقراء ، فسياتى يوم لاتجدون منه حظكم - كانه يشير الى ما نحن فيه الآن - وفى اخر مرة زارنا فى (مراكش) سنة ١٣٥٥ هـ وأراد أن يذهب بولده سيدى عبد الحميد لينقطع نهائيا عن الدراسة . وهو اذ ذاك كما تفتحت قريحته وفهمه . فراجعته ، فصمم على ما اراد . وليس لى الا ان اطيعه مرغما . فطلبت منه أجلا ما ، فقبل ذلك . ولم اكن ادرى أنه يريد أن يذهب بولده قبل أن يذهب بى انا أيضا يوم النفى . لان النفى جاء عن قريب . وقد كنت اذ ذاك اخذت عنه أذكارا نفعنى الله بها . كما اخذت مثلها عن سيدى مولود وسيدى محمد بن عبد الله الزيكى . وسيدى ابرهيم البصير . وسيدى سعيد التنانى . رضى الله عن الجميع . فهؤلاء أشياخى فى أذكار القوم .

ثم لما نفيت ونفى هو أيضا جمعتنا هذه الصفة . فانقطع عن (الـغ) أعواما . الى ان سامحته الحكومة بعد سنين . فكان ءاخر موسم ورد فيه الى (الغ) موسم ١٣٦٤ هـ فدخل علىّ وأنا فى دارى هناك فى وقت هاجـرة . وهو شيخ مسن اناف على التسعين . فقال : ألا تزال على العهد . فقلت له : نعم ، فقال : اننى اشترط عليك شرطا اليوم . فلو أن قنبرة تفرقعت حولى لما كنت دون ما أحس به فى باطنى . وذلك أننى اذ ذاك على وشك الخروج من (الغ) لارجع نهائيا الى (مراكش) وكان ذلك حينئذ اقصى مناى وقد كان الفقراء السذّج ، لايحبون أن اغادر زاويتهم . لانهم يزعمون اننى أنفعهم فيها . فقد ظهرت عمارتها منذ كنت فيها من ١٣٥٦ هـ . فقد امتلات بصلاة الصف وبمجالس الذكر . وبقراءة اولادنا القرءان وبالصادر والوارد - مع أن عمارتها بالاخ الكبير سيدىمحمد - فسبق الى ذهنى لما سمعت منالمترجم أنه يشترط على أنه ايضا سيشترط على أن أبقى هناك . فقـامت مشادة بينعاطفتى وبين ما أرجو أن أناله منهذا الشيخ الصالح . فاذا بهذا الرجاء قد غلب علىّ . فقلت فى نفسى : والله لأقبلن شرطه كيفما كـان . وان كـان البقاء هنا فى (الغ) فليكن ما يكون . فاذا به قال لى : قم معى . واجعل فى يدك شيئا تقدمه بين يديك . وسر أمامى . فقمت ولا أدرى الى أين يريد بى . ووضعت فى يدى نعلا جديدة صادفها الحال ازاءى . فذهب بى . والزاويـة مكتظة بالفقراء . حتى دخل بى على الاخ الكبير سيدى محمد . فأجلسنى بين يديه . فقال لى مد اليه يدك ، فوضع يدى فى يده . فقال انكما منذ الآن يد واحدة . ثم امرنى أن أتعهد باتباعه . ففعلت كل ما قال لى . ثم قال : ان هذا ما فعلته الا باذن من الشيخ والدكم رحمه الله . فلما قام تبسم لى الاخ فقال : لعل سيدى الحسين يظن أننا لسنا على حالة واحدة . قال ذلك . لان

ما بيني أنا وبين هذا الاخ ملتحم غاية الالتحام . ثم علمت أن هذا فعله أيضا بالاخ سيدى عبلا . والاخ الحبيب . هذا ما جرني به المترجم فالحمد لله الذى وفقني حتى أسلست له القيادة . فاذا بشرطه سهل عليّ . بل موافق لعواطفى (اذا وافق الحق الهوى فهو الزُبْد بالنَرْسِيان) (١) ثم في اليوم الذى يتفرق فيه الفقراء يوم الاربعاء . ذهبت لأودعه . وهو راكب في السيارة ، ووراءه ولده سيدى عبد الحميد . فقلت له : انظر في ولدك هذا . فلم يزد على أن تلا قوله تعلى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) فحين سمعت الآية خلج في صدرى أن هذا هو الفراق معه . فكان الامر كذلك . فانه لم يمض الا قليل . فوصلنا نعيه رحمه الله .

من رسائل الشيخ إليه

بين يدى الآن مجموعة الرسائل التى كتبها الشيخ بيده . فارسلها الى المترجم والى من معه . وقد يذكره فيها نصا . وربما لايذكره ، نأتى منها بالبعض أو بالنتف أو بما يروق . من غير أن نستوفيها .

منهـــا :

(الى جميع أحبابنا فى الله (ءال تنانة) كبيرا وصغيرا . ذكورا واناثا عبيدا واحرارا . سلام الله ورحمته وبركاته عليكم . (وبعد) فلا باس ولله الحمد . ونرجو من الله أن تكونوا كذلك . ونوصيكم بما نوصى بـه انفسنا من الوقوف على حدود الله تعلى . والتشمير عن ساق الجد والعزم . والحـزم والجزم فى طريق الله تعلى . فان الله ينظر الى قلوب عباده . فمن كان ذا همة عالية . يرقيه الى المراتب العليا . ظاهرا وباطنا . ومن لا فلا ، فلا تتوانوا ولا تكاسلوا عن ذكر الله ومحبته . فان صاحب الكسل . لايذوق العسل . وكما يدين الفتى يدان (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) والخير كله فى الصدق لافى الكذب . فالصادق هو الذى يقف عند حدود الله . ويسارع الى الخيرات وأما الكاذب فهو الذى يتأخر ولا يتقدم فيما يحبه الله ورسوله . قواكم الله وهداكم الى الخير ءامين)

ومنهـا

(وعليكم السلام يا سيدى الحسين . فلا تخف الا من الله . وثق بالله . فلا ترحل ولا تهرب ولا تخف . فالسلطان ظل الله فى أرضه . يأوى اليـه الضعيف والقوى . ولا تجوز السكنى الا فى مكـــان فيـه السلطــان . واذكروا الله واعمروا به أوقاتكم)

١) النرسيان بكسر النون والسين : نوع جيد من التمر .

ومنهـا

(« وبعد » فقد وصل الخبر بما فعلت القدرة الالهية فى (بوگودوين) فلا تتعرض على القدرة فى نفسك ولا فى غيرك . واصبر . فذاك مما يدل على معرفة الله . فان لم يتيسر السكون فانتقل الى عند سيدى الحسين بن بيهى. فمكانه قريب . وهو أسهل وأحسن من بلدكم لقرب الفقراء فى كل مكان)

ومنها ـ وهى تدل على اعتنائه بحاجات أصحابه ـ :

(وقد وصل سيدى سعيد ومن معه من الفقراء . وسيدى الحاج محمد من (فجة الحجاج) أخبرنى بأن أمة وثلاثة من أولادها ذهبوا عنه . وظهروا عند المقدم الحسين من (متوكة) وطلب منا أن نكتب له فى ذلك . فها نحـن أولاء كتبنا للقائد ولخليفته وللسيد المحجوب فى (ايداوزيكى) ليقف كل واحد معه فى رد عبيده ان شاء الله . وأنت توصل برجلك الرسالة الى الخليفـة ـ المقدم الحسين ـ وأخرى للقائد . ان جاء من (مراكش) فان لم يجىء فاعطها لسيدى محمد بن مسعود . يوصله له متى جاء . واخرى لسيدى المحجوب. وليرد كل واحد الجواب ، ومتى رجعت تاتى باقـدامك الينـا ان شاء الله . وسيدى الحاج محمد ها هو ذا عندنا مع الفقراء . حتى تاتى بالاجوبة . وأما أمر السرج للفرس فلا تذكره لا للقائد ولا لغيره . فانها لم تحتج اليه فى هذه الساعة . فمتى احتاجت اليه ياتى به الله . وأكد السيد المحجوب على أمر سيدى الحاج محمد) . (أقول) : رأيت جواب القائد بخطه . وقد ذكر فيه أنه يحافظ على ما تلقنه من الشيخ من الاذكار . ثم أجابه عن العبيد بعذر والرسالة تحت يدى . ولم أجدها الآن لأضعها هنا بنفسها .

ومنهـا

. . . (ونوصيكم بما نوصى بـه أنفسنا ، وجميـع أحبابنا من عدم التفريط فى أوقات الصلوات الخمس بالامام . ولا تفرطوا فى أوقات الاذكار فان جميع الاسرار فى الاذكار . ولا تفرطوا فى المحبة والتعظيم فيما بينكم فان تعظيم الاخوان توجب الربح للفقير . والاخوان فى الله هم الذين يستمد منهم لا غير . وأما تعظيم جميع المسلمين فلابد منه على كل حال . كلٌّ على قدر مرتبته . وتواصلوا وتزاوروا . وتراحموا وتغافروا ، وتعاونـوا عـلى البر والتقوى . وكونوا عباد الله اخوانا . واشتغلوا بالله يكفكم ما سواه . ولا تشتغلوا بالسوى فيجترىء عليكم . ولا تعطلوا أوقاتكم بالقيل والقال . لا فيكم ولا فى غيركم . فان الشيطان مقصوده أن ينسيكم الله . ومن اعتزل

على الناس واشتغل بذكر الله ويلتقى مع الذين يعينونه فى ذكر الله . فذلك هو الذى ينجو . ومن كان يشتغل بالتخليط فذلك هـو الذى يسمى عند الصوفية بالفاسق . ولذلك قال مولاى العربى فـى رسائلـه : (تشتيت المحبة لاتنفع أبدا . ولو بقى صاحبها ألف عام . فكل من رءاه يميل به اليه وذلك هو التشتيت . وان تعلقت همتك بموضع لتستخرج منه الماء . فلا تمل الى غيره . فانك ان ملت الى غيره . فلابد ان تحرم عملك السابق . وان قست هذا المعنى بالحس تجده مثله) والمقصود أن تشتغلوا بذكره كما كان شيخنا سيدى سعيد يوصيكم عليه الى ملاقاتنا مع ربنا . والسلام فى صفر ١٣٠٦ هـ)

ومنها ـ وهى جامعة مانعة ـ :

(الى جميع أحبابنا فى الله كافة . أينما كانوا وتعينوا. سلام الله ورحمته وبركاته (وبعد) فلا بأس ولله الحمد . سوى الشوق اليكم . فان النظر فى وجوه الاحباب . ينور الالباب ونوصيكم باليقين فى دين الله بكـل وجـه . والصبر على امتثال الاوامر . واجتناب النواهى . وعلى مصائب الزمان فى المال والعرض والصحة والبنين . وقد قال الله عز وجل (وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة . وأولائك هم المهتدون) وقال أيضا (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) فلابد من الاختبار . قال الله عز وجل (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ءامنا وهم لايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم . فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) فكونوا من الصادقين ولا تكونوا مـن الكاذبين . فان من اختبره الله بشىء من ذلك ورجع على الطريق فقد كذب . والمقصود من معرفة أهل الله معرفة الله تعلى . لادفع ما قدره الله . فافهموا . فان قدر الله لابد أن يكون . فليس لنبى ولا لولى دفعه . فمن عرف الله هان عليه كل ما فعله الله . بل يحبه ويرضاه . ومن لم يعرف الله فهو ينكـر أفعال الله . ولا فاعل فى الحقيقة سواه . والآن فالمقصود منكم أن تعرفوا الله فى كل ما فعل . وتكونوا رجالا فى وقت الشدة ، وأما فى وقت الرخاء . فكل واحد يقول انا الرجل . والفقير اذا أصابته مصيبة وحده لا يشتكـى بها . واحرى المصيبة التى عمت جميع الناس كالمخزن . لا يشتكى بهـا ، لانه اشترك فيها مع العوام . بل وربما ان عرف الله يستحيى أن يبقى بينهم بلا شدة تصيبه . لان أولياء الله يحبون أن يصيبهم شىء دون الناس . فهكذا يكون أهل الله . واما من صار يشتكى كالعامة والصبيان والنساء . فهو لاعقل له . ولم يعرف ان الفاعل هو الله وحده . واياكم والشكوى :

(فعـار عـلى العشاق أن يعلنـوا الشكوى)

وهذه وصيتى اليكم والسلام . وأما السفر الى الحرمين فقد تاخرنـا عنه فيهذا العام وجلسنا . الى أن يأمر الله تعلى . لأننا رأينا كثيرا من الفقراء كانوا على نية السفر الى الحج . وليست لهم طاقة . فالبعض يقول نمشى فى البر . والبعض يقول نمشى الى خدمة الروم عدو الله ورسوله . الى أن ناخذ ما نحج به . والبعض يقول : أبيع متاعى . حتى أكثروا . ونسكنهم فلـم يسكنوا ، فرجعنا نحن الى السكون . لئلا يهلكوا على أيدينـا . والمقصـود الاصلاح . والسلام)

* * *

هذه نماذج الرسائل التى كان الشيخ يكتبها الى هذا السيد . ومنها يعلم القارىء كيف التربية التى تربى بها المترجم . حتى جاء على هذه الحالة التى وصف بها فى ترجمته . من الجد والاجتهاد . وملازمة الصراط المستقيم فرحمه الله ورضى عنه .

اولاده

له من الاولاد الذكور ثلاثة : عبد السلام . هو أكبرهم . وقـد كـان أسكنه فى زاوية فى دير (ايداوزيكى) حيث لايزال الى الآن . والثالث فى السن المختار تركه صغيرا . فحفظ القرءان . ثم أخذ ما تيسر له من المعارف فىمدرسة (بنكرير) من(الرحامنة) وفى(مراكش)وهوالآنمعأخيه الآتىفىبلدهم وقد تزوج . والثانى فى السن هو الفقيه الجليل . القليل النظير . سيـدى عبد الحميد ، وهو البارز الوارث لوالده فى كثير من النواحى . وقد رزقه الله نظرته بخدمته اياه . فكان من خيار الابناء الصالحين العابديـن الذاكـرين القانتين. قد التحق بنا فى (مراكش) بعدما حفظ القرءان فى بلده . فأخذ عنا هناك المبادىء وما وراءها حتى شدا . واستنارت بصيرته . وقـد نشأ نشأة صالحة مباركة . ثم لما فارقنا وذهب به والده . لم يزايل مجلسه قط . فكان خديمه وأمينه ورسوله . وحينما نفيا معا الى (تامكونسى) كـان هـو الذى يتسوق له . فيشترى له ما يريد . قال كان يرسلنى فاتداين من عند تجار أعرفهم . وان مضت سوق أو سوقان يعطينى مـا أؤدى بـه الجميـع . وهكذا دو اليك . ولا أدرى من أين تاتيه الـدراهم . ولا كـان يترك كيسه لنعلم أفيه دراهم أم لا . بل لايزال يتقلد به . وان نام ثم لاينام الا جالسا . قال : وقد تفقدناه يوما فى (تامكونسى) فلم نترك ازاء القريـة حجرا ولا شجرة فلم نجده . فاذا به معنا فى الدار . فذكرنا له اننا فتشنا عنه فلم

نجده . فنهانا عن التفتيش عنه متى فقدناه . قال : وكان أكتم الناس لحاله وقلما استخرج منه بعض ذلك الا بمقدار . وقد كان سيدى عبد الحميد حاول أن يلتحق ببعض المدارس بعدما فارقنا ليستتم ما أخذه عنا . فيقول لـه : يكفيك ما أخذت عن فلان . فستكون فيه البركة . فكان الامر كذلك . فلـم يزل يطالع مكبا على الكتب ، حتى نال ما نال . ولايظهر نقصه الا فى بعض لحن لايزال فى قلمه . ثم لما رجعنا معا الى (ايداوزيكى) وقد زوجه والده . صار يتردد عليّ ، ويشتكى من زوجه اولا . فنامره أن يصبر . لان والـده ليس أباه فقط . بل هو أيضا شيخه . وربما يكون سره منوطا بالصبر على تلك التى أختارها له . فصبر واحتسب . فولد له معها . ثم لما توفى والده وبقى مع والدته صار أيضا يحكى لى ما يلاقيه منها . فانه لايكاد يدخل الى الدار شيئا الا وتخرجه الى ديار بناتها المتزوجات . ولو كانت الرقعة فسيحة فلا بأس . ولكن تلك البلاد ضيقة المزارع والارزاق . وهو مائدة مبسوطة منذ خلف والده على فقراء تلك الجهة . فكان اماما باذن والده . وبـاذن خليفـة الشيخ . ولذلك يجب أن يتمشى على حساب المتيسر . فكان ما يلاقيه منهـا أعظم مما كان يلاقيه من زوجه . ولكنه لامناص له من الصبر الجميل .

تـوليـه للقضـاء

جاء الاستقلال فتغيرت الاوضاع . وذهبت أمور . ومن جملة ما انهار الزوايا وما اليها . فاذ كان هذا السيد مشارا اليه فى تلك الناحية . ولـم يعظم الا بالطريقة. وقد أصيبت طريقته بما أصيبت به كل الطرق الصوفية صار يتشوف الى مركز يستند اليه . لعله به يبنى دعامة للدين وللارشاد فى تلك الناحية . ففاوضنى فى ذلك فكنت امتنع . ولا أرضى ذلـك . وقـد خلقنى الله تعلى عزوفا عن الوظائف فكما لا أرضاها لنفسى لا أرضاها لأحبابى ولكن الاقدار تجرى مجراها لا فيّ ولا فى غيرى . فهذا ما وقع للمترجم . فقد علمنا أنه لابد من قاض هناك فى بلده . ولا طالب هناك سـواه . فلـم نجد الا أن نقبل الواقع لا نحن ولا هو . فكان أمر الله قدرا مقدرا . فاصبح قاضيا رسميا سنة ١٣٧٧ هـ . فمال الى الفقه والى أمور العامة . فكان ذلك هو الذى فيه خير ، ولا يفعل ربك الا خيرا . وها هو ذا الآن . يباشر أعماله . فكان أحد بنى جنسه . وان كان فى باطنه ـ كما أعلم ـ تقيـا نقيـا زاهدا راغبا فيما عند الله . فالله يوفقه . ومن ءاثاره زيادة على هذا الذى كتبه عن والده . رجز جمع فيه رحلة كنت رحلتها هناك معه . وهـو فـى أوراق، ما منعنى من سوقها هنا الا ايثار الاختصار (هذا) وقد وصلتنى منه أخيرا رسالة يتطلب بها المخرج من وظيفته التى يضجر منها . فالله يختار لنا وله.

الفقيه

سيدي الحسن الزيكي

نحو ١٢٦٨ هـ = نحو ١٣٤٨ هـ

نسبه :

الحسن بن محمد بن أحمد بن بيهي .

(ءال أحمد أوبيهي) أسرة مشهورة في قرية (ايفرى 'ييغيل) من فخذ (ايميوزگاون) من قبيلة (ايداوزيكى) واشتهر أحمد بن بيهي بالتيبيوتي نسبة الى قرية (تيبيوت) في ضواحي (تارودانت) ومن هناك منشأه . ثم قطن في (ايداوزيكي) فأثل هناك وتوسع في الاملاك . ثم كانت له هالة في جيله هناك . اشتهر بالذمة والامانة . حتى صار مسكنه موضع تأمين الاثاث والمال للناض . ونشأ له خمسة أولاد : مبارك . ومحمد . وسعيد ، والحسن وهمتو ـ محمد

الفقيه مبارك

مبارك هذا فقيه يذكر . أخذ عن الشيخ سيدى مَحمد الهرغى مؤسس مدرسة سيدى أحمد أوعلي بـ (مزوضة) وكان له أيضا باع فـى القراءات المختلفة . ثم التزم زاوية الشيخ سيدى أحمد بن موسى منْ قبيلة (مجاط) بضاحية (مراكش) يعلم القرءان والعلوم بهمة عالية تذكر . فخرج كثيرين، وقد علم كثيرا قبل انصرام القرن الماضي. وقد كتب كثيرا من الكتب لاتزال عند أهله الى الآن . وقد مات بعد ١٣١٠ هـ .

وقد كان أولاد أحمد بن بيهي الخمسة محظوظين فـى ذات اليـد . وقد اعقبوا كلهم ، وهو اليوم وحدهم أهل قرية (ايفرى 'ييغيل) وكما حظوا بذلك . حظوا أيضا بما حصل لهم من ظل عالمين نشئا من أحفاد أحمد بن بيهي .

مترجم الحسن بن محمد

تخرج فى القرءان وفى المبادىء العلمية بعمه سيدى مبارك المذكور ، وقد لازمه ملازمة تامة فى زاوية (مجاط) ولم يفارقه الى ان توفى . ثم انتقل الى مدرسة (سيدى أحمد أوعلى) المزوضية . وأستاذها وعميدها اذ ذاك الشيخ أحمد بن سيدى محمد مؤسس تلك المدرسة حوالى عام ١٢٤٢ هـ . وهناك ثوى حتى قضى لبانته فئاب الى بلده (١)

اعماله في قريته

كان فى قرية (ايموز ݣاون) اذ ذاك رئيس من كبار رؤساء (ايداوزيكى) يسمى المحجوب امخاو المتوفى عام ١٣٢٠ هـ وكان من عمد القائد عبد الملك المتوكى بل يحكى أنه اكبر شيوخ قبيلة (ايداوزيكى) عند القائد . وحيث كانت هذه القرية وقرية سيدى الحسن المترجم متقاربتين . التخذه المحجوب كاتبا خاصا فى جميع ما يتعلق بادارته بالقلم . قال من حكى ذلك : ان المترجم كان ولوعاً بالتعليم لكتاب الله . فكان يعلم فى داره . فيحرص على أن يحفظ التلاميذ قبل أن يصل الضحى . لان رسول الرئيس يصله دائما فى ذلك الوقت . وهذه أعماله اذ ذاك ما شاء الله . فيلزم ركاب الرئيس ، حتى اذا ذهب الرئيس لملاقاة قائد يمر فى تلك الطريق الى (سوس) يذهب معه . وقد مر اذ ذاك هناك الجيش الذى يقدمه مولاى محمد بن مولاى الحسن عام ١٣١٠ هـ . فصحبه الرئيس الى ملاقاته لدفع المئونة للمحلة .

في نطاق التصوف

وفى حدود ١٣١٣ هـ ، فى الوقت التى انزل الشيخ الالغى سيدى الحسين التامكونسى فى زاوية (بويكودوين) بعد وفاة عميد الفقراء هناك سيدى على "نبهمو اندغم المترجم فى الطريقة . ولذلك سببان أولهما انخراط كثير من عامة القبيلة فضلا عن خاصتهم فيها . ثم جره السيل فيمن جر . وثانيهما اتصاله بسيدى سعيد التنانى الذى كان كثيرا ما يرد الى تلك الناحية . باذن الشيخ ، فكان سيدى سعيد لعلمه وللطفه يخالط المترجم مع القاضى اخيه الآتى . فيسقيهما شيئا فشيئا مما ذاقه . ثم ورد الشيخ فى احدى سياحاته الى تلك القبيلة . فندبهما سيدى الحسين التامكونسى الى

١) هؤلاء العلماء المزوضيون ذكروا فى (الجزء الثامن عشر) .

لقائه والاخذ عنه . فانفتح أمامهما الباب . فلم ينشبا ان دخلاه معا ، فكانا في ذلك كفرسي رهان .

في مسجد (أَكَادِيرْ إِدَاوْسَوَّارْ)

كان من عادة الشيخ أن لا يعجل في الذين يأخذون عنه من امثال المترجم . الذين يجدهم في مثل ما فيه المترجم . حتى اذا نضج المريد . وتقوى فيه الانجذاب الى التخلي عن كل ما يمنعه من التحلي . أمال حينئذ وجهته الى ما هو المقصود بالذات . من الرجوع الى الله بالكلية . وهذا بعينه ما فعله مع المترجم . فقد كان وجدء يخوض مع ذلك الرئيس في كل ما هو فيه . ولكن لما لان وانقاد وذاق . اشار عليه الشيخ أن يشارط في هذا المسجد . فاقام هناك طوال عمره المديد ، ولا شغل له الا تعليم كتاب الله . مع تعليم غير متسع في الفنون . كمتون المبادىء . وكالالفية وابن عاشر . وما الى ذلك ، وكان همه الكثير في تجويد القرءان . فخرج كثيرين . ولا يزال في الاحياء عشرات ممن اتقنوا حفظ القرءان على يده . وفي الحديث : خيركم من تعلم القرءان وعلمه .

صناعته اليدوية

كانت له رحمه الله يد صناع . ولما له من الكرم والانفاق المتسع . كان ما ياتيه من المشارطة ربما لايكفيه خصوصا في سني المسغبة . فكان يصنع اللبان من مواد خاصة . فيستعين به . بل كان في وقت اتصل ببعض الطلبة . فيروجان في السكة المصطنعة ، الا أن الشيخ نهاه عن ذلك فانتهى وكذلك كانت له همة في الضيافة . فكان يضيف بل يعين المحتاجين بالحبوب ذرة وشعيرا . حتى اشتهر بأنه ثمال الارامل . ومغني المساكين . ومثوى المدقعين ، وناهيك بما فعله مع سيدي الحسين التامكونسي في حين بعد نزوله من (ايداوتنان) الى (يداوزيكي) فقد قاسمه غلل حقوله حوضا حوضا . وكان كذلك ءاية في الانبساط . قال فيه سيدي الحسين : ان منزلة سيدي الحسن في الكرم والمباسطة لاتدرك . وقد حفظت منه أنا حين مررت به في ذلك المسجد حوالي ١٣٤٠ هـ :

أَمْرْ رَبِّي أُوْرْ إِرْحَمْ أُوهو أَلْ مَاتْ إِتَّسِينِينْ

إِفْلَتِدْ كِيَارْ أَمُودْأَرْتْ إِتِّينِي وَيَّاضْ

وترجمة ذلك : لا رحم الله لا (يعنى كلمة لا) ولا من يقولها . احدثها الانذال الاراذل ، فصارت يروجها الانذال الاراذل ـ هذه ترجمة المعنى . واما حلاوة الالفاظ فكيف يمكن ان تترجم ـ

مركزه في الطريقة وفى العلوم

أما فى العلوم فكان وسطا . الا أنه حسن فى النحويات . وذو باع طويل فى علم الفرائض . فقد كان الفقيه الصالح سيدى الحاج الحسين الكزنويى الايسقالى يرسل اليه كل من تحاكموا اليه فى قسمة يحتاج فيها الى اعمال الفريضة

وأما الطريقة فقد غرق فيها الى اذنيه . ولم يكن يتخلف عن موسم (الغ) منذ نحو ١٥ سنة قبل وفاة الشيخ . وكان دائما فى تلك الزيارات الالغية فى المواسم وفى غيرها فى رفقة اليعسوب الكبير . سيدى الحسين التامكونسى ـ المتقدم ـ ولكنه لما أسن وضعف عن الركوب وعن الحركة انقطع فى مسجده ذلك الى أن توفى عن مقام عال مغبوط . وقد تخلق بالحكم العطائية . فقد حكى أحد تلاميذه أنه كان يكتبها فى حين من الاحيان فى لوحة . ويحفظها فى الوقت الذى يحفظ تلاميذه القرءان بين يديه . وكان الى ذلك ذا سمت حسن . بعيدا من الدعوى . محبوبا بين الخاصة والعامة ، مجبولا على البشاشة ومخالفة النفس .

الفقيه محمد من اولاده

له من الاولاد : محمد و مَحمد و أحمد وبنت . أما محمد فقد اخذ عنه القرءان والمبادىء حتى نجب ثم لازم سيدى محمد بن مسعود من سنة ١٣٢٢هـ الى ١٣٣٠ هـ فكانت مكانته فى الفنون مكينة نحوا وفقها ولغة وفرائض وحسابا . ثم شارط حينا فى مدرسة (الكريمات) بـ (الشياظمة) يدرس ما شاء الله أثناء سنة . ثم وقع على كتاب فيه أسماء . اشتغل بها حتى اعتراه بعض خلل . ثم دارت به الايام فشارط فى (زعير) ثم لما جمع ما جمع توجه الى الحج فمات وشيكا فى مبدا سفره . وقد كان سبب ما الم به ربما جاءه من أبيه الذى لم يعطه مقادته رحمه الله .

وأما سيدى مَحمد فلا يزال حيا وهو من الذين يشارطون فيعلمون القرءان وكذلك سيدى احمد . فقد زاول اشغاله بعدما حفظ القرءان ،

ثم راجع الآن حرفة أبيه فى تعليم كتاب الله . وقد كان أبوه المترجم شاور الشيخ فى اولاده . فامره أن يزوج أحمد هذا . وهو اذ ذاك كما بلـــغ . فظهرت فى ذلك اشارة الشيخ ، فكان بركة أولاده . وقد كان له ولد نجيب فى الفنون عندنا . ثم توفى بعد ذلك . بعدما كان كاتبا عند بعض الرؤساء حوالى عام ١٣٥٩ هـ

فعلماء هذه الاسرة :

١ ـ مبارك بن أحمد .

٢ ـ الحسن المترجـــم

٣ ـ محمد بن الحسن

٤ ـ هــذا النجيب المعتبط

٥ ـ عبد الله القاضى الآتى

٦ ـ محمد بن عبد الله نزيــل (السويرة) الآتى

فهم اسرة علمية فى قبيلة (ايداوزيكى) التى يقل فيها العلمــاء مــن قــديم .

القاضي

سيدي عبد الله الزيكى

نحــو ١٢٧٠ هـ = ١٣١٨ هـ

نسبـه ومتعلمـه

عبد الله بن سعيد بن أحمد بن بيهى .

ابن عم المذكور قبله ـ ولدته ورفيقه فى كل متعلماته . فقد نشئا معا وتعلما معا ، ثم تصوفا معا . فكل ما ذكرناه فى هذه الطور عن المتقدم فان هذا مثله فيه . من باب لا فرق ـ

يتـولى القضاء بـين الناس

رأيت ان ابن عمه أولع بعد رجوعهما من المدرسة (المزوضية) بالتعليم فى داره وبالكتابة عند الرئيس المحجوب المذكور . أما رفيقه هذا فسرعان ما اشتهر عند الناس بعلمه المتين . فانثال عليه الناس بنـوازلهم . فكـان يظل فىسقيفة مسجد قريته . وأصحاب النوازل يتتابعون بين‌يديه . فيقضى بينهم . وقد سار فى ذلك مسير كل امثاله فى كـل قبائـل (سوس) التى لايتعين غالبا فيها من الحكومة قاض رسمى الا فى (تارودانت) فيتخذ الناس فقيها يرتضون دينه وعلمه . فينتصب للقضاء بين الناس وللافتاء فيما يسأل عنه . وحين كانت تلك القبيلة تتدرج غالبا تحت ايالة القائد المتوكى . فقد كان هذا يدفع أمثال المترجم الى رفع راية الشريعة . وما أكثر الآن محررات قلمه فى ذلك بتك الناحية . وما أكثر أيضا فتاويه . وفى ذلك أمضى حياته حتى أدى به الحال الى أن يظل النهار كله فى المسجد . واليه يأتيه طعامه ، ثم لا يأوى الى دار الا بعد أن يصلى العشاء . وقد فتح له ذلك الباب فلزمه ، ومن الاثر : من فتح له باب فليلزمه . وقد علم فيما يوثر عنه انه كان نزيها فى قضائه . ولم يؤثل من ذلك شيئا . بل لم يورث زيادة على ما ورثه من ابيه الا بعض كتب كان كتبها . كالمكودى وشرح ابن عاشر للادوزى . وخطه دون خط ابن عمه سيدى الحسن .

في الطريقة الالغية

قرات فى ترجمة المتقدم كيف اتصلا بهذه الطريقة . ثم لما رسخا فيها وجاء سيدى سعيد التنانى أيضا الى تلك الناحية ممهدا للموسم الالغى على عادة الشيخ فى ذلك . جلس الى هذين الفقيهين فقال لهما : ان أحدكما لابد أن يذهب هذا العام الى موسم الشيخ . فاستهما على ذلك وقد كان احدكما قريب التأهل . فاذا بالقرعة تصادف المترجم . ثم لم يكد يستريح من وعثاء السفر بعد رجوعه حتى صادفه أيضا اجله .

بعض ما يتعلق به

كان هناك فريقان ساد بينهما ما يسود دائما بين الذين يتجاذبون الرئاسة . وقد كان أهل (ايميو زكاون) شيعة المحجوب . يناوئهم (أيت نصر) الذين منهم الشيخ احمد الذى اشتهر بعد ١٣٢٠ ه وقد رأيت عن المحجوب المكانة التى تبوأها عند القائد المتوكى . حتى كان هو وحده عميده فى تلك القبيلة التى كان المتوكى يتخذها حلوباً يصبحها ويمسيها بالمغارم بلا شفقة ولارحمة . ثم لما ضعفت قيادة المتوكى بضعف الحكومة بعد موت الحاجب أحمد ابن موسى سنة ١٣١٨ ه مد الشيخ أحمد يده الى (ايداوتنان) فتسربت منهم قوة الى دار المحجوب فهدمتها . فجلا هذا الى (أيت خطاب) فجلا كل (ءال احمد أوبيهى) فرحل سيدى الحسن المترجم قبل الى (ايداوتنان) وارتحل هذا المترجم الى زاوية (تامشيرت) فشارط فى وقت قليل فى مسجد (اينزركى) ولكن خامره وشيكا مرض شديد . فحمله أهله الى تلك الزاوية وهناك توفى ثم دفن فى مسقط رأسه فى مقبرة سيدى مسعود بن منصور . فان هناك مقبرة متسعة غاية الاتساع وعلى هذا السيد مشهد مقصود . وأولاد صاحب المشهد فى قرية (تيزى أوعطار) فى (الدير) ومن عادتهم اقامة حفلة طعام كل يوم عاشوراء . وهناك مسجد هذا الشيخ يشتمل على خلوة كان يتعبد فيها حياته . ويقال انه كان عالما فى زمنه . يدرس ويصدر كل من قصده بالمعارف والارشاد . ولم يستحضر الحاكى عنه الا هذا الذى سطرناه . ولا يدرى فى اى وقت كان .

ومن معاصرى المترجم فقيه يسمى سيدى الحاج سعيد التنانى من قرية (المزى) كان فى النوازل علامة فطحلا . أخذ أولا عن عالم من (أضار ؤامان) ثم استتم فى (تيمگيدشت) وكان يجد كثيرا ابان اخذه . ثم تصدر للحكم بين الناس بانفة وعزيمة . وكان جريئا مدلا بما يكتبه فى ذلك . وقد ظهر

شانه كثيرا اثر وفاة المترجم . وقد حكى من عرفه انه يعتقد ان وفاته عام ١٣٣٩ هـ . وكان من عادته ان يحضر دائما في (سوق الجمعة) من (دوتاما) فيقضي بين الناس في السوق . وفي غير يوم السوق يتصـدر فـي داره . ولأسرته مجد مؤثل في الرئاسة . منها الرئيس (أزروال)(١) كان يتحكم في كل اهالي (دُوتاما) تحكما تاما الى ان قتله عبد سرَّبَـه اليـه «ال نصر» المتقدمون . ولا تزال الرئاسة فيهم الى الآن . ويقال ان («ال نصر) سباعيون وليس الحاج سعيد الفقيه الوحيد في أهله . بل فيهم أيضا فقيه «اخر يسمى مبارك بن مسعود الاسواري . تخرج بالسيد الصالح العابـد سيدي الحـاج الحسن الكزُوبي التناني. ثم من(مراكش) ثم شارط في مدرسة (أيتزلفن) بـ (حاحة) في مدرسة (سيدي غانم) وتزوج من عند احد «ال السيد الملقب (ايكيدر) ـ أى النسر ـ وقد درس بجد هناك . الى ان توفي قبل ١٣٤٠ هـ وقد وقعت له واقعة يحكيها سيدي الحسين التامكونسي . وملخصها ان هداويا اودعه مائة ريال في صرة . فحين رجع وطلبها منه انكر أن تكون عنده امانة له . فذهب الهداوي الى القائد . فاستمهله الى الغد . فضيف القائد الفقيه القاضي فاوصى بعض أعوانه أن يحتال حتى يسل من الفقيه ان نام مفتاحـا له خاصا لبيت له معلوم. مع سبحته . ففعل ذلك . فأمره أن يذهب الى زوجة الفقيه . كان الفقيه أرسله لتفتيش البيت عن صرة صفتها كذا وكذا . فاذا بالعون رجع بالصرة . ففي الصباح تداعى الهداوي والفقيه عنـد القائـد . فانكر الفقيه أيضا كل الانكار . فسأل القائد الهداوي عـن وصف صرتـه فوصفها . فزحزح القائـد ركبته عن الصرة . فعرفهـا الهداوي . فامره ان ياخذها وان يغادر ايالة القائد في الحين . سترا على الفقيه . ثم عاتب الفقيه وامره ان لا يحكم بين اثنين بعد اليوم .

١) هذا هو الذي جرى ذكره في أول ترجمة سيدي الحسين التامكونسي

في الطريقة الالغية

قرأت في ترجمة المتقدم كيف اتصلا بهذه الطريقة . ثم لما رسخا فيها وجاء سيدى سعيد التنانى أيضا الى تلك الناهية ممهدا للموسم الالغى على عادة الشيخ في ذلك . جلس الى هذين الفقيهين فقال لهما : ان أحدكما لابد أن يذهب هذا العام الى موسم الشيخ . فاستهما على ذلك وقد كان أحدكما قريب التأهل . فاذا بالقرعة تصادف المترجم . ثم لم يكد يستريح من وعثاء السفر بعد رجوعه حتى صادفه أيضا أجله .

بعض ما يتعلق به

كان هناك فريقان ساد بينهما ما يسود دائما بين الذين يتجاذبون الرئاسة . وقد كان أهل (ايميو زكاون) شيعة المحجوب . يناوئهم (أيت نصر) الذين منهم الشيخ احمد الذى اشتهر بعد ١٣٣٠ هـ وقد رأيت عن المحجوب المكانة التى تبواها عند القائد المتوكى . حتى كان هو وحده عميده فى تلك القبيلة التى كان المتوكى يتخذها حلوبا يصبحها ويمسيها بالمغارم بلا شفقة ولارحمة . ثم لما ضعفت قيادة المتوكى بضعف الحكومة بعد موت الحاجب أحمد ابن موسى سنة ١٣١٨ هـ مد الشيخ أحمد يده الى (ايداوتنان) فتسربت منهم قوة الى دار المحجوب فهدمتها . فجلا هذا الى (أيت خطاب) فجلا كل (ءال أحمد أوبيهى) فرحل سيدى الحسن المترجم قبل الى (ايداوتنان) وارتحل هذا المترجم الى زاوية (تامشيرت) فشارط فيوقت قليل فيمسجد(اينزركى) ولكن خامره وشيكا مرض شديد . فحمله أهله الى تلك الزاوية وهناك توفى ثم دفن فى مسقط راسه فى مقبرة سيدى مسعود بن منصور . فان هناك مقبرة متسعة غاية الاتساع وعلى هذا السيد مشهد مقصود . وأولاد صاحب المشهد فى قرية (تيزى أوعطار) فى (الدير) ومن عادتهم اقامة حفلة طعام كل يوم عاشوراء . وهناك مسجد هذا الشيخ يشتمل على خلوة كان يتعبد فيها حياته . ويقال انه كان عالما فى زمنه . يدرس ويصدر كل من قصده بالمعارف والارشاد . ولم يستحضر الحاكى عنه الا هذا الذى سطرناه . ولا يدرى فى أى وقت كان .

ومن معاصرى المترجم فقيه يسمى سيدى الحاج سعيد التنانى من قرية (المزى) كان فى النوازل علامة فطحلا . اخذ أولا عن عالم من (أضار ءوامان) ثم استتم فى (تيمگيدشت) وكان يجد كثيرا ابان أخذه . ثم تصدر للحكم بين الناس بانفة وعزيمة . وكان جريئا مدلا بما يكتبه فى ذلك . وقد ظهر

شانه كثيرا اثر وفاة المترجم وقد حكى من عرفه انه يعتقد ان وفاته عا
١٣٣٩ هـ . وكان من عادته يحضر دائما فى (سوق الجمعة) من (دوتاما)
فيقضى بين الناس فى السوق وفى غير يوم السوق يتصدر فى داره
ولأسرته مجد مؤثل فى البلد . منها الرئيس (أزروال)(١) كان يتحكم
كل أهالى (دوتاما) تحكما الى أن قتله عبد سربه اليه (ءال نصر)
المتقدمون . ولا تزال الرئاسة فيهم الى الآن . ويقال ان (ءال نصر) سباعيون
وليس الحاج سعيد الفقيه فى أهله . بل فيهم ايضا فقيه ءاخر يسمى
مبارك بن مسعود الاسوانى تخرج بالسيد الصالح العابد سيدى الحاج
الحسن الكزنويى التنانى . (مراكش) ثم شارط فىمدرسة (ايتزلفن)
بـ (حاجة) فى مدرسة (بني غانم) وتزوج من عند أحد ءال السيد الملقب)
(ايكيدر) ـ أى النسر ـ ودرس بجد هناك . الى أن توفى قبل ١٣٤٠ هـ
وقد وقعت له واقعة يحكيها سيدى الحسين التامكونسى . وملخصها أن هداوى
أودعه مائة ريال فى صرة فلما رجع وطلبها منه انكر أن تكون عنده أمانة
له . فذهب الهداوى الى القائد . فاستمهله الى الغد . فضيف القائد الفقيه
القاضى فأوصى بعض أعوانه أن يحتال حتى يسل من الفقيه ان نام مفتاحه
له خاصا لبيت له معلوم. بجيبته . ففعل ذلك . فأمره أن يذهب الى زوجة
الفقيه . كأن الفقيه أرسله ليفتش البيت عن صرة صفتها كذا وكذا . فا
بالعون رجع بالصرة . ففى الصباح تداعى الهداوى والفقيه عند القائد
فانكر الفقيه أيضا كل الانكار . فسال القائد الهداوى عن وصف صرته .
فوصفها . فزحزح القائد الفقيه عن الصرة . فعرفها الهداوى . فأمره
يأخذها وأن يغادر ايالة القائد فى الحين . سترا على الفقيه . ثم عاتب الفقيه
وأمره أن لا يحكم بين اثنين الى اليوم .

---

١) هذا هو الذى جرى ذكره فى أول ترجمة سيدى الحسين التامكونسى

في الطريقة الالغية

قرأت في ترجمة المتقدم كيف اتصلا بهذه الطريقة . ثم لما رسخا فيها وجاء سيدى سعيد التنانى أيضا الى تلك الناحية ممهدا للموسم الالغى على عادة الشيخ فى ذلك . جلس الى هذين الفقيهين فقال لهما : ان أحدكما لابد أن يذهب هذا العام الى موسم الشيخ . فاستهما على ذلك وقد كان أحدكما قريب التأهل . فاذا بالقرعة تصادف المترجم . ثم لم يكد يستريح من وعثاء السفر بعد رجوعه حتى صادفه أيضا اجله .

بعض ما يتعلق به

كان هناك فريقان ساد بينهما ما يسود دائما بين الذين يتجاذبون الرئاسة . وقد كان أهل (ايميو زكاون) شيعة المحجوب . يناوئهم (أيت نصر) الذين منهم الشيخ احمد الذى اشتهر بعد ١٣٢٠ هـ وقد رأيت عن المحجوب المكانة التى تبوأها عند القائد المتوكى . حتى كان هو وحده عميده فى تلك القبيلة التى كان المتوكى يتخذها حلوباً يصبحها ويمسيها بالمغارم بلا شفقة ولارحمة . ثم لما ضعفت قيادة المتوكى بضعف الحكومة بعد موت الحاجب أحمد ابن موسى سنة ١٣١٨ هـ مد الشيخ أحمد يده الى (ايداوتنان) فتسربت منهم قوة الى دار المحجوب فهدمتها . فجلا هذا الى (أيت خطاب) فجلا كل (آل أحمد أوبيهى) فرحل سيدى الحسن المترجم قبل الى (ايداوتنان) وارتحل هذا المترجم الى زاوية (تامشيرت) فشارط فىوقت قليل فىمسجد(اينزوكى) ولكن خامره وشيكا مرض شديد . فحمله أهله الى تلك الزاوية وهناك توفى ثم دفن فى مسقط رأسه فى مقبرة سيدى مسعود بن منصور . فان هناك مقبرة متسعة غاية الاتساع وعلى هذا السيد مشهد مقصود . وأولاد صاحب المشهد فى قرية (تيزى أوعطار) فى (الدير) ومن عادتهم اقامة حفلة طعام كل يوم عاشوراء . وهناك مسجد هذا الشيخ يشتمل على خلوة كان يتعبد فيها حياته . ويقال انه كان عالما فى زمنه . يدرس ويصدر كل من قصده بالمعارف والارشاد . ولم يستحضر الحاكى عنه الا هذا الذى سطرناه . ولا يدرى فى أى وقت كان .

ومن معاصرى المترجم فقيه يسمى سيدى الحاج سعيد التنانى من قرية (المزى) كان فى النوازل علامة فطحلا . أخذ أولا عن عالم من (أضار ءوامان) ثم استتم فى (تيمگيدشت) وكان يجد كثيرا ابان أخذه . ثم تصدر للحكم بين الناس بانفة وعزيمة . وكان جريئا مدلا بما يكتبه فى ذلك . وقد ظهر

شانه كثيرا اثر وفاة المترجم . وقد حكي من عرفه انه يعتقد ان وفاته عام ١٣٣٩ هـ . وكان من عادته أن يحضر دائما في (سوق الجمعة) من (دوتاما) فيقضي بين الناس في السوق . وفي غير يوم السوق يتصدر في داره . ولأسرته مجد مؤثل في الرئاسة . منها الرئيس (أزروال)(١) كان يتحكم في كل أهالي (دوتاما) تحكما تاما الى أن قتله عبد سرَّبَه اليه (ءال نصر) المتقدمون . ولا تزال الرئاسة فيهم الى الآن . ويقال ان (ءال نصر) سباعيون وليس الحاج سعيد الفقيه الوحيد في أهله . بل فيهم أيضا فقيه ءاخر يسمى مبارك بن مسعود الاسواري . تخرج بالسيد الصالح العابد سيدي الحاج الحسن الكزُويي التناني. ثم من(مراكش) ثم شارط فيمدرسة (أيتزلفن) بـ (حاحة) في مدرسة (سيدي غانم) وتزوج من عند أحد ءال السيد الملقب (ايكيدر) ـ أي النسر ـ وقد درس بجد هناك . الى أن توفي قبل ١٣٤٠ هـ وقد وقعت له واقعة يحكيها سيدي الحسين التامكونسي . وملخصها أن هداويا أودعه مائة ريال في صرة . فحين رجع وطلبها منه انكر أن تكون عنده أمانة له . فذهب الهداوي الى القائد . فاستمهله الى الغد . فضيف القائد الفقيه القاضي فأوصى بعض أعوانه أن يحتال حتى يسل من الفقيه ان نام مفتاحا له خاصا لبيت له معلوم. مع سبحته . ففعل ذلك . فأمره أن يذهب الى زوجة الفقيه . كأن الفقيه أرسله لتفتيش البيت عن صرة صفتها كذا وكذا . فاذا بالعون رجع بالصرة . ففي الصباح تداعى الهداوي والفقيه عند القائد . فانكر الفقيه أيضا كل الانكار . فسأل القائد الهداوي عن وصف صرته فوصفها . فزحزح القائد ركبته عن الصرة . فعرفها الهداوي . فامره ان ياخذها وان يغادر ايالة القائد في الحين . سترا على الفقيه . ثم عاتب الفقيه وأمره أن لا يحكم بين اثنين بعد اليوم .

١) هذا هو الذي جرى ذكره في أول ترجمة سيدي الحسين التامكونسي

سيـدي

محمد بن عبد الله الزيكي

٦ - ٥ - ١٣٠٦ = حـي

هذا ابن المتقدم قبله . فقد كان خامس اخوته . فان لوالده محمدا هذا ومباركا وثلاث بنات . ومبارك من حفظة كتاب الله . اخذه عن أستاذ فـي (كدميوة) وغيرها ، ومعتمده الاستاذ سيدى محمدا ابن ذلك الفقيه المذكور ءانفا . مبارك بن أحمد أوبيهي فى مبادئه . وقـد كان هـذا الاستاذ خلف القاضي زوجه . فتربى ولده مبارك هذا فى حجره . لان أباه تركه فى حجر الرضاع ـ وهو اليوم يشارط فى المساجد ـ

متعلمـه للقـرءان

لم يتجاوز عمه المترجم قبل ، سيدى الحسن بن محمد . فهو الذى رباه ونشأ نشأة حسنة فى مسجد (أكادير ايداوسوار) فقد حكي أنه كان ثقيل الحفظ . حتى انه لم يجمع كلمات القرءان الا بعد خمس ختمات . ثم بعـد حفظه . مر بالاستاذين سيدى الحسن بن المحجـوب من (ءال اجداع) مـن (بني ياسين) الذى كان يتقـن حرف البصرى . وتوفـى عـام ١٣٤٠ هـ . وسيدى أحمد بن محمد من (أضار وامان) من المتقنين لكتاب الله مع المامـه بالعلوم . وكان تلاء لكتاب الله لا يفتر . كان مشارطا سنة فى مسجد (ايفرى ييغل) فحين عرف باجد أرسل سيدى الحسن بن محمد تلميذه هذا اليه .

في ميـدان المعارف

حفظ أولا بعض المتون الصغيرة على أستاذه سيدى الحسن بن محمد . ثم حصلت منه فترة نحو سنين أمضاها فى البطالة فى قريته . وقد غادر (أكادير ايداوسوار) فاتصل هناك ببعض لداته من الذين يقرؤون فى بعض مدارس (ايلالن) كان يذكر بالنجابة . فصار أهل القرية ينـددون عليـه وعلى قرينه سيدى محمد بن الحسن حين كسلا عن طلب العلم . قال : فعزمنا على أن نهرب . فتسللت الى صندوق أمي . فاحتوشت ليلـة كـل حيلهـا لاستعدبه فى غربتي . فاذا بالخبر يتسرب الىَّ من يهمهم أمرنا . فتوعـدوا

ذلك الطالب الذى كنت اتفقت معه على الهروب . فنكص على عقبه . فرجعت أنا الى صندوق أمى فرددت ما حملته منه . ولم يكن لها اولا علم بما صدر منى . ثم لما شاع الخبر . واتصل بسيدى الحسن بن محمد اتفق مع سيدى الحسين التامكونسى على أن نسير مع الفقراء الذين سيذهبون فى عيد المولد عام ١٣٢٢ هـ الى (الغ) لزيارة الشيخ الالغى . ليوخذ اذنه فى أمرنا . قال فصعدنا فى (الغ) ورأينا كيف التعبيد فى الزاوية . وأكلنا الخبز المجعول فيه البيض . ولم نكن نعرف ذلك النوع من الخبز من قبل . وكنا اربعة أنا وابن عمى سيدى محمد بن الحسن . وطالبٌ ولدٌ لفقيرة من (أكلو) احدى قرى (ايدا وزيكى) وءاخر . كنا شببة متقاربين . حفظنا كلنا القرءان من قبل . ومقصودنا أخذ العلوم . فكتب لنا الشيخ رسالتين . واحدة الى الفقيه سيدى أحمد بن مسعود المشارط فى مدرسة (المعدر) وأخرى الى الفقيه سيدى محمد بن مسعود مدرس (بونعمان) فلما وصلنا سيدى أحمد وقرأ رسالته قال : أمرنى الشيخ أن أخيركم بين (المعدر) عندى هنا وبين (بونعمان) قال فاخترنا (بونعمان) لكون سمعتها تسربت الينا . فأرسل معنا الفقيه سيدى أحمد من أوصلنا الى (تالعينت) بـ (اولاد جرار) حيث يوجد اذ ذاك الفقيه سيدى محمد بن مسعود سائحا مع المتجردين . فصادفنا الفقيه مع سيدى سعيد التنانى أمام باب من ابواب (تالعينت) فبادرنا بالسلام على سيدى سعيد الذى كنا عرفناه من قبل . فقال لنا : هـذا هو الفقيه سيدى محمد بن مسعود . فسلموا عليه اولا . ثم أعطيناه رسالة الشيخ . فلما قرأها ذهب بنا معهما . وكانا تركا الفقراء فى محل . وكان مقصودهما أن يحتجما فى دار الفقير محمد بن السائح . فصاحبناهما الى داره . فرأينا الفقيه بمرقعة وسبحة كبيرة على هياة الفقراء المتجردين . وهو اذ ذاك كما انخرط فى الطريقة . فعنى فيها به . ثم ذهب بنا رسوله الى مدرسة (بونعمان) فقام بكل ما نحتاج اليه .

وقد ظفرت بالرسالة التى كتبها فى شأنهم الاستاذ ابن مسعود الى نائبه فى المدرسة اذ ذاك . ونصها : (أخانا فى الله تعلى الفقيه النزيه سيدى الحسن التنانى . كان الله لنا وله . وسلام عليه وتوابعه . هـذا ونسالكم صالح الدعاء ، ثم ان حملته طلبة (ايداوزيكى) ورفيقهم ولد سيدى الحاج عبد الله التنانى . فتش لهم عن مفاتيح ما كان خاويا من بيـوت المدرسة . واضرب القرعة بينهم فيما وجد من البيوت . لئلا يجدوا فى أنفسهم، ويظنوا تفضيل بعض على بعض. وراعهم فى المؤونة حتى يطمئنوا . وذلك بان تدعوهم الى الغداء والى العشاء . حتى تطحن لكل واحد منهم ما يكفيه . وتضع فـى

بيته من الشعير . فاذا انتظم أمر طعام القبيلة فاعمل فى حقهم بحسبه . وان اختل فادفع اليهم المحتاج والكفاية أبدا . حتى يفعل الله ما يشاء . والله يكون لنا ولكم والسلام . ثم قال : والطلبة يبدؤون القراءة يوم الثلاثاء الآتى ان شاء الله . وذلك فى الظهر . ولا يقعدوا . (أى لايقعدوا عن القراءة) فى أواسط ربيع الثانى عام ١٣٢٥ ه ، محمد بن مسعود)

قال المترجم : ثم خرجنا معشر الطلبة مع أستاذنا لجمع السمن للمدرسة . واجرة المشارطة على المعتاد . فنزلنا بادىء ذى بدء فى قرية (أيت يحيا) فهناك فتح لنا الاستاذ الاجرومية . فقلت له أنا : ان حفظى للقرءان قد اختل كثيرا حتى لاأستطيع أن أمر فيه. وأريد أن آتي أولا بختمة منه . فقال لى : ان القرءان سيرجع اليك . فلا تتحمل همه . فكان كرامة له فاننى فى شهر رمضان تلك السنة كنت آوى فى الليالى الى مصلى المدرسة . فافتتح القرءان تهجدا . فاحس بنويرة أمام بصيرتى . فامرق بسببها فى القرءان . كاننى أتقنت حفظه من جديد . ثم أعدت الختمة . فازددت بصيرة ، وهذه احدى الكرامات التى شاهدتها من الفقيه رضى الله عنه . ثم ان الفقيه دفعنا للاستاذ سيدى أحمد ابى الوقت التيزنيتى (١) معاونه فى المبتدئين . فيقرأ معنا أربعتنا ، قال : فيسر الله لى ادراك تلك المعانى بسهولة . حتى كان لى بين أقرانى ما كان . فكنت أنا المعيد للطلبة دروسهم . وكان الاستاذ يعنى بى أنا خاصة من بين رفقتى . لما آنس من أحوالى التى يراها تخالف أحوال الطلبة . فكان يوصى لى خادمه باطعمته الخاصة التى يقدمها لأضيافه، وقد أصابتنا هناك سنة مجدبة . فأمرها أن تتفقدنى فى ظلمات الليالى فتعطينى من هرى المدرسة سرا . فأطحن أنا بعيدا عن المدرسة خفية عن الطلبة . وذلك لان غالبهم مكفى المئونة . بل ربما قال لى الفقيه : يا فلان لا تكن مثل فلان وفلان فتقضى عمرك فى الشهوات . فرب نفسك على الاقلال حتى ان غسل ثيابك ينبغى أن لايحتاج الى صابون . فتكتفى بـ (تاسرا) ـ وهى عشبة تفرز رغوة يستعان به فى الغسل ـ . قال : وفى تلك السنوات كنا نتردد دائما على الشيخ بـ (الغ) فى العواشر وفى المناسبات وفى المواسم وقد كنت أشربت محبة الشيخ من صغرى . وكانت أمى من الخاصة فى محبته رضى الله عنه . وكانت مقدمة الفقيرات عندنا . ففى دارها يجتمعن للوعظ . وقد اردفنى الشيخ مدة اذ ذاك على بغلته ولما جاء دور الصحبة وان كانت انما تكون لماما بهذه المناسبات . صارت جذور التصوف تتمكن فى صدرى وقد كان الشيخ يلح علينا كثيرا فى الاجتهاد ويقول ان الفقير

١) ذكر مع ءال أوعامئو فى (الجزء الثالث عشر)

هو الذى يبذل جهده فى كل ما هو بصدده . وكذلك أستاذنا سيدى محمد ابن مسعود يحفزنى دائما الى التفوق . حتى انه لما كان الشيخ اعطاه ولده سيدى محمدا ليعلمه فى المدرسة . كان هو نفسه يتولى دروسه الابتدائية ولا يدع أى طالب من طلبة المدرسة يتصل به الا أنا . فانه يرسل الىَّ لأراجع معه دروسه . ثم لما توفى أستاذنا عام ١٣٣٠ هـ . وقد فوض لسيدى ابرهيم البوددارى البعقيلى فى التعليم كخليفة له . لازمته الى أن استقدمت قبيلة (ايت برايبم) أخا أستاذنا سيدى أحمد بن مسعود من محله بـ (المعدر) وكانوا يقولون لانريد أن يكون فى مدرستنا الا المسعوديون . قال : فلازمته أيضا قليلا الى أن انتقلت من المدرسة الى دارنا .

فى مزاولة النوازل

كان (ال أحمد أوبيهى) هم علماء (ايداوزيكى) وعلى يدهم تنحل مشاكلهم الشرعية . وقد شاركهم فى ذلك كما تقدم سيدى الحاج سعيد التنانى . ولما مات القاضى سيدى عبد الله - والد المترجم - وشغرت تلك الناحية ممن يهتدى به الناس فى فصل خصوماتهم ومنازعاتهم . ومن يكتب عقودهم ويحرر نوازلهم ويقسم على الفرائض الشرعية مواريثهم . أرتأى سيدى الحسين التامكونسى والفقيه سيدى الحسن بن محمد أن يرجع اليهم المترجم ليملأ هذا الفراغ بعدما علم أهل جهته انه أليق الناس لذلك . فكان ذلك هو السبب حتى كتبوا اليه أن ينقل متاعه من (بونعمان) قال : وحين توصلت بالرسالة لأرجع انا ومن معى . وهو ابن عمى سيدى محمد بن الحسن . علم أستاذنا سيدى احمد ابن مسعود بذلك . فسألنى ، فحكيت له الواقع . فندبنى أن أصبر الى ان ازداد تمكنا فيما أخذت . فعزمت على اتباعه . ولكن لما أزف رحيل من معى لم أجد منى قوة للتخلف . فاقلعت من (بونعمان) فى شعبان عام ١٣٣٠ هـ فلما حللت فى البلد انتشبت بما ندبنى اليه من ندبونى . فأخالط العامة وكبار القبيلة . ولكن سرعان ما وجدتنى غير ملائم لذلك . فصارت نفسى تنفر منه شيئا فشيئا . حتى أيقنت أننى لم أخلق لمثل تلك الميادين المملوءة بالاخاديد والمهاوى . ففوضت أمرى الى الله . لأنى لا أقدر أن أخالف سيدى الحسين الذى بيده مقودى . فبقيت نحو سنتين . ولما أراد الله أن يفتح الباب على مصراعيه لأخرج من ذلك المأزق الحرج . اندفعت جيوش المتوكى الى (ايداوزيكى) مبدأ الاحتلال نحو ١٣٣٢ هـ فاستولت عليها باعانة من التنالتيين الذين توصلوا منه بأموال . ولولاهم لما نال شيئا . لأنه طالما تحرش بهذه القبيلة . فيهزمه أبطالها المدافعون عن اهليهم وأموالهم وأعراضهم . ولما انساحت جيوشه فى (ايداوزيكى) وجدت انا السبيل للتملص الى حيث ارض

الله الواسعة . وانحلت الانشوطة التى تربطنى بتلك القبيلة . واحمد الله على اننى لم اكن متزوجا بعد . ويا طالما سعى سيدى الحسين ليزوجنى بامرأة ولكن الاقدار لم تسهل ذلك .

في المشارطات

قال : فى عام ١٣٣٣ هـ ، اثر مغادرتى لـ (ايداوزيكى) شارطت سنة فى (أساكا) من قبيلة (اْنبنْنسيرْنْ) فكانت مشارطتى هنا مباركة حسا ومعنى . فقد انسمت قرة العين . ثم زرت الزاوية الالغية فالح سيدى الحسين التامكونسى أن اشارط فى محل قريب منهم . وكان كتب فى ذلك الى شيخنا سيدى سعيد التنانى . فوافقه على كره منه لذلك . فشارطت أيضا فى قرية (تاينْزْرْتْ) من قبيلتنا (ايداوزيكى) فبقيت فيها ثمانية اشهر . ثم حدث ما ازعجنى من هناك . فقضيت شهر رمضان عام ١٣٣٥ هـ فى (ايبلعاس) من قبيلة (متوكة) ومن هناك اتصلت بالمقدم فى زاوية (ايداوْزْمْزْمْ) سيدى محمد بن عمر التيملى . فكان ذلك هو السبب حتى غادرت قرية (تاسيلا) بعدما شارطت فيها . ووجدت من أهلها الذين كانوا من أصحاب الشيخ سيدى الحاج الحسن التاموديزتى كل مرادى من عمارة الاوقات بالذكر والمذاكرة. ولكن سيدى محمد العين من قرية (أيتتاكروت) من قبيلة (ايداوكرض) لما علم بى على يد المقدم المذكور ، بعث رسولا خاصا الىّ ، فلم أجد بدا من اجابته . فشارطت فى مسجدهم ست سنين . وقد تزوجت بنته . فاستقر بى المقرار ، وقد بقيت سنتين هناك بلا مشارطة . فوجدتنى عام ١٣٤٣ هـ مالاّ سكنى البادية . وقد تشوفت نفسى الى سكنى (السويرة) فدفعنى لذلك شيخنا سيدى سعيد التنانى. ولم ينشب أن تيسر ببركة اذنه ذلك . بعد أن كنت شارطت فى قرية (أكليم) من (ايت عيسى) باذنه سنة . أعلم فيها القرءان ومبادىء العلوم . وسكان تلك القرية شرفاء مشهورون .

في مسجد (الديابات)

(الديابات) مكان بضاحية (السويرة) مشرف على البحر . قديم السكنى . وهو مرسى يذكر من قديم . ويسمى مكْدول . على اسم ذلك الرجل الصالح المدفون قريبا من هناك والمذكور من رجالات (ركراكة) . وقد اجرى ذكر هذا المرسى الصغير البكرى المؤرخ فى كتابه (المسالك والممالك) الذى الفه عام ٤٦٠ هـ . كما اجرى ذكره ايضا المؤرخ الزيانى

وذكر أن الحاحيين أسسوا ذلك من قديم . وهذا المسجد الموجود الآن في (الديابات) من تأسيس السلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوى . قيل بناه ليبنى بازاءه مدينة (السويرة) ولكن انتقل بتأسيسها الى المحل الذى هي فيه الآن لاعتبارات هندسية .

أما سيدى (مكدول) المنسوب اليه المرسى القديم فمازال الى الآن مشهده معروفا مقصودا من الناس بالزيارة . ويؤثر عنه من أهل الارواح مقام عال وباسمه سميت المدينة عند الاوربيين (ماكادور) وقد كاد الاسم الاول لايتحول عن أصله الا ما لابد منه مما يدخل عادة على الاسماء . اذا انتقلت الى لغة غير لغتها الاصلية . أما اسم (السويرة) فاسم حديث . وهو تصغير السور بالسين . (السويرة) فذلك هو الصواب . وأما بالصاد فهو لحن بلا ريب ، فاذا كتبناها بالصاد فانما نجارى المتعارف عند الناس لا غير . مع أن الواجب يقضي باتباع الصواب فتكتب بالسين . كما يكتبها بعض من قبلنا .

قال المترجم : تيسرت لى المشارطة في مسجد (الديابات) في النصف الاخير من ذى القعدة عام ١٣٤٣ هـ ، قبل وفاة شيخنا سيدى سعيد الذى ألح علىّ أن اقيم في (السويرة) وأن أعول على الانقطاع فيها . وان اتخذ هناك المسكن الدائم . فجاء مسكن (الديابات) موافقا لأنه لا حضرى ولابدوى اجتماع في خلوة . وخلوة في اجتماع . وقد توفرت أسباب المعاش . وتيسر كل ما يراد في الحياة ، فهناك في حصن حصين . ومأوى أمين قضيت من ١٣٤٤ هـ الى الآن عام ١٣٧٤ هـ . والحمد لله على ماأعطى . وقد تيسرت خطبة الجمعة في مسجد (البواخر) بالمدينة . فكانت نعمة أخرى لايحصى الشكر عليها .

مختلف نواح من ترجمته

اختصرنا كما يرى القارىء حياة المترجم من فيه عن ناحية من نواحي حياته . والآن نتكلم على نواح أخرى نبرز منها ما لابد منه . لتتم الترجمة المطلوبة . أما أخلاق الرجل فأخلاق الصوفية الكبار الذين يستطيعون أن يتملكوا ارادتهم . ويوجهوها كما يريدون . فكان حلمه واستقامته وجوده ومصاحبته طبيعية بلا تكلف. ولا تلمس من أى ناحية من نواحيه الا البساطة التامة . في بشاشته وفي لبسته وفي عبادته وفي كل أحواله . حتى انه لو خير أن يخلق كما يريد لما عدا ما فطره الله . وخلقه عليه . وذلك فضل الله يوتيه من يشاء .

واما مقام الرجل في التصوف فمقام عال . تتذبذب دونه الهمم العليا ، فقد تعلقت همته بمعرفة الله تعلى تعلقا استولى عليه . حتى أن سيدى مباركا أزكوك كان جاء اليه مرة . فقال له : ان الله أطلعنى على قحط شديد سيحدث هذه السنة . فارتحل اليَّ في(متوكة) وكان المترجم اذ ذاك في(أيت‌تاكروت) فعندى من الحبوب ما يكفينا معا حتى ينصرم القحط . قال : فبات عندى . وفي الصباح حكى أنه رأى أن الله أفاض عليَّ من نعمه . وان الاتساع في ذات اليد يطل عليَّ . فقال : انني لا أخاف عليك منذ الآن . فقلت له مبادرا : أطلب من الله ان لاياتى ذلك الاتساع حتى تتوفر لديَّ معرفة الله . لئلا يحول الاتساع دونها

هذا وقد حكى لى مباشرة مرارا كيف كان اتصاله بالشيخ . وكيف وقع له الانتفاع بسيدى سعيد . قال : ان دارنا كانت ملتقى الفقيرات الزيكيات ففيها عند أمي يجتمعن اذا ورد الشيخ الى (يداوزيكى) سائحا . فيعظهن ويرشدهن ويلقنهن ما أردن من الاذكار . على عادته في أن يخصص للنساء محلا دون الرجال . فتقف المقدمة عليهن أمامه . فتبلغه عن كل واحدة ما تريد . فكنت وأنا لا أزال طفلا صغيرا كما عقلت . أعمر قلبى بمحبة الشيخ . ولا أزال أذكر أنه أردفني معه مرة على بغلته من قريتنا الى قرية أخرى فرحا بي . لاني اذ ذاك يتيم مات والدى . وانا دون البلوغ . ثم لما كنت في (بونعمان) صرت اتردد عليه في (الغ) في المناسبات . وفي سنة ١٣٣٧ هـ ، ورد الشيخ مع الطائفة الى (بونعمان) وفي مجلس من تلك المجالس حصلت لى من الشيخ نظرة خاصة . وفي بحورها اسبح الى الآن . فبينما الشيخ يتذاكر في المجلس . وانا في محل أراه منه اذا بوجهه رضى الله عنه يمتلىء أمام عيني بنور عظيم نسيت لأجله كل شيء وكل ما يلتذ به الناس في الحياة . ونسيت التردد الى بيتى في المدرسة الذى لم أقفله ثم لما خرج الفقراء الى جهة (الساحل) كنت بينهم . وحين رد الشيخ الطلبة عزمت على أن لا أرجع . فاختبأت بين الفقراء . وصرت احترز أن لاتقع على عين الشيخ . وبعد أيام أمر الشيخ سيدى اسمعيل الشركى الفقير المتجرد ان يفتش عنى . فلم يزل يفتش حتى وجدنى في زاوية مفردا . وكان رأسى فوق ركبتى من السكون والاستغراق في الذكر . فعتلني بيديه أمامه الى الشيخ . فلما مثلت بين يديه أمرنى بالرجوع الى طلب العلم . فلم أجد بدا من الامتثال على رغم أنفى . ثم لما جاء رسول الشيخ – وهو سيدى بلعيد الصوابى – بوصيته الشهيرة الى سيدى محمد بن مسعود . أسر اليَّ وحدى من الطلبة أن الشيخ مريض جدا. فاذا بالاستاذ وسيدى ابرهيم التازاروالتى

ذهبا خفية من الطلبة لعيادته خوف أن يتكاثر الفقراء . فجمعت نفسي للسفر فلحقت بهما وحدي في (أيت جرار) فحظيت من الشيخ رضي الله عنه بذلك الوداع . وقد ودعنا قبل الفجر . وأوصاني أنا خاصة بالاجتهاد في القراءة قال: هذه هي البذور من الشيخ وهي التي تولاها مني سيدي سعيد التناني بالسقي والتعهد . فكنت لما رجعت من (بونعمان) في شعبان عام ١٣٣٠ هـ أسلست القياد لسيدي الحسين التامكونسي وفوضت اليه في نفسي . فكان يربيني تربية صعبة على حالته المعروفة . فلما أراد الله أن يستنقذني من صعوبة تربيته . وجه الي سيدي سعيدا . فانتزعني منه انتزاعا ظاهرا وباطنا ، فقد كنا نشرب الاتاي ونحن اذ ذاك في (تاينزرت) فمد الى سيدي الحسين كأسه لأشربها ، فقال له سيدي سعيد : بل كأسي أنا هي التي سيشربها . فمد الي كأسه فشربتها . وهذا ظاهر ما كان ، ولكن في الواقع أن في تلك اللحظة انتقال زمان تربيتي وتوجيهي الى يد سيدي سعيد الرحيمة الهينة اللينة التي لا عوج فيها ولا أمت . وقد كان قال يوم كتب اليه سيدي الحسين ان انتقل الى (تاينزرت) من قرية (أساكا) بعدما «انس ما اسبغ فيه من النعم : هدى الله سيدي الحسين . فانه لايكاد يرى فقيرا موسعا عليه . حتى يدفعه الى ضيق جديد . ثم قال أتبعه في هذه المرة . وان كنت لاتربح شيئا من (تاينزرت) لا حسا ولا معنى . فكان الامر كذلك ، وقد كان سيدي الحسين اقترح أن أتزوج امرأة فأبى والدها . فحاول من ذلك ما حاول . وانا لذلك كاره . ثم لم ينقذني من ذلك أيضا الا سيدي سعيد . وقد كان من عادة سيدي الحسين أن لايتخطى أيضا ما يريده سيدي سعيد . قال : ثم لم يزل سيدي سعيد يرفع همتي عن الاكوان . ويدفعني الى العمل وحدي في التوجه الى الله قائلا : ان أصحاب الشيخ الكبار الذين يعينون الفقير على الذكر الذي ينفع القلب قد انقرضوا . وأما هؤلاء فانما يتبرك بهم . قال : ولم يزل على تلك المذاكرة حتى قال لي : ان الطريقة قد انقضت لباناتها . فاعمل لنفسك وحدك . ولا تبال بعد بأحد . وكانت وصيته هذه لي قبل فجر يوم ٢٦ من رمضان عام ١٣٤٣ هـ وأنا أقيم له الاتاي منفردين . لما عدته اذ ذاك وهو مريض مرض موته . واذ ذاك أيضا فارقني الفراق الاخير . وهكذا ودعني رحمه الله في نفس الوقت الذي ودعني فيه الشيخ رضي الله عنه . ثم التحق بالرفيق الاعلى عند الفجر .

ذلك ملخص ما حكى عن اتصاله بالشيخ ثم بسيدي سعيد . وقد اتبع هذه الوصية فاقبل وحده على ربه اقبالا ملأ أوقاته كلها . ولكن بلا تزمت ولا تكلف . فمتى صادف فقيرا فانه يشغل معه وقته . والا فانه امة

وحده . لايمل ولا يضجر ، وعليه من الخمول ما استظل بظله الوريف . ولا أعرف الآن بعد سيدى مولود له نظيرا فى أصحاب والدنا . فقد صاروا كلهم الى رحمة الله . فبه وبسيدى التهامى الركنى وبسيدى عبد الحميد القاضى اتصل فقط فى ميدان القوم . بعد اقفال النادى . واقفار الوادى .

بيني وبينه

بهذا الصوفى العظيم ذقت الشربة الاولى من كأس التصوف . فقد ساقه الله الىّ وساقنى اليه عام ١٣٣٧ هـ ، فلازمته ما شاء الله . ونحن نتنقل بين الفقراء فى (حاحة) و (الشياظمة) وقد استحوذ علىّ. ووجه همتى الى أن ارتضع من شيخنا سيدى سعيد رضى الله عنه . وقد كنت اذ ذاك غرا غير مستقيم الاخلاق . غير مستوى التفكير . بدويا وقوحا بما حصلته من معلومات. وحمق الشباب وطيشه مستحوذان علىّ . ولكن للباقته وللملاطفة التى يلازمها مع الناس كلهم استطاع أن يجرعنى تلك الجرعة الاولى التى لا أزال الى الآن أحمد الله عليها . وحين سكرت من تلك الجرعة وعزمت على أن أوجه كليتى أيضا الى التصوف جاء سيدى سعيد فقال له : قل لفلان ان كان يتبع نصحى أن يتوجه كل التوجه الى استتمام تعلمه . حتى يكون عالم العلماء . واما عالم الفقراء فانه ليس بعالم حقا . ولينظر الى أنا الذى كنت عالمالفقراء فمن انا بين العلماء . واما هذا الذى يحبه من عالم التصوف فانا أضمنه له. وماعليه الا أن يشتغل الآن بالتحصيل التام للعلوم. وهكذا كان سيدى سعيد رحمه الله يوجهنى التوجيه الصحيح بواسطة المترجم . حتى انه لما قرأ عليه ماكنت قلته فيه من القصيدتين الدالية والقافية المتقدمتين. أثنى وقال له: ان (فلانا) فى تقدم . وسيكون له ويكون ــ وقد ألمت بكل هذا فى ترجمة سيدى سعيد ــ المتقدمة ــ

ثم لم أزل انتفع بهذا السيد الجليل منفعة تامة من ذلك الوقت الى الآن . وهو شيخى الكبير ، ولى فيه اعتقاد تام . ومتى نظرت الى وجهه أرى فيه من نور قلبه ما أرى . ومتى جالسته أكون مجالسا لامام فى الارشاد . يعرف كيف يضع الدواء على الداء العياء . ومتى كاتبته كتب الىّ بما يوجهنى الى ربى . وما يدفع بى الى المحجة البيضاء التى ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك أو مبتدع . فاستمع الى ما كتب به الىّ حين نفيت الى (الغ) مختتم عام ١٣٥٥هـ، زيادة على زياراته لى فى (الغ) وغيره قبل وبعد الى الآن فيوالى الىّ مشافهة ما يوالى :

(بعد السلام والتحية على حضرتكم الكريمة . أسأل الله لى ولكم التوفيق والاعانة على ما طلب منا من العمل بما علمنا . والاستقامة فى الادب

معه ظاهرا وباطنا . بترك التدبير والاختيار . وسلب الارادة له فى صلاح أنفسنا . فضلا عن صلاح غيرنا ، وتمثل وصية الحضرمى لتلميذه سيدى أحمد زروق الفاسى رضى الله عنهما عند انفصاله عنه ، فقال له أوصنى . فقال لـــه :

سلـم لسلمـى وسر حيث ســارت   واتبع رياح القضا ودر حيث دارت

وقال تعلى لحبيبه : (ليس لك من الامر شيء) ، (فعسى أن تكـرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) ، صدق الله العظيم فالكل ان شاء الله امارة وتوسم للخير والمحبوبية . فاشكره وارض عنـه وبحكمه فى كل شيء . وانقطع له قلبا وقالبا . واذكره باستغراق قلبك فى عظمته ومحبته . وانس لمحبته كل شيء سواه . فذلك هو ثمرة العلم والعمل لان المقصود المرغوب فى كل شيء ثمرتـه وروحـه . لا الشجر والجسم . فاعرف جدا قدر هذه النعمة التى أراد الله أن يعرفك بها . ببركة همة ابيك أسد أهل الله رحمه الله . وامدنا واياكم ببركة همته العالية الداحضة كـل زيغ وشطط . وكن متأدبا معه ظاهرا وباطنا . وسر على اثر قدمـه ذكرا ومذاكرة . . . واجعل لذكر الاسم (الله) ، أوقاتا مخصوصة كقرب طلوع الفجر . وطلوع الشمس . وقبل غروبها . بل واجعله ذكرك كل وقت حتى يكون لك طبعا لا تفتر عنه همتك . . . وطالع جدا كتب سير الصوفيـة . كالحكم واسقاط التدبير ، واجعل لك نصابا فى (الاحيـاء) لاسيمـا ربـع المهلكات والمنجيات . فلئن أحكمت ما هنالك علما وعملا . فستكـون لـك امامة ظاهرا وباطنا . وبالجملة فاذكر الله تر عجبا . وقد قالوا ترك المراد، سلم المراد . وقد قال عبد الله بن المبارك : يا سادتى العلمـاء ، احتياجنـا الى قليل من الادب ، أكثر من احتياجنا الى كثير من العلم . والحاصل أعرف ما أراد الله منك حيث قطع عنك الشواغل كلها ، وفرغك اليه . فوالله لقـد اهلك للخير . فتفطن لذلك . ولا تهمل ، وسد عنك الوسواس)

ذلك بعض ما يوجهنى به التوجيه الذى يهتدى به السعداء . ويحظى به من الشيوخ المريدون المسترشدون . وهذه الغرفة ما استمدت الا مـن بحر غمطمطم خضم من التصوف الصافى . واشهد اننى سمعتـه يقـول : يجب اليوم أن تحذف هذه الطرق التى تفرق بين المسلمين . وان لاتكون هناك الا طريقة واحدة ، يجتمع فيها كل عباد الله . وقـد كانت لـه غيرة دينية اسلامية وطنية عجيبة . وقد كنت سمعت منه ، وانا معه عام ١٣٦٢ هـ

على سيف البحر فى (السويرة) أن فجر الاسلام الصادق لا ينبثق الا فى عام ١٣٦٧ هـ . ويطلع النهار فى ١٣٧٧ هـ . وها أنذا أرى كما يرى غيرى ما كان . والغريب انني ذكرته اليوم ما قالــه اذ ذاك فنسيه كل النسيان لانه لا يأبه بالكشوفات وامثالها .

وأما أولاده فقد كان تزوج بنت سيدى محمد العين التاكروتى كما تقدم . فولدت له فيما ولدت سيدى الحسين هـذا الـذى نشـا الآن نشاة حسنة . ثم لما ماتت تزوج من (ءال أسكلو) التنانيين فماتت . ثم تـزوج من (ءال بارزى) السويريين . وله الآن أولاد ءاخرون غير سيدى الحسين . أمتعنا الله بشيخنا هذا . ورزقنا منه كل خير . وأفاض علينـا مما افـاض عليه . وهو اليوم فى (السويرة) امام وخطيب ومدرس مرشد . وقـد دب اليه الكبر . يقصده من يعرفون مقامه على قلتهم . لانه يعيش بلا دعوى .

الفقيه

سيدي احمد الايمشيرى الزيكى

نحو ١٢٥٠ هـ = نحو ١٣٣٢ هـ

نسبــه :

أحمد بن محمد بن عبد الرحمن . ويذكر أن نسبهم يتصل بالبكريين التيميين . وجدهم الاعلى يقال له : حسين بن موسى . الرجل الصالح الذى له زوايا متعددة . يقطنها أولاده . زاوية (أغبالو) فى (ايداوبوزيا) وزاوية (تاسيلا) هناك أيضا . وزاوية (بوزامور) حيث دفن سيدى حسين . وزاوية (تيركو) واخريات فى (ايداوزيكى) وسيدى حسـين سوسى يسكـن فـى (أمسكروض) أولا . ثم انتقل تورعا الى هذه الجبال . لئلا يصيب من مـال أحد . لا هو ولا بهائمه ، ولا ندرى عصره .

نشأ المترجم فى قرية (ايمشيرن) من قرى قبيلة (ايداوزيكى) وكان والده الفقير محمد من الذين يرون الناس مواقع المياه . هى الآبار والعيون وهو من طائفة معلومة فى (سوس) ويقال لكل من اتصف بذلك الوصف : (مافامان) أى واجد الماء ، وذلك بأن يقف أحدهم عند مطلع الشمس . ويقول فى محل يعينه : هنا ماء كثير أو قليل . قريب أو بعيد . ويقولون : انهم يرون فى ذلك الوقت وحدهم من بين الناس رؤية بصر . عمودا من البخار ينبعث من الارض الى السماء وبقدره يعرفون قلة الماء وكثرته . وقربه وبعده والكثيرون منهم يصدقون . وكل من جربه الناس منهم . لايكاد يبقى فـى داره . لتطلب الناس اياه من كل جهة . لان العـادة أن لاتحفـر بئر . ولا تستنبط عين الا بواسطتهم وبارشادهم . فقد عرفت انسانا بعقيليا يسمى قدورا . أدركته سنة ١٣٥٦ هـ لا يزال حيا . وهو شيخ مسن ، وقد أدرك الشيخ محمد بن ابرهيم أَعجْلِي المتوفى ١٢٧١ هـ (١) ثم ان كل واحد فى (سوس) مومن بعمل هؤلاء فلا يقدم على استنباط ماء الا تحت نظرهم . وقد رأيت أن الفقير محمدا والد المترجم . متصف بهذا الوصف . مع صلاح وعبارة وانحياش الى الله

---

١) ذكر فى (الجزء الخامس)

أخبرني القاضي سيدي عبد الحميد الزيكي عن والده سيدي الحسين التامكونسي أن أحد المرابطين من أهل هذه الصفة . مر بقرية (سكات) فأراهم محل عين . فاستخرجها أهل القرية عينا ثرارة . وفيها سمك . فقال لهم الفقير محمد : ان هذه العين كنت أعرفها قبل . وانما منعني أن أدل عليها الناس خوف المقاتلة حولها . لانها أصل العيون تحتها التي تنتفع بها قرى أخرى . وسيرى الناس أن تلك العيون تغيض بعد استخراج هذه العين . قال : وبعد قليل غاضت تلك العيون كلها . فوقع قتال بين أهل (سكات) وأهل تلك القرى . فلم يهدأ حتى سدت العين . فرجعت المياه الى مجاريها . وقد كان للفقير معربه حال لا يعلنه . حتى ان بعضهم رأى رؤيا عند مشهد سيدي ابرهيم بن علي التناني : ان يتطلب دعاء ممن سيجده في (ربوة سيدي علي) فوق قرية (امشيرن) فجاء الرائي . فلم يجد هناك الا الفقير محمدا . ولم يظنه في ذلك المقام . فلم يأبه به حتى فاته . ولم يطلب منه الدعاء

وحكى أيضا سيدي الحسين أن الفقير محمدا هو الذي رأى رجلا من : (أكادير ايداوسوار) أن يستنبط (عين بلال) فكانت عينا غزيرة . ولم يقل ماؤها الا بسبب أمطار غزيرة ردم بها بعضها . وقد كان سيدي الحسين يثني على أهل (ايمشيرن) ويقول : لايخطاهم رجل فيه خير وبركة .

مترجم

أخذ عن العلامة أبي سالم سيدي ابرهيم الايسقالي التناني . المتخرج بسيدي أحمد أوجمل الامزالي . وقد كان المترجم من طبقة عنده قديمة . قبل أن يتصل به سيدي الحسين التامكونسي . وقد وصفه هذا بانه ناسخ للكتب . وهناك كتاب طبي من اثار نسخه . الا أن عمله الذي أولع به : هو مزاولة علم الاكسير . حتى انساه الاشتغال بغيره . وسمعته العلمية في النوازل والافتاء لم تتسع . ويده في النحو قصيرة . ويوجد اللحن الكثير في كلامه وخطه حسن مقبول .

اتصاله بالشيخ الالغي

عجبا من الشيخ . فان من أكبر ما يلاحظه من يتقصى أخباره أنه يربي كل واحد في دائرته الخاصة . ثم لا يزال به شيئاً فشيئا حتى يزج به الى المقصود . وهذا ما وقع له مع المترجم . فاننا نعرف من الشيخ أنه ينهى كثيرا عن كل ما يشتغل القلب عن الله . كيفما كان ، خصوصا هذا العلم

الذى هو علم البطالين الكسالى . الا اننا رأيناه مع المترجم يسلس له القيادة فى مزاولة علمه هذا بمعاطاة المعالجة للملح الحى . بكيفية خاصة عند ارباب الفن ، حتى ان الشيخ أرسل اليه رحى صغيرة لذلك . وكان من صنائعه تلقيم الريالات الفضيـة . بان يردها مصقولة براقة . الى أن تكونت لـه بصحبة الشيخ نظرة صوفية . فصار يتحول بها شيئا فشيئا عـن ذلـك العلم الى المقصود الى الطريقة . حتى نسى كل شىء بذلك . وقد كان لا يرضى أن يتواضع للاميين من الفقراء . وخصوصا السود .

حكى سيدى الحسين أنه كان معه هو وسيدى سعيد التنانى . وسيدى الحسن من ءال احمد أوبيهى فى طائفة من الفقراء . فجرى ذكر احترام كل من ينتسب الى أهل الله بتقبيل رأسـه . وان يناديه بالسيـادة على عـادة الفقراء . فقال لهم المترجم : ان نفسى لا تطيب ان أقبل رأس العبد بلخير وهو فقير أسود . وان اقول له يا سيدى . وفى وسط منامه فى هـاجرة ذلك اليوم قال له الشيخ : أمثلك من يقول ما قلت . أوليس أن كلب سيدك سيدك أيضا . فلما استيقظ حكى الرؤيا . فتاب الى الله من احتقار السود ، وقد كان الفقير بلخير عبدا أسود فوقف الشيخ حتى اشتراه انسان مـن سيده بريالات شارك الشيخ فيها بعشر ريالات . فأعتقه المشترى . فكان من أصحاب الشيخ الذين نالوا مقاما عظيما . حتى ان سيدى الحسين قال فيه : ان الله سلط همته على الطغاة فانها لاتفلتهم . وقال : انه من الاوتاد وقد كان أصحاب الشيخ أسسوا زاوية للطريقة عندهم . وهكـذا الفقراء لاحقير بينهم لا بلونه . ولا بعاهة فيه . فهم كلهم سواسية .

من احـوالـه

كان المترجم من الذين يعاكسون المتوكّيين . فيرأس مقاومتهم . فلما تغلب المتوكّيون بامتداد الاحتلال . غادر سيدى أحمد (ايداوزيكى) الى زاوية (تيغانيمين) بـ (ايداوتنان) خائفا يترقب . ثم لم يرجع الا بعد حين . وقد نفعته هذه الغربة . فعاد صوفيا . حسن الاخلاق بصحبة الفقراء . فصار يميل الى المشارطة فى المساجد ، وقد فر بدينه وعرضه وماله من طغيان المتوكّيين فابتعد عن مسقط رأسه . فسكن فى قرية (بوزمور) وشارط فيه وهناك ظهرت منه أحوال صوفية وكشوفـات . وقـد أشار الى شجرة ، والناس يفيضون فى سبيل الاحتلال المقبل الذى يخافون منجريه . فقال لهم: عند هذه الشجرة الخبر اليقين . فاسألوها عنهم ولا تسألونى . فكـان من العجب أن مرت الطريق المرصوفة بتلك الشجرة . فقطعت فيما قطـع تمهيدا للطريق فيتذكر الناس ما كان قاله . ويرون عنه امثالها .

كان لمسجد (بوزمور) الذى شارط فيه أحواض كثيرة فى معدن الملح المشـهور هناك . وكانت مرهونة عند الرئيس ابرهيم بـن عـلى . فحث المترجم أهل القرية ليسترجعوها . لينتفع بها المسجد . فأدى ذلك الى أن سمه الرئيس . فى ماكول بداره يوم جاء أهل المسجد بدراهم الرهـن . وقد كان التسميم فىالطعام يكثر اذذاك . ولم يقل أولايذكر بالكلية الا بعد الاحتلال . فمنذ تناول ما تناول مـن دار الرئيس . صـار يضعف . حتى ادركه أجله شهيدا ، ولم يلق الله حتى ظهرت عليه لوائح الرجوع الى الله بالكلية . أكثر مما كان .

وقد كان يزور زاوية (الغ) أحيانا مع طائفة الزيكيين . كما كان لايفارق الشيخ حين يكون فى بلده سائحا . وهناك رسائل من الشيخ اليه . لـم نتوصل بها الآن . ولكن العبرة فى تأثير الصحبة . وأسلاس الشيخ لـه القياد . حتى خرج من طور الى طور ، رحمه الله .

من اولاده

محمد بن أحمد من حفظة القرءان . وقد اتصل بمدرسة (تيغانيمين) من : (ايداوتنان) عند الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله التنانى الشهير من المتخرجين بسيدى مسعود . وهو أحد الفقهاء المذكورين فى قبيلته ما شاء الله . (وقد ذكره الكاشطى فى مؤلفه) .

أخذ عنه سيدى محمد بن أحمد معلومات لا باس بهـا . ثـم اعتنق طريقة شيخه الاحمدية . وهو لايزال حيا الى الآن : ١٣٧٨ هـ يشارط فى المساجد . خصوصا مسجد (تاصدرت) من قبيلة (ايداوزيكى)

الفقيـه سيـدي

الحسين بن العربي الزيكى

نحو ١٢٨٧ هـ = ١٣٦٧ هـ

نسبـــه :

الحسين بن محمد بن أحمد بن العربى ، وهو من سلالة ادريسية . الا اننا لم نتصل بسلسلة نسبه .

متعلمـه واحـوالـه

كان رفيق الفقيه سيدى حمو الخطابى فى مجالات أخذه . فاخذ القرءان عن الاستاذ الكبير سيدى عبد الله خرباش(١) ثم العلوم فى مدرسة (مزوضة) المباركة . عند أستاذها سيدى الحنفى بن مَحمد رضى الله عنه . ثـم زاول العدالة فى بلده . فكان قطب التوثيق . وفقيه البلد الذى به يسترشد الناس قال القاضي سيدى عبد الحميد : كثيرا مانبيت عنده أنا ووالدى اذا توجهنا لموسم (تافيلالت) الذى يقام على ضريح سيدى محمد بن الحسين الناصرى هناك. فكنا دائما متى أفطرنا صبيحة ليلة البيات ، يذهب مع والدى سيدى الحسين على اتان له شهباء . فيسايره والدى راجلا على عادته . فنلاقى شمس المصيف فى الوقت الذى يقام فيه الموسم . فلا نصل الى الموسم الا قـرب الزوال . وكان يقضى مع والدى الوقت كله فى المذاكرة . وقد كان يقايض فى التجارة . ويشارك فى البهائم . فاستغنى استغناء الكرماء . وقد كان كاتبا ملازما للرئيس المحجوب الامروشى الذى كان من عمد المتوكّين. وكان يصاحب اخاه ابرهيم الفقير الصادق .

اتصالـه بالشيخ

كان اتصل بالشيخ من قديم هو وصاحبه ابرهيم الامروشى . ولذلك كان له ذوق صفى . وعزوف عن السفاسف . وكـان له اتصال بسيـدى

---

١) ترجم فى (الجزء الرابع عشر) .

الحسين الذى رأيت كيف يصاحبه ويذاكره . وكذلك كان له اتصال بسيدى سعيد التنانى وأمثاله من كبار أصحاب الشيخ . فتهذب ونال ما نال . وهو الذى اشترى السطل الكبير الذى يسخن فيه الماء فى زاوية (أزيار) لما نزل فيها سيدى سعيد التنانى . وكذلك له اتصال كبير بسيدى مبارك أزكوك . ويصدقه فى كل ما يقوله من مكاشفاته . ويبريشه كثيرا بذات يده .

متوفاه

قال ولده أحمد فيما نقله عنه سيدى عبد الحميد : كان أحد أولاد الرئيس السيد المحجوب الامروشى اتصل بامرأة اتصال ريبة . حتى حملت منه . فألح على سيدى الحسين أن يكتب له عليها عقد نكاح . ليستتر به من الفضيحة . فراعى هذا ربه . فأبى غاية الاباء من أن يكذب على ربه . فكان ذلك هو السبب حتى دس له سما فى مطعوم أو مشروب . فأودى به ذلك فنال الشهادة . وقد مات عن نحو ستين سنة .

سيدي محمد الزيكى القاهرى

نحو ١٢٧٢ هـ = بعد ١٣٣٠ هـ

هذا من الفقهاء المذكورين من قبيلة (ايدا وزيكى) الملتحقين بالطريقة الالغية . ومنشأه من فخذ الاحلاف . أحد أفخاذ الزيكيين . حدثنى عنه كثيرون من جملتهم : الفقيه الصالح سيدى محمد بن عبد الله الزيكى ثم السويرى ـ المتقدم ـ قال عرفته بالعين . ويحسب أن مسقط رأسه : قرية (أمكدول) قال : نزلت به أنا وعم لى وأنا صغير . فى داره بـ (القاهرة) فرأينا دارا حسنة ومحلا مهيأ للاضياف . وهو كريم يضيف من يعرف ومن لا يعرف من أبناء السبيل . ثم وصفه بأنه كهل لما يشب . وهو حسن الهياة . لطيف المحيا . وقد كانت شهرته بالسخاء أكثر من شهرته بالاوصاف الاخرى. وكان فلاحا يصاحب القائد في بلده . فكان من الاثرياء. وأما مآخذه فلا نعرفها الآن . وان كان الغالب أن يأخذ حيث أخذ اقرانه الزيكيون من المدرسة (المزوضية)

في الطريقة الالغية

كان سيدى الحسن التامكونسي . حدثنى عنه كثيرا . ووصفه بانه من افاضل اصحاب الشيخ الالغى . وكان يعتقده كثيرا . وينزل عليه كلما ورد الى (وادى القاهرة) ويتادب معه . ويوالى اليه رسائله . لانه لا يغادر داره . ولذلك لم يزر قط زاوية (الـغ) وقد كان يتأسف على ذلك . حين نعى اليه الشيخ . وقد كان أنشد يوما للمتجردين :

ان الحياة حياة الزهد والدين ... لكل عبد صفى القلب ميمون
فمن يعد لدى الانام دونهم ... وكان فى دينه فليس بالدون

الفقيه سيدى حمو الخطابي

نحو ١٣٠٠ هـ = نحو : ١٣٥٤ هـ

نسبـــه :

حمو بن سعيد بن حمو بن علي .

قبيلة (أيت خطّاب) صغيرة . وهي ازاء قبيلة (ايدا وزيكى)

متعلمه واحواله

اخذ القرءان عن الاستاذ عبد الله خرباش . ثم العلوم عن الاستاذ سيدى الحنفى بن محمد المزوضى الشهير فى المدرسة (المزوضية) وعن تلميذه الاستاذ سيدى محمد بن الحاج المدرس فى (تانارت) من قبيلة (ايدا ومحمود) وقد أرسله الى مدرستها سيدى الحنفى المذكور . وهذا الفقيه ابن الحاج متواضع حسن الاخلاق . كما وصفه من عرفه به اذذاك . ثم لما استتم تصدى للمشارطة فى بلده وفى غيره . ويزاول الافتاء والقضاء بين الناس نيابة عن قاضى (متوكة) اذ ذاك الحسن أوباها (١) . وما نال تلك النيابة الا بشفوفه بين فقهاء جهته . وقد كان فى صحبته فى المدرسة التانارتية : على ابن الرئيس المحجوب . لانه من اخوال المترجم .

اتصاله بالشيخ الالغى

كانت قبيلة (أيت خطاب) من مجالات الشيخ وأصحابه . وفيها زاوية . فهناك اتصل المترجم بالشيخ . اخذ عنه أولا أخذ تبرك . ولكنه لطول ممارسته ومخالطته لاصحاب الشيخ ظهرت منه أحوال صوفية مشكورة . وقدم راسخة فى علم القوم . فجد واجتهد واقبل على شأنه اخيرا حتى لقى ربه على حالة حسنة . وقد ذكره جميع من يعرفونه بالهمة العليا فى باب الله . وهل يفوز الصوفية الا بالهمم العليا .

---

١) أو بضم الهمزة . بمعنى ابن فى العربية .

حكى سيدى محمد بن عبد الله الزيكى ثم السويرى . انه لما شارط فى (أساكا) الشرفاء فى (بانسيرة) كان يزور فى كل خميس اما المترجم واما سيدى الحسين بن العربى . قـال : فأجد منهما ومن مذاكرتهما مـا يجلو القلوب . ويشرح الصدور . ويحفز الهمة الى الله . قال : وقد كنت اعيى كثيرا بما أزاوله طوال الاسبوع من كثرة التلاميذ أبناء الشرفـاء . فانهم كلهم يحفظون القرءان حتى لم يبق منهم أحد بلا قراءة . ومن بينهم (٢٥) يكتبون نصف الحزب . ولذلك الجهد الجاهد أستريح يوم الخميس عند هذين السيدين الصوفيين . الذين شربا من أذواق القوم ما شربا حتى طفحا . من غير دعوى تتراءى منهما . وقد رزقهما الله ما رزقهما بعلو الهمم .

الرئيس

الحاج الحسن الكثلولى

نحو ١٣٠٠ هـ = ١٣٤٤ هـ

نسبــــه :

الحاج الحسن بن سعيد بن أحمد .

هذه احدى الاسر الكبرى التى ظهرت فى (حاحة) بعد أن انقرضت اسرة (ءال بيهى أو مولود) التى استمرت رياستها على جميع (حاحة) بل وعلى (سوس) كله ـ أحيانا ـ زهاء مائة وعشرين سنة . وقد تلتها رياسة ءال (أنفلوس) أولا . فى مفتتح عهد مولاى الحسن الذى بويع فى (بوريقى) وسط (حاحة) وقد كان نزل هناك لاستدراك ما كان واقعا على دار (ءال بيهى) التى خرّ بها الحاحيون والمتوكيون ١٢٨٨ هـ . وقد اتهم الملك سيدى محمد بن عبد الرحمن ولى عهده مولاى الحسن بأن لـه ضلعا فى هدم الدار. فألزمه أن يغرم ماضاع للحكومة فى ذلك. فأعطى هو ومن أعانوه مائة ألف مثقال . ثم أمره أن ينزل على الدار حتى تعاد كما كانت . فبينما مولاى الحسن يعالج استرداد ما نهب من الدار . وقد فرق الاعـوان فى قبائل (حاحة) على ذلك . فاذا بموت أبيه المفاجىء قد بلغه . فبويع هناك فرجع . فولى القائد الاول من (ءال أنفلوس) . ثم بعد ١٢٩٥ هـ اعتقل القائد فوزعت (حاحة) على قواد شتى منهم (ءال المحجوب) الكلوليون هؤلاء .

المحجـوب

هو المحجوب بن أحمد . وأسرتهم ورد أجـدادها من قبيلة (أسا) فنزلت فى قريـة (أيت أوسول) التى تبعد عن (تامانار) بنحـو ست كيلو مترات . ولم ينزل القائد المحجوب الـذى افتتحت به رياستهم فى مركز (تمانارت) الا سنة ١٣٠١ هـ . وقد كان المحجوب شيخـا تحت يـد القائد النفلوسى . ثم تعين ١٢٩٨ هـ قائدا على (ايداكيلتول) و (أيت تامر) فكان ممن مانوا جيش مولاى الحسن يوم مر الى (سوس) ١٢٩٩ هـ ثم تعين

في الجيش المرابط فى (أيت بعمران) وقد كان متزوجا عائدة بنت الحاج الحسن التيكزيريني - أخت القائد سعيد التيكزيريني المشهور أخيرا هناك - وقد كان الحاج الحسن هذا قائدا على (القصابى) فى ناحية (مكناس) منذ ثار بينه وبين القائد النفلوسي خلاف . حتى خرب القائد النفلوسي داره فـي (تيكزيرين) فذهبت به الحكومة لتنتفع به هناك . ولذلك استند الى أسرته الماجدة هذا القائد الجديد المحجوب الذى لا ظهور لاسرته الا الآن على المعهود من أن أهل المجد المحدث يحبون أن يتشبثوا بأذيال أهـل المجـد التليـد مصاهرة أو مخالة أو تشبها . وسنسوق اليك ما يـدل عـلى أن للحـاج الحسن مكانة عند الحكومة فى نشر رسالة بعثت اليه من مولاى عثمـان بن محمد - كما فى طابع الرسالة - ونصها :

(خديم سيدنا الارضى الحاج الحسن أوتكزيرين الحاحى . سلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله (وبعد) فقد وصلنا كتابك . وعرفنا ما فيه . ووصل عيادة ايالتك . وشهدوا معنا عيد الاضحى المبارك . واغتنموا من بركة دعوة المسلمين الحظ الاوفر . والنصيب الاكبر . وأدوا ما وجب . ومعهم هدية وفق ما فى كتابك . وحلت محلها كثر الله خيركم وعوضكم خلفا امين والسلام فى ١٣ حجة الحرام عام ١٢٩٣ هـ)

ومولاى عثمان هذا خليفة الملك على (سوس) لعله نزل فى (أكادير) وسيذكر أمام أثناء كـلام .

ثم هاك ما ظفرنا به من رسائل مخزنية الى القائد المحجوب وما حواليه

الاولى

تتعلق بالطريق بين (حاحة) و (أكادير)

(خدامنا الارضين أمناء ايالة الخديم الكلكولى سلام عليكم ورحمة الله (وبعد) وصل كتابكم بتعرض (ايداوتنان) لقافلة قرب (تامراغت) ونهبهم لهم سلعة وبهائم . بعد المضاربة . وصار بالبال . فلتقابلوهم بسوء فعلهم ، واضربوا على ايديهم فى ذلك واقعدوا لهم كل مرصد . وخذوا بالحزم فـى أمرهم . ولا تبقوا عليهم حيث بدأوكم أول مرة . وكانوا من الظالمين . وقد أجبنا القائد بمثله والسلام فى ٨ شوال الابرك عام ١٣٠٤ هـ)

الثانيـة

تتعلق بشكاية بالقائد المحجوب من جيرانه (ايداويسارن) شكاه أمناء

هذه القبيلة وللأمناء المكانة المكينة لانهم مراقبون على القواد. يبلغون للحكومة جميع اعمالهم .

(خدامنا الارضين امناء (بنى يسارة) وفقكم الله . وسلام عليكم ورحمة الله (وبعد) وصل كتابكم بأن الخديم المحجوب الكَلتولى أغرى (أمردادسن) من قبيلتكم على قتل شيخهم . ففعلوا وفروا لايالتـه . فئاواهم . وصـار يغريهم على افساد بلادهم بالسرقة وغيرها . كما انـه أفسد ايالتـه . حتى صاروا يمرون للقبائل ، وان أمين زاويته فر لبلادكم متظلما منه . خائفا من مكره . وصار بالبال فقد أمرناه بالكف عن ذلك ، واكدنا عليه فيه والسلام فى ٢٧ ربيع الثانى عام ١٣٠٧ هـ)

الثالثـة

تتعلق بهؤلاء الامناء

(خدامنا الارضين امناء ايالة خديمنا القائد المحجوب الكَلتولى . وفقكم الله . وسلام عليكم ورحمة الله (وبعد) فقد اخبر خديمنا المذكور أن العادة المتقررة لديكم سالفا . أن القبيلة تجمـع عشر القمـح والشعير فى محل . وتصرفه فى مصرفه وقت مخاطبتهم به . واستاذن جنابنا العـالى بالله هـل يجرى على ذلك أو يبقيه بيد أربابه الى وقت مخاطبتهم بـه . فأجيب حيث كان ذلك ليس بمخالف للضابط الذى جعلناه لكم بكون العشر يقبض مالا ، رفقا بكم من جهة تعذر الحبوب وترجيح مصلحة القبيلة فى ابقاء ما أفاء الله به منها فيها . ساعدناه على ذلك لما فيه من الاحتياط . وأخذ الحذر من ضياع بيت مال المسلين . لو بقى عند أربابه بتفويتهم له . وتعذر وجدانه عند طلبه منهم . وعليه فلتحوزوها بيد واحدة أنتم والعامل . ونائب القاضى . ويجعل فى محل محترم ، كبعض الزوايا على يد ثقة برضاكم ورضى العامل والقبيلة ويباع فى ابانه فى الوقت الذى يتراضون عليه . ويخرج منه الواجب مالا، ويصرف فى محله . بحول الله . كما بلغنا أن الامينين الحاج محمدا السفانى ، والطالب ابرهيم بن يوسف خرجا عن الضابط المجعول لكم بظهيرنا الشريف من كونكم تحوزون بيد واحدة جميع ما تحصل فى غلل الاملاك ، وتوجهون على يدكم الجميع لأمين المستفاد بـ (السويرة) وحازا بعض ما تحصل فى الشعير والفول من غير اعلامكم بذلك . ولا موافقتكم عليه . بقصد أن يستبدا به لأنفسهما . ولم تضربوا على ايديهم فى ذلك . كانكم جعلتم عبثا . أو ما علمتم أن المدار فى قبول فعلكم على اجتماعكم عليه . وفى رده على عدم ذلك والعهدة عليكم جميعا اذا تركتم احدا يستبد بشىء عمن عداه من الامناء .

من غير انكار عليه . فلتحوزوا منهما ما احتازاه لانفسهما من ذلك . ولابد ، والا كان الدرك عليكم . والملامة راجعة اليكم . ثم اسلكوا به مسلك الضابط المذكور على يدكم ويدهما . وقد كتبنا لهما بما تعين فى ذلك . والسلام فى ٢٧ رجب عام ثلاثمائة وألف)

الرابعة

تتعلق أيضا بذلك .

(خديمنا الارضى أمين زوايا ايالة خديمنا القائد المحجوب الكَلْـتولى الحاج على المنانى(١) وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد . وصل كتابك مخبرا بما عليه أهل تلكم النواحى من الخصب والهناء وأمن السبل وصلاح الحال والحرث والماشية وعلمنا ما ذكرته من تقاعد العامة على اعشار ماحرثوه باحباس الزوايا يريدون الاستبداد به لانفسهم وطلبت اصدار أمرنا الشريف بالتخلى عنه وصرنا من ذلك على بال اما تلك النواحى وما أمتن الله بـه من الخصب فالله يزيد المسلمين عافيـة واطمئنانا وأما عشر مـا حرث بأحباس الزوايا فلتحزه من جملة الاعشار وقد أمرنا خليفة خديمنا الكَلْـتولى بشد عضدك على ذلك والسلام فى ٢٩ رمضان المعظم عام ١٣٠٠ هـ)

الخامسة

تتعلق أيضا بذلك .

(خديمنا الارضى أمين زوايا ايالة خديمنا القائد المحجوب الكَلْـتولى الحاج على بن محمد الزرارى وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد ، وافى كتابك مخبرا بأن خديمنا القائد المحجوب المذكور فرض على أهل الزوايا ثمن البغلة المنعم عليكم بها وما يناسب فى الاعياد وغيرها ودفعوا ذلك طيبة به أنفسهم وفق ظهيرنا الشريف وأخرت الوقوف على أملاك زاويـة سيدى سعيد بن عبد النعيم لما أنت بصدده من حمل الزرع الواجب عـلى الزوايا ودفعه لأمناء (السويرة) وصار ذلك بالبال أصلحك الله والسلام فى ٢١ محرم عام ١٣٠١ هـ)

السادسة

تتعلـــق أيضا بذلك

(خديمنا الارضى أمين زوايا ايالة القائد المحجوب الكَلْـتولى الحاج عـلى

---

١) هو من أولاد الشيخ سيدى سعيد بن عبد النعيم . وسيذكر مع أهله فى (الجزء التاسع عشر) ان شاء الله .

ابن محمد الزرارى وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبعد . فقد وصل كتابك ذاكرا قضية انفلات خمسة مساجين من مساجين (بنى كزولة) من سجن خديمنا المذكور وموت من بينت فى الايالة والمتهم بالقتل وقتل القاضى التامرى وعرفنا ما شرحت فى ذلك كله وقد بلغنا كل ذلك طبق ما اخبرت سددك الله وأصلحك ثم أمرنا فيه بالمتعين والسلام فى ٢١ محرم عام ١٣٠١هـ)

السابعة

تتعلق أيضا بذلك

(خديمنا الارضى أمين زوايا ايالة خديمنا القائد المحجوب الكلثولى الحاج على بن محمد الزرارى وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبعد، فقد وصل كتاب اعلامك بدفعك لأمناء (السويرة) ثمان خراريب وأربعة أثمان من اعشار الزوايا المذكورة معتذرا عن القلة بالضعف وعدم تمام النصاب الخ ما شرحته . وصار بالبال والسلام فى ٨ ربيع الثانى عام ١٣٠١ هـ)

الثامنة

تتعلق أيضا بذلك

(خديمنا الارضى الامين الحاج على فى (ايزيرارن) وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد اخبر خليفة خديمنا القائد المحجوب الكلثولى انك ذهبت لثغر (السويرة) بقصد دفع عشر الزوايا ومكثت هنالك نحو الشهرين ولم تعلمه بما دفعت ولا بما ءال اليه الامر فى ذلك مع أنه فى انتظار ما علمته ليطلع به علمنا الشريف وعليه فلتبين سبب بطئك ثمة والحامل لك على عدم اعلام العامل بما كان ولابد وعجل باعلامه ليكون على بال منه ويمضى فيه على ما عنده به الامر والسلام فى ١١ ربيع الاول عام ١٣٠١ هـ)

التاسعة

تتعلق أيضا بذلك

(خديمنا الارضى أمين الزوايا الكلثولية الحاج على بن محمد والامين الطالب أحمد المنانى وفقكم الله وسلام عليكما ورحمة الله (وبعد) وصل كتابكما بقبض خليفة خديمنا القائد المحجوب الكلثولى على قاتل الحاج الطيب امتثالا لشريف أمرنا وبيعه عليه جمله واثاثه بثمان عشر ريالا وطلب أولياء دمه حقهم وأعلمتما بدفعكم للخليفة المذكور عشرين ريالا من قبل التعزية كما أخبرتما بهناء هاتيك النواحى وكثرة الخصب فيها وسار بالبال أما

قبض الخليفة على قاتل المذكور فقد أدى ما عليه وقام بواجب الامتثال واما عن جمله واثاثه فقد وجهه لعلى مقامنا واما طلب أوليائه حقهم فيعطاهم فى موجب من متاع من وجب عليه واما ما دفعتموه له من قبل التعزية فقد وجهه ايضا عوضكم الله خلفا وأما هناء تلك النواحى وخصبهما فـادام الله ذلـك والهمكم الشكر عليه وزادكم والمسلمين من نعمه وفضله قال مولانا جـل علاه : (لئن شكرتم لأزيدنكم) وقال النبى عليه الصلاة والسلام : من شكر النعم فقد قيدهما بعقالها ومن كفرها فقد تعرض لزوالها . والسلام فى ١٦ رجب الفرد عام ١٣٠١ هـ)

العـاشـرة

تتعلـــق أيضا بذلك

(خديمنا الارضى أمناء ايالة الخديم الكلثولى وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله (وبعد) وصل جوابكم عما أمرناكم به من احصاء مطامير قمح وشعير الخديم المحجوب الكلثولى المتوفى بأنكم لما أطلعتم ولد العامل واخاه على كتابنا الشريف بذلك أجاباكم بما ذكرتم وكتبتم للعامل ووجهتم لـه نسخة من الكتاب الشريف فأجابكم بأن ذلك لعله كان قبل ملاقاتـه مـع جلالتنا الشريفة وعلى كل حال الامر متعلق على حضوره وصار بالبال فقد جددنا الامر لأمناء (السويرة) باحصاء المطامير المذكورة وبعد دما فى كل مطمورة منها واعلامنا فلتقفوا معهم على ذلك حتى ينفذ على مقتضاه وطيروا الاعلام بما تحصل فى ذلك عزما والسلام فى ١٩ رجب الفرد عام ١٣٠٨ هـ)

الحاديـة عشرة

(خديمنا الارضى القائد المحجوب الكلثولى . وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد رفع الشكاية لحضرتنا الشريفة التاجريولى النجليزى بـ (السويرة) أنه كان نهب له (بنو تامر) ستمائة ريال وواحد وعشرون ريالا . وان كاتبنا الحاج ادريس ابن ادريس كان قبل دعواه بذلك وفاصلها . فعجزت القبيلة المذكورة عن اداء ما فاصلها به بالمسغبة التى كانت وقتئذ فامرنا المكلفين بفصل الدعاوى بـ (السويرة) بالبحث فى ذلك . وان الفوه كما قال بيّنوا لك القدر من الدراهم التى وقع بها الفصال على يد المذكور والا فطالعوا علمنا الشريف بحقيقة القضية . وعليه فاذا بينوا ذلك . فنامرك ان تستوفيه من القبيلة المذكورة . وتدفعه للمدعى على ايديهم . وقد أمرنا امناء ايالتك بالوقوف فى ذلك والسلام فى ١٨ محرم الحرام عام ١٣٠٣ هـ)

الثانية عشرة

(خديمنا الارضى القائد المحجوب الكَيلتولى . وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فما كان دفع لمن كان قبلك من بغال (الهوير) (١) السعيد نامرك بوصوله اليك أن توجهه لأخينا مولاى عثمان صحبة المكلفين بها على العادة . ومن ينوب عنه فى تقليدها . وسطرتها فى محضره . فقد أمرنا مولاى عثمان باحضار (البياطرة) ويحضر هو بنفسه معهم . ومن عيناه للحضور معه على ذلك من خدامنا ويختبروها ، فما وجدوه منها صحيحا أو عيبه ليس بظاهر . يقدر معه على الحمل . بحيث اذا استعمل فلا يحصل له على(٢) يقبل. ويعجل بتنفيذ للخديمين المذكورين بعد من غير انتظار كمال العدد وما كان راكا . أو عيبه ظاهرا . لايقدر معه على الحمل . أو كان قارحا لايظهر فيه علف ولا برء يردوه لك ، وأنت عوضه بالصحيح السالم عزاه . ووجهه لحضرتنا الشريفة . وقد أمرنا أن يوجه السامم المسطر صحبة المكلفين به من قبلك للخديمين القائد عبد السلام بن رشيد . والحاج المعطى بن الكبير . يبقون مع ذلك حتى نامرهم بما يكون به العمل . والسلام فى متم ربيع الثانى عام ١٣٠٢ هـ)

الثالثة عشرة

(خديمنا الارضى القائد المحجوب الكَيلتولى وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد وصل كتابك بأن أمرنا الشريف بتخريص زرعكم . لما أبطأ عليكم وخشيتم من فساده . احضرتم المكلفين بذلك . وخرصتموه على العادة . ولما ورد عليكم كتابنا الشريف به وجد أن تم فيه الامر باحضار الحاج عبد السلام السويرى مع المكلفين بالتخريص . وان خليفتنا لم تصل اليه قبيلة (كزولة) قط منذ سافرت باغراء من سميته . وصار بالبال . أما تخريصكم الزرع حيث خشيتم فساده فقد أصبتم فيه . أصلحكم الله . وليكن علمكم على احضار المذكور بعد على ذلك . وأما كون قبيلة (كزولة) لم تصل لخليفتنا فلا يعود عليهم ذلك بخير . والسلام فى ١٢ قعدة الحرام عام ١٣٠٤ هـ)

---

١) اسم لجماعة البغال والخيل وأمثالها التى تكون للحكومة . وقد ترسلها الى المسارح حتى يحتاج اليها ــ وهو بكسر الواو ــ

٢) المقام مقام الاعياء . لا العى .

وهذا القائد المحجوب هو الذى مر الشيخ الالغى بداره يوم ذهب الى الحج سنة ١٣٠٥ هـ فذكره فى رحلته (١) بقوله لما نزل مركز (تماثار) :

ثم الى المحجوب من عمال (حاحة) وهو من ذوى افضال
مرامنا البيع لبغلة لنا علَّ بنقده تَلمُّ شملنا
ومثلها يحبها العمال وعندهم قد توجد الاموال
قبل غروب الشمس قد طلعنا لكن من الدخول قد منعنا
وشددت حجابه علينا وسددت رماحهم الينا
فأبوا التقريب والترحيبا واثروا الاقصاء والتانيبا
طال بنا الوقوف ثم ملنا الى الجدار ثمت احتللنا
ونحن كل ذاك بالافراح من ربنا الفاعل وانشراح
وكان عنده كثير فقها عرفنى من بعضهم ذوو النهى
لم يدر ما يفعل وهو ضيف ونحن بالزاد وهذا صيف
لموضع فى خارج قد ملنا مع جميع الفقها وقلنا
شيئا من الوعظ لهم فاذنا اذان مغرب فقالوا امنا
بعد الصلاة نظروا ما يعمل من حيلة يجنى بها ما يؤمل
لكى نبيت أحسن البيات مع جميع الفقها السادات
فقيل لى سلم عليه حينما يريد أن يدخل كيما يعلما
لانه فى خارج بمعزل عنا لدى الصلاة قرب المنزل
فقام للدخول بعد المغرب والناس منه فى هوى ومرهب
وليس يجترى عليه أحد كأنما يخطر منه أسد
حاجبه يقوم ليس يجلس يلازم العبوس ليس ينبس
يرعى له بطرفه الخواطر وكيف ان أشار بالظواهر
وكل من كان بتلك الحضرة قلبه ملئان بتلك الخمرة
فجد ءادابهم الظواهر وفى بواطنهم المناكر
فقمت أمشى فتلاقيت معه مسلما فلم يرد أن يسمعه
فدخل الدار بغير رد سلام من سلم بل بالصد
فدخل الكل ونحن كنا تحت الجدار ما رأينا الكنا
الى ورا العشا وقد نعسنا تحت الجدار وبه انسنا
جاء الينا حاجب محجوبه وافق حقا اسمه محبوبه
اتفق اللفظ مع المعنى كما ترى وسبحان الذى قد قسما
فقال قم فسيدى يدعوكا لا كان من يا سيدى يجفوكا

---

١) طبعت على حدة .

وذاك انه جرى فى النادى   وهم يجولون بكـل واد

ان قال بعض الفقها بات هنا   فـلان من فضلـه الهنا

بالعلم والصلاح والخيرات   ووعظه يطير بالمهجـات

فاستسمنوا بظنهم ذا ورم   ونفخوا وهما بغير ضرم

فحسن الوصف باذن العامل   فاشتاق أن ينال خير نائل

فقال للحاجب قم وائت به   لنستضىء بسنا مطلبه

فقمت فى الحين بقصد الوعظ   لـه بحالى أولا واللفـظ

وجدتهم فى قبة مصنوعة   بزينة وفرش مرفوعة

واذ رءانى زال عن منصته   يشير للجلوس فى أريكته

مرحبـا بقلبه وقالبـه   وقال كل مرحبا اذ قال به

فهو كقلب وهم كالجسد   يبتدرون ان أشار باليد

فقلت اذ رأيته قد أقبلا   وكان للنصح له مستقبلا

ليس سبيل للكلام غير أن   رأيت نفسك بنصحنا قمن

فقال لى أهلا بنصح الله   جزاك عن نصحك لى الهى

فقلت للحاضر من رعيته   ومن بناديه من أهل طاعته

هل أنتم تأتمرون طرا   نهيا اذا نهاكم أو أمرا

فقال كلهم أنحن نهمـل   منه أوامره حين تقبـل

فقلت ان امر بالخمس لكم   هل تتركون فى الوقوت شغلكم

فابتدروا بقولهم لو أمرا   بالعشر أديت بوقت لامرا

فقلت للقائد ها أنت ترى   من الذنوب ما عليك فى الورى

فكل من ترك فى حكومتك   أى صلاة فهى فى رقبتك

فى سائر البلدان اذ حكمتا   عليهم جهلت أم علمتـا

ضيعت دين الله فى أحكامكا   وَهْىٌ عظيم ذاك فى اسلامكا

ان الفريضة عمود الدين   كما رووا عن النبى الامين

فقد رأيت من يحول داركا   تركها بله أخا جواركـا

احسن كونـك عاملا ولا   تجعل فى الصلاة ذاك العملا

بالوعظ والضرب وقتل الحد   وذاك فى الدين تمام الجد

أنت خليفة الامام الاكبر   فأنت بالتنكيل فى ذاك حر

فارسل الرسول للمؤذن   فجاءه فى الحين فورا لم ين

فقال من لم يرد الصلاة   اعلم به فلن يرى النجاة

من ضربنا وحبسنا وكل ما   يرده لها الى أن ينعما

فقلت تبنى مسجدا فى الداخل   تجمع فيه مع كل داخل

فقال قد وعدت بالبناء له بذا العام بلا مراء (١)
ففرح المجلس والاسماع وفى الصباح حصل الوداع

كان القائد المحجوب ككل قواد جيله يتظاهرون بالاتصال بأهل الخير وبمحبة العلماء . وبايوائهم اليه . ولذلك رأيت هؤلاء الفقهاء يحلقون حوله، ومنهم الاستاذ ابرهيم الكادورتى الايسى فقد اتصل به وهو فى (بعمرانة) مرابط فى جيشه ادالة هناك ما شاء الله فاتى به معه . واسكنه فى قرية (تاسيلا "لبْرْ"كْتْ) وهو أستاذ كبير من اصحاب أبى العباس أحمد أوجمل مشهور بمجموعة حول الابيات التى يحتاج اليها المدرسون من (ألفية ابن مالك) فى كل باب . وقد رأيناها وعرفناها . وان كان البعض ينكر أن تكون له . ويراها أقدم من عصره . توفى القائد المحجوب أوائل سنة ١٣٠٨ هـ قبل رجب فى (قصبة أيت الربع) فى (تادلة) وقد كان مع الملك مولاى الحسن فى جيشه .

القائد سعيد بن احمد

أخو القائد المحجوب . وهذا هو العفريت النفريت الذى زعزع (سوس) سنوات . فقد استطاع أن يصل ما بينه وبين الوزير الدكتاتور أحمد بن موسى . فجعله أحد قائدين حكوميين بعثهما الى (سوس) اثر استقراره مع المولى عبد العزيز ـ محجوبه ـ فى(مراكش) وقد قوم كل اعوجاج فى القبائل ما بين (فاس) و (الحوز) فصار يتوسع بذلك فى الاطراف . فكان من حظ (سوس) الباشا حمو المكناسى الذى نفاه أحمد الى (تارودانت) من مركزه بـ (مكناس) فجزاه جزاء سنمار بعدما أعانه على الجامعيين الوزراء قبله حتى اعتقلهم عنده فى (مكناس) فجعل له الباشوية على (تارودانت) كما تجعل الحالبة صورة البَوّ (٢) أمام أعين البقرة التى تريد حلبها . فتوجه الباشا حمو . فكان له هناك ما كان مما حكينا بعضه فى أخبار القائد الناجم فى (الجزء العشرين) وتوجه القائد سعيد الى ناحية (تيزنيت) و (اداولتيت) وما اليها . وقد ذكرنا فى اخبار ءال الحاج العربى الكسيميين فى (الجزء الرابع عشر) بعض ما يتعلق بالكيفية التى دخل بها القائد سعيد (سوس) وان (كسيمة) وما اليها ، لم تكن من الايالة التى أسندت اليه . وانها فى ايالة الباشا حمو. ولكن طلبها من الحكومة لتتصل ايالته الحاحية بايالته التيزنيتية فزالت بذلك يد ءال (اينزكان) عن الانفراد بالرياسة فى (كسيمة) فعلت يد ءال الحاج العربى فيها . وتفصيل هذه النقطة مبينة هناك . فهاك ما كتبه

---

١) هذا المسجد موجود الآن فى مشور الدار .

٢) البَوّ : جلد العجل المملوء تبنا يوقف أمام البقرة كأنه ولدها .

المعاصر لحوادث هذا القائد فى (تيزنيت) وفى الجبال . العلامة الثقة الاستاذ ابو فارس الادازى . انقله من خطه (فعند جهينة الخبر اليقين) :

(فى جمادى الاولى الاخيرة ١٣١٤ هـ نزل قائد من قواد السلطان امير المومنين عبد العزيز بن مولاى الحسن فى (هشتوكة) فى (بويكـرا) - أبى الضفادع - فى (ايداومحمد) وهو عدى الكيلولى الحاحى . ثم بعد نزل قائد اخر قرب (أيت أبى الطيب) من (هشتوكة) فـى (تابوحنايكت) وكتب السلطان الى قواد ماوراء (وادىالغاس) أن ينزلوا على الذى فى(تابوحنايكت) ويكونوا معاونة له ورفدا . فأجاب بعض . وامتنع بعض . ثم وقع نزاع بين (رسموكة) واهل (المعدر) وبين ذلك القائد الحاحى على شأن (أيت أومريبض) وشان (أيت ايزويكا) فالقائد الحاحى أراد أن يغرموا . ومنازعوه أبوا . ثـم فى اليوم الاخير من رمضان أغارت قبيلة (رسموكة) و (المعدر) عـلى الذين فى (تابوحنايكت) فنهبوها . واحتووا على ما فيها .بعد قتل بعض من فيها، وقد حازوا فيها القناطير المقنطرة . ثم وقع النداء فىموسم مارس فىمنتصف شوال لرد ما أخذ فى (تابوحنايكت) فنزل الشريف سيدى محمد بن الحسين الايليغى فى (توبوزار) ازاء (وادى الغاس) فأقام هناك ذا القعدة وذا الحجة ، يسترجعمن (رسموكة) و (سملالة) - يعنى أهل المعدر - ما أخـذوه مـن (تابوحنايكت) فردوا البعض فقط . فرد ما أخذ الى سيدى عبد القادر بن مسعود الشاوى قائد الادالة فى (تيزنيت) ثم وقـع الصلح بـين الشريف والكيلولى . بعد أن أخذ من يد سيدى عبد القادر ما توصل به مما نهب من (تابوحنايكت) على أن يعطى أهل (امريبض) و (ايزويكا) أربعة ٠الاف ريال فجمعها بعدما فرضها أهل (المعدر) فغدر الكيلولى بعد أن أخذ بعضها . ثم انه أرسل السيد عبد القادر فنزل فى (اغبالو) فجمـع أهل (ماسـة) فقرأ عليهم امر السلطان أن تعطى كل قبيلة عشرة ٠الاف ريال غرامة . على أن لم يقاتلوا (رسموكة) و (المعدر) وقت انتهابهما ما فى (تابوحنايكت) - ثـم يكون فرض المال بعد الغرامة - ولما قرأ السيد عبد القادر تلك الرسالة . اخرج له الشريف أمر السلطان أن يعطى أهل (سوس) ريالة لكل عتبة، فتفاقم الامر بينهما . وانحاز سيدى عبد القادر الى (أغبالو) فمكث فيه اياما حتى ايس من صلاح أهل (ماسة) وحزبهم (رسموكة) و (المعدر) فرجع الى محلة الكيلولى . كل هذا وأهل (المعدر) وحزبهم يعزمون محاربة الكيلولى . وقد جمعوا همتهم على ذلك . وان الشريف رئيسهم عازم على ذلك . ففرض المئونة على اهل (أكلو) و (المعدر) و (رسموكة) و «ماسة» والكيلولى لايبالى بجمعهم . بل اقبل على شانه من جميع الاموال فى(هشتوكة) و(الوادريميين)

وقبائل ما هناك (١) ثم في يوم الثلاثاء ٧ محرم ١٣١٥ هـ اقبل الى (ماسة) بجنوده . بعد ان قدم أخاه بجيوشه . فنزل فى موضع من (ايت بلفاع) ثم نزل هو عليه . فلما اقبل الى (ماسة) فرق عسكره على فرق اكثر من اثنى عشرة فرقة . فما زال ينزل فرقة على كل ربوة من مناخه ، الى (وادى الغاس) فانزل معظم عسكره فى (السمايسة) ثم شن الغارات على الماسيين . فبلغت غارته الى مناخ الشريف فى (توبوزار) وقد اخبرنى بعض من شاهد عسكره فقال : والله لقد كنا فى (أيت وودين) فى (ايگ المؤذن) فلا ترى العين الا بسائط مستحلسة بالناس . فلا ترى موضع قدم الا ورجل فيه او فرس، ثم انه ناوشهم القتال . فقتل من عسكره ثمانية . ثم رجع الكيلولى الى مناخه كل هذا وبعض أهل (المعدر) قطعهم عسكر الكيلولى الى جهة (ايزويكا) ، فلما رجع الى مناخه خرج أهل (المعدر) المحاصرون فى (ايزويكا) فاجتازوا على الشريف . فقالوا له : الرأى أن نأمر (ايزويكا) وكـل من كان منا ان يعبروا الوادى . ويخلوا بلادهم للكيلولى ، فقال لهم الشريف : اذا اخليناهم ذلك الجانب فسنخلى لهم هذا الجانب أيضا ، فنكص على عقبه . فجمع رحله؛ وولى هاربا. فصلى العشاء فى(عين ابرهيم أوصالح) ، فما أصبح الا و(ايليغ) بين عينيه . ثم رمى الله الرعب فى قلوب عباده . فما بلغت ظهر الاربعاء ، الا و (المعدر) خاو على عروشه بحيث لم يبق من أهله من ينفخ فيه النار ، وكذلك (رسموكة) وكل من له نسبة الى أهل (المعدر) فانه نفض يديه مما يملكه . واقبل يبغى النجاة بنفسه . ثم انقض أهل (تيزنيت) و (بعقيلة) ينتهبون أموال (المعدر) و (رسموكة) وكل من لاقوه فى الطرق . وقد نزلوا فى وسط (المعدر) يخربون البيوت . ويذهبون بالابواب . وينقلون الشعير. ويقتلون من لاقوه فى الطرقات وغيرها . انا لله وانا اليه راجعون . على هذه المصيبة الشنيعة . واتفق أن ذلك اليوم يوم الاربعاء ثامن المحرم ١٣١٥ هـ كان فيه حر شديد . فلا تسل عمن هلكوا فى الطرق بالسموم من عجائز وصبيان وهرمى وضعفة الناس . ووضعت الحبالى . فالى ايـن العويـل . و (بعقيلة) وحزبها فى الطرقات يقطعون الطرق على الناس بقتلهم . والفتك بهم . وأكل أموالهم . كأنهم فى أمان من الله أن لايصيبهم مثل ما اصـاب القوم . من كان فى داره نزلت عليه المصائب . ومـن خرج يبغى ملجئـا

---

١) كان الايلاليون و (أيت مزال) وكل تلك القبائل حاربوا القائد سعيدا فى (ايمى مقورن) من (ايكونكا) ثم سعى اليهم بالاموال التى يسر بها اليهم فتفرقوا عن (ايت مزال) فدهمهم وخرب (أگادير نيت مزال) فلم يبن بعد الى الآن . واذ ذاك استولى على (أيت وادريم) .

اختطفته المصائب . فلا نفقا يفضى الى بطن الارض . ولا سلما يصعد به الى السماء . ثم من العجائب ان هذا الفتق وصل الى (بعمرانة) و (أولاد جرار) فبعضهم وثب على (العوينة) فغوروا أعينهم . وأكلوا شعيرهم . وخربوا ديارهم ، فهلك من ضعفتهم فى الطرق ما الله تعلى عالم به . ووثب أهل (بعمرانة) على أهل (الكرايمة) فى (الساحل) فأخرجوهم من بلادهم . فالتجأوا بزاوية (سيدى وكاك) وبعض الجراريين وثبوا على أهل (المنكب الابيض) ـ ايغير ملولن ـ فقتلوا وحرقوا الديار . ونهبوا الاموال . كل هذا فى يوم الاربعاء . ولم يغن غناء فى هذا اليوم الا أهل (ماسة) لو كان لهم أعوان . فان المشئوم الكيلولى داوم القتال معهم . ففى كل يوم يعبثون فى محلته . فقتلوا أول يوم أربعين . وفى اليوم الثانى نحو مائة وستين على ما بلغنا . فلله در الماسيين . فما أصبرهم على اللقاء . وأشد بأسهم فى الهيجاء واف وتف لـ (رسموكة) وأهل (المعدر) فان جبنهم أورثهم عارا . لا تغسله البحار . وشنارا لايخلق على مر الليل والنهار . هم أسرع الناس الى ايقاد الفتنة . وأول الناس نكوصا وهروبا منها . وياليتنى حكمت فيهم . فأقطعهم اربا اربا . فلو صبروا صبر الكرام وذادوا عن محارمهم وأموالهم . وقاتلوا حتى يقتلوا عن ءاخرهم لفعلوا فعل الاحرار . ثم دخل الكيلولى حضرة (تيزنيت) يوم الجمعة الثالث من جمادى الاولى ١٣١٥ هـ بعد أن درس (رسموكة) و (المعدر) و (أكلو) و «ماسة» و «الساحل» ونهب أموالهم . وخرب بلادهم . وتركها شذر مذر . وفعل الافاعيل التى تصم السمع . وتعمى الاعين . وها هو الآن أناخ بكلكله على الفريق الآخر . أتاح الله له جائحة . وصاعقة تحرقه . وسحابة تطهر منه البلاد والعباد . ثم ان الكيلولى لما اطمان فى (تيزنيت) بث سراياه . فبعث سرية فأناخت فى (أنزاض) قرب (تيرمسان) وقائدها عمر ابلاغ . فقاتل (رسموكة) الجبل ، فأقاموا فى (أنزاض) نحو أربعين يوما . وفى يوم الجمعة ١٦ من جمادى الثانية قاتلوا (رسموكة) بعد أن فرقوا عليهم البارود فى موضعين أحدهما (ايكروما) والآخر فى (تيزى نتعزا) فانهزم جيش الكيلولى . وقتل منه نحو عشرة . ثم فى يوم الخميس انقطع جيشه . فرجع الى (تيزنيت) وتركوا أمتعتهم فى (أنزاض) وقد ردهم الله خاسئين. وبعث سرية أخرى الى (بنى حامد) فنزلت على (تيلكات) فعاثت هناك بقطع الاشجار . وتغوير المياه . فقاتلها الحامديون فقتل فى عسكر الكيلولى أناس وفى الحامديين ءاخرون . فلما أيسوا من الاستيلاء على (بنى حامد) انقلبوا خاسئين . ووافق الانقلاب عن الحامديين ذلك الانقلاب من(أنزاض) فظهرت من ناحية (اصبويا) من (بعمرانة) سفينة

للنصارى خرجوا فى (أساكا) ــ موضع هناك ــ بمشاورة بعض البعمرانيين فنهض اليها الكيلولى بجيوشه . فقبض على أولئك النصارى وأصحابهم من البعمرانيين . فدخل (تيزنيت) فرحا ظافرا . بعد أن طمع الناس فى نكبته وافتضاحه . ولم يقدر عليه شىء . بل تشتت تلك القبائل التى تتكلم مع النصارى بتخريب ديارهم . وجلائهم عن مواطنهم . فاقبل الى مقره فى (تيزنيت) فبعث بالنصارى واصحابهم مصفدين فى الاغلال الى السلطان . وذلك قرب رمضان من السنة . ثم قعد على اكل أموال الناس . فدخل الى اموالهم من كل باب . حتى انه يأخذهم بأعشار قسمة التركات . حتى من كان وحده يأخذه بذلك . فاذا قال أنا لم أقاسم أحدا . ولا معى من أقاسمه اجابه بانني اخوك الذى يقاسمك . أو يقول له دار المخزن أختك . فاعطها حظها من مالك . فطالما غمطتها حظها . فلقى الناس منه بسبب ذلك عرق القربة . حتى لم تبق دار فيما وراء (أكادير) الا أعطى ذلك . كل واحد بقدر ماله . وفى يوم الاثنين الثالث من ربيع الاخير . والثلاثة بعده سنة ١٣١٦ هـ حاصر نائب الكيلولى وهو ابن عمه الحاج أحمد (تانكرت) وهى موضع فى(افران) فانه استجاش بجميع ماقدر عليه من(حاحة)و(هشتوكة) و (بعمرانة) وجميع قبائل (سوس) فخيم بجميع عساكره فى قصبة (احدادو) نهض الى مقاتلته يوم الاثنين المذكور . والايام المذكورة بعده . فادام عليهم البارود فى الايام . فقتلوا فى عساكره ما يناهز ثلاثمائة رجل . ومن الخيول ما لايحصى . وقتل من أهل (تانكرت) ثلاثون رجلا . ثم كانت العاقبة لهذا الظالم . فاستولى على (افران) وكسحهم وأكل أموالهم . وتركهم شذر مذر . فالله ينتقم منه بمحمد وءاله . والذى تولى كبر ذلك فقيه (افران) الحاج الحسين الافرانى (١) لانه فى (تيزنيت) يومـذاك . وفى الحديث شر من تظل السماء يومئذ علماؤهم . منهم تخرج الفتنة . واليهم تعود . اللهم اننا مددنا اليك أيدى الضراعة . وبخعنا اليك بالسن الاستكانة ان تكفينا وجميع الامة المحمدية شر هؤلاء الظالمين . ثم فى الثالث والعشرين من شوال عام ألف وثلاثمائة وستة عشر . حصر هذا اللعين وجيوشه فى (وجان) وذلك فى يوم الاثنين . وقد نزل فى دار موسى بن أحمد ابن بكاس وحوله عساكره فانتدب أبطال (ولتيتة) لحصاره . ثم بعد أن كسروه كسرة شنيعة

---

١) هذا هو الاستاذ الجليل الشهير وقد كان ما بين الفقهين غير عامر . هذا وقد ترك هذا المؤرخ ما يتعلق بحروب مجاط . وقد ذكرناها فى كتاب (من افواه الرجال) .

في (عقبة ادريس) وقتلوا صناديده . واشرفوا على قبضه بنفسه (١) ولما رجع الى (وجان) اقبل على الشيخ عمر بن ابرهيم أبلاغ فاودعه المطبق فى (تيزنيت) ثم استعدت شجعان (ولتيتة) أهل الخيل من (بعقيلة) و «رسموكة» و «سملالة» ومن وراءهم من التمليين . فانقضوا على عسكره يوم الاثنين المذكور . فاوقعوا به وقعة منكرة . شتت الله شمله . وأراح أهل الملة من شوكته وفتنته ، فقد تركت العقلاء حيارى . متضرعين الى الله تعلى فى ازاحة شره عن البلاد والعباد . وها نحن أولاء منتظرون فرج الله سبحانه على عباده وانكساره من (عقبة ادريس) كان يوم السبت الموفى أربعة عشر يوما من الشهر المذكور . وخلاصة الواقعة أن أبطال (ولتيتة) انتدبوا للعيث فى عسكره . فانقضوا عليه سحر يوم الاثنين المذكور . فعاثوا فى محلته بالقتل والنهب . فتفرق عسكره شذر مذر . وقتل فيه ما يناهز سبعين رجلا . ثم لما اصبح الصباح نادى مناد ان انحسروا لمنتهى الجبل . حيث لاتلحقكم فيه الفرسان . فامتنع بعضهم رغبة فى الغنيمة . فاجتمع عليهم بقية عسكر اللعين فطردوهم بشرذمة من الخيل . فسلك الفل (هوت سيدى الغياث) وهم يقتلونهم . فقتل من (ولتيتة) نحو ثلاثين رجلا . وقطع رؤوس بعضهم. وحملوها على عادتهم من ارهاب الحمقى بحمل الرؤوس . ثم تراجع الفل . وكرت الابطال على الابطال . فرد الله كيد اللعين فى نحره . نعم انقطعت الشرذمة من عسكر (ولتيتة) فدخلوا دارا فى (وجان) تعرف بدار(ايدشفى) فتحصنوا فيها . ورام اللعين أن يخرجهم . وجعل يضربهم بالانفاض . فلم ينجح عمله . فلما جن ليل الثلاثاء خرجوا بعدما اضرموا النار فى بقية المحلة وحرقوا أخبية . وغنموا أشياء منها . ثم ان أهل (ايسن) ومارده (أساكا اوبلاغ) أتوا جيش (ولتيتة) وقالوا نحن اخواتكم وقد سئمنا خدمة هذا اللعين. فكانوا معهم يدا واحدة على محاربته. ثم ان هذا اللعين قام الى البارود وخرج اليه صبيحة يوم الاحد الاخير من شوال عام ١٣١٦ ﻫ وهو التاسع والعشرون من شوال . ففرقهم فى أماكن من (بيرة وجان) و (الذئاب – أوشان – (وبنى عثمان) ، فقاتل الفرسان . فكمن له الرماة فى خنادق واخاديد من الارض . لانه يقاتل بالرصاص الانكليزى . وهو يرمى من بعيد فيصيب ولذلك لايقاتلونه الا بالرجالة . فقتل من عسكره خمسة عشر رجلا وأصيب من (ولتيتة) ثمانية . ماتوا وقد خرجوا من الاخاديد . وغنم اللعين منهم بغلا . وغنموا منه فرسين . ثم ان اللعين قام الى البارود يوم الاربعاء ١

---

١) لم يحضر القائد سعيدا المعركة ذلك النهار بل كان فى (تيزنيت) وانما ذهب منها الى محل المعركة فى اليوم الثانى . بعد ما خربت البصرة .

من القعدة فطمع فى أهل (ولتيتة) الذين فى مدشر (أوبوشتى) فى (الفحص) فدفع اليهم بخيله . وتركوه بحيث لم يرمه واحد . حتى فعل ذلك مرارا . وفى المرة الاخيرة دفع اليهم بجميع عسكره . فشرعوا حينئذ فى رميه بالرصاص . حين تمكنوا منه بين الديار والبحائر . فقتل من عسكره أربعة عشر رجلا . وقتل فى (بيرة وجان) ستة رجال من عسكره ايضا فى ذلك اليوم يوم (أوبوشتى) لانه فرق البارود . ولم يصب من (ولتيتة) الا واحد جرح ولم يمت . والناس حيارى من فتنة هذا الظالم . تراهم سكارى وما هم بسكارى . ولكن هذه الفتنة شديدة . اللهم أكفنا هذا الظالم بما شئت وكيف شئت . انك على كل شيء قدير . واعلم ان هذا الظالم لما قام الى (أوبوشتى) فرق عسكره الذى أقامه اليه ارباعا . فأمر كل ربع ان يدخل فى ربع مدشر (أوبوشتى) ، فلم يقدر على شيء بل رجع عنه مفلولا مفتضحا . ثم ان الله تعلى أراد فتنة (ولتيتة) فاوقع بينهم اختلاف الكلمة . فمشت فرقة منهم جواسيس الى هذا الظالم . وهو فى (وجان) فدلوه على ثغر من ثغور (ولتيتة) وذلك ان (ولتيتة) اتخذوا مكانامن ازاء وادى (تازاروالت) من رقبة (شبور) فوق (بنى باها) الى (ذئاب وادرارين) فكل قبيلة بمكمنها . واعنى بالمكامن «ايشبارن» قبيلة «بنى عمرو» بمكمنها . وهكذا الى اخرها . وكان مكمن قبيلة (بنى حامد) فوق (سكة الخميس) وكان من عادة (بنى حامد) وبعض أهل (ايسمن) اذا امسوا ان يتركوا (ايشبارن) ويبيتوا فى القرى فذهب أولئك الجواسيس الى هذا اللعين فقالوا بكر بكور الغراب الى مكمن (بنى حامد) ومكمن أهل (ايسمن) ومكمن (بنى عمرو) فانهم لا يأتون اليها الا بعد ما يطلع النهار . فبكر اليها بعسكره . فحين رجع أولئك الى مكامنهم وجدوا عسكره قد سبقهم اليها . وجاز بعض عسكره الى ديار (بنى باها) و (بنى امسعيد) و (أورير) فنهبوها . فقاتله (بنو حامد) خصوصا ، وهرب أهل (ايسن) و (بنو عمرو) فقتل من (بنى حامد) ٢٥ رجلا . وقتل من (بنى باها) ثلاثة او أربعة . ومن بنى (أم المهابل) ثلاثة . وأهل (اورير) ثلاثة فجملة القتلى من (ولتيتة) نحو من ٣٥ قتيلا . وعسكر الظالم كان فيه القتل ولم‌تتحقق الآن عددهم (نعم عددهم ٢٠ بالتحقيق. وقيل ازيد) (بل اخبرنى من أثق به انه قتل فيه ذلك اليوم ٦٠ رجلا من غير نقص . ان لم يزيدوا على ذلك) فحين تسامع الناس هذه الهزيمة الشنيعة . قذف الله فى قلوبهم الرعب . فازمعوا رأيهم على الرحيل . فرحل جميع من وراء (بوشتى) الى (اعجلين) من أهل (اساكا) واهل (التراب الابيض)و «الذئاب» و (بنى باها) و(أهل العيون) الاعلين والاسفلين وغيرهم . فانهزم عسكر (ولتيتة) من

جميع المواقع التى هو فيها . فانه بلغ الى الدخيلة . وقام منه ومن (أساكا) و (الذئاب) وجميع المواضع التى عمرها . فانحاز الى حد الجبل . فهو نازل فيه الآن . ولا أظن اقامته فيه . لان القوم أهلكهم الاختلاف . فان منهم من يطلع العدو على العورات . ويميل اليه . ومنهم من أتى بمال أعطاه له العدو ليفرقه فى ذوى البطون ممن أراد هلاك الامة . وهذا الرجل لايهلك القبائل ولا يغلبها باتقان الحرب . وكثرة الجيوش . انما يهلكهم بالاختلاف فانه يعدهم ويمنيهم . وما يعدهم الا غرورا . فاذا أوقع بينهم الاختلاف تلاشت ريحهم . قال تعلى : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) والاختلاف أصل كل الشر. كما ان الاجتماع أصل كل خير . وكل هذا وقع صبيحة يوم السبت السادس من ذى القعدة بعد واقعة (بوشتى) بيومين . وأصهارنا أولاد (سيدى باكريم) من رقبة (ايمونان) نهبت ديارهم صبيحة يوم الاحد بعده . فاجتيحت دوابهم وكسوتهم وأثاثهم. فهم الآن نازلون علينا فى (أدوز) . فالله يجعل لنا من هذه المصيبة فرجا ومخرجا . ثم ان أهل (تيغمى) و (بنى عمرو) وأهل (ايسمن) أتوه . فذبحوا عليه بعيرا . وأظهروا التوبة . فانزل قائدا من قواده فى (أساكا) فى ديار (ايلاغن) وقائدا ءاخر فى ديار (وادرارين) و (الذئاب) نهبت أموالهم وخربت ديارهم . وكذلك (بوشتى) و (العيون) العليا والسفلى. و (أساكا) و (التراب الابيض) و (أم المهابل) و «بنومسعود» و «بنو باها» وتبين أن الذين أكلوا مال هذا الظالم ثمانية رجال . بعضهم فى (تيغمى) وبعضهم فى (ايسمن) والبعض فى (ايد باها) و «أماسين» خرجوا من ديارهم فملأوا (شفا السطح) بأثاثهم . وشيوخ (أساكا) راحلون فتشتت أمر (بعقيلة) الا أهل (وادى الجبل) وبعض قبيلة (زيلالة) والباقون فمنهم من قام فى (أنزى) . ومنهم من جاز الى المرابطين الشبيين فى (بنى حامدة) ومن الناس من جاز الى (شعبة المولود) . ومنهم الى (سملالة) كل بما أداه اليه الحال من البلاد . وهذا الظالم أظهر الفرح العظيم يوم الثلاثاء التاسع من ذى القعدة . بأعمال المفرحات . باخراج الانفاض . واجراء الخيل. واخراج كثرة البارود ، وخرج بنفسه . حتى طاف أحوال (أساكا) ووردت عليه القبائل من كل فج . من (بعمرانة) و (هشتوكة) وغيرهم مظهرين انهم حزبه بعدما ابطاوا عنه . متوقعين نكبته على يد (ولتيتة) لسئامتهم منه ومن عسفه وظلمه . وكل قبيلة تتوقع هلاكه على يد الاخرى . وان ربك ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) (وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون) ثم العجب (١) من شرذمة ممن

١) وجب على المطالع ان يكثر التامل فيما ياتى .

انتسبوا الى العلم، واتسموا بسمته انهم يسمون من قاتلوا هذا الظالم البغاة ويحهم ويحهم . كانهم لم يراقبوا الله عز وجل . كانهم لم يروا الشريعة قط وهذه كتب الفروع تنادى عليهم بحقيقة الباغى . لم يريدوا نكث خلافة السلطان ولا عزله . ولا منعوا له دفع الزكاة . ولا ما يدفــع لبيت المــال . والسلطان لا يقاتل الا من بغى عليه بهاتين . وما عداهما يجوز للرعية أن تدافع عن نفسها اذا طلبت به . وبهذا ملأت دواوين الفقـه . وفى مختصر خليل (الباغية فرقة خالفت الامام لمنع حق أو لخلعه) انتهى . قال الدردير: لمنع حق أى لله أو لآدمى وجب عليها كزكاة . كأداء ما عليهم مما جبوا لبيت مال المسلمين . كخراج الارض ونحو ذلك . انتهى . قال الدسوقى : قوله (كخراج الارض) أى العنوية الذى أمرهم بدفعه قال ويوخذ من كلام المصنف وتعريفه الباغية ان الامام اذا كلف الناس بمال ظلما . فامتنعوا من دفعه واعطائه . فانى لقتالهم انه يجوز لهم ان يدافعوا عن أنفسهم . ولا يكونون بغاة بمقاتلته . لانهم لم يمنعوا حقا ، ولا أرادوا خلعـــه . انتهى مباشرة . على أن فى الرهونى أن المعتمد عدم جواز القتال . فراجعه .

ان هؤلاء الولتيتيين لم يمنعوا حقا . ولا أرادوا خلع السلطان . فان قلت انهم منعوا ما يجبى لبيت المال قلت : ما يدفع لبيت المال محصور فى سبعة أمور . معروفة عند الفقهاء . مجموعة فى قول القائل :

جهات أموال بيت المال سبعتها ... فى بيت شعر حواها فيه كاتبه
خمس. وفىء . خراج . جزية . عشر ... وارث فرض . ومال ضل صاحبه

فان قلت أرض (سوس) فتحت عنوة . فخراجها لبيت المال . فهو دين ترتب فى ذممهم . واستغرق أموالهم . فهى برمتها حلال للسلطان . قلت بذلك يقول من أضله الله على علم . واتخذ الاهه هواه . وهو مضطر الدليل يساعده بعد ان يبين أى أرض فى (سوس) فتحت عنوة . أسهلها أم جبلها. وفى أى زمن فتحت . ومن فتحها . ولا يجد ذلك الا أن يجد الابلق العقوق. و يحصل بيض الانوق . وأنى له ذلك (١) على انه لايحكم بذلك اذا حكم فى الارضين على حقلة أو بلدة . بل يحكم أن الارض تورث وتباع وتوهب وانها مملوكة لأهلها يتصرفون فيها كيف شاءوا وكيفما شاءوا . وأى شىء تذاكره مع من لا يستقر على حال . ولا يعتمد على رجل . بل كلما عن له أمر

١) الحق أن أرض (سوس) أسلم عليها أهلها كغيرها من أراضى المغرب ، ولا أدل على ذلك من ترك الارض فى يد أهلها من غير خراج عليها ، من زمن موسى بن نصير ٨٧ هـ فى القرن الاول ، ومن عهد الادارسة ١٧٢ هـ ، وقد تكلم الناس كثيرا فى هذا الموضوع فى كتب النوازل والتاريخ .

نظر الى ما يوافق فيه هواه . وان هدم ما قال قبل وناقضه . يتلـون فـى الاحكام فى كل يوم . وفى كل وقت وساعة . اللهم العن الشيعة . ومغيرى الشريعة :

على انها الايام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

ثم اعلم ان الله اقتص من (بعقيلة) وأخذ منهم ثار أهل (المعدر) كمـا تدين تدان . فلا تجد دارا فى (تيغمى) ولا (أماسين) الا وقد رحـل اهلهـا هاربين بدوابهم وشعيرهم وأثاثهم وصبيانهم ونسائهم . متجولين فى رؤوس الجبال فمنهم من أوى الى دار من ديار من رحلوا اليهم . فلا تجد دارا الا وقد نزل على أربابها أربعة كوانين من الراحلين فأكثر . ومنهم من نزل فى الخلاء حتى ان منهم من ينزل فى السكك . وترى الناس ياتون من كل فج عميق حتى امتلأت بهم الطرق . وحتى اجتمع فى عشية من تلك العشايا فـوق (أماكا) قرب (شفا السطح) ١٥٠ بقرة لاهل (أماسين) فقط . وأما أهـل «تيغمى» فلا تسأل . فقد بلغت قلوبهم الحناجر . وظنـوا بالله الظنـون . فرحلوا بأجمعهم . فمنهم من أخذ اثاثه وأولاده . وطلع الى ما فـوق (شفـا السطح) ينظر الى (تيغمى) يترقب طلوع عسكر الكيلولى . لنهب (تيغمى) ومنهم من حاز الى مسجد (موزايت) وسكن فيه بعد أن أخرجوا امامه وطلبته واتخذوا مقصورته مراحا للغنم . وقامت سوق عظيمة حذاء (موزايت) مـن كثرة الناس . كل هذا من غير داعية تدعوهم الى ذلك . غير أنهم لما وقعت تلك الكسرة فى(الفحص) خافوا هم وأهل(أماسين) أن يتبعهم عسكر الكيلولى وهو ايضا خائف من أن يطرقوا عسكره ليلا . كما فعلوا أولا . فقد حدثنى من أثق به أن عسكره فى هذه الليالى سمعوا خروج مكحلة فـى الليـل . فتدافعوا وفزعوا . فما استقروا الا بعد ردح من الليل . وكذلك كان الامر فانه خاف من وراء وادى (تازاروالت) الى (القبلة) وعسفه وظلمه لم يتجاوزا ما وراء الوادى الى الجوف . الا (بنى باها) وأهل (ايسن) ثم أغارت فرقة من عسكره من أهل (وادى نون) على أهل (تيغمى) ، فغنموا منهم عشرة أبعرة و ٢٠٠ من الغنم أتوهم من قبل (تازاروالت) وبالجملة فلا تسل عما الناس فيه من الضيق والحرج (فما استقل بهم ربع ولا طلل) ثم ان (ولتيتة) (١) الجبل مما وراء «تيكيوت» ـ الزقوم ـ استعصوا على الكيلـولى فارسـل الى قريبه الحاج أحمد الذى زعم أنه فتاح البلاد . وانه مثل قتيبة بن مسلـم الباهلى . فاتى فى شرذمة من بلده (٢) من العسكر . فنزل فـى (وجـان)

---

١) هذا كلام ابتداه من جديد . والمقصود به تفصيل ما تقدم .
٢) كان جاء أولا مع القائد . ولعله رجع ثم استدعى الآن .

فجعل يقاتل البودراريين ـ الجبليين ـ فاغار على (أكريز) وهو محل معروف فوق (ميرة) وحذاء (انزاض) يوم الثلاثاء الرابع عشر من الحجة ١٣١٦ هـ فقاتل (البودراريون) ـ أى الجبليون ـ فقتلوا فـي عسكره عشرة . فرجـع مفلولا الى (وجان) ثم ترك البارود ثلاثة أيام . فخرج يوم السبت . فاغار على (فم هوت تاسمرت) . فكاد يأخذ مدشر (ايد سموكن) و (الايغلالين) وانتدب له أبطال أهل الجبل . فردوه خاسئا . وقتل من عسكره نحـو من ٢٠ وحرق أهل الجبل واحدا أدركوه . فرجع خاسئا . ومات من أهل الجبل نحو سبعة . فرجع واشتغل بساقية (تامورت) يقطع أشجارها . فقطـع فيها ما الله عالم به من النخل والتين والعنب والرمان والزيت فلعنة الله عليه وعلى ءابائه . ثم ترك البارود يوما . وبكر يوم الاثنين الى (ايكر نعشرا) قرب (بنى حامد) فهزموه فيه أيضا . وقتل من عسكره نحو ١٥ فانقلب راجعا الى (وجان) وقتل من الفريق الآخر نحو أربعة . والذى يـوجب لـه كثرة الموتى فى جيشه . وقلتهم فى أعدائه أن أعداءه يأخذون له الجبل . ولايخرجون الى السهل . لان عنده رصاصا انكليزيا . لايقوم له فى السهل شىء . والناس فى حيرة عظيمة من هذا الرجل . وأضافوا الى مصيبته جـدب العام . فالله يجعل لعباده فرجا ومخرجا . فانهم تركوا من أجله كل سبب . فلا تجـد من يشتغل بالكسب . والناس يستعينون اذا اجدب العام بحراثة بساتينهم وسواقيهم . ففى هذا العام عطلوا كل شىء من أجل ما هم فيه . وكل هـذا وجيش ءاخر من (حاحة) ومن كان معهم . يدا واحدة نازلون على بنى كمارة ـ اى اداكمار ـ يقاتلونهم كل يوم . والى الله المفزع من هذه الفتنة .

ثم ان الفقيه العلامة سيدى الحاج أحمد بن عبد الرحمن الجيشتيمى توسط بين الكيلولى وبين (ولتيتة) فاقبل من بلده . ونزل فى (ترمسان) فبات فيها . وجاز الى (وجان) . ثم الى الطاغية فى (تيزنيت) فلم ينجح سعيه واخفق سعده . ورجع الى (ولتيتة) وقال لهم لم اجىء اليكم الا باحدى هاتين اما ان تكونوا أحد الناس ـ يعنى تطيعون ـ واما التشمير للمقاتلة . وبات عند (هرجانة أوعدى) قرب (ايسكدال) وحين أصبح شيعه كبراء (ولتيتة) وعامتهم . بانه ليس للكيلولى عندهم الا ما يكره . ويرغم أنفه . غير واحدة ان اراد ان يفك أسارانا نعطيه مائة ريال عن كل أسير . وجملتهم نحو ثلاثين فرجع الفقيه والناس ينتظرونه .

ثم دخلت قطعة من العسكر (١) (تيزنيت) جاءت من (مراكش) فى عاشر المحرم ١٣١٧ هـ والناس يفيضون فى شانه فمن قائل جاء للرحمة .

---

١) هذا العسكر هو الذى قاده القائد الناجم كما ذكر فى ترجمته .

وانقاذ الناس من الهلاك . بعزل الكَلولى وابعاده عن هذه البلاد . وان عيثه في أموال الناس وتلاعبه بمحاربهم . وسفكه لدمائهم . بلغ السلطان . فقد قيل له : ان كانت له رغبة بـ (سوس) فداركه . فان الكَيلولى طوح بأهله فتلاف بقيته قبل تلافه. ومن قائل جاء مددا للكَيلولى حين أرسل الى السلطان يشتكى اليه ان القتل استحر فى عسكره الذى معه بالوقائع السابقة . وكذلك كان الامر . لان عساكره قد تلفت واستأصلها الموت . حتى لم يبق معه الا القليل من الكثير . كحصاة من ثبير . ثم تبين أن ذلك العسكر جاء مددا فشمر عن ساعد الجد لاستيصال (ولتيتة) فانزل بعض جيوشه فى (تازاروالت) فى (أكجكَال) وقد انزل هناك قبائل (بعمرانة) و «الاخصاص» و «أهل برابيم» مع قائد من قواده يدعى أوتسوكا . فقابل بهم الثغر الذى فى (فم تيغمى) وانزل (رسموكة) الفحص فى (ايمكَوت) فى داخل «ايسمن» وانزل (بعقيلة الفحص . وقائد من قواده مع بعض (حاحة) فى (تالبرجت) يراقب بعض الثغر الذى فى (انزاض) وتاريخ نزول الجيش بـ (أكجكَال) يوم الاحد ١٨ من المحرم ١٣١٧ هـ والمتولى لتعبئة الجيوش على تلك الحالة هو صنديدهم وطاغيتهم الحاج أحمد ابن عم القائد سعيد الكَيلولى فهو الذى أضرم النار . وتألى على الله ان لايدع شاذة ولا فاذة الا استأصلها ومعظم العساكر معه فى (وجان) لم يبرح به . فيرد عليه القاصى والدانى ، ممن كان يسعى فى فساد الامة . ومعه معظم (حاحة) وجميع (هشتوكة) وأهل « المعدر » وأهل «الساحل» وأهل (أكَلو) والعسكر الذى جاء من (مراكش) والذى بقى معه فى أمم كالجراد . وكل هذا وقائده الذى أنزله على «ايداكَكمار» يدعى بورغا على حاله . ومعه قبائل (مجاط) و (افران) و «أيت رخا» و (أيت وافقا) ومن أنضاف معهم والشريف ابن هاشم استنوق جمله . فكان مع أوتسوكا . يقاتل معه من قاتلهم . وكانوا معه يدا واحدة ، ثم اجمعوا أن كل من سمع غارة أو بارودا فى ثغر أن يضرم النار فى ثغره هو . ثم قاموا الى القتال والبارود الثلاثاء ٢٠ من المحرم فصبح كل واحد ثغره . فاضرم فيه النار. فطلع الحاج احمد الى (عقبة ادريس) فدخل اليها من ناحية (ايغلالن) فقتل فى عسكره ١٥ كما قتل من (ولتيتة) رجلان . فرجع الى «وجان» واما ثغر (تيغمى) فلم يقتل فى الفريقين واحد . وانما أرسلوا غارة الى (تيمدرت) فحرقوا زروب «ايكَوزالن» وتبنهم . فرجعوا . ثم عاودوا القتال يوم الاربعاء ٢١ من المحرم . فارسلوا جيشا كثيرا الى (تيغمى) فقاتلوا أشد المقاتلة . فاضرموا نارا فى (تاموديزت) فقتل من فريق المخزن ١١ مع عدد من الخيل لا أدرى عددهم . وقتل من هؤلاء واحد من أهل

(مْتْكيموسى) . ثم ان الحاج احمد طلع الى (عقبة ادريس) بعدما سمع البارود فى (ايغمى) ناويا أن يفجأ هذا الثغر على غرة . وان يخليه الناس اشتغالا بالمقاتلة فى «تيغمى» فطلع بجيوشه . وقائدهم والمطلع على عورات (بعقيلة) كبراؤهم الساكنون بالفحص . الذين بايالته ــ كمسعود بن ابرهيم المراوى وأحمد بن على بن موسى ــ من (عين ابرهيم بن صالح) . والطاهر بن الحسن ابلاغ . فلما بلغ العسكر المكان الذى بين (تيغلالن) وبين (عقبة ادريس) قال الحاج أحمد لقائد من قواد العسكر : هذا المكمن وأشار الى (أشبار) كائن هناك وقال : ان لم تخرج الناس الذين فيه نتفنا لحيتك مقفلنا من هنا اليوم . وقال لبعض كبار (حاحة) : اتبصرون تلك البروج واشار الى ديار (بنى حمو بن مبارك) من (أماسين) ان لم تصل غارتكم الى تلك البروج نتفنا لحاكم ان رجعنا . وقال : وانا أكفيكم (عقبة ادريس) فانقض العسكر على ذلك المكمن انقضاض البزاة على الصيد . فاخرجوا منه نحو ٢٠٠ فالجاهم الى ديار (عقبة ادريس) فدخلوها . وانقضت (حاحة) وبعض (بنى بعقيلة) من الفحص ممن ذكرنا على «أماسين» فأوصلوا غارتهم الى ديار (بنى حمو بن مبارك) ثم توجه الحاج أحمد الى (عقبة ادريس) فقتلهم حذاء الديار . فكان من لطف الله ورحمته بـ (ولتيتة) ان اصابت الحاج أحمد رصاصة عابرة فى رأسه فكان كأمس الدابر . فخر صريعا (١) لليدين وللفم . ثم ضرب الطبل . فانكشفت العساكر . وبقى الحاحيون الداخلون الى (أماسين) فانقض عليهم الولتيتيون من كل أوب من جهة (هوت‌النحاس)، طلع منه الفارغون من قتال (تيغمى) ومن جهة ديار (عقبة ادريس) خرج الذين فى الديار . وطلع ءاخرون من (وادى ايمئودن) أتوا من (أنزاض) فانقضوا على أولئك انقضاض البزاة . فقتلوا منهم نحو ٧٥ كما غنموا أكثر من ٤٠ فرسا . وقدروا من المكاحل الانكليزية ــ ساسبو ــ لا يدرى عددها . وأسروا كبير من كبراء (بعقيلة) الفحص وهو احمد بن على بن موسى المذكور . فجزوا ناصيته وأطلقوه . وبالجملة فلا تسال عما جرى . وفرح الناس غاية الفرح بعد أن يئسوا غاية اليأس ثم فى يوم الاحد الذى هو الثالث عشر من ربيع الثانى عام ١٣١٧ هـ اجتمعت جيوش (ولتيتة) مما رده وادى التامليين الى (رسموكة) و (سملالة) و «بعقيلة» وغيرها . فخربوا دار المقدم أحمد بن محمد بن عدى من (كردوس) فانه الحامل لراية الظلم . الجرىء على اهل هذه البلاد الذى اضرم نار الفتنة من كل اوب . وهو الذى اجاز الكلول الى هذه البلاد . والحمد لله على قطع

١) لم يمت الا بعد أيام

دابره . واستئصال شافته (فقطع دابر القوم الذى ظلموا . والحمد لله رب العلمين) . وفى الحديث ان الله ليملى للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته . الخبر من راى داره انها صارت بلاقع خاوية بما ظلموا . وصارت معششا للبوم والغربان فحمدا حمدا . وشكرا شكرا . اللهم عليك ببقية حزب الكيلولى فانه اباد دينك . واهان أهلك . وأذل حزبك . اللهم أنت المرجو لكشف ضرره . واخماد ثائرته . اللهم العجل العجل .

ثم ان القائد الكيلولى قوض خيامه وارتحل من (تيزنيت) راجعا الى بلده . وقد كتب اليه السلطان بالطلوع الى (مراكش) بعد موت (’با احمد) وزير السلطان . وكان يوم خروج المجرم المبيد . الشيطان المريد . الذى ليس له نصيب من الايمان ولا الاسلام الكيلولى من (تيزنيت) يوم الاثنين رابع ربيع النبوى عام ١٣١٨ هـ فنسأل الله العظيم أن لا يرى للناس مثله . فلقد خرب (سوس) وأكل زواياها . وخرب مدارسها . وفعل أفاعيل تصم وتبكم . فأخزى الله أثوابا عليه . وأخزى الله ما تحت الثياب . ومخازى الرجل لو دونت لكانت أزيد من مائتى سفر . وحاصله انه أمات الدين المحمدى . وأحيا دين الكفر . فطهر الله الارض من مثله واذاقه وبال فعله . . . . .)

انتهى ما كتبه الاستاذ الذى كان شاهد عيان لما وقع اذ ذاك . وقد استفدنا كثيرا من تواريخ ما وقع للقائد سعيد هناك . مما كان يعوزنا فى كثير من حكايات الحاضرين اذ ذاك . غير ان الاستاذ لم يعتن الا بتفصيل ما وقع فى جبال بلده (بعقيلة) وما اليها . وأما ما وقع فى (بعمرانة) وفى (مجاط) و (ايفران) وغيرها . فانه لم يلم به الا تحلية للقسم . وسيجد المطالع تفاصيل أخرى عما كان من هذه الجيوش الكيلولية فى ترجمة القائد الناجم فى (الجزء العشرين) وفى ثنايا أخبار عن (مجاط) و (افران) و (أيت وافقا) و (الـغ) و (هشتوكة) فى أماكن أخرى من مقدمة (طاقة ريحان) ومن كتاب (أفواه الرجال) ومن تراجم أخرى فى كتابنا هذا (المعسول) مثل ما كتبه الفقيه المانوزى . ويوجد فى (الثالث) من الكتاب .

قوافٍ مدحه

ثم ان هناك قوافى للشاعر الافرانى . وللاديب الحبيب الجرارى . وللاستاذ على بن عبد الله الالغى . فى جناب هذا القائد نسوقها كترويح للادب . لا لموافقتنا لمدح مثل هذا الانسان . ونحن نعذر هؤلاء ان قالوا فى مثله . لان للحاجات أبوابا قد تكون قوافى الادباء احد مفاتيحها .

فاما ما قاله فيه شيخنا الافرانى فمن ذلك ما خاطبه به اول ما ورد استجابة لاقتراح سيدى الحاج الحسين الايفرانى :

تبين نور الحق واتضح الهدى ... وأصبح ركن الدين ركنا مشيدا
وقام بتقويم المعالم ماجد ... أبان سبيل المجد بالباس والندا
همام تعود السيادة كلما ... تبدت له راياتها بسط اليدا
جرى فى ميادين الكمال مبرزا ... الى أن حوى فى سبقه قصب المدا
اذا استصعبت يوما من العز رتبة ... فليس لها الا سعيد بن أحمدا
برأى كنور البدر فى فحمة الدجا ... وعزم كما سل الحسام مهندا
على شرف لا يخمد الدهر نوره ... وهمة نفس دونها النجم مقعدا
اذا جد يوم الروع أو جاد بالندا ... حكى الليث باسا أوحكى البحر مزبدا
وان عقدت للحرب رايات جيشه ... تقدمها نصر من الله مسعدا
بكل فتى ثبت الجنان مشيع ... تعود من حر الوغى ما تعودا
اذ اشتعلت يوما تقحمها ولا ... يعرد فيمن كان عنها معردا (١)
بصير بسد الطعن والضرب كلما ... رأى بطلا اهدى له تحفة الردى
يخوض غمار الموت فوق مطهم ... كما انقض نجم الرجم فى اثر العدا
أقرت بذا (هصبوية) رغم أنفها ... ومن قبلها أبطال (مَسة) شهدا
تدارك سوسا بعدما كاد نوره ... بظلمة ليل الظلم ان يتخمدا
فاصبح وجه الدين والعدل والهدى ... يلوح منيرا ما بمرآته صدا
تتبع أقصى الداء حتى اباده ... بحسم أيمات الغواية والعدا
وانعم أهل الفضل جودا ومنة ... وارغم أنف من عتا وتمردا
فلست ترى فى سائر القطر غيرمن ... تسربل ثوب الامن واليمن وارتدى
وقرت عيون المسلمين بيمنه ... وعاد به جفن الضلالة أرمدا
وقام بأمر الله حتى استقامت الا ... مور وعاد الدين غضا مجددا
وحتى اطاع الناس بالكره والرضا ... جميعا (أمير المومنين) المؤيدا

* * *

فيا قائدا عم البرية فضله ... ويا سيدا قد راح فى المجد والمنتدى
بقيت لعز كنت شمس سمائه ... تلوح على برج السيادة سرمدا
سلام على تلك الشمائل ما شدا ... حمام على غصن الاراك وغردا
وما شام برق المجد فى جو ساحة ... سموت بها عافى المكارم فاهتدى

ومن ذلك ما هنا به خليفته الحاج احمد يوم احتل (تانكرت) :

لك العلم المنصور يا علم العصر ... فهنئت بالفتح المبين وبالنصر
فحمدا لمن أولاك عزا سما به ... مقامك حتى حل فى مقعد النسر

١) عرد فى المعركة تعريدا : اذا نكل عنها .

فاصبحت بـدرا يستضيء بنـوره ... اذا ضل في سبل المكارم من يسرى
ولا تجد الا ما حويت ولا ندى ... سوى ما همى من صوب راحتك الغمر
ولا طيب الا ما تضوع كلما ... جرى ذكرك العذب التردد من نشر
فانت الذى عم المغارب صيته ... وطبق ما بين السواد الى (مصر)
ودانت له (سوس) على طول ماجرى ... بهم في ميادين الهوى فرس الجور
فتم به نظم الشتات وأمنت ... جميع بلاد الله في السهل والوعر
وقمت لحرب ءال (تانكرت) بعدما ... أضلهم الشيطان في مهمه الخسر
جلبت لهم جيشا يموج عبابه ... بكل فتى يسطو عن النظر الشزر
فلما اجلت الخيل في عرصاتها ... وأذهلهم عن شأنهم شدة الذعر
رحمتهم لما قدرت عليهم ... واعتقتهم من ربقة القتل والاسر
وقابلت بالعفو الذى أنت أهله ... ذنوبهم والعفو أولى بذى القدر
وأمنتهم من كل خوف فاصبحوا ... يجازون نعماك العظيمة بالشكر
فيا أيها المولى الخليفة والذى ... تضيء به الامال في مظلم الامر
ويا خير من يأوى العصاة لبابه ... فيلقاهم في غاية البسط والبشر
لك الله من فذ تكفل سعده ... بأن لايرى الا على ذروة الفخر
فلازلت ملحوظ الجناب معطر الث ... ـناء مصونا من أذى كل ذى شر
موفر ءامال . مبرء ساحة ... معانا على ما تبتغيه من الخير

ثم خاطبه ايضا بقولـه :

صيت الخليفة طبق الارجاء ... فسعت اليه مخافة ورجاء
فالمعتدى قد خاف حد حسامه ... ورأى المحب ندى يديه فجاء
بالسيب أو بالسيف عود كفه ... فسما بذاك على السماك علاء
لطف وعنف في محل واحد ... كالريح اعصارا ترى ورخاء
فاذا همى من مزن راحته الندا ... أروى عفاة المكرمات سخاء
واذا سطا يوم الكريهة سيفه ... أفنى كماة المعتدين بـلاء
جد تذوب له الهضاب وهمة ... لاترتضى الا سنى وسنـاء
وشمائل كالروض صافحه الندا ... سحرا فنم على النسيم ذكاء
ان المكارم والمحاسن والندى ... جمعت اليـه وعفـة وحيـاء
لا زال طول الدهر رونق عزه ... وجمال سؤدده يروق صفاء
وتحية موصولة منى عـلى ... عليائه تفنى الزمان بقاء

وله أيضا في بعض هؤلاء الحاحيين . ويسمى ابن عواد ــ هكذا نقلت من خط ابن شاعرنا ــ :

عليك سلام طيب رائح غاد ... يفوح كما فاحت حلاك ابن عواد

سلام محب هزه الشوق والهوى اليك كما هز الصبا سرحة الوادى
سبى بمجدك المأثور عنك فؤاده فحبك سمعا قبل أن يجمع النادى
ونم شذا ذكراك عنك فدله عليك صريحا والشذا مرشد هاد
فدونك ضيفا يطلب القرب لا القرا ويخطب صرف الود لا طرفة الزاد
فلا زالت الآمال تنجع ساحة نزلت بها غيث الغدا نجعة الصادى

ثم لما هلك الحاج احمد رثاه بقوله :

دهى حادث فاغتال أنفس ماذخر وجار على بدر السيادة والفخر
واودع بطن اللحد نفسا تجسدت من المجد والعلياء والفضل والبر
هماما سما للمكرمات فلم يزل الى أن علا فوق المجرة والنسر
وسار مسير الشمس فى الجو فضله واغنى نداه الجم عن وابل القطر
والقل اعناق الرجال امتنانه فاضحت له الافواه ملأى من الشكر
هو السيد الصدر الخليفة أحمد سليل الكرام الصيد والسادة الغر
فتى لبست ثوب الاسى رتب العلا عليه وسالت أدمع البيض والسمر
وذابت حشاشة العلا بعد فقده وضم فؤاد المجد منه على الجمر
مضى فى سبيل المكرمات معطر الثـ ـناء مصون العرض مرتفع القدر
بعيد المدا فى شأو كل فضيلة أبيا كريما طيب السر والجهر
عكوفا على مايكسب المجد لايرى لغير طلاب الحمد أو طلب الاجر
فقدس رب العرش فى الخلد روحه وامنه بالعفو والصفح والغفر
وعزّى بحسن الصبر والاجر عمه السـ
ـعيد الهمام المرتضى الواسع الصدر
واولاه فى أولاده ما يسده وأغناه عن زيد سواهم وعن عمرو
وظفره فى كل امر يرومه وانجده بالعون منه وبالنصر
وقاد له بالرغم كل ممنع وأرشده للقصد فى كل ما امر
وطوق اعناق العدا بحسامه وجرعهم كاس المذلة والاسر

* * *

فيا قائدا عم البريئة سعده وفاض ندى كفيه فى كل ما قطر
تعز عن الارضى خليفتك الذى غدا صارما مهما ضربت به يفرى
ففيك وفى ابنائك الغر او بنى اخيك غنى فى ساعة اليسر والعسر
فلا تجزعن من فائت جل قدره ولا تخضعن مهما دهى حادث الدهر
فهذا سبيل الخلق طرا فما على الـ ـبسيطة الا من يصير الى القبر
وثق بالذى أولاك نصرا سموت فى ذراه فلم تحتج الى نصرة الغير
فمن كان بالله العلى انتصاره أتاه الهنا من حيث يدرى ولايدرى
فلا زالت فى أمن وعز مؤيد تقابلك الآمال بالبسط والبشر

ولازلت مسرورا بما تشتهيه فى بنيك وفى اخوانك الانجم الزهر
بجاه اجل الخلق والغر اله وأصحابه والتابعين الى الحشر
عليه مدا الايام ثم عليهم صلاة كما هب النسيم مع الفجر

واما ما قاله الاديب سيدى الحبيب الجرارى . فهاكه منقولا من خط ابى فارس الادوزى . رحمهما الله .

(ولصاحبنا الاديب البارع . الفائق أهل عصره فى الترسل والنظم . سيدى محمد الحبيب بن على السكراتى مادحا القائد سعيدا الكيلولى سامح الله لأخينا فى ذلك :

على قدر سعى المرء تاتى المكاسب وهذى المعالى لا الامانى الكواذب
واكبار من لم تختبره جهالة واكثر نفث المادحين معايب
فما المجد فيما يحسب الناس حيلة اذا لم توطده السيوف القواضب
ولا كان نيل المستلذ غنيمة اذا لم تخد بك الفلاة النجائب
يرى الحرب سلما غير ملتبس بها ولا شاب الا من لقاها الذوائب
عرتك ابا عثمان منها شدائد تجلت لكل الناس فيه العجائب
صبرت لها ثم اكتسبت مفاخرا كفى كل سعى منك للفخر جالب
فما اختل منك العزم منذ عقدته ولا لان منك للكريهة جانب
سما بك صدق العزم من بعد همة تطاول شهب الجو منها المناكب
ولما ترقت فى الضلال جهالة قبائل (سوس) واقتضت من تحارب
رءاك امير المومنين لدائها طبيبا لبيبا حنكته التجارب
رمى بك سهما صائبا لنحورها لقد عظمت فى المارقين المصائب
وكانت عيون الحرب عنهم هواجعا فايقظتها والحق للداء غالب
فسرت اليهم فى ليوث جريئة واين من الاسد الضوارى الثعالب
قد اكتنفتهم من لدنك صواعق سماواتها(الوروار)(١) انفات هارب
فما نفع التحصين منك بشاهق ولا منعتهم من رداك السباسب
فبعد اللتيا اخلصوا الله توبة ومن خامرته الموت (٢) لابد تائب
فامن بغى النفس منك أباعد واحرز عز الدهر منك الاقارب
بنيت بهذا الفتح مجدا مشيدا تمنى منال القرب منك الكواكب
خدمت به باب الخلافة ناصحا ستحمد عند الله منك العواقب
واحرزت دون الناس علياء لو سما لها ءامل ضاقت عليه المذاهب

١) نوع من البارودات الاجنبية الحديثة اذ ذاك .
٢) الموت يذكر .

واومت اليك فابتدرت اجابة … لترضيها كفتنا لديك المراتب
واضحى مع الاقدار زندك واريا … فلم يستطع عدا لما نلت حاسب
يهاب من الاقطار باسك جانب … ويرجوك للفضل الذى فيك جانب
بمقدار ما تثنى عليك الركائب … وتاتى انقيادا فى رضاك المطالب
رسا فى فؤادى ودك المحضر قد صفت … لدى مقة فى الناس منك المشارب
اعنى على صرف الزمان فانه … برتنى على الاشهاد منك النوائب
وجد فى اقتناء المكرمات فانما … نوافل اهل الخير عندك واجب

ولما وقف عليها شيخنا العارف بالله تعلى. العالم الربانى سيدى الحسن ابن مبارك التاموديزتى انكرها وقال : الم تجب سيدى الحبيب لما وقفت على كلامه . قلت : لا . قال : لم يكن فيك وازع ايمانى . قلت : لا ادرى ما اقول قال : اكتب :

سفر القلوب الى الاله كرامة … ونزاهة ما مثلها للمقتفى
سفر النفوس الى الامير ندامة … ومذلة ما مثلها للمعتفى

فلما املى علىّ هذين البيتين قال : زد على هذا فلما افحمنى . اقتحمت فقلت وان كان نفسهما اعلى من نفسى . بل لا علو فى نفسى . فقلت :

خطب اجل ترقب المتصوف … بذل الملوك واخذه من مترف
عكس القضية منتم للعلم اذ … وافى الامير بعلمه المتشرف
جعل الكريم وراءه وامامه … جعل البخيل وذاك فعل المسرف
نسى الركون الى العتاة وانه … سبب لمس لظى الجحيم المتلف
اولم تكن سوق السماح تقام فى … جو الليالى من فقير مدنف
وردت به الاخبار هل من مجتد … أو مستقيل من ذنوب مقرف
اخشيت ويحك أن تؤوب بخيبة … ان رمته والله ليس بمخلف
لله ما احلى السؤال لخالق … لا تلفين مثله للملحف
صن حر وجهك لاتذله لامرء … لا الفينك ضارعا للمترف
وتضعضعن لله ثمت اظهرن … للشامتين تجلدا وتكلف
سفر القلوب الى الاله كرامة … ونزاهة ما مثلها للمقتفى
سفر النفوس الى الامير ندامة … ومذلة ما مثلها للعتفى
لاتنسين خبرا لمن خبر الورى … فغدا يحذر كل مرء منصف
(ما نال باذل وجهه بسؤاله … عوضا ولو نال الغنى بتكفف)
والنفس راغبة اذا رغبتها … واذا ترد الى قليل تكتفى
تعد الجبابرة النجادة اذ اأووا … عند الاله واتهم من يصطفى
كذبتك نفسك ليس ذاك مقامهم … ان العذاب جزاء من لم يسعف

واخال انك عابث بالقوم اذ ... وعد الاله لهم لظى لا تنطفى
والله مـا ابنتهـم لتزيدهم ... شرفا ولكن تيك رقية ملحف
فبای ما قدم سعوا نحو الهدى ... عرضت نفسك للبلاء فخوف
أبأكلهم مال الخلائـق كلهم ... وعتوهم ومروقهم للمدنف
يردون من لفح العذاب مواردا ... جمعت مجاجة أيم متغضف
أكل الاثيم من الزقوم وشربه ... ماء الحميم اذا أتى للموقف
ومن العجائب أنوفت همم الورى ... اهل القلوب وأهل هذا المصحف
أفلا تذوب قلوبكم اخواننا ... مما دهانا من عدو متلف
يا حسرتى لحمية الاسلام قد ... ضعفت وكانت قبل ذا لم تضعف
من لم يمت كمدا لعظم الخطب لم ... أحفل به وبدمعه فليـذرف
اخواننا ضجوا وعجوا فالذى ... تدعونه يجلو البـلا بتلطف
وتوسلوا بمحمد وبأهلـه ... وبصحبه ياتيكم اللطف الخفى
اخواننا صلوا عليه وسلموا ... وسلوا الشفاعة فى البلاء المتلف

وأما ما قاله الاستاذ أبو الحسن الالغى فقد وقفنا له على قصيدة رائية فى القائد سعيد يوم فتح (هصبوية) اثر اتصالهم بالاجنبى الخارج باذنهم هناك :

لك البشر والبشرى بفتح به عنت ... وجوه العتاة العمى للحق عن قهر
به جبر الرحمن للدين صدعه ... فأصبح بعد العسر والضيق فى يسر
وقرت عيون المومنين به كما ... به قذيت عين الضلالة والكفر
أقمت قوام الدين بعد اعوجاجه ... وامنت سربه المروع من ذعر
وجددت من أركانه كل ما وهى ... فعادت بحمد الله عالية القدر
واصبح حزب الكفر دام وبالهم ... وفسرهم بالقهر فى ذلة الاسر
اتى ان منهم من تولاهم فما ... لـ(هصبوية) صبت الى الظلم والضير
رئيسهم الغير المبارك من دعوا ... بنجل (يكو) يدعو الى الشرك والكفر
يمنيهم الشيطـان نصرهم وما ... يمنيهم الا غرور ذوى المكر
هم الفاسقون المارقون بدينهم ... مروق السهام السمر من حشوة الجر
هم ندموا ولات ساعة مندم ... وليس يحيق المكر الا ذوى غـدر
فاموالهم مباحـة ودماؤهـم ... تراق بسيف الشرع من دون ما نكر
لذاك ترى الشجعان تنقض فى الشوا ... مخ الشم فيهم كالبزاة على الطير
لقد قمت يا سعيد فى نصر ديننا ... قياما به تستوجب الحمد عن شكر
بمثلك يأمن الطريق ويسلم الـ ... ـغريق من الحريق لازلت فى نصر
ولا زلت فى حفظ الاله ومن آذا ... ك لا زال فى حرب عوان وفى حصر

ولا زلت فى رضا الامير كما تحـ ... ـسب عنك رضاء لا يعقب بالشزر
امام جواد ماجد نال فوق ما ... تمناه من نصر ومن رفعة القدر

وممن خاطبه اذ ذاك الاستاذ محمد بن مسعود المعدرى بقوله :

أسيدنا الخليفة المرتضى البحرا ... ودرة هذا الملك قلدها نحرا
سعيد بن أحمد السعيد الرضى البرا ... مذل عتاة سوسنا السهل والوعرا
حبتك المعالى المجد والعز والفخرا ... ولاقيت فى العقبى المثوبة والذخرا
ولا زال منهلا بصيب رحمة ... على ربعك السلام والروح والبشرا
أتتك على الرغم السعادة اذ وفى ... بها طالع السعود عن عجل تترى
ومكنك العزيز فى الارض باسطا ... على بابـك الآمال فاغتنم الشكرا
وهذا ضعيف جاء يهدى مدائحا ... يؤمل من عليائك العرف والبرا
وما ذاك الا فك عان جرت به الـ ... مقادير فى(تيزنيت) قد كابد الاسرا
وذلك قد جرى به سيل فتنة ... حوى شؤمها العاصى فى الناس والبرا
وكان له أخ منا لدينا مجاور ... برسم ابتغاء العلم من نجبا القرا
ومن خاصة الاصحاب والعلم شأنه ... عزيز عليكم ان عرفتم لـه قـدرا
وكان الذى فى السجن يكفيه ما أهمـ ... ـه من أمور تشغل البال والفكرا
كما كان للمحبوس حق تعلم الـ ... قران وهذا الحق اعظم به قدرا
وكانا جميعا قبل فى حرمة الوقا ... ر من سلف أبقت له الحرمة الذكرا
وكانا من الانصار من جاء فى الحديـ ... ـث أمر بعفو عن مسيئهم وزرا
وهذا على فرض الاساءة والذى ... يظن بأهل الخير ان يكسبوا الخيرا
ولم يدخلا مداخل الشر بل هما ... بغيضان فيمن يطلب البغى والشرا
من الفئة المستضعفين ولو رأوا ... سبيلا لبانوا عن مواطنهم هجرا
وفى مثلهم قد جاء فى الذكر انـه ... تعلى اسمه من ضعفهم قبل العذرا
وذلك اذا ما هاجروا نحو يثرب ... ومكة قبل فتحها استوطنوا دهرا
وسيدنـا أولى بعفـو محمـد ... عليه صلاة الله ما بدت الشعرى
بقيت مخلـد المكـارم وافى الـ ... مجادة محفوظا بدينا وفى الاخرى

رسائـل تتعلـق بالمترجـم

اتصلنا ببعض رسائل حكومية . فاخترنا ان نسوقها كئاثار تاريخية وفيها ما يوضح بعض أعماله فى (سوس) .

الاولى

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى وفقك الله وسلام عليك ورحمة

الله (وبعد) وصل كتابك مؤكدا ما قدمت الاعلام به من استقامة الاحوال . وهناء الطريق. عدا ما رامه (ماسكينة) و(ادوتنان) من اخراج الخديم الكسيمي من (أكادير) وتخبر عن شيوع الفساد بنواحيه التى من جادة طريق (السويرة) واشرت الى اسناد النظر فيه اليك . لاتصال ايالتك به وان الخديم الشيظمي لازال مكبا على ما يشتت القبائل وصار بالبال . أما اضافة (أكادير) الى نظرك فحتى نكون بالحوز ان شاء الله . ويظهر . وأما ما عليه الخديم المذكور فنحن منه على بال . والسلام فى ٢٩ رمضان عام ١٣١٢ هـ)

(هذه الرسالة كانت قبل أن يذهب القائد سعيد الى (سوس) وقد اسند اليه (أكادير) بعد ذهابه)

الثانية

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى وفقك الله سلام عليك ورحمة الله (وبعد) وصل كتابك بأنك لما ظهر منك صلاح أهل لاسهل من (هشتوكة) صرفت الوجهة لاهل الجبل منهم . المبينين بطرة كتابك . حيث لم يظهر لك منهم مفيد . فألفيتهم مصممين على الانحراف . ظانين تمنعهم بحصونهم . فنهضتم اليهم . فتعرضوا لكم بمحل وعر وناوشوكم بالبارود . فصممتم نحوهم . فلم يلبثوا الا قليلا حتى انهزموا . هذا لايلوى على هذا . واسلموا الحصن. ولم يتركوا فيه الا صبابة من اراذلهم . واستولت الايدى على ما فيه بعد تحريقه . ولو لم يبغتكم الليل لتم استيصاله . ثم صحبتموهم من الغد فولوا الادبار . وتم المراد فيهم . وتشتتوا شذر مذر . وهرب موقد الفتنة المتربص . ولم يعرف له قصد بعد البحث عنه . واستشهد من اخوانكم اثنان . ومن العسكر واحد . وضاع فرس ، وصار بالبال . فقد جريتم على المعروف من نجدتكم . وحسن بلائكم . وحزب الشقاق خذله الله . وفزتم انتم برضا الله . قواكم الله باعانته . وزادكم من الظهور ما تحصلون به المراد فيما تؤمله منكم حتى تكونوا من جنابنا العالى بالله نعم الانصار والاعوان . ومن توفى فاز بالشهادة . وما على ميتة عز من ندم والسلام فى ٢٣ قعدة الحرام عام ١٣١٤ هـ)

الثالثة

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى . وفقك الله . وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد اشتكى كاتبنا الطالب محمد الكردودى بانه كان خرج للبحث فى قضية ساقية المجاهدين بـ (اكدير) حيث تشكى الشداخ

بقصب الكسيمي بلاداتها . ولم يدفع له الكسيمي ما نفذنا له سخرة . وذلك مائة ريال . وعليه فنامرك بتوجيه ذلك ليدفع . والسلام في ٢٥ قعدة الحرام عام ١٣١٤ هـ)

الرابعة

(خديمنا الارضي القائد سعيد الكيلولي . وفقك الله (وبعد) فقد بلغ علمنا الشريف ان نائب الكمبانية النجليزية الذي يروم الخروج بسواحل (سوس) هيا بابورا حملوا بالعدة الرومية والقرطاس . وغير ذلك من لوازم الجراحات . وعزم على الورود به للساحل المذكور . بقصد النزول هنالك . زاعما ان له اتفاقا مع كبراء القبائل السوسية للخروج ثمه. وعليه فبوصوله اليك نامرك بالقيام على ساق الجد في جعل الارصاد والعيون بسائر مراسي السواحل المذكورة والتحيل على قبض جميع من نزل من النصارى هنالك . بجميع ما معهم من العدة والقرطاس . وتحصيل الكل تحت يدك . من غير ان تفلت منهم احدا . واطلاع علمنا الشريف . واحذر من أن تتراخى في هذا الامر فانه هو نتيجة توجهك لهنالك وطر الاعلام بكل ما حدث عزما . والسلام في ٦ شعبان عام ١٣١٥ هـ)

الخامسة

(خديمنا الارضي القائد سعيد الكيلولي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد وصل جوابك كما أمرناك به من توجيه النصارى المقبوض عليهم في (اصبوية) لعامل (السويرة) على يد خليفتك من غير جديد . صحبة من فيهم الكفاية من اخوانك . لحراستهم في الطريق . وموجبه جمع ما كان لم من الاثاث الى مرسى (السويرة) حرسها الله . وكذلك ما كان عندهم من الكنانيش والكواغد . والحظ وكن ثم على بصيرة في سواحل (سوس) وقد نفذت شريف أمرنا.كما صار بالبال ماوجهته لحضرتنا الشريفة مماامرناك به وقد وصل ملككا عليه والسلام في ٣ حجة عام ١٣١٥ هـ)

اقول : تتصل بهذه الرسالة رسالة اخرى كانت قبل هذه المتقدمة نصها :

(خديمنا الارضي القائد احمد بن مبارك الزلضني . وفقك الله . وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد بلغ لشريف علمنا ان البابور الذي كنت الخبرت بوروده لساحل (ايت بوعمران) مكث به نحو ثلاثة عشر يوما . وكان يخرج المدافع . ويجاب بالبارود من البر . وعليك فنامرك ان تبالغ في

الله (وبعد) وصل كتابك مؤكدا ما قدمت الاعلام به من استقامة الاحوال . وهناء الطريق. عدا ما رامه (ماسكينة) و(ادوتنان) من اخراج الخديم الكسيمي من (أكادير) وتخبر عن شيوع الفساد بنواحيه التي من جادة طريق (السويرة) واشرت الى اسناد النظر فيه اليك . لاتصال ايالتك به وان الخديم الشيظمي لازال مكبا على ما يشتت القبائل وصار بالبال . أما اضافة (أكادير) الى نظرك فحتى نكون بالحوز ان شاء الله . ويظهر . وأما ما عليه الخديم المذكور فنحن منه على بال . والسلام في ٢٩ رمضان عام ١٣١٢ هـ)

(هذه الرسالة كانت قبل أن يذهب القائد سعيد الى (سوس) وقد اسند اليه (أكادير) بعد ذهابه)

الثانية

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولي وفقك الله سلام عليك ورحمة الله (وبعد) وصل كتابك بأنك لما ظهر منك صلاح أهل لاسهل من(هشتوكة) صرفت الوجهة لاهل الجبل منهم . المبينين بطرة كتابك . حيث لم يظهر لك منهم مفيد . فألفيتهم مصممين على الانحراف . ظانين تمنعهم بحصونهم . فنهضتم اليهم . فتعرضوا لكم بمحل وعر وناوشوكم بالبارود . فصممتم نحوهم . فلم يلبثوا الا قليلا حتى انهزموا . هذا لايلوى على هذا . واسلموا الحصن. ولم يتركوا فيه الا صبابة من اراذلهم . واستولت الايدى على ما فيه بعد تحريقه . ولو لم يبغتكم الليل لتم استيصاله . ثم صحبتموهم من الغد فولوا الادبار . وتم المراد فيهم . وتشتتوا شذر مذر . وهرب موقد الفتنة المتربص . ولم يعرف له قصد بعد البحث عنه . واستشهد من اخوانكم اثنان . ومن العسكر واحد . وضاع فرس ، وصار بالبال . فقد جريتم على المعروف من نجدتكم . وحسن بلائكم . وحزب الشقاق خذله الله . وفزتم انتم برضا الله . قواكم الله باعانته . وزادكم من الظهور ما تحصلون به المراد فيما تؤمله منكم حتى تكونوا من جنابنا العالى بالله نعم الانصار والاعوان . ومن توفى فاز بالشهادة . وما علمية عز من ندم والسلام في ٢٣ قعدة الحرام عام ١٣١٤ هـ)

الثالثة

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولي . وفقك الله . وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد اشتكى كاتبنا الطالب محمد الكردودى بأنه كان خرج للبحث في قضية ساقية المجاهدين بـ (اكدير) حيث تشكى الشداخ

بغصب الكسيمى بلاداتها . ولم يدفع له الكسيمى ما نفذنا له سخرة . وذلك مائة ريال . وعليه فنامرك بتوجيه ذلك ليدفع . والسلام فى ٢٥ قعدة الحرام عام ١٣١٤ هـ)

الرابعة

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى . وفقك الله (وبعد) فقد بلغ علمنا الشريف أن نائب الكمبانية النجليزية الذى يروم الخروج بسواحل (سوس) هيأ بابورا حملوا بالعدة الرومية والقرطاس . وغير ذلك من لوازم الجراحات . وعزم على الورود به للساحل المذكور . بقصد النزول هنالك . زاعما أن له اتفاقا مع كبراء القبائل السوسية للخروج ثمه. وعليه فبوصوله اليك نامرك بالقيام على ساق الجد فى جعل الارصاد والعيون بسائر مراسى السواحل المذكورة والتحيل على قيض جميع من نزل من النصارى هنالك . بجميع ما معهم من العدة والقرطاس . وتحصيل الكل تحت يدك . من غير أن تفلت منهم احدا . واطلاع علمنا الشريف . واحذر من أن تتراخى فى هذا الامر فانه هو نتيجة توجهك لهنالك وطير الاعلام بكل ما حدث عزما . والسلام فى ٦ شعبان عام ١٣١٥ هـ)

الخامسة

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد وصل جوابك كما أمرناك به من توجيه النصارى المقبوض عليهم فى (اصبوية) لعامل (السويرة) على يد خليفتك من غير جديد . صحبة من فيهم الكفاية من اخوانك . لحراستهم فى الطريق . وموجبه جمع ما كان ثم من الاثاث الى مرسى (السويرة) حرسها الله . وكذلك ما كان عندهم من الكنانيش والكواغد . والحظ وكن ثم على بصيرة فى سواحل (سوس) وقد نفذت شريف أمرنا.كما صار بالبال ماوجهته لحضرتنا الشريفة مماأمرناك به وقد وصل ملككا عليه والسلام فى ٣ حجة عام ١٣١٥ هـ)

أقول : تتصل بهذه الرسالة رسالة أخرى كانت قبل هذه المتقدمة نصها :

(خديمنا الارضى القائد أحمد بن مبارك الزلفنى . وفقك الله . وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد بلغ لشريف علمنا أن البابور الذى كنت اخبرت بوروده لساحل (أيت بوعمران) مكث به نحو ثلاثة عشر يوما . وكان يخرج المدافع . ويجاب بالبارود من البر . وعليك فنامرك أن تبالغ فى

البحث والتنقيب . لمن هو هذا البابور من الاجنـاس . وعمن كان يجيبـه بالبارود من البر . ويتكلم معه من أهل تلك الناحية . وما ثبت عندك فى ذلك طير لنا الاعلام به عزما . والسلام ٢٢ رجب ١٣١٤ هـ)

السادسة

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) وصل كتابك بأنك بعدما كتبت بما صدر من ضرب فساد(مجاطة) وقبضك منهم المساجين . وحجزك منهم الرؤوس . وجهت على حركة اخوانك (حاحة) وورد عليك خليفتك ووجهت الكل لقبيلة (الاخصاص) بقصد ضرب الفساد . ولما وصلوا لدى الخليفة الاول المخيم هناك (صاكـو) (١) وكسروا جموعهم وقبضوا منهم مسجونين . وسلموا لهم خمس مكاحل . وحرقوا لهم دورا . ودخلوا عليهم فى أعز أماكنهم . حسبما بكتاب خليفتك الذى وجهته وبعثت بحركة أخرى طلعت على جبل (باعقيلة) وخيمت بحد بلاد (مجاطـة) زيادة على المحلة التى بـ(الذراع الابيض) وضاقت الارض بما رحبت بالفساد فمنهم من أتاك بالذبائح والهدايا . ومنهم من عزم على ذلك . وعما قريب تطير الاعلام بما تجدد من امرهم . وصار بالبال . فتلك سنة الله فى أهل الزيغ والفساد . والسلام فى ١٧ حجة الحرام عام ١٣١٥ هـ)

السابعة

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى . وفقك الله . وسـلام عليـك ورحمةالله (وبعد) وصل كتابك بأنك وجهت ما تحصلمن الدفع منعند بعض (هشتوكة) حسبما بمضمنه . وثمنه مبين بالورقة التى وجهت صحبتـه . وان ذلك محسوب مما وظف على (هشتوكة) من مؤونة المحلة التىكانت مع عمنا مولاى عثمان . عدا ما هو من قبل (ايزويكا) فهو من الذعيرة . وما هو من قبل (ماسكينة) فهو من الباقى مما كان استوفاه منهم وصيفنا للقائد حمو بن الجيلانى . وصار بالبال . فالذى وصل مع الدفع هو ما استوفاه من أهل عدوة وادى (ماسة) القصوى . وأما ما اخبرت به أنك وجهته من دفـع بعض (هشتوكة) فلم يصل والسلام فى ٢٠ ربيع الثانى عام ١٣١٥ هـ)

الثامنة

(محبنا الارضى القائد سعيد الكيلولى . أمنك الله . وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله . (وبعد) وصل جوابك عما أمرت به من بيان

١) المقصود بـ (صاكو) ساقوا ، أى حملوا حملتهم على الاعداء

ما كان نهب بايالة القائد عبد الملك المتوكى . من الدفع الذى كنت وجهت بانك أعدت قائمة بعدده وكيفيته وأنواعه . وقيمته قد وجهتها طى كتابك لحضرة سيدنا الشريفة . وصار بالبال بعد اطلاع العلم الشريف به . وقد وصلت القائمة المذكورة وأصدر سيدنا اعزه الله شريف أمره للمتوكى . بتوجيه قيمة ذلك للحضرة الشريفة . وعلى المحبة والسلام فى ٨ رجب عام ١٣١٦ هـ) .

التاسعة

خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى . وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) وصل كتابك طالبا تمييز عسكر اخوانك الحاركين معك عن غيره بالكسوة والعدة . وصار بالبال . فاصل عسكر اخوانك ثلاثمائة نفر . والذى كان منه بحضرتنا الشريفة قبل . وأمرنا بتوجيهه لك عدده اثنان واربعون عسكريا . وصحبوا معهم ثلاثين مكحلة من عدة مارتينى . وكان بذمتهم قبل اثنتا عشرة مكحلة من عدة كومبلى . وبقى تحت يدك مائة مكحلة مارتينى من الثلاثمائة مكحلة التى كانت توجهت بقصد ادالتى(أيت بوعمران) و(وادى نون) ولازالت معك هنالك وحساب ماصحبته ثمان وستون مكحلة من عدة مارتينى يجتمع فى ذلك ما قدره مائتا مكحلة تثنية . وعشر مكاحل . فرقها على عسكر اخوانك . بحسب سبعين مكحلة للمائة مع الكسوة المبينة طرته بطربوشها والسلام فى ١٣ شعبان عام ١٣١٦ هـ)

وتتصل بهذه الرسالة رسالة أخرى كتبت الى خليفة القائد فى بلده (حاحة) نصها :

(خليفة خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى وفقك الله . وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد كنا قدمنا لك أمرنا الشريف باجراء العمل فى توجيه عسكر ايالتك . على أن يخدم بمحل خدمته الشريفة سنة كاملة . مبدؤها ربيع النبوى الانور الفارط . وعليه فنامرك أن تكون توجه لحضرتنا الشريفة راتبه . بأن توجه أولا راتب نصف السنة . وقبل تمام نصفها توجب راتب النصف الآخر . ليكون يدفع لكل عسكرى ثابت فى الخدمة راتبه شهرا بشهر . ليدوم فى الخدمة بتشوفه لقبض راتبه مشاهرة . ولابد . والسلام فى ٤ شعبان الابرك عام ١٣١٤ هـ)

العاشرة

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى وفقك الله . وسلام عليك ورحمة

الله (وبعد) وصل كتابك بأن ولد أخيك الحاج أحمد الذى قدمت بانه جرح فى قتال (باعقيلة) قد توفى بعد عشرة أيام من ذلك . وصار بالبال . فرحمه الله وما على ميتة عز من ندم. والسلام فى ٢٢ صفر الخير عام ١٣١٧هـ)

الحادية عشرة

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى . وفقك الله . وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد بلغ لعلمنا الشريف أن الخديم الابرهيم الاخصاصى(١) لما أصدرنا أمرنا الشريف له بالرجوع لمحله فى أمان الله ورسوله . وأماننا الشريف . بادر بالامتثال . وتوجه مع اخوانه . فلما حل بداره وجهت اليه حركة اخوانك مع العسكر والقبائل . وأحاطوا به . وضربوه من كل ناحية ففر بنفسه . وأكلوا داره وهدموها . وحملوا أنقاضها وما فيها لـ (تيزنيت) كما خربوا دور اخوانه . ونهبوا متاعهم . وتوجهوا لدار الخديم على بن بوهيا بوحلاس . ونهبوها ودور اخوانه ومتاعهم كذلك . ولم يفر الا بنفسه . ولا زالوا بها . وحصل الرعب بذلك لـ (الاخصاص) و (أيت باعمران) ففروا للجبال . وعليه فان صح ذلك فهو منك افتيات . وما كان من حقك اقتحام ما لا يصدر لك شريف أمرنا به . ونامرك ببيان حقيقة الواقع فى ذلك . والسبب الحامل عليه . والسلام فى ١٩ محرم عام ١٣١٨ هـ)

الثانية عشرة

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكلولى . وفقك الله. وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) وصل جوابك فى شأن (ايلالة) الذين استأذنت فى توجيه المحلة اليهم . واشكل الامر فيهم . وأمرناك ببيان هل هم زاوية أم غيرهم . بأنهم قبائل شتى من قبائل (سوس) التى عليها المدار فى الجلب والدفع . وبهم يتقوى من ركن الى العناد من جوارهم (هشتوكة) و (بعقيلة) و (أيت برابيم) لمحاذاتهم لـ (هشتوكة) من ناحية الجبل . ولا يبعد أن يحتووا على الزوايا كغيرهم من قبائل (سوس) وصار بالبال . فكان من حقك أن تبين هذا من أول وهلة . وعليه فان كان الغرض لازال داعيا لذلك . فلتطير الاعلام به . لتومر بما يكون عليه العمل فيه . والسلام فى ١٨ حجة عام ١٣١٨ هـ) (أقول) يفهم القارىء فى هذه الرسالة كثيرا مما لم يعرفه من غيرها .

اخبار اخرى حوله

كانت (سوس) بعد أن زارها الملك مولاى الحسن سنة ١٢٩٩ هـ وسنة

---

١) هو القائد بوهيا .

١٣٠٣ هـ هادئة ساكنة نسبيا . وان تعين فيها قواد على القبائل . لكن القواد لم يجبروا جريان أمثالهم فى جميع المغارم . وفتح السجون . الا ما كان من (هوارة) الى (أولوز) حيث يد الحكومة والقواد دائما ضاغطة عاركة . على توالى الاجيال فكانت المحاربة لاتكاد تهدأ بين القبائل لأدنى سبب. خصوصا مابين قبائل (تاحكات) وقبائل (تاكوزولت) الى أن أراد الله الانتقام من الجميع أتاح هذين القائدين : الكيلولى المترجم والباشا حمو . فكانا كفرسى رهان فى الذى يعاملان به الناس . فلم يتركا بغلة ولا جملا ولا حليا ولا أثاثا منظورا . ولا رجالا لامعين . فلم ينج الا قبائل لم تخضع لهما فقاومت . أو أخريات تسكن فى أمكنة بعيدة عن (تيزنيت) مركز الكيلولى وعن (تاوردانت) مركز الباشا حمو. فقد حكى لى الباشا ادريس(١) منتو أنه كان اذذاك أتى برسائل رسمية من الوزير أحمد الى (تيزنيت) فى شأن الاجنبى الذى خرج فى (بعمرانة) ــ وقد تقدم ذكره ــ فنزل على القائد سعيد . قال فلا أزال أسمع فى بيت مجاور للمحل الذى أنزلنا فيه رنين الريالات . تحسب من مطلع الشمس الى ما وراء العشاء بكثير . وذلك مما يرد من المغارم . ومن أثمان ما يقدم كهدايا جمالا وبغالا وأكياس سكر . فكل ما يقدم من هذه صباحا أو مساء وقت جلوس القائد فى المحكمة . يمال به الى تجار يشترونه فى الحين فيدفعون الثمن . وهكذا دو اليك . ولو اقتصر الامر على ما يصل القائد الهمام سعيدا الكيلولى بـ (تيزنيت) لربما خف الخطب . ولكن فى دار كل قائد من قواد القبائل يقع مثل هذا فهناك القائد عبد السلام الجرارى . والقائد بوهيا الاخصاصى . والقائد الماسى. والقائد سعيد المجاطى وأمثاله من قواد (أزاغار) و (الساحل) و (بعمرانة) ما من واحد منهم الا مثل مثل هذا الدور فانه يغرم الناس كل ماوجد اليه سبيلا بالقهر والسجن وبكل وسيلة . فلذلك يمكن للقارىء أن يدرك ما الناس فيه من الويل والغم وهذا فى القبائل التى ألقاها القدر المحتوم تحت كلاكل هؤلاء . وأما القبائل التى تقاوم وتدافع عن نفسها هذا الظلم الفادح . فقد رأيت من كلام الاستاذ أبى فارس وصف ذلك وصفا شافيا . ولم ينج من كل هذا الا القبائل التى حفظها الله من أن تنضوى تحت كلاكل الجبابرة . ومن ان تدخل فى غمار المقاومين كـ (ايلالن) و (أيت عبلا) و (ايسافن نايت هرون) وأمثالها التى لاتصطلى بهذه النار الا من بعيد .

اقلاع القائد سعيد من (سوس)

هناك فى (وادى نون) قائد كبير تسلسل من فحول لايقبلون الضيم . وهو القائد دحمان من (ءال بيروك) وهو ممتاز . قائم مقاما عظيما للحكومة

---

١) فى كتاب (حول مائدة الغداء) كل ما كتبته عن هذا السيد رحمه الله

فى نحر الصحراء . يعتمد هناك عليه وعلى ءابائه(١) من قبل كل الملوك. فيعدونه هو وءاباءه من الناصحين لهم . فكان من لطف الله أن ناوأ هـذه السياسة الجبروتية من الكيلولى فيوالى الى الحكومة الشكايات هو وبعض قواد كالقائد بوهيا لم يوافقهم هذا الجو . قبل وبعد وفاة الوزير أحمد بن موسى ١٣١٨ هـ الذى كان يماد الحبل للقائد سعيد . وعندما حل وزراء ءاخرون مقامه . بعثوا الى القائد سعيد ليقلع من (سوس) اقلاعا كليا فاقلع فى ربيع الاول ١٣١٨ هـ فلم ينفعه ماكان يواليه من الاموال والعبيد والمال والبغال والخيل الى رجالات دار المخزن . فاذذاك استشار الشيخ الالغى ماذا يفعل . وقد خاف من السجن . لأنه مغضوب عليه من الحكومة فاشار عليه أن يتوب الى الله فيما بينه وبينه أولا . وان ينوى الحج . وان يطلب ذلك من الحكومة . فلعل ذلك ينجيه من السجن . وهكذا فعل . ثم لم يكد يرجع من حجته حتى وافاه أجله ٢٧ شعبان ١٣١٩ هـ فكان أهله بهذه الاشارة من الشيخ يعدونها كرامة نجا بها صاحبهم مما كانوا يتوقعونه له . وقد كان للقائد سعيد نية حسنة فى الشيخ . حتى انه اذا ورد عليه فى (تيزنيت) يعلن الفرح به باطلاق الحلبات فى الميدان . لكنه لم يتبع رأيه فى عدم محاربته للجبليين . فوقع له ما وقع . والشيخ يقنع من أمثاله بما يتيسر منهم من المصلحة العامة .

القائد مبارك

خلف القائد سعيدا فى ايالته بـ (حاحة) ولده مبارك . وهو أكبر أولاده فبرز فى الميدان . وقد كان أحد رجالات الاسرة . وقد حضر فى حروب (تازة) ضد أبى حمارة. ثم توصل أيضا بالقيادة على (سوس) اثر النفلوسيين الذين كانوا خلفوا أباه القائد سعيدا فى (تيزنيت) الى أن أعفوا من قيادة (سوس) حوالى ١٣٢١ هـ وكاد القائد مبارك يتم امره هناك . بل وصل الى (كسيمة) بجيشه فوقعت هناك حرب ذكرنا تفاصيلها فى ترجمة الرئيس عبد الرحمن من ءال الحاج العربى فى (الجزء الرابع عشر) ثم حدثت حرب بين (ايدا كيلول) وبين ايالة انفلوس . فاضطر الى الرجوع ليدافع عن ايالته والحكومة صارت تضعف شيئا فشيئا حتى صارت لاتبالى بأطراف المملكة بعد محارباتها مع أبى حمارة فلم يزل قائدا على ايالة أهله المعهودة بـ (حاحة) الى أن مات ١٣٣٩ هـ وقد كان الشيخ الالغى يلم به . فيبدى له من الاحترامات ما بعد عهده من أمثاله لامثال الشيخ . فقد كان الرئيس البشير ابن بلا الايشتى صاحب الشيخ مرة وهو ينوى (السويرة) فحين نزل الشيخ باصحابه فى (تمانار) قامت الدار كلها وقعدت بالفرح بالشيخ . فخرجت

١) ومن أحفادهم القائد دحمان الذى لايزال حيا اليوم فى (أكلميم) وسنتكلم على هذه الاسرة ان شاء الله فى (الجزء التاسع عشر)

الخيل الى المضمار للحلبة . اظهارا لمنتهى الفرح على العادة . فقال البشير : ما كنا نعد شيخنا هذا بلغ عند أمثال هؤلاء القواد هذا المبلغ . وكنا نحن لانزيد على مطلق التعظيم له . فمنذ ذلك الحين ازداد غبطة بصحبة الشيخ الى أن مات . وبعده قال الحاج ابرهيم البنيراني : ما كنا نعد سيدى الحاج على شيخنا كسيدى أحمد بن موسى حتى سمعنا ذلك من فم سيدى ابرهيم ابن صالح التازاروالتى .

القائد عبد الرحمن بن سعيد

ثانى أولاد القائد سعيد . وقد كان خليفة لاخيه مبارك . فحين مات تولى مكانه فصادف سنة ١٣٣٠ هـ سنة الانقلابات والحوادث الجلّى فى المملكة فقد أعلنت الحماية . واشتد تخاصم (ألمانية) و (وفرنسة) على السياسة المغربية . وقد كانت لألمانية سياسة خاصة نحو (سوس) فقد اشترت فيه بوساطة أعوانها السريين معادن كثيرة وأراضى . فتدعى أنها الاولى باحتلاله وقد كان التاجر بوشعيب السويرى المشهور من عملاء التجارة الالمانية . فاتصل الحبل به بأهل (تمانار) فكانت دار أهل (تمانار) ممرا لهؤلاء الاعوان السريين . بل هناك أجانب من (ألمانية) يتسترون يمرون على أيديهم الى (سوس) فقد اعتقل واحد على يد أهل الحاج العربى الكسيميين . ففدى على يد هؤلاء بمال كثير . وءاخر على يد الشيخ على الديلمى الهشتوكى . ولاريب أن هناك ءاخرين لم يعتقلوا. ولهذا الاتصال بين أهل (تمانار) وبين (ألمانية) تفتحت كوة سياسية لاثارة (سوس) ضد الفرنسيين وقد كان الشيخ ماء العينين رضى الله عنه يلم بأهل (تمانار) هؤلاء . ويعتقدونه ويتعارفون مع أولاده . وبسبب هذا التعارف انبثق ما انبثق من أولاد الشيخ ماء العينين . فقد هاجروا من الصحراء فرارا بدينهم من الفرنسيين . فتمكنت العداوة . بينهم وبينهم فوجدت (ألمانية) بابا مفتوحا لما تريد . فأبرمت ما أبرمت مع أهل (تمانار) فقام هؤلاء بلباقة . فحسنوا للشيخ أحمد الهيبة أن يتدارك المغرب قبل أن يطفح عليه ما غمر كل أرجاء الصحراء . ولاريب أن نية الهيبة وءاله حسنة . لانهم لم يدركوا ما وراء الاكمة . وقد وجدوا سرا من أهل (تمانار) من المساندة للمال والجاه والتشجيع ما وافق حرارة ايمانهم . فرأوا أن الله هيأ لهم فى الجو ما يؤدون به الواجب الذى يرونه واجبا . ولكون كل هذا الذى يقوم به أهل (تمانار) كان سرا . نكص هؤلاء عن الاتصال ظاهرا بـ (تيزنيت) حتى يتم الامر فى (مراكش) . ولهذا اوعزوا الى الهيبة أن لايسلك طريق (حاحة) الى (مراكش) بل يسلك الطريق اللاحبة المطروقة دائما للجيوش الحكومية وهو طريق (امسكروض) فتم الامر على ذلك ثم لم يتحرك أهل (تمانار) بل وكل الحاحيين حتى دخل الهيبة (مراكش)

فاستسلم القواد الكبار : الباشا منتو وعبد الملك المتوكي . والمدني . والتهامي الاكلاويان فلم يدخلوا (مراكش)الا نحو ٢٢ من رمضان . مع أن الهيبة دخل ثالث رمضان. وكل هذا ما فعل الا تعمية للسياسة المرسومة سرا. ولاريب أن هذه السياسة كان القائد مبارك اول من نسج من خيوطها . ثم أتمها بعده القائد عبد الرحمن . وقد كان اعلان الحماية جاء اخيرا . فكان كرد من السياسة الفرنسية على السياسة الالمانية . ثم لم يمض الا أيام قليلة . فاذا بجيش (فرنسة) متوجه الى (مراكش) ليحتلها . ففر الهيبة الى (سوس) على طريق (وادى نفيس) كما فر الحاحيون الى جهة بلدهم (ولم ينظر الغادى الذى هو رائح) فتبخرت بذلك السياسة الالمانية السرية . فوقف أهل (تمانار) ينتظرون جزاء ما فعلته أيديهم . فاذا بثورة النكنافيين على الفرنسيين بعد ما قدموا الطاعة لهم . فوقع ما وقع من حرب قليلة . حوصر اثرها جند فرنسى فى دار هناك . ثم اغاثته حملة فرنسية نزلت من باخرة قرب تلك الدار . ففكت عن الجند الحصار . وقد كان اهل (تمانار) شاركوا مشاركة ما فى هذا الجهاد . ثم استولى الفرنسيون على كل (حاحة) يوم تقدم كل قوادهم بالطاعة أخيرا . فاعتقل القائد عبد الرحمن . وجاء الحاج الحسن من بنى عمومته قائدا فى مكانه . فسيق القائد عبد الرحمن الى (مكناس) مسجونا . وليس معه الا عبد له. حكى لى ادريس منتو انه كان معه اذ ذاك مسجونا . كل واحد فى بيت . قال فكنت أراه يلح على عبده بالاهانة والضرب . فكان العبد يشتكى على ، فالوم القائد على ذلك . ولكن الطباع لا تتغير . فمرض العبد مرضا شديدا . فأفضى الى بأن القائد عبد الرحمن لو أحسن الى لدللته على خزينة مال كنزتها أنا والقائد مبارك أخوه . لا يعرفها أحد الآن بعد موت القائد مبارك الا أنا . وها أنذا ساموت فيموت خبر تلك الخزينة . ثم لم ينشب أن مات . ثم بعد سنين كثيرة سمح للقائد عبد الرحمن أن يرجع به اهله الى دارهم فى (تمانار) وهو مريض . فلم ينشب أن مات ١٣٤٤ هـ رحمه الله .

القائد الحاج الحسن بن محمد

هذا أخو الحاج احمد المقتول فى (بعقيلة) وأبوهما يسمى محمد أوفقير تولى فى مبدأ الاحتلال . كما رأيت على عادة الفرنسيين الذين يحافظون هكذا على مكانة العائلات الرئيسية . فبقى ككل قواد الاستعمار . له الغنم وليس عليه الغرم . وكان غير مصون الاخلاق فيما يقال . وقد تقلصت الايالة . لان قبيلة (أيت تامر) كان عليها قائد جديد . وهو الفقيه الحسن ابن ابرهيم الذى صار باشا بعد على (أكادير) فبقى القائد الحاج الحسن

في مقامه الى ان توفي ١٣٥١ هـ فانقضت بموته القيادة في (ال المحجوب) ثم ذهبت أموالهم فأصبح أولادهم فقراء مدقعين . بل تركوا ديارهم في (تامانار) فرجعوا الى دار جدهم الاصلية . فرحم الله الجميع . اللهم احسن عاقبتنا في الامور كلها وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة (هذا والحاج الحسن هذا ينطق بسينه مسكنا . والآتي بفتح السين)

الحاج الحسن بن سعيد

هذا اخو القائد ابن مبارك وعبد الرحمن المتقدمين . وهو أصغر منهما. وقد كان والده القائد سعيد ندب الى تعليمه هو وعبد الرحمن الاستاذ سيدى أحمد بن محمد الالياسي الماسي (١) . ولكن لم يجد منهما ميلا الى التعلم . فغادرهما وقد تعين الحاج الحسن هذا خليفة لاخيه مبارك على (أكادير) الذى كان اخيرا يتبع (تمانار) قبل الاحتلال . فيكون فيها من ينفذ اوامر قائد (تمانار) وقد كان فيها الحاج الحسن خليفة من قبل ١٣٢٤ هـ فظهر هناك بمظهر المستبد حتى على أخيه مبارك أحيانا . حتى أدى ذلك الى ان تحيل عليه حتى اعتقله أعوانه في داره . أرسلهم اليه اخوه . فأركبوه على بغلة مهياة . فطاروا به الى (تمانار) فلما بلغ الخبر شيخه الالغى الذى كان هو نفسه أحد اتباعه . ومريدا بين أصحابه المريدين توجه اليه الشيخ . قال من صاحب الشيخ يومذاك : دخلنا الى دار القائد مبارك . فبعد السلام المعهود قال الشيخ للقائد مبارك : أين أخوك الحاج الحسن . ائت به امامى الآن الآن الآن . فأراد القائد أن يقدم أعذارا فلم يدعه الشيخ أن يتكلم . بل والى عليه بهمته المعروفة : اطلقه الآن وائت به أمامى . فلم يجد القائد - الذى كان يحترم الشيخ ككل أهله - مناصا من الانصياع . فأمر فاتى به يحنجل في قيده . فاستدعى حدادا فأماط عنه كبله . فسلم على الشيخ . وهو متأثر بما رءاه من هذا الاعتناء العظيم من شيخه به . فاستلقى عليه باكيا . يقبل رأسه ومنكبه . ودموعه تتدفق على محاجره . والشيخ يهدئه . ثم قال الشيخ للقائد : انما هو أخوك وابن أبيك وأمك . فان لم تصبر انت فمن ذا الذى يصبر له بعد . ثم قال : ان هذا اليوم يوم عيد بانطلاق اخيك مما كان فيه . فمر بخروج الخيل الى الميدان لاظهار الفرح بتسريحه وبرضاك عنه . وبرجوع المياه الى مجاريها . ثم أوصى الخليفة الحاج الحسن ان يراعى منصب الاخوة . وأن يكون عند أمر القائد . ثم حثهم على الصفاء . وطهارة

---

١) ترجم في (الثامن عشر)

السريرة بينهم . ثم لما انحلت العقدة رجع الشيخ فى الحين مع فقير واحد هو الذى صاحبه وحده ذلك اليوم . وقد ترك طائفته الكبرى حوالى (كسيمة) وقد حاول الشيخ أن لا يقبل من الحاج الحسن بغلة فارهة قليلة النظير قدمها اليه . ولكن بتطارحه على الشيخ لم يمكن للشيخ الا أن يقبلها . وهى بغلة أدركناها سنوات ١٣٢٦ هـ الى ما بعدها . ثم عاشت بعد وفاة الشيخ . ثم ان الحاج الحسن ازداد محبة فى الشيخ . فكان يخدمه ويقدم له أحسن ما يملكه . وذلك كله بتأثير الفقير أبى جمعة البوعشراوى الكسيمى من كبار أصحاب الشيخ . ولم يتوف أبو جمعة هذا الا نحو ١٣٦٩ هـ . وقد كان الحاج الحسن وهو رئيس (أكادير) يتسابق فى خدمة الشيخ هو والرئيس سيدى محمد بن عبد الرحمن الكسيمى . فوصل موسم ١٣٢٧ هـ فنمى الى الحاج الحسن أن سيدى محمد بن عبد الرحمن سيحضر فيه بين الفقراء فى (الغ) فابى أن يسبقه صاحبه اليه . فتسرب هو وأبو جمعة المذكور فى أعوان . فساروا فى طريق (هشتوكة) الى (وجان) حيث يجدون رفيقا يخفرهم من البعقيليين الموتورين منهم . منذ أن وقع من القائد سعيد ما وقع . ثم طلعا فى ثنية (أفود) مع الطوائف المتوجهة الى الموسم . فباتا فى قرية بـ (ايت وافقا) . فبلغ الخبر الشيخ . فارسل ليلا خديمه وابن عمه ابرهيم بن عدى . فاتى بهما مكرمين مبجلين . فلقاهما الشيخ بكل اكرام هما ومن ورد معهما كسيدى المدنى وسيدى عمر أخوى سيدى محمد ابن عبد الرحمن الذى لم يتيسر له أن يحضر فاناب أخويه هذين . فهناك فاز الحاج الحسن بهذه المزية . ففاق بها منافسه . ثم جالس الفقراء . وقد طرح عنه أبهة الرياسة . فاهتزت له (الغ) فجاء الرئيس الحاج ابرهيم الايغشانى فرحب به . ثم استدعاه الى داره . ثم بقى من يوم الاحد الى صبيحة الاربعاء . أيام الموسم المعلومة . فودعه الشيخ . ووصاه أن يحافظ على ما بينه وبين ربه ، لئلا يحبط هذا العمل الذى عمله حين أحنى هامته حتى جالس الفقراء المساكين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه . ثم لم يزل يخدم الفقراء ان نزلوا عنده بنفسه . فيصب الماء على ايديهم بنية صادقة . وقد كان طلب منالشيخ أن يترك عنده فقيرا يربيه على أحوال الفقراء . فترك عنده الفقير المتجرد سيدى أحمد الحاحى المذكور فى كتاب (منية المتطلعين) ثم لما توفى الشيخ بقى على عهده . الى أن أكفهر الجو فقامت دولة الاعراب . ورجع الهيبة من (مراكش) فطرده الاعراب من (أكادير) وقد لقيه القائد الناجم فيما بين (أكادير) و (تمانار) كما ذكرنا ذلك فى ترجمته فى (الجزء العشرين) وهو على بغل موكف . ثم دار الدهر

على أهله يوم قلب لهم ظهر المجن . فذهبت قيادتهم . وتقلص ظلهم. وتبخرت أموالهم . ولا يغنى عنهم ابن عمهم الحاج الحسن بن محمد القائد الجديد شيئا وقد قيل ان أموال الحاج الحسن المترجم ذهبت بين أموال الحاج بوشعيب المعتقل يوم استولى الفرنسيون على (السويرة) من جراء أنه مع الالمانيين. فوقع له ما وقع للقائد عبد الرحمن ـ كما تقدم ـ وقد سكن الحاج الحسن المترجم فى عزبة له . خارج (تمانار) يزجى الايام من سنة ١٣٣٠ هـ الى ١٣٤٤ هـ يفلح ويكسب ما يتعيش به . ويلم بـه الفقراء الى أن توفى اثر القائد عبد الرحمن أخيه سنة ١٣٤٤ هـ

ومما يتعلق به أن الاستاذ سيدى محمد بن مسعود كان صاحب الشيخ على نية التجريد من (المعدر) فساح معه الى أن وصل (تمانار) فهناك وصلته رسالة من أهل (بونعمان) يطلبون منه أن يرده اليهم لعمارة مدرستهم . فرده الشيخ من هناك . فمر بالحاج الحسن فى (أكادير) فاكرمه غاية الاكرام فكتب اليه أبياتا رائية مشهورة . ولم أجدها الآن ازاءى لأسجلها هنا

الصوفي سيدي

الحسين الكزميري الحاحي

نحو ١٢٦٥ هـ = ١٣٤٢ هـ

فقير ممتاز زاهد من أكابر أصحاب الشيخ الالغى الذين أخذوا عنه أخيرا . ثم كان له شفوف . وأصله من الفخذ المسمى (ايكزميرن) من قبيلة (ايداويسارن) احدى قبائل (حاحة) . حفظ القرءان . ثم صار يشارط ويعلم القرءان . واعتنق الطريقة الناصرية فأحسن العمل فيها بينه وبين ربه . فكان حسن التوجه الى خالقه. فبينما هو مشارط فيمسجد قرية(تامارزاكت) اذا بسيدى سعيد التنانى الم به فى طائفة من المتجردين . فجالسه بلطفه المعهود . فاذا به يتأثر بلطفه . فوصل بينه وبين الطريقة الالغية . ثماتصل بعد ذلك بقليل بالشيخ . وقد حكى كيف التقى معه فى دار القائد النكنافى قال : وقفت أمامالبيت الذى فيه الشيخ . فرفعت عقيرتى ببيت من الملحون ينشده الزائرون لرجالات (ركراكة) :

جيناكم يا ناس ّفضال نطلب الله الكريم . اسقينا من فضلكم

(تعريبه) :

(جيناكم أيها الناس الفضلاء نطلب الله الكريم أن يسقينا الله من فضلكم)

قال فحين سمع الشيخ ماقلته أمرنى بالدخول عليه مستبشرا . فلاقانى أحسن ملاقاة . ثم قلت له لا ادخل يا سيدى فى طريقتك الا ان كنت على ضمان من خمسة أمور . الاول الخاتمة الحسنى عند الممات . والثانى ان اوفق عند سؤال الملكين . والثالث الفوز عند تطاير الصحف لآخذ كتابى بيمينى والرابع ميل كفتى بالحسنات عند الميزان والخامس أن أجوز الصراط بسلامة . فقال لى الشيخ الامور كلها بيد الله وحده . وهذه كلها سهلة بفضل الله لمن استقام باذن الله واذن رسوله كما يسهل ازالة عمامتى هذه

ثم ردها . ففعل الشيخ ذلك بعمامته (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وانا أريد من أصحابى أن يعرفوا ربهم . فان من عرف ربه واتكل عليه وعمل ما أمره به فان الله لا يخيبه فى كل ما يرجوه منه ـ أنا عند ظن عبدى بى ـ

وقد حكى لى الفقيه سيدى محمد بن عبد الله الزيكى عن المترجم ان له أحوالا راسخة فى التوجه الى الله . وقد اجتمع فيه كل ما يطلب من المريد نحو شيخه . فانه منذ لاقى الشيخ قام بجد فى كل ما يطلب من العبد نحو ربه عبادة واخلاصا ومحبة لاهل الخير . وقد كانت له مكاشفات عرف بها من قبل أن يتصل بالشيخ . حتى اشتهر بها . فكـان القائـد احمـد النفلوسى يرسل اليه . ويتبرك به . ويستشيره فى كل ما يقدم عليه لحسن ظنه به . ثم لما التقى مع الشيخ نسى كل ذلك . فاقبل على ربه . واعرض عن هذا المقام وقد جمع همته كلها فى الله . وقد كان قطب الفقراء اتباع الشيخ فكانت داره فى قرية (الزياتين) من (ايداوكرض) حيث داره زاوية لهم . لانه تزوج امراة هناك . ففارق مسقط رأسه . وكان يختلف دائما الى (الغ) فى الموسم وفى غيرها قبل وفاة الشيخ وبعده . لا يتخلف عـن الفقراء . وحين تحول شيخنا سيدى سعيد التنانى الى (أزيار) سنة ١٣٣٨ هـ ذهب فى طائفة من الفقراء نحو أربعين فزاروه . وفى حين وقع بينه وبين شيخ القبيلة مبارك بن عبد النبى تفاقم . لأنه لايحترم أمثاله من أهل العنجهية التى فى هذا الشيخ . فاعتقل أحد أولاده . ففر هو الى الزاوية بـ (الغ) حيث بقى ما شاء الله . ثم رجع فذهب الى القائد العربى (خبّان) . وكان لامثالـه مـن المحترمين . فنهى عنه الشيخ مباركا . فانكف عنه . فبقى محترما الى ان توفى . واحدى بنات المترجم هى التى تزوجها الفقيه أحمد الطيبى التنانى من (ءال الطيبب) التنانين التانكرتيين . والمنتقل من هناك والده . فسكن فى قرية (الزياتين) حيث ولد الفقيه . الآخذ علومه من احدى مدارس (أيت صواب) ثم لازم حياته مدرسة (سيدى محمد بن عبد الله) من (ايداوكرض) وهو الذى يتولى نوازل القبيلة الى أن توفى نحو ١٣٧٤ هـ . وقد كان بينه وبين مبارك بن عبد النبى صحبة والفة . فائتلفا حتى على معاداة المترجم . فأصيبا معا منه بما كدر عليهما ءاخر عمرهما . فقد سقط الفقيه عن بغلته . فلزم مقعده الى أن مات . مع ما لاقاه من قضاة (السويرة) من هتك حرمته كما أصيب مبارك باختلال فى عقله سنوات . الى أن توفى هــذه السنة ١٣٧٩ هـ . ولأولاده الى الآن يد فى الرياسة الواسعة . حتى بعد الاستقلال ولا يخلـون من خـير .

واما سبب وفاة المترجم فقد حكى سيدى محمد بن عبد الله أنه كان ظهر منه شيء انكره عليه بعض الفقراء من عدم اصاخته لرأيهم العام . اجتهادا منه حسنا . قال : فرأيت فيما يرى النائم ان الشيخ قال لى : قل لسيدى الحسين ياتى الىّ . فذهبت فذكرت له ذلك . فاعرض عنى . كأنه لا يصدقنى . فرفعته بيدى الى امام الشيخ . ثم استقظت فاذا به توفى بعد ثلاثة أيام بعد مرض خفيف . رحمه الله ورضى عنه . وأولاده الآن هم الذين لا يزالون يتقدمون فى امور الفقراء ولا يتخلف بعضهم عن الموسم بـ (الـــغ) .

الصــوفى

سيدي محمد بن عمر التملى

ثم الزمزمي الحــاحى

نحو ١٣٨٠ هـ = ١٣٤٠ هـ

سيد جليل القدر . من الحافظين لكتاب الله . ومن الملمين بمعلومات عربية . يستطيع أن يطالع بها الكتب . نشأ ببلده . وهناك أخذ ، ثم انتقل الى (حاحة) فقطن فى قبيلة (ايداوزمزم) فهناك كان ظهوره بعدما التقى مع الشيخ . فكان فذا من أفذاذ أصحابه البارزين فى تربية الفقراء ، وقد كانت له أخلاق لطيفة . وكرم وبسطة من جميع النواحى . فيملك القلوب بسرعة . وسبب ملاقاته للشيخ أنه صادف سيدى سعيدا التنانى أولا ، حتى انخرط على يده فى الطريقة . ثم وصله بالشيخ . ثم صار يسيح مع الشيخ أحيانا . ويفد عليه فى (الغ) الى أن نال ما نال . وقد بنى الزاوية بداره فى قريـة (الحصينات) فكانت موردا ومصدرا للآتين والذاهبين من أصحاب الشيخ . ثم اتسعت الطريقة على يده فى (الشياظمة) حتى تكونت له هالة اعتقادية خاصة . وذلك من قبل ١٣٢٢ هـ . وقد كانت والدته حية فى بلده . ولم يزل يزورها كلما قصد موسم (الغ) وكان أولا يقدم زيارتها. ثم صار يؤخرها كاشارة من الشيخ . وقد كان وقافا عند اشارته على عادة المريدين الصادقين مع أشياخ التربية . وقد كانت اجتماعات عظيمة تقع فى محله وقد كادت قبيلة (ايداوزمزم) تكون كلها صافية لـه من القائد (محمد كرما) الى آخر ضعيف منها . ولاسيما حين كان هذا القائد من أتباع الشيخ . فقد أقام الشيخ يوما هناك موسما عاما . احتفلت فيه القبيلة بأمر القائد بالاطعمة بأنواعها. ولكن الشيخ حال بين الفقراء وبين الاطعمة الدسمة العالية . ولم يأذن الا بأكل عصائد وكساكس مما اتى به الضعفة . واما ما أتى به الاغنياء عن اذن القائد فقد عزله . فدخل الفقير سيدى مبارك ازكوك الى المحل الذى فيه تلك الاطعمة فى اليوم الثانى . فقال للشيخ : انحمض

الاطعمة الدسمة هنا والفقراء فى احتياج اليها . فقال له الشيخ لان تحمض فى اوانيها خير من أن تحمض فى بطون الفقراء . قال سيدى مولود : ومقصود الشيخ أن لايتاثر الفقراء باكلها . فتثور شهواتهم . وكلهم شبان . ولذلك يحول بينهم وبين مافيه شبهة كهذه الاطعمة التى صنعت باذن القائد. وكان المترجم ربما يغلط كمريـد أمام شيخه . ولكن الله يحفظـه من النكوص عـلى عقبه النكوص التام . فقد كان يصاحب بعض أصحاب الشيخ سيدى الحاج الحسن التاموديزتى . ويتأثر من أحوالهم بالورع الكثير عـلى مـا هـو معروف عن هذا الشيخ رضى الله عنه . وربما يؤديه ذلك الى أن يوازن بين حال شيخـه وحال الشيخ التاموديزتى . وكذلك كان يتصل بأصحاب الشيخ مـولاى عبد الرحمن الدرقاوى فى (السويرة) لانه كثيرا ما يتخذ خلوته فى أحـد بيوت صومعة مسجد (ابن يوسف) فى (السويرة) فيعجب به من هناك . ولذلك لما جاء مولاى عبد الرحمن سنة ١٣٢٢ هـ الى (السويرة) طلب المترجم منه وممن معه أن يشرفوا زاويته فى (ايداوزمزم) فخرجوا اليها فى ركب كبير من أهل الحضر . فحين جاء الشيخ عاتبه وقال له : انك يا سيدى محمد تخلط ومن بنود الطريقة أن التخليط فسق . ثم قال له : ليت شعرى ماذا عسى أن يحصل للفقير البدوى المدقع من مخالطة أهل الحضر . فهـل عنده الا فرشة والاوانى التى يألفها أهل الحضر . ولو اقتصر الفقير البدوى المدقع على أمثاله الذين يتساوى معهم لتجاوب قلبه مـع قلوبهـم . وازداد بعضهم من بعض المعنى . فاذ ذاك حصل للمترجم ما يحصل لأمثاله عن ذلك فثار ثائره . فكان ينكص على عقبه . لولا أن سيدى سعيدا التنانى جاراه ولاطفه . فصار يريه المقصود . ومغزى كلام الشيخ من توحيد الوجهة . ثم جره مع الفقراء الى سياحة . فجبر الله كسره بها . حتى زال ما ألمّ بـه . فعاد الى ما هو أفضل منه ، وهذا مما عُوين من أحوال الشيخ . فانه عـلى كثرة مواخذته لبعض أصحابه لاينكسر البيض فى يده (١) وذلك كله ١٣٢٢هـ ثم علا شأنه بعد ذلك . حتى صار أحد كبار الطريقة مقصودا . وبحرا فياضا وهكذا العارفون الكبار لا يخسر أحد ايا كان أمامهم . الا من لم يسبق له الا الخسران . ولكرمه يلازمه الفقراء المدقعون كالفقير المجد سيدى محمد بن بيهى الزيكى . فانـه كان فى فقر وشـدة احتياج فـى قريته من قبيلـة (ايداوزيكى) أمام عين سيدى الحسين التامكونسى . حتى لا يملك الا دجاجة واحدة . ومع ذلك ياتيه نصيبه من مغرم القائد المتوكـى على الزيكيـين . وكلما اشتكى على سيدى الحسين. وأراد أن يرحل يأبى عليه ذلك . الى أن

١) مثل شلحى يدل على الملاطفة والسلامة مع كثرة المزاولة .

اكثر عليه . فكتب معه رسالة الى الشيخ . فقال له فيها ما يطلبه سيدى محمد بن بيهى . واقترح على الشيخ أن يامره بالصبر . لانه اعانة للفقراء فقال له الشيخ : لا تتبع سيدى الحسين . فارحل الى (ايداوزمزم) وما اليها حيث الرزق موسع . فان الفقير لايكون مغفلا . فلا يمكث الا حيث يجد قلبه فجاء فنزل على المترجم . وأمام عينيه فيسبح معه . فنفع وانتفع . وكان يالف ويولف ، هكذا رضي الله عنه .

هكذا حال المترجم حتى بعد وفاة الشيخ . فقد عمر مقامه الى ان توفى عن حالة حسنة رحمه الله .

القـائـد

محمد كرما الزمزمي الحاحي

نحـــو ١٢٩٥ = نحو ١٣٥٠ هـ

من أسرة (آل كرما) قواد قبيلة (ايداوزمزم) وأول قائد منهم والد المترجم . وقد كانا معا بارزين بين القـواد الحاحيين فـى العهدين العزيزى والحفيظى . وكان يوالى القائد عبد الملك المتوكى . وقد كان معه . يوم جلا أحمد الهيبة عن (مراكش) ١٣٣٠ هـ ثم لما مدت حكومة الاحتلال يـدها الى (حاحة) أعفته من القيادة . وولت من الاسرة القائد مباركا . فصال وجال . واكتنز من الاموال ، مع أن قبيلته صغيرة . حتى اثرى اثراء فوق قدره . ثم لم يزل قائدا الى أن مات . فتولى على قبيلته القائد المختار الزلفسنى ما شاء الله الى أن جاء الاستقلال .

أما المترجم القائد محمـد . فانه صار يزجى الايام بعد أن أعفى من القيادة . وقد قل ما فى يده . الى أن احتاج أن يغادر مسقط رأسه . فالتحق بمطقة الشمال حيث حكم (اسبانية) فكان عونا فى أحد المراكـز . فبقـى هناك الى أن توفى .

اتصاله بالشيخ الالغى

كادت قبيلة (ايداوزمزم) تكون كلها منخرطة فى الطريقة الالغيـة . فلذلك اندمج فيهم رجال من أسرة القيادة . فكان القائـد نفسه كذلـك . فكان يعلن أنه من أصحاب الشيخ . وحالته حسنة . فلا جبروت ولا ما يعلم من أمثاله . الا ما لا يخلو منه طبيعة من كان اذ ذاك فى مركزه . وقد نفعته معرفة الشيخ يوم زويت عنه القيادة . فحسنت كل أحواله . واكتسى حلة حسنة . وقد عرفته أنا . وزرته فى داره يوما فى احدى زياراتى لـ (سوس)

(وبعـد) فان لهـذه الاسرة أخبـارا لم أحصلها الآن كمـا ينبغى . وساجتهد أن أبينها ان شاء الله فى رحلة (من الحمراء الى الـغ) وفقنـا الله لتخريجها . وانما حرصت على ذكر المترجم هنا ولو بنقص الترجمة لئلا يخلو منه الكتاب الذى يذكر فيه أمثاله .

الاديب الصوفى

الفقيه سيدي محمد بن على

السويري

نحو ١٢٧٠ هـ = ١٣٣٧ هـ

نسبـه :

محمد بن على بن عبد الله .

أصل أهله من قبيلة (أكلو) بـ (سوس) فهناك ولد أبوه على بن عبد الله . ثم نشأ فى (أكادير) حيث حفظ القرءان . ثم صار يتردد أولا بين (أكادير) و (السويرة) الى أن تولى أمينا فى مرسى (أكادير) رسميا ، ثم بعد ما غادر تلك الوظيفة استقر فى (السويرة) ثم التقى فيها بالشيخ الالغى . فاخذ عنه الطريقة . فرءاه مجتهدا فى اقامة الصلوات فى داره . وقد اعتنى فيها بالاذان فى علية له فى الصبح فى الزاوية الدرقاوية . فدام على ذلك هو وأولاده الذين من بينهم المترجم . ولم يزل على ذلك الى ان توفى ١٣٢٧ هـ وقد كان غنيا ذا أملاك .

متعلم المترجم

أما محمد بن على ولده هذا . فانه نشأ تحت همة والده . وبعد ان حفظ القرءان أرسله الى (مراكش) فربض ما شاء الله للاخذ فى مسجد (ابن يوسف) وكانت سكناه فى مدرسة (ابن يوسف) ولم نجد من نستقى منه تفصيلا عن أحواله فى هذا الطور . وعن أسماء أساتذته واجازاته منهم على العادة .

فى التجارة

كان للمترجم بعد صدوره من الاخذ متجر" ازاء الزاوية التيجانية ، يبيع فيه ءالات الترف . من ءانية الطاووس . والامتعة الرفيعة الممتازة ، وقد ذكر لى عارفوه اذ ذاك أن دكانه منفرد بذلك حينئذ . وهو معلوم

بالشروة لما ورثه عن والده هو واخوه مبارك من الاملاك الـواسعـة . وقـد حافظا عليها حتى أورثاها لأولادهم . فتدر عليهم أكرية يعيشون بهـا الى الآن .

مع الشيخ الالغي

رأيت كيف أن والده كان ينقاد للشيخ الالغى . وقد نشأ هو على ذلك وقد كان يرى له وحده المشيخة . ويتعصب له . ولم يكن يذهب الى الزاوية الدرقاوية العامة . الا اذا كان فيها الشيخ فى زياراته لـ (السويرة) فبقى على عهده الى أن مات عن ولده سيدى محمد صاحبنا المعروف بالاتجار فـى الكتب الآن فى (السويرة) أعانه الله .

أدبـه

ذهبت ءاثاره كلها من بين كتب خزانته التى تفرقت اثر وفاتـه . فذهبت بذلك ءاثاره . وقد ظهر لنا مما ستراه أمامك . وهو كـل ما لـه عندنا . ان له يدا طولى فى قرض الشعر . وحب الادب . ولولا هذا الذى بقى لنا لما عرفنا له هذه المكانة الزاهية المرموقة .

ءاثـاره

كان يكتب الى الشيخ فى كل فرصة . ويخاطبه متى ورد الى (السويرة) فاجتمع من ذلك هذا الذى انقله من خط شيخنا سيدى سعيد التنانى رحمه الله . ونصـه :

(هذه رسالة لبعض المريدين . وهو الفقيه الاجل سيدى محمد ابن الحصنى) أصلا (السويرى) سكنى. الى شيخنا الربانى . القطب الصمدانى سراج المريدين . وعلم أهل اليقين . أبى الحسن على بن احمد الالغى رضى الله عنه وأرضاه . وعنا به ، يستصرخه ويستنجده اذ هو أهل لذلك .

(بقية الصالحين . وقدوة الاولياء العارفين . وروح مجمع أهل الكمال وأهل المعارف والاحوال . تاج الاتقياء . وعلم الاصفياء . سراج الاوليـاء . غيث الانام ، غوث الاسلام . بقية السلف . عمدة الخلف . قدوة المحققين . وامام العارفين . محيى معالم الطريق بعد دروسها . ومظهر ءايات التوحيد بعد أفول اقمارها وشموسها .خلاصة أهل العرفـان . والمتخلـق بمقـام الاحسان . فريد دهره . ووحيد عصره . الفقيه الاجل . والنبيه الاكمـل .

ذو الفضائل والفواضل . الحاج البركة المتصف بالرحمة . شيخ الطريقة ومعدن السلوك والحقيقة . السيد على بن أحمد بعد السلام الاقعد الاقعس. على مقام مولانا الانفس . ورحمة الله وبركاته .

ورد الكتاب فلا عدمت أناملا كتبت بها حتى تضمخ طيبا
فكأن موسى قد أعيد لأمه أو ثوب يوسف قد أتى يعقوبا

أشتمل على نهى ووعظ . فجزيت خيرا . ووقيت خيرا . نعم نحب من السيادة المولوية . والتحية المصطفوية . أن يمن علينا بما يسر الخاطر . ويفرح به القلب ويرحم العبد القاصر :

عسى عطفة منكم علىَّ بنظرة فقد تعبت بينى وبينكم الرسل

فهذا عبدكم قبل الاعتاب بين يديكم . يرجو ما يرجوه المقصر . والعبد المذنب المغتفر . ويطلب من سادتنا العطفة . دمتم فى حفظ الله وكرمه وجوده واحسانه . ءامين) .

وله أيضا نظما الى الشيخ المذكور رضى الله عنهما :

قصدت حمى ذى الحباء المديد كريم تسامى بغير نديد
على المقام . فريد الانا م . امام الكرام . لفضل مزيد
شريف الاصول . ومن امره اتـ باع الرسول الكريم الوحيد
جلى المناقب قطب المعا رف والمرتقى أفق برج سعيد
عباب المكارم ذو المعلوا ت (على بن أحمد) بيت القصيد
ذكاء المعارف بدر العلا ونجم الهداية بين العبيد
مغيث المنادى . وغيث الندى ربيع النزيل . وخصب الجهيد
شفاء العليل . وجبر الكسيـ ر.وكهف الضعيف.ومأوى الطريد
وعز الذليل . وكنز الفقيـ ر ويسر العسير . وقرب البعيد
وباب عظيم . لمولى كريـ م . به يدرك القصد كل مريد
اليك أتينا لنحرز ما نروم . فما زلت أعلى مفيد
وحاشا يخيب الذى أمكم بشوق شديد . وقلب عميد
أشيخا عليا ويا ذا العلا ويا من حوى كل وصف حميد
قصدنا حماك السنى فقل لنا (مرحبا) يا سليل الحميد
وجد بالقرى لضيوف طووا اليك من الشوق شقة بيد
ومنَّ بعطف وجد برضا على من يمت بحب أكيد
نقبل أعتاب بابك بل نعفر شيبتنا بالصعيد
ومقصدنا نفحة منك كى يعود أخو الغى مثل الرشيد
وتسمو مراتبنا للعلا بفضل الاله الحميد المجيد

فقد طال اخلادنا للهوى ... وامارة باتباع المريد
وزاد على شهوات النفو ... س تهافتنا كالفراش البليد
شربنا كؤوسا من الغفلا ... ت ذهلنا بها عن رقيب عتيد
ولم نعتبر بجهالتنا ... بقوم نراهم كزرع حصيد
نميل اختيالا كأنا خلو ... دٌ ونحن نرى كم صغير فقيد
خسرنا اذا فاتنا العفو أو ... شفاعة خير الانام الاحيد
فيا رحمة يا امام الورى ... لمن ظل حول حماك الفريد
فقد أخجلته عيوب . وقد ... علته ذنوب . بغير عديد
وسل عطفة من نبى الهدى ... يعود بها يومنا يوم عيد
ومن ربنا فلتسل سيدى ... لنا الخير فى ظل عيش رغيد
وحفظا لنا ولآبائنا ... من الازمات وكل عنيد
وعلماً ومعرفة وتقى ... ونيل طريق العلا والعبيد
واسنى شفاء لداء الفؤا ... د . وجسم على الداء غير جليد
وحسن ختام بعاقبة ... تعود بفوز وسعد جديد

وله أيضافيه رضى الله عنهما :

لحمى ذوى الفضل الكرام العنصر ... يأوى الذى يخشى خطوب الاعصر
ولبابهم يسعى الفقير فينثنى ... بعزيز مطلبه قرير المحجر
فحماهم السامى حماية خائف ... وحباهم الطّامى حياة المقتر
ان ازمة بك انشبت اظفارها ... فبهم على فتكاتها فاستنصر
واذا رُميتَ من الزمان بحادث ... فبهم دفاع الحادث المتنمر
فاقصدهم للنصر أو للأمن أو ... للبذل بل ليسار أمر معسر
فهم مفاتح كل خير فى الورى ... وهم الوسائل للمقام الاكبر
فبهم توسل للاله فانه ... يعطيك ما تبغى بغير تعسر
لاسيما ان جئته متوسلا ... ببنى النبى المصطفى المدثر
كوحيد هذا القطر قطب سمائه ... شيخى (على) الامام الازهر
شمس المعارف ذى العوارف من له ... جود كسح الغاديات الهمّر
بحر الندى. نجم الهدى. بدر الدجى ... كهف اللجا . حامى حمى المستنصر
قصد الوفود محط أحمال الرجا ... حرم له فضل الصفا والمشعر
من أمّه فى حاجة فقضاؤها ... بالله حالا مثل لمح المبصر
يا شيخنا انا حططنا رحلنا ... فى بابك الاعلى فجد بالاوفر
حاشا أُذاد وأنتم بحر الوفا ... ولكم رأينا واردا لم تنهر
فارغب الى المولى يفك وثاقنا ... ويزيل عسراها لنا بالايسر

ضاق الخناق وسيلنا بلــغ الزبى　　من سوء خطب قد غدا كالقسوْر

فلتشفعوا فينا فقد ضقنا بمــا　　لسنا نطيق من الزمان الاكـدر

ولتسألوا المولى . ينفس كربنا　　وينيلنـا فرجـا بهى المخبـر

بأبيك (أحمد) الرضا وأبيه عبـ　　ـد الله والحسن المثنى الاطهر (١)

والسبط والزهرا البتول وبعلها　　صدر الاعالى ذى المعالى حيدر

وبخاتم الرسل الكرام محمـد　　وبئـالـه وبصحبـه والمعشر

صلى عليهم ربنا مـا فرجت　　كرب الفقـير البائس المتحـير

وحوى كمال مراده لما انتهى　　لحمى ذوى الفضل الكرام العنصر

وله أيضا فيه رضى الله عنهما ـ وقد وقع له فى القافية ما لايقبل فى القوافى ـ :

أمولاى يا (على) ناداك ضارع　　ببابك قد ضاقت عليه المذاهب

يمت اليك بالجوار وغربـــة　　وأنت لذى الوصفين واف وواهب

وانت الذى نرجو النجاة بقصده　　وتغمرنا من راحتيه المواهب

حنانيك انى قد تكنفنى العدا　　فواش يرى هضمى وساع وناهب

وأنت الفتى الحامى الذمار. واننى　　اذا لم تغثنى يا (ابن أحمد) ذاهب

كأنى بكم غرتم لعبد دعاكم　　ودارت عليه بالهلاك غياهب

دخلت بكم حصن الامان. واننى　　بكم راغب خيرا وللصد راهب

لبابك أم الآملون وأملـوا　　وجدت بهم فى البيد جرد سلاهب

وعادوا بموصول الرجاء يحفهم　　قبول ويعلوهم سنى ومواهب

وعار اذا ما كنت ارجع خائبا　　فانك فى كشف الخطوب مجرب

فذو الوزر محتاج الى العطف منكم　　فكن مسعفا فالجود شرعا محبب

فيا أيها القطب الفريد معاليا　　ويا من له القصاد تسعى وتطلب

ويا من اذا أم الورى نحو بابه　　يرون مسرات بها الهم يذهب

له اليد فى كشف الشدائد والعنا　　مجيب لداعيه اذا هو يطلب

فكم رد ملهوفا معافى من الردى　　وصد عن المكروب ما الهم يجلب

هو الشمس الا أنه غير افل　　فاشراقه مسترسل ليس يغرب

هو البدر فى (سوس) السعيدة ساطع　　ولولاه فيها ما زهت وهى غيهب

ومن حوله قوم نجوم شوارق　　لهم فى سماء المجد والعز موكب

له مدد فاق البحار مداده　　فقل للذى يحصى الى اين تذهب

معارفه يهدى بها كل عارف　　وما عارف الا بهـا يتقرب

---

١) هذا القائل يظن أن الشيخ شريف . مع أنـه ليس كـذلك . راجـع (الجزء الاول) فى ترجمة جده سيدى عبد الله بن سعيد. تر الكلام حول نسبه

وأوصل مقطوع الوصول بهديه ومن يبد انكارا فلاشك يعطب
فكم التفوا فى ضبط أحواله التى
كما الشمس فى وقت الضحى كيف تحجب
ولم يبلغوا عشرا لها عند ضبطهم
وان هم أطالوا فى حلاها واطنبوا (١)
عليك سلام الله ثم رضاؤه وسائر من ينمى اليك وينسب
مدى الدهر ما حاد ترنم قائلا (ببابك منضاقت عليه المذاهب)

وله أيضا فيه رضى الله عنهما وفى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بات عندهم الشيخ رضى الله عنه ليلة (المولد) فخاطبه وجماعته بهذه الابيات رضى اللهعن الجميع :

أحبة خير الخلق أمته التى توالت لها البشرىوقرت بهاعينا
وتاهت به فخرا لدى كل مشهد وعزت به عزا تكامل فى المعنى
وأربت على كل الانام كرامة وحازت به كل المفاخر فىالحسنى
ونالت به أسنىالمراقىواصبحت تلالؤ من نور لمولده الاسنى
هنيئا لكمبـ(المولد)الاسعد الذى به انتشرتشمسالهداية فىالمغنى
هنيئا سعدتم بالبشير الذى له مراتب فى العلياء عالية المبنى
هنيئا لكم فى الكون أعظم رتبة وفىالعود لاتخشونضيما ولاهونا
فأهلا بـ (مولـود) ترفع قدره على جملة الاقدار طرا بلا استثنا
فأهلا بمن قد زين الله عرشه بنقشاسمهوالكونمننورهاستغنى
فأهلا بنور النور والقبطة التى تقسم منها النور منغير انتفنا
فأهلا ببدر تم فى طالع العلا جمالا بديعا لا تماثله الحسنى
فأهلا بينبوع الفضائل كلها ومتبوعكل الخلق فىالموقفالاعنى
فأهلا بمحبوب عزيز على الذى يراه فيابشرىالذى رمق الحسنى
فأهلا بمحبوب ومن شأنه غدا يقوم مقام الحمد من ربه يدنى
فأهلا وسهلا مرحبا بالذى له مناقب لاتحصى ولوأتعب اللسنا
لمولده لاحت بوارق أسعد علىصفحات اليمن تخترق الكونا
وأضحى جمال الله فى الكل بارزا علىحلل منكل حسن ترى لونا
وأشرقت الايام نورا وبهجة ونكست الاصنام وارتدت الحزنا
وأصبح للايام عيدا وموسما سعيدا وبالافراح مورده الاسنى

١) فى الشيخ نحو ست مؤلفات لأصحابه . بله من ترجموه فى كتب التراجم .

فطب وتنعم واستمع لمديحه فقد شرف المولى بامداحة الاذنا
وهم به وجدا وافن وابغ سبيله فقد عظم المولى لمنصبه الشانا
عليــه صلاة لا انتهاء لقدرها من الله تترى لا تبيد ولا تفنى
وءاله والاصحاب أهل التقى ومن لدين رسول الله قد شيدوا حصنا

وله فيه أيضا رضى الله عنهما ـ وقد وفد عليه ـ :

أقلبى لذ بالواحد الاحد الصمد فليس سواه فى المهمات يعتمد
وان ضقت ذرعا بالذنوب وحملها وأمسيت فى هم واصبحت فى نكد
فزر قطب أهل اللــه والسيد الذى
لــــه السؤدد المخصوص عنــد ذوى الرشــد
امام ذوى العليا (على بن أحمــد) له همة والمكرمات بلا عــدد
ولــى زكــى فاضل متفضــل فليس يضيع من لجانبه استند
حباه الاله الخلق مجدا ورتبة تقاعس عنها كل من قام أو قعد
أيا ابن الكرام زائرون ببابكم أناخوا ركابا كلهم يرتجى المدد
فانجز قراهم سيدى من نداكم فحاشا يخيب من الى جودكم وفــد
اجــازة وفد سُنّــة نبويــة بها أمر المختار حقا بلا فند
فكم من كسير قد جبرتم ومعدم كسوتم ثياب اليسر والعيشة الرغد
وكاسف بال قد رددتم بجبرة وذى علة أعيت فزالت الى الابد
فيا ابن المعالى عطفة وتكرما على عبدكم قد جا ليصلح ما فسد
أفيضوا عليه من عنايتك التى ترويه والاباء والاهل والولــد
بجاه الشفيع سيد الخلق أحمد عليه صلاة لا تحد ولا تعــد

وله فيه أيضا رضى الله عنه :

أشيخى يا (على) يا ملجأ الورى وياغوث أهل الجود والمجد والفخر
اتيت كسير القلب مما أصابنى من الذل والهوان والضيم والفقر
أغثنى أغثنى ان فقرى أضر بى فمن فيض جودكم ندى البر والبحر
وجد لى بما ارجوه منك تكرما وفضلا وابدل حالة العسر باليسر
وذلى عزا والهــوان كرامـــة وضيمى نصرا لا ُنضام مدى العمر
فلازلت أرجو من جنابك نصرة أنال بها امنا ويمنا بــلا مكــر
لأنك باب الله فى كل وجهــة وقاصدكم فى الامر من صولة الدهر
شفيعى اليك المصطفى نخبة الورى ملاذ جميع الرسل فى موقف الحشر

عليه صلاة الله ثم سلامه … بلا منتهى والآل ما غرد القمري
وما شاد منشد بباب حماكم … كسير الجناح يرقم المدح بالجبر
اشيخي يا (على) شمس عصرنا … وملجأ هذا القطر في العسر واليسر
تكانفنا أسد ضوار واننا … على تلف ان لم تغثنا على الفور
انلنا الرجا وامنن علينا بعطفة … مؤبدة دامت وعزت مدى العمر
عليك من الرحمان ازكى تحية … معطرة الأذيال طيبة النشر

القاضي

سيدي مسعود الشياظمى

١٢٩١ هـ = حـــــى

نسبه ومولده

مسعود بن العياشي بن الهاشمى بن محمد بن منصور .

مسقط رأسه قرية (الصاهلة) من قبيلة (الكرايمات) احد افخاذ قبيلة (الشياظمة) الكبرى . والاسرة لايعرف لها أصل خاص . ولا شيء تمتاز به . الا أن الاصل الاصيل من العرب الذين انتشروا في بوادي المغرب . منذ دخولهم من ءاخر القرن السادس . وكانوا أولا يتنقلون . ثم استقرت كل فرقة من الفرق الداخلة الى (تامسنا) و (دكالة) وما اليها في مكان خاص . فاشتهر كل مكان بالفرقة التي نزلت فيه . ومعلوم ان كل هؤلاء العرب الذين ملأوا ما وراء (سلا) الى (السويرة) كلهم من (بني هلال) وحلفائهم وهم المنتشرون في شمالى الاطلس . واما في (الصحراء) في الغالب انهم من اليمنيين وأحلافهم . ولكنهم اختلطوا في الشمال بعد حين لنزوح كثيرين من (الصحراء) الى (الحوز) وما اليه .

من فرقة من احدى الفرق النازلة في هذه الجهات من (بنى هلال) أصل المترجم كما رأيت . وكفاه شرفا أن يكون عربيا . وهل كان للمغرب مجد دينى اخلاقى حضرى الا بالعرب ودين العرب ولغة العرب ؟

وأم محمد بن منصور سباعية من أهل (عبد الله بن مبارك) وهم مشهورون بـ (اولاد ابى حسين) بين السباعيين . وكذلك ام المترجم نفسه سباعية . وهى ايزا بنت الطيب بن الحاج الحسن من (الرحاحلة) من (أولاد عمران)

وفي سنة مولده هدمت دار القائد عمر بن بلاّ (ازروال) قائد كان يسكن في (الحنشان) من أكابر القواد في عهد سيدى محمد بن عبد الرحمن . وحين مات هذا السلطان . وقامت ثورة العامة ذهب فيمن ذهب من

القواد على العادة المعهودة فى قواد الحكومة اذ ذاك . اذ ينسفون نسفا من قبائلهم كلما قامت هيعة اثر موت ملك من الملوك .

مبدا تعلمه

لم يدخل المترجم المكتب حتى ناهز عشر سنين . فالتحق بمكتب القرية ١٣٠١ هـ فيأخذ القرءان عند الاستاذ سيدى محمد ابن سيدى رحال السرغينى . وكان صالحا تلوح عليه مخايل الخير . فعليه وحده جمع القرءان حفظا على حرف ورش . ثم أخذ حرف المكى عن الاستاذ سيدى مبارك بن الحسين البعمرانى . كان مشارطا فى مسجد القرية . بعد موت الاستاذ قبله . وكلا الاستاذين مدفون فى مقبرة (الصاهلة) ولهذين الاستاذين ما يذكران به . أما الاستاذ محمد بن رحال السرغينى . فانه كان نزل فى (هوارة) بـ (سوس) . وكان يذكر بالصلاح والاستقامة كأبيه . وهما كركبتى الفارس فى الخير . بل توثر عن ولده الاستاذ محمد بعض كرامات. توفى ١٣١٨ هـ . وأما الاستاذ مبارك فهو شريف النسب من فرقة وزّانية نزلت بـ (الساحل) فى (سوس) . وهو عالى الكعب فى الاستقامة . توفى فى ذى القعدة ١٣٤٤ هـ وهما معا من القراء الكبار السوسيين .

مشيخته بالمعارف

ان الذين أخذ عنهم ورضع بهم من ثدى العلوم الفقيه المقرىء الصوفى سيدى محمد – فتحا – البرايبمى . والعلامة سيدى الحاج عبد الحميد الايلالنى . والفقيه الذاكر الخاشع سيدى عبد الله ابن القاضى التيملى . والمدرس المخرج سيدى العربى السباعى . فبين أيدى هؤلاء جلس حتى قام عالما ثم قاضيا . واليك تفاصيل عن متقلبه بين محافلهم العامرة .

في (تازنتوت)

قال : لما حفظت القرءان . وحصلت على حرف المكى . تطلعت الى ان أكون حمزاويا ثم فقيها . فغادرت أهلى من غير استئذانهم الى جهة (سوس) لما نسمعه من أن كل ما يريده الطالب من القراءات ومن العلوم موجود فى (سوس) مع ما يجده الطالب فى المدارس هناك من الاعانات . ولذلك تنتجع (سوس) من (الشياظمة) و (حاحة) وما اليهما . خرجت وأنا اذ ذاك فى طور المراهقة كما بلغت . وذلك فى سنة ١٣١٠ هـ فعزمت على ان لا أرجع الى أهلى حتى أرجع بكل طلباتى . ثم تبجبجت الطريق الى

(سوس) فدلني دال على الاستاذ سيدى محمد البرايبمى المشارط فى قرية (تازنتوت) من قبيلة (ايدا وتنان) . فاذا به لا يتقن حمزة . وانما يتقن حرف البصرى . وحرف المكى . فلما ألفت عنده . سلمت فى قراءة حمزة . فأعدت هناك ختمة من حرف المكى . ثم افتتح لى الاستاذ مبادىء العلوم العربية . فأخذت الاجرومية والزواوى والجمل وربعا من الالفية وابن عاشر والرسالة وربع العبادات من المختصر (١) . وبعد أربع سنين هناك جاء حافز ءاخر جديد . كاد يحول بينى وبين دراسة المعارف .

في الطريقة الالغية

قال : كان اذ ذاك للشيخ الالغى صيت طنان فى التربية . قد اتبعه كل من له تشوف الى أن يعرف ربه . ومن بين الغريقين فى طريقته استاذنا سيدى محمد البرايبمى . وكان الفقراء بطوائفهم وبأحوالهم الاخاذة بالقلوب تسيل بهم الطرق السوسية . وكثيرا ما ينتابون استاذنا هناك . فتصيبنا نفحة من نفحاتهم . حتى استولت عليّ أنا أحوالهم . فلم أشعر حتى صاحبت الفقراء الى الشيخ فى (الغ) على نية التجريد بين أصحابه . وقد عزمت على ان لا أرجع الى المدارس . وقد أنستنى أحوالهم لذة الدراسة فقدمت بين نجواى الى الشيخ سلهاما جديدا . فذكرت له ما أريد . فصار الشيخ يسائلنى عن أحوالى متقصيا لها . ثم بعد أن مادّنى الحبل فى المذاكرة . امرنى ان أرجع الى القراءة . وأن لا أبتغى بما أنا فيه بديلا .

اقول : ان قولة الامام ابن عرفة المشهورة : من رأيته يصحب الصوفية فاعلم أنه لا يأتى منه شيء . المقصود بها أن من ذاق ما عند الصوفية فانه ينسى به لذة العلم . فلا يقضى من العلم شيئا . وليس فيها ذم للتصوف . لان ابن عرفة نفسه من أكابر الصوفية . ومثل هذه المقالة ما يتداول عند العلماء العارفين بالله . من أن من يراد به الخير . فانه يشتغل فى مبادئه باخذ العلوم حتى يستتم دراسته . ثم بعد ذلك يتوجه الى ما عند القوم فيجمع ما بين الحسنيين . وقد وقع ذلك لمثل الغزالى والعارف ابى زيد الفاسى . وقد كان الشيخ الالغى لا يترك من فيه استعداد لاتمام دراسته يمكث وسط الفقراء المتجردين . وكم وكم تلميذ وجهه الى الدراسة بعد ما كان توجه الى ما عند الفقراء . كهذا المترجم . وسيدى الحاج مسعود الوفقاوى . وسيدى الحسين التيمولاءى . وسيدى محمد بن عبد الله الزيكى .

---

١) يوجد هذا الاستاذ بين (أهل سيدى عمر) البونعمانيين . فى (الجزء الثانى عشر) ان شاء الله .

ونظرائهم كما تقرأ ذلك في تراجمهم . كما انه يوصي اصحابه من العلماء المدرسين او المقرئين على لزوم التعليم . كابن العربي الهوارى وسيدى عبد الله البركراكي . وسيدى عبد الله الايديكلي . وسيدى عمر الايكضيبى . وسيدى محمد وسيدى أحمد المسعودين . وكثيرين امثالهم .

في مدرسة سيدي يعقوب بـ (إيـلالن)

أرسل الشيخ المترجم الى هذه المدرسة التى فيها هذا الاستاذ الجليل الذى يعد من أصحاب الشيخ الاحصاء . وان كان لا يرد الى (الغ) سيدى الحاج عبد الحميد . وقـد حكى عنه المترجم أنـه كلما سمـع أذكار الفقراء ومواعظهم تسيل دموعه . ويقول : أتمنى أن لا أزال أسمع أذكارهم . وكان من عادته اذا كان عنده الفقراء أن يجلس بعيدا عنهم . فيبكى طوال امتداد ذكرهم . وكان رقيق القلب (١) .

قال : وقد وصى عليَّ الشيخ الاستاذ وكل فقراء تلك الناحية . فأخذت عنه الالفية وبعض المختصر . والمنهج للزقاق . والمقامات الحريرية التى أحفظ منها كثيرا . وبعد سنة توفى الاستاذ سنة ١٣١٦ هـ .

في مدرسة (أضاض) التملية

لما توفى سيدى الحاج عبد الحميد أرسلني الشيخ الى الفقيه الصالح الذاكر سيدى عبد الله ابن القاضي التيملي . فأخذت عنه الالفية والفقه مـن المختصر والميراث . وقد تيسر لى اذ ذاك أن أخذت الاستعارات عن فقيه يسمى سيدى محمد من (فوكرض) وقد كانت حالتي فى هذه المدرسة مع الفقراء كما كنت في التى قبلها . فأسيح أحيانا . وأرد الى الشيخ فى (الغ) فى كل فرصة . وقد كان زار بلده فى طائفة من الفقراء اذ ذاك حين عزى فى والده الذى توفى .

في مدرسة (الساعدات)

قال : ثم أدتنى خاتمة المطاف الى الاستاذ سيدى العربى السباعى . وقد كنت سمعت ثناء عطرا عليه من فم الفقيه سيدى محمد بن عبد الله الكثيرى التيملي . فاقمت هناك سنين كثيرة حتى تحصل ما تحصل . فاذ ذاك انتهى زمن الاخذ . وقد لبث فى (الساعدات) من ١٣٢٠ هـ الى ١٣٢٨ هـ

---

١) توجد ترجمته فى (الجزء السابع عشر) مع أهله .

رأيت أن المترجم تأصلت فيه النزعة الصوفية جبلة . فلم يلبث اثر التقائه بالقوم أن فنى فى محبتهم . ورءاهم وحدهم أهلا للصحبة . وقد تلقح ذلك من أستاذه البرايئمى ومن كبار الفقراء الذين يردون عليه . كسيدى سعيد التنانى . وسيدى الحسين التامكونسى والفقير محمد أوجدى التنانى . وأمثالهم ممن يردون كثيرا من عند الشيخ الى تلك الناحية. فشرب بصحبتهم كأس الصوفية الى ثمالتها . قال : بينما أنا أعرف الفقراء هؤلاء وحدهم . اذا بالشيخ ورد علينا فى طائفة كبرى على حالة تطير بها الافئدة . فجددت عليه الورد . بعد ما كنت تلقنته من الفقراء الكبار . وفى موسم من مواسم (الغ) ذهبت مع طائفة كبرى من أهل (ايدوتنان) ومن اليهم . فحضرنا الموسم فرأيت كيف تفيض الاسرار . وتتألق الانوار فازددت عزيمة فى أن أتجرد وان ألقى عنى كل ما سوى التوجه الى الله . فلما تفرق الموسم بقيت بعد أصحابى . واذ ذاك ذاكرنى الشيخ كما تقدم . فأرسلنى فى طائفة من الفقراء فسحنا فى القبائل التى بين (الغ) و (ايلالن) وقد أوصى ان وصلنا (ايلالن) أن أبقى هناك عند سيدى الحاج عبد الحميد . فبقيت هناك . فصار كل فقير أو طائفة تمر من تلك الجهة يسألون عنى . وأنا فى أشواق ربانية وهمة عالية . وقد اثر فىّ حال الاستاذ الذى يغضى طرفه بين الفقراء اجلالا لهم وهيبة . وكان كثير الحياء طبيعة منه . وكنت أمضى فى زمن العواشر الى (الغ) فيكثر الشيخ السؤال عن الاستاذ مما أظهر لى أن له عنده مكانة مكينة وقد كنت فوضت للشيخ أمورى كلها . يقلبنى كيف يشاء كما هو شرط المريد مع شيخه .

وكن عنـده كالميت عند مغسل يقلبه ما شاء وهـو مطاوع

قـال : وكانت تعترينى أحوال من الجذب . وأمور روحانية . منها اننى كنت مرة مع الفقراء وقد خرجنا من الزاوية (الالغية) فبتنا فى قرية (تارسواط) ثم قصدنا قبيلة (أملن) والشيخ معنا . فلما أقبلنا على قرية (تافراوت) وقد خرج كل أهل القرية لملاقاة الشيـخ . والشوق فائض . والقلوب مرفرفة . وتأثير الحال غالب على الجميع . والذكر من الفقراء الذين يقولونه بصوت واحد عند توجههم للدخول الى قرية . قد ملأ الجو . اذا بى أسمع ــ والله شهيد ــ كل الاشجار والاحجار حولنا تعلن ذلك الذكر بدورها قال : كان الشيخ أذن لى أن أتذاكر مع الفقراء مـن الكتاب فى المجلس . فشاهدت فى الذى أقوله للفقراء فتحا واسرارا . كأن الشيخ يقول لهم ذلك على لسانى . وقد وقع لى مع الشيخ كشف عجيب مرارا .

ومن سياحاته معالفقراء سياحة كان فيها مع كل المتجردين. ورئيسهم

سيدى سعيد التنانى . خرجوا من (الـغ) الى (أزاغـار) الى (هوارة) فـ (أداوزيكى) فـ (ايمينتانوت) و (الشياظمة) فزرت من استاذى سيـدى محمد بن رحال المذكور وذلك فى سنة ١٣١٧ هـ .

وسبب رجوعه من مدرسة (أملن) الى الحوز وصول الخبر بأن والـده مشرف على الهلاك . قال : فاستأذنت الشيخ فى مراجعة أهـلى . فأذن لى . وحثنى على اتمام دراستى ولكنه نبهنى على أن أحفظ قلبى واخلاقى . حتى لا يتلوثا من المعتاد بين طلبة المدارس . ثم قال الشيخ : ان الانسان الذى يطلب العلم بين هذه المدارس الساقطة الاخلاق . السائد فيها الاعراض عن تقوى الله . يجب عليه أن يعد نفسه كمن دخل الى مستراح . فيقضى فيـه غرضه الذى لا يقضيه الا هناك . فاى علم استفاده الطالب من هذه المدارس اذا ما تخلق بما نراه من أخلاق الطلبة الغافلين السادرين فى غلوائهـم . ولكن لما كان العلم لابد منه . فلابد من هذه المدارس على علاتها .

قال : ثم اننى صرت أيضا مثوى للفقراء يمرون علىّ فـى مـدرسة (الساعدات) حتى ان الشيخ نفسه صار ان ساح الى (الحـوز) يمر بتلـك المدارس . مدرسة (سيدى أحمد أوعلى) ثم مدرسة (بوعنفير) ثم مدرسـة (الساعدات) فيؤثر حاله المستنهض فى الطلبة وفى كل الاساتذة غـايـة التأثير . وكان الشيخ ان لم يلم بالمدرسة أو قارب أحوازها . يرسل الىّ . ويعتنى بى رضى الله عنه . كما يعتنى باخصاء الفقراء . وقد أرسل الىّ مرة وهو فى قرية (أيت هادى) فى (شيشاوة) فبمجرد ما ألقى علىّ نظرتـه سمعته يقول: رحم الله سيدى عبد الله ابن القاضى . فمد مع ذلك كلمة (الله) كذلك تذكر الشيخ سيدى عبد الله ابن القاضى المتوفى وشيكـا برؤيتى . قال : وكان أستاذنا سيدى العربى يحترم الشيخ ويجله ويعتقده . ككل الاساتذة فىمدارس هذه الجهة . الا ما كان من الفقيه سيدى أحمد المسفيوى فانه يروغ عنالشيخ . وينكرعليه . فكان هؤلاء الفقهاء يناهضون المسفيوى فى ذلك . وقد اجتمعوا مرة فى مجلس . وذكر بينهم الشيخ فلاجالمسفيوى سيدى العربى على اجلاله للشيخ . فلم يزد سيدى العربى أن قال له : من أتانا وهو يعلن لا اله الا الله . ولا يشتغل الا به فلابد أن نهتبل به . ان كان من مطلق النـاس فكيف بهـذا الشيخ الجليل . فوافقه الحاضرون فسكت المسفيوى على مضض (١) . وممـا وقـع للمترجم فى (الساعدات) أنه كان

---

١) كان سيدى أحمد المسفيوى فى الركب الكبير الذى سافر مع سيدى الحنفى سنة ١٣١٢ هـ الى (تيمگيدشت) فحين نزلوا فى زاوية الشيخ فـى (الغ) قال المسفيوى للشيخ : لما لاتشتغل بتعليم الطلبة العلم . وتنبذ عنك هؤلاء أصحاب المرقعات والقمل والاوساخ . فما زاد الشيخ على أن تبسم فى وجهه . ولم يجبه كانه يعلم حاله . ــ قال تعلى : واعرض عن الجاهلين ــ

مهتما ان يرتحل لياخذ عن الفقيه سيدي عيسى العبدي . وكان فقيها مشهورا بعلم الفرائض فكتب الى شيخه سيدي العربي يستاذنه في ذلك في ضمن أبيات من جملتها :

أيا ابن علي يا سليل أولي النهى   فقل مرحبا فالسيل قد بلغ الزبى

فوقع له الاستاذ في الجواب : قد بلغنا كلامك نظما ونثرا . زادك الله بسطة في العلم والجسم . وأما ما ذكرت من قراءة الميراث . فسأتفرغ لقراءتها معك بعد العيد ان شاء الله .

قال : وقد وقع لي حين كنت انشيء هذه الابيات أن طالبا مراكشيا دخل عليَّ . فأخبرني بانه رءاني مناما . وأنا مكب على فخذ الاستاذ سيدي العربي وانا أبكي . فصار هو يربت على ظهري بيده . يهدئني ويسكن من جاشي . فكان تاويل ذلك ما مضى .

يستقر في اهله

بعد هذه الرحلة الطويلة الممتدة من ١٣١٠ هـ الى ١٣٢٧ هـ رجع الى دار أهله ممخوض الوطب . عامر القلب . حي النفس . وقد اخذ من العلمين العلم المدروس . وعلم القلوب الذي لا يكون الا موهبة . فكساه الله حلتي العلم والعمل . فاستطاع باخلاقه الهادئة . وبكرمه وبحسن مواتاته . ان تكون حوله هالة محبة واجلال بين ذويه . فينادي بالفقيه . وان كان هو في نفسه لم يعد أن يكون فقيرا فملأ الله به تلك القبيلة الشاغرة من العلم فضلا وشهرة .

في مدرسة القبيلة

شارط ما شاء الله في مدرسة (الكرايمات) وزاول قليلا من التعليم . الا أنه لم يعط الحظوة في ذلك الميدان . وقد كنت مررت به هناك حوالي ١٣٣٩ هـ فتعرفت به . فوافق خبره ما كنت أسمعه عنه من الخبر الحسن .

واستكبر الاخبار قبل لقائكم   فلما التقينا صدق الخَبَرَ الخُبْرُ

في خطة العدالة

كان تولى هذه الخطة من سنة ١٣٣٢ هـ فسار في ذلك كما يسير أمثاله . الا أنه حين يتحرى الحق . ولايتخطى الحدود . نبه ذكره بين العدول حتى رقاه الله عليهم . وهكذا يترقى كل من له همة في نفع العباد في مثل تلك الخطط .

في خطـة القضاء

فى سنة ١٣٣٦ هـ طرق خطة الفصل بين الناس فىالشرعيات . فى عهد قيادة حمو القـرد . والقضاء الرسمى اذ ذاك فى البوادى لا يزال فى حكم العدم . قدمته الادارة الى القضاء . فصار يقضى بين الناس . من غير أن يكون له طابع القضاء . وأحكامه يمضيها القائد والمراقبة . فطالت أيام هذه الخطة حتى اذا ءان أوان ما هو أعلى من ذلك جاءه فى ابانه :

وسحاب الخـير لها مطر فاذا جـا الابان تجى

وفى سنة ١٣٤٩ هـ تولى القضاء الرسمى على (الكرايمات) بالطابع يوم تنظم القضاء فى بعض البوادى . وقد ارخ ظهيره بذلك بالثانى من ربيع الثانى من تلك السنة .

نباهـة شـأنـه

نبه مقام المترجم يوم ساوت كتفه اكتاف القواد . فلم يجدوا منه بعد مدخلا للائتمار بأوامرهم . منذ كان فى حصانة من وظيفته . كما انهم فى حصانة وظائفهم . فأعلى الله شأنه عليهم . الا أن نبهاء الناس دائما خصوصا أهل العدل وأهل الخير . لابد أن يبتليهم الله بالحساد والماكرين . سنة الله فى خلقه . فقد نال المترجم حظه من ذلك بأحد من له اليه ماتة" بالمصاهرة فقد صار يفتل له بين الذروة والغارب عند القائد سعيد خبان . حتى أفسد ما بينهما . فاذا بقبيلة (الكرايمات) تصيخ للقاضى اكثر مما تصيخ للقائد حتى كتبت القبيلة الشكوى بالقائد . وجرى كذلك القائد جرى القـواد المعتاد فى مثل هذه القضايا . فلم يترك نقيصة الا نسبها للقاضى . ولكن لن تؤذى بعوضة قرن الثور . فقاومه القاضى بالاعراض . فيؤدى مهمته مع المراقبة التى تعرف كل شىء والقبيلة تظاهر القاضى . فمشت الايام عـلى ذلك ما شاء الله . الى أن مات القائد سعيد . وكنت اذ ذاك فى (مـراكش) فواعدت القاضى فى دار صهره الشيخ ابرهيم . فذهبنـا تـوا الى دار ءال القائد المتوفى . فلم يشعروا بنا حتى ولجنا عليهم . فلاقانا الخليفة السيد عبد الله سيد ءال خبان . ومحمد ابن القائد ــ الذى صار قائدا بعد ذلـك ــ فصفيت الامر بينهم وبين القاضى . وقد سهل ذلك بسبب طهارة سريرة الخليفة المذكور . وبذلك انقطعت تلك العداوة . واجتثت من أصلها . فأمر ذلك الحاسد الذى كان يفسد ذات بينهما أن يمسك لسانه عـن القاضى . فطويت تلك الصحيفة . بحمد الله . ثم لم ينشب ذلك الخليفة أن توفى مبكيا عليه . نحو ١٣٧٠ هـ .

نتف أخرى عن القاضي

رأيت مكانة القاضي في الطريقة (الالغية) فكان ذلك هو السبب حتى أصهر الى أخينا الفقيه الصوفي سيدي عبد الرحمن باحدى كرائمه . وذلك في نحو ١٣٥٤ هـ وهي التي انجبت هذا التلميذ النجيب المهدي بن عبد الرحمن الذي نرجو له أن يحفظ خلقه . وان يستتم معارفه . ليكون مفخرة الاسرة في جيله (١) .

وكان سيدي مسعود انقطع عن مواسم (الـغ) منذ التحق بمدرسة (الساعدات) ثم لم يعد الى الحضور فيها الا بعد ١٣٦٥ هـ حتى منعه الكبر يوم أن خلع العمائم الثلاث (٢) ربسبب انقطاعه عن (الغ) والشيخ لايزال حيا كتب اليه العلامة سيدي محمد بن مسعود عن أمر سيدي سعيد التناني ما يلي :

(أخونا في الله تعلى ، الفقير الصادق . المحب الوامق . أبو السعادات سيدي مسعود بن العياشي الشياظمي . كان الله لنا ولكم . وسلام عليكم ورحمته تعلى وبركاته . من أخيكم في الله الفقير الى الله سعيد بن محمد التناني . أخذ الله بيده . ولا زائد بحمد الله الا خير . وموجبه ارادة تجديد العهد بكم . واخباركم بما نحن عليه ، كي يتجدد بذلك معناكم وانسكم . من نظرات القلب الى مشرب الصفاء . ومحل الوفاء . حضرة أهل الله الذين اذا رؤوا ذكر الله . فسيدنا الشيخ رضى الله عنه بخير . كما تحبون . وقد ساح الى (مراكش) المحروسة و (السويرة) وأحوازهما في هذا العام من مبدئه . ورجع بسلامة وعافية بحمد الله . وقد طالت غيبتكم عن الشيخ وعن سادتنا الفقراء . وما نحب لكم الانقطاع عن تلك المشاهد التي هي أبواب لعزة الرحمن :

منازل كنت تهواهـا وتألفهـا أيام كنت على الايام منصورا

وقد ذكرناكم أنا وبعض الاخوان – يعني الكاتب ابن مسعود نفسه – وذكرناما سمعناه عنكم بأنكم اشتغلتم بالبناء تتأهبون للتزوج . فندبت الاخ المذكور لتنبيهكم بما حضره من الابيات . عسى القلب ينجذب بما الله من ذلك النمط الى سالف الخيرات . فكتب في ذلك :

مسعود لازلت في الخيرات مرتضعا ثدى المعارف عياش بن عياش
تقتات من نورها قوت القلوب وتنـ ـتشي برفع الحجاب نشوة الناشي

---

١) وقد كان كذلك . فخلف والده في مكانته . كأننا لم نرزأ بوالده في زلزال (أكادير) رحمه الله .

٢) يعنون بها لون سواد الشعر . ثم لون الاشمط . ثم اللون الابيض بالشيب

مسعود لاتنس أسباب السعادة اذ   وافتك ينزاح منها الكدر الغاشى
مالك فى فترة انستك اندية   للوصل غاب بها الرقيب والواشى
تستبدلون بروض جنة زهرت   أنوارها غمما ينتابها العاشى

وكتب فى ذلك المعنى أيضا :

مسعود لا تله عن سر العزيز اذا   ما ذقته نلت عزا خالد الابد
وصرت لا أنت بل ماثم غيرك يا   ياما أحيلى مدام حضرة الاحد
مسعود يدعوك منك الحق هب ولا   تضع جواهر عمر منك فى كبد
فاخلع نعالا من الاغيار وانج الى   حضرة قدسوصاحب فتية الرشيد
مسعود أسعدك المولى أتامل فى   نهج المحبة فى أمن بلا نكد
مسعود ويحك لاتترك لزُخرُف ما   يفنى وفى طيه الاكدار بالرصد
واختر فديتك مايبقى وماهو الا الل   ـه فاغنم سعود الوقت عن بلد
مسعود لو قطرة ذيقت نسيت بها   خمر الجنان وكل العيش ذا رغد
فاعمد بعزمك للشرب الهنىء ولا   تجنح الى فتنة الاموال والولد
وانهض بعلياء همة اليه ولا   تخلد لارض‌الهوى وارحل الى‌الصمد
لايستوى القاعدون والمجاهد فى   سبل السعادة لا تغتر بالفند
انى‌نصحتك هبنى ما انتصحت فان   لم تصغ تندم عليها اخر الامد
فى (الغ) ويحك نور الحق فاغن به   دهرا ومت موتة تحيا الى الابد
مغتسل بارد ينقيك من درن   ومشرب طاهر يرويك فى الخلد
أكرم به من رحيق صرف سكَر   يرقى أريكة ملك جنة الخلد
فالله يقسم لى من فضله ولكم   من ذاك أوفر حظ فائت العدد

والاخ المذكور يسلم عليكم كبقية السادة الفقراء . وعلى من هناك من الاخوان . أصلح الله للجميع كل شأن . امين . والسلام يعود عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته . وكتب فى أواخر ربيع الثانى ١٣٢٧ هـ) .

مختتم

ذلك هو القاضى سيدى مسعود . الذى يتجاذب بين الفقهاء والفقراء . فكانت للفقراء بدايته ونهايته . وكان للفقهاء أواسط حياته . فقد امتزج من أحوال الفريقين . وقد تأثر من ففقهاء (الساعدات) كل التأثر . فحبب اليه أن تكون له مثل هالتهم من العلم والشهرة . فأعطاه الله من ذلك ما

أعطاه فها هو ذا الآن يغبطه جيله . والجيل الذى بعده . وله أولاد أدركوه فنفعوه . ومن بينهم سيدى عبد الرحمن الذى يتتبع الآن دراسته فى جامع (ابن يوسف) . وقد ظهرت منه نجابة . ولعله يكون خليفته فى المعارف . فان الذى سيعرف من أبيه انما هى معارفه التى ينفع بها العباد . وأما ما ياكل وما يلبس وما يملك وما يزاول من حرث . وما يدخر من المطامير فان ذاك كله سيكون هباء . وقد لازم داره يوم اقيل من منصبه فى القضاء فى عهد الاستقلال . وهو حى الآن مختتم ١٣٨١ هـ

سيدى الهاشم الشياظمى

نحـــو ١٢٧٠ هـ = بعـد ١٣٠٨ هـ

فقيه يذكره الفقراء القدماء . وقد ورد على الشيخ . وانقطع اليه أول سنة ١٣٠٧ هـ فى اليوم الذى ورد فيه سيدى سعيـد التنانى . وسيـدى الناجم الوانكيضاى . قال الزكرى : بينما نحن سائحون فى (أيت صواب) اذ ورد علينا بعض الفقراء من الزاوية (الالغية) فاخبرنا بأن ثلاثة من العلماء وردوا على الشيخ بنية التجريد . وكنا اذ ذاك نكاد نطير فرحا كلما سمعنا بورود واحد على قصد التجريد . لهمتنا المحصورة فـى السير والسلوك الى الله . وبالاستكثار من الاخوان . وحين سمعنا بهؤلاء الثلاثة ازداد فرحنا أضعافا مضاعفة حين كانوا كلهم علماء . قال : ثم لم يبطىء سيدى الهاشم فتوجه الى بلده . وكان غير قادر على أحوال الفقراء المتجردين من كل وجه. لضعف نيته . ولعدم استيناسه بالشلحيين أهل هذه البلاد . وهو اعرابى ولعدم قدرته على شظف العيش الذى يتسابق اليه الفقراء المتجردون عـن رضا وطيب نفس . وكان لا تفارقه قفة يضع فيها متاعه . قال : ثم انه بعد ان ذهب لم نر عنه خبرا . ولا عرفنا بعد أمن الاحياء هو أم من الامـوات .

(أقول) لم أقف له أنا أيضا على جلية خبر . ولا عرفت عن مداركه ولا عن أسرته ولا عن تقلباته شيئا . وكذا لم أعرف كيف اتصل بالشيـخ ولا الحامل له على أن يسافر من بلده الى تلك الجبال .

سيـــدي

عبد القادر بن العربي السباعى

١٣٠٦ هـ = ٢٥ ـ ١١ ـ ١٣٦٨ هـ

نسبـــه :

عبد القادر بن العربى بن على بن محمد بن عبد الله بن سعيد .

وينتهى النسب الى عمران . ثم يرتفع الى عامر الملقب ابى السباع. دفين جبل (أضاض ميدنى) بـ (سوس) وهو من أهل القرن الثامن ـ على ما يظهر ـ والسباعيون أولاده منتشرون كثيرون . حتى تكونت منهم ومن الزج فيهم ممن ليس منهم قبيلة كبيرة فى (الصحراء) ثم قدم الى حوز (مراكش) فريق كبير منها . ويتفرق الذين يصح نسبهم منهم الى أبـى السبـاع الى (أولاد عمرو) و (أولاد عمران) وهـم معروفون بالتواتر عنـد نسابائهم . ولهذه القبيلة تاريخ مجيد فى الكرم والشجاعة . لايقبلـون الضيـم . ولا يرضخون لمن يسومهم الخسف وهذا حالهم لا فى (الصحراء) ولا فى (الحوز) وقد لاقوا مرارا صدمات من أجل ذلك . لكونهم يقاومون دائما القبائل التى تجاورهم كـ (الشياظمة) و (متوكة) وقبائل الجيش . وقـد أجلاهم الملك سيدى محمد بن عبد الله فى أواخر القرن الثـانى عشر . فتشتتوا فـى (سوس) وفى غيرها ثم تراجعوا ونموا . ورجعوا الى عزهم . ثم لاقوا أيضا فى عهد سيدى محمد بن عبد الرحمن . وولده مولاى الحسن . اعتقالات فى اكابرهم . ولا يزالون على أنفتهم هذه الى أن جاء الاحتلال . فحاول أن ينزع من أيديهم الارض التى يقطنونها بحجة أنها مخزنية . ولكنهم دافعوا متفقين ولا يزالون يدافعون عنها حتى بعد الاستقلال . ولهذه القبيلة تاريخ مجيد يستحق أن يجمع فى كتاب لوقائع وحوادث ولرجال نابغين . وعلماء كبار. وقد ألمّ ببعض ذلك صاحبنا الفقيه سيدى محمد الصغير فى كتابه الـذى كتبه عن والده سيدى عبد العاطى الشهير . ولئن اشتهر بنو (أبى السباع) بالقواد الكبار فى عصورهم الاخيرة . فقد اشتهروا فى هذا العصر وقبلـه بعلماء فطاحل . وصالحين لهم ظلال وريفة . وكفاهم شرفا سيـدى المختار

يا قوتتهم . وحفيده سيدى الجيلالى الحافظ الكبير . ثم تتابعت حلقات علمائهم فى القرن الثالث عشر وفى صدر هذا القرن فى (الحوز) وفى (سوس) فممن كانوا فى (سوس) العلامة سيدى محمد الضوء السباعى . وهاك ما كتب الينا حوله :

(العلامة سيدى محمد الضوء البكارى المغراوى الفارس المغوار . وقد بلغ من ثبات جأشه أنه ينام على ظهر فرسه فى أثناء المعارك التى كانت تقع بين (أولاد أبى السباع) أو بينهم وبين جيرانهم . وقد حدث عنه حفيده مبارك بن عبد القادر بن محمد الضوء بأن جده هذا هو ابن عبد الوهاب بن أحمد الامغارى . أخذ عن الاستاذ التونسى الدكالى فى زاويته قرب (الجبل الاخضر) ثم أخذ عنه بعد ذلك الغالى ابن التونسى ـ ابن شيخه ـ ثم سكن بين أهله (أولاد البكار) وداره مشهورة قرب دار القائد (أحمد بن الشيگر) وكان يدرس فى مدرسة (ابن الشيگر) عهد قيادة هذا فى زمن مولاى عبد الرحمن . وبعد ١٢٧٦ هـ ارتحل الى (سوس) فقطن (واعرون) ثم (أكلميم) ثم (اصبويا) وهنا دار له مشهورة . وكان يدرس فى مدرسة هناك سنين مديدة . ثم سكن قرب (وادى أساكا) وديدنه التدريس دائما وله اتصال بآل (تيمگيدشت) فهذه رسالة من الشيخ سيدى الحسن اليه :

(محبنا فى الله تعلى الفقيه الشريف سيدى محمد الضوء السباعى . حفظك الله وتولاك . ومن سوء المكاره وقاك . (هذا) وقد بلغنا كتابك . وسرنا خطابك ، وصار بالبال ما ذكرت فى شأن الرجل . فاعلم أننا ان شاء الله من أهل الصدق والتصديق . وممن يحبون سماع الخير . وأحاديث أهله . فزدنا مما عندك ، زادك الله رغبة فى الخير وأهله . وبهذا يجب الاعلام وعلى المحبة والسلام) ثم طابع فيه (الحسن بن أحمد التيمگيلجتى أصلحه الله) (١) وله تلامذة بـ (سوس) لا يحصون . وقد مكث هناك ٤٥ سنة . ثم رجع الى دار أهله الاصلية فى (اولاد البكار) فمكث فيها الى أن توفى سنة ١٣٢٧ هـ وضريحه مشهور يزار . وهو مظنة استجابة الدعاء . وجد بخطه ما نصه : (بشرنى أخى فى الله شيخنا وقدوتنا امام الافاضل الشريف مولاى أحمد ابن محمد بن محمد الدرعى قال : قلت لرسول الله انى أريد أن ألقن حبيبى فى الله سيدى محمدا الضوء اسمه تعلى (الجبار) فقال عليه الصلاة والسلام اخر ذلك حتى نجتمع مرة أخرى . فقلت أو نجتمع أيضا يا رسول الله . فقال نعم سنجتمع فى وقت يرضى ربكما . ولكن مره أن يصلى علىَّ بصلاة

---

١) هكذا تيمگيلجت باللام . وهكذا ينطق بها غالبا . وقد ينطق بالدال كما نكتبه نحن دائما .

النجاة (١) اربعين مرة فى كل يوم . وبشره أنه لايموت حتى يكون من اهل الديوان . وبانه وأنه . . . الخ انتهى

وقد كانت له مصاهرة مع امقائد أحمد بن الشيكر . ويفد معه على مولاى عبد الرحمن . فعرا بنت الملك هذا مس من الجن . اعيا الاساة والراقين . فرقاها فشفاها الله . فاقترح عليه الملك أن يطلب ما شاء . فقال لا أطلب الا رضا الله وحده فأعطى له جارية رزق منها أولادا) .

(أقول) : ومن تلاميذ سيدى محمد الضوء : العلامة محمد بن مسعود المعدرى المترجم فى (الجزء الثالث عشر) وقد ذكرنا هناك اجازته له . ثم لم نظفر بترجمته الا اليوم وهاك رجالات نسبه نظما لتلميذه سيدى محمد ابن صنبا بن على بن أحمد السباعى . ومطلعه :

قال عبيد ربه الغفور	محمد لقب بالمذكور
مبتدئا باسم الاله القادر	مصليا على الرسول الطاهر
وءاله وصحبه الاخيار	ومن تلاهم من الابرار
وبعد خذ معرفة الاجداد	من عندنا الى الرسول الهادى
بالنقل عن اسلافنا الكرام	ذوى النهى والفضل والاكرام
أعنى الذين نسبوا (مغراوة)	من نسل أمغار حذا (شيشاوة)
مع اخوانهم (بنى السباع)	ذوى النهى وأهل الانتفاع

الى اخرها

وهى مشهورة عند السباعيين . فيها زهاء ستين بيتا .

وأما الذين فى (الحوز) فقد بنوا مدارس كثيرة فى قبيلتهم . حتى لاتسمع الا المدارس السباعية المتكاثرة التىتحمل مشاعل العلوم فى (الحوز) فتمدكل مافى جوارها من القبائل. فكانت مدرسة (الساعدات) ومدرسة(بوعانفير) ومدرسة (بنى عبد المولى) ومدرسة (سيدى الضوء المومنى) من بعض هذه المدارس التى بثت من العلم والارشاد ما بثت مما لايزال الى الآن ذكره غضا طريا على كل لسان . وقد تعدد العلماء من أهل (الساعدات) وهاك قائمة علمائهم :

١ ــ محمد بن على
٢ ــ العربى بن على
٣ ــ عبد القادر بن العربى
٤ ــ الضوء بن العربى
٥ ــ الفاضل بن العربى
٦ ــ سيدى العربى بن عبد القادر
٧ ــ سيدى المختار بن عبد القادر

١) اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تنجينا به من جميع الاهوال الخ .

فهؤلاء هم الذين ارتفعت بهم راية التدريس فى (الساعدات) زهاء مائة وعشرين سنة .

الاول محمد بن علي

قال فيه على بن محمد الهوارى فى كتابه (النور الحنفى) :

(ومنهم الفقيه العالم العلامة الشريف العفيف سيدى محمد بن على السباعى الساعدى . كان رجلا فاضلا عارفا بالله . أدرك فى العلم درجة عظيمة . ونال حظوة كبيرة . من غير كد ولا تعب ولا عناء . ولامقاساة شدائد وانما هجم عليه الفتح هجوما . ببركة شيخه . وقد صح انه كان ينام عند الدرس . وربما أيقظه بعض الطلبة . فيقول لهم الشيخ دعوا الشريف . ولا تزعزعوه ولا تروعوه . فان الله معطيه ما هو له سابق من الخير والعلم والسر . ثم أرسله الشيخ الى زاويته فى (الساعدات) فأقام فيها بعد أن بنى بها مدرسة مباركة .وعمرها بالتدريس . واقبلت عليه الطلبة . وخرج على يده خلق كثير ، وله كلام ورسائل نظما ونثرا . عويصة الحل . وربما أعجزت فحول أهل زمانه . ولازال على ذلك الحال من التدريس والتعليم الى أن توفاه الله)

هذا ما قاله الهوارى . وقد توفى سنة ١٣٠٦ هـ . وهذه الرسائل التى ذكرها له الهوارى لم نتصل الا ببعضها ، منها رسالة كتبها على لسان القائد عبد الله بن بلعيد الى عالمين فى (الصحراء) . وقد أسس مدرسته ١٢٦٠ هـ وكان من عادته انه يخرج فى شهر مارس من كل سنة فيدور على جميع السباعيين (أولاد عمران) و (اولاد عمرو) فتجمع له القبيلة أعشارها وزكاتها . وذلك باذن من الحكومة . وهناك ظهائر الملوك فى الاذن له بذلك . فبهذه الاعانات يقوم بالمدرسة مئونة وبناء مساكن . وقد كان فى عهد القائد ابن الشيكر المشهور الذكر فى السباعيين الى الآن ونسبه من (أولاد عمرو) وكان يسوى بين الناس فى مصالح القبيلة فكان ياخذ من الفقيه سيدى محمد بن على ما ينويه من الغرامات بين الناس . فكان يؤدى عنه القائد عمر المزوضى نصيبه من الغرامات . الى أن اجتمع ابن الشيكر يوما والفقيه . فجرى ذكر عرف العود . فنطق به الفقيه بفتح العين فرد عليه القائد وكسرها . فروجعت المسألة . فاذا بالفقيه هو الذى صادف الصواب . فاذ ذاك أدناه اليه القائد . وعرف قدره . وازاله من صفوف الغارمين ، وقد كان المترجم معروفا بالتحصيل والعلوم . خصوصا علوم العربية . وقد كان محبوبا فى قبيلته . لانهم ينظرون اليه بنظرة العشيرة . ان كانوا ينظرون الى أمثال سيدى أحمد بن مبارك الرسموكى

بنظرة المعاشرة فقط . وقد كانت له مكانة مع القائد عبد الله بن بلعيد حتى كان لايفارق حضرته . بل كان يكتب عنه الرسائل التى لايامن عليها غيره . ويذكر أهله أن ملك ذلك العهد أرسل الى ابن بلعيد ليامر المترجم بالالتحاق بحاشية الملك . ليطوق وظيفة . فامتنع الفقيه ترفعا عن الوظائف المخزنية فى حكاية يحكونها ، وقد أدرك ثلاثة ملوك : مولاى عبد الرحمن . وولده محمدا. وحفيده مولاى الحسن. وقد عاصر الشيخ سيدى الحسن التيمكيدشتى وقد لاقاه فى احدى وفاداته الى (مراكش)

ظهيران يتعلقان بالمترجم

أولهما للملك سيدى محمد بن عبد الرحمن سنة ١٢٨١ هـ ونصه :

(يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره . وجعل فى الصالحات طيه ونشره . أنا سدلنا على حامله الفقيه الناسك الخير . السيد محمد بن على السباعى الساعدى أردية التوقير والاحترام . وحملناه على كاهل المبرة والانعام . وحاشيناه من المطالب الامامية . والكلف المخزنية . والوظائف السلطانية ، وكذلك أخواه اللذان معه على حالة واحدة . وهما السيد العربى والسيد عمر . واذنا له فى صرف زكاته وزكاتهما وأعشارهم على الزاوية التى أعدها لترتيب الطلبة . وعمرها بالقراءة . اعانة له على هذا الفعل المشكور . ولما بلغنا من خبر ديانته . واشتغاله بما يعنيه . فنامر الواقف عليه من خدامنا ، وولاة أمرنا . أن يعمل بمقتضاه . ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه . صدر به أمرنا الشريف المعتز بالله فى جمادى الثانية عام ١٢٨١ هـ)

الثانى للملك مولاى الحسن سنة ١٢٩٣ هـ . ونصه :

(كتابنا هذا الظاهر الآيات . المشرق الايات . يستقر بيد ماسكه المستمسك بالله ثم به الفقيه البركة سيدى محمد بن على السباعى الساعداتى ويتعرف منه أننا أسدلنا عليه ذيل الاحترام .وفق ما فى ظهير مولانا الوالد المقدس بالله . واقررناه هو وأخويه السيد العربى . والسيد عمر . على ما تضمن من التوقير والاحترام . والحمل على كاهل المبرة والاكرام . وحاشيناه عما يطالب به العوام من الوظائف المخزنية . والتكاليف الامامية والاذن لهم فى دفع زكاتهم وأعشارهم لزاوية السيد محمد المذكور. التى أعدها للطلبة . وعمرها بالقراءة . اعانة له على هذا الفعل المشكور . الذى لا يصدر الا من أهل الدين المتين . وسبيل المهتدين . فعلى الواقف عليه من عمالنا . وولاة أمرنا ، أن يعمل فيه . ولا يناقضه ولا ينافيه . صدر به أمرنا المعتز بالله تعلى فى مختتم ربيع النبوى الانور عام ١٢٩٣)

اثـر بقلـم المترجـم

هذه هي الرسالة التي أجاب بها القائد بلعيد بقلم المترجم علماء السباعيين من (الصحراء) كتبوا الى القائد يعاتبونه على ما وقع منه للقبيلة من الحيف . وذلك في سنة ١٢٩٢ هـ . ونصها :

(من عبد الله بن بلعيد السباعي . الوالي في الحال . كان الله له يوم الفزع وهداه الى أكرم المساعي. الى النقاريس العظام . المراغيس الكرام(١) جهابذة الفنون . العالمين بالنصوص والفصوص والمتون . السيد مبارك بن الحرشي العزيزي وسيدي عبد العزيز بن عبد القدوس . وكافة الاخوان من الفقهاء والاعيان بـ (الصحراء) الشاسعة . والبيداء الواسعة . غفر الله ذنوبكم . وستر عيوبكم . ومحا حوبكم (٢) وأرشدنا واياكم . وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . سلام السنة والمحبة . طيب النفحة والهبة . عن خير مولانا المنصور الاسد الهصور . دامت سعادته . وتوالت مجادته ، وطالت سيادته (وبعد) فقد وصلنا كتابكم العزيز . واتصل بنا خطابكم الوجيز . كأنما خط بخالص النضار وصافي الابريز . فملاتم بالحكمة الاذان . وصقلتم بحسن الطلاوة ولذيذ الحلاوة القلب والاذهان. وأيقظتمونا لما عسى أن نكون أغفلناه من الحقوق . وأرشدتمونا لحسن السيرة وسواء الطريق . وعلمنا ما أوردتم على ذلك من الآى وكلام الحكماء من العرب. وعلمنا أنكم انما قبلتم عذرنا على لسان سيدي مولاي محمد ابن المحرم الذي اعتذر لكم عنا عما جرى لاخواننا (أولاد أبي السباع) اعلموا رحمكم الله . وبارك فيكم . أنكم عقلاء ، وأعيان الكبراء . لا يكاد يخفاكم حال اخوانكم واخواننا منذ كانوا . ولو استقاموا مع ما قبلنا سواء أحسن السيرة فيهم أم أساء . لقيل ان الاعوجاج واتباع الهوى واقع منا . فيتجه العتاب نحونا . ولكنهم ما استقاموا قبل مع وال . ولا أقاموا معه على حال . كما تعلمون ذلك . وما ذاك الا لكثرة أوباشهم . وكثرة أخلاطهم، فيلجؤون الى سوء السيرة . ولو اجتهدت كل الاجتهاد . فالله يهدي . وقد ابتلينا بهم ، فكلما أحسنت الى الواحد منهم أساء اليك . ووقتما ادنيته منك تباعد عنك. مع ما يرتكبه صعاليكهم كثيرا من الخسائس المؤدية الى تخليص الحقوق منهم . واقامة القصاص عليهم . مثل السرقة والتلصص والحرابة . وشق العصى . والخروج عن الطاعة . مما لا يمكن الاعراض عنه بحال . والا أدى الى ما هو أعظم في الحال والاستقبال الى غير ذلك . مما علمتموه منهم بالتواتر القاطع . ولا يكاد يتفوه منهم هنالك بما لا يناسب الا من كان أوعد من جملة هذا

---

١) النقريس كزبرج : الدليل الحاذق الخريت . والمرغوس : المبارك والكثير الخير . ٢) الحوب بالضم : الذنب .

الجيل . وأما نحن فوالله لا نكره من يسير معنا سير الاخوة . فالخوك هو الذي يواتيك . وبالنفع والسلامة ياتيك . والا فانه أعدى الاعادى . ومع هذا فاننا صابرون على ايذائهم . ونغتفر زلاتهم . ونقبل عثراتهم . ونقبل من المحسن والمسيء ونتجاوز عن سيئاتهم . فما قابلنا سيئة بسيئة قط . بدليل أنهم قاموا علينا بغيبة السلطان نصره الله . وحشدوا جموع البربر وقبائلهم . وأتوا بها لدارنا . الى الشرذمة التى بها من اخواننا ، وقاتلوا فيها حتى فعل الله ما فعل . ولله الحمد . وما أسمعنا منهم واحدا كلمة سوء . فضلا عن فعلته الآن . والله ما سجنا غير رجلين لم يوسع الشرع تسريحهما . وما زلنا الى اليوم نستخلص من السلطان المساجين المقبوضين على يديه . على حسب الامكان . وما كنا رضينا مذلة من دونهم من الاتراب والاقران . فأبوا الا اتجاه ذلهم وصغارهم وقلهم . ومتى نهيتهم أنفوا منا . وتباعدوا وانحرفوا عنا . وعاقدوا خلاف شنشنة الاحرار . والحرُ يرى المنية دون الدنية . ويموت كريما . ولا يعيش لئيما . وعلى كل فقد قبلنا خطابكم الممزوج بحلو الخطاب . كأنه فتات المسك والرضاب . وقبلته . وعلى السحر والنحر وضعته . فالاخوان ، انما هم اعوان . والصبر على أودهم . خير من عوزهم . وانفك منك وان كان اجذم (١) ويدك منك وان كانت جذماء فلا بد لنا من احتمال أذاهم . والصبر على اعوجاجهم . والثواب بقدر التعب (ولو شاء ربك ما فعلوه) (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) وقال عليه السلام فى الواقعة المعلومة : اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون .

قال دريد :

وهل أنا الا من غزية ان غوت	غويت وان ترشد غزية ارشد

وقال آخر :

ولا أحمل الحقد القديم عليهم	وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

وكنت أريد منهم كما قيل :

ان أخاك الحق من كان معك	ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك	شتت فيه شمله ليجمعك

وطالما وطأت لهم الكنف . وخفضت لهم جناح الذل . ليرجعوا عن الاصرار . وينزعوا عن طريق السوء والقفار . وما يزدادون الا ابابة والعياذ بالله . فالحر ان أحسنت اليه ملكته (وقيل ما هم) فقد قيل : (ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا) وما يسرهم الا شماتة الاعادى والحساد . التى هى انكاء للمرائر من العباد .

١) أصل المثل المعروف : انفك منك وان كان اذنٌ . اى يسيل مخاطا .

كل المصائب قد تمر على الفتى فتهون غير شماتة الحساد

واني واياهم كما قيل :

واخوان تخذتهم دروعا فكانوها ولكن للاعادى
وخلتهم سهاما صائبات فكانوها فى فؤادى

الا فاشهدكم كبيرا وصغيرا . واشهد الله وملائكته انى سامحت جميع اخوانى كبيرهم وصغيرهم . بحسنهم وسيئهم . واقبل عذر من اعتذر الى منهم والله . واستحلهم مما عسى أن يكون فرط منى مما تؤثره البشرية . والغريزية الداعية . وان مد الله فى عمر أحد منكم . ولفظته الاقدار . الى هذه الاقطار . فسيرى منا ومنهم خلاف ما كان يسمع عنا . وليس راء كمن سمع . وأنتم بارك الله لنا فيكم . وقوى ظهورنا بكم . علمنا أن ما حملكم على الكتاب المشحون بالنصيحة . الفصيحة الصحيحة . والوصية المليحة . الا الشفقة علينا وعلى قبيلتنا . والمحبة فينا وفيهم . والله يجازى على حسن النيات . وصدق الطويات . وما نكره أن نقيم الحجة بين أيديكم . على ما ليس فينا ممن يرد عليكم من هذه الاقطار والنواحى . ولربما كان ورد علينا بعض الفضلاء منكم . فسقط فى يده ما كان ينقل اليه . ونعوذ بالله . وشتم أولياء النقلة بينأيدينا . أقول هذا واستغفرالله عن عمدى وخطاى . ونسيانى وخطلى . هذا واخوانكم (أولاد أبى السباع) المقيمون فى البلد القائمون بطاعة الله ورسول الله والسلطان . ورد عليهم كتابكم . وطرق أسماعهم كتابكم وخطابكم . ووردوا جوابكم بأحسن التحيات . وأفضل البركات . وسروا به كسرورهم بكم . حيث أنتم . لاعتنائكم بشأنهم . اذ ما يصدر مثل كلامكم هذا الا من صدر مشفق حنين . والقلب السليم المكين . أدامكم الله ركنا متينا . وأبقاكم حصنا معينا حصينا . ويبارك لكم فى المال والذرية والاعمار . ويرزقنا واياكم اتباع السنة والسلامة من الاكدار . ويغفر لنا ولكم جميع الاوزار . ويسلم عليكم اخواننا وابناؤنا . وخاصة دائرتنا . وجميع أعيان قبيلتكم ، ونسئلكم صالح الدعاء والسلام)

الثاني سيدي العربي

هذا هو الاستاذ الثانى فى (الساعدات) فقد تخرج بصنوه المتقدم بعدما لازمه أزمانا . وقد كان يرد الى مدرسة (مزوضة) فى حياة شيخه سيدى مَحمد يتبرك به . فياخذ عنه ما يسنح ما شاء الله . وقد قال فيه الهوارى المذكور بعد ما ذكر أخاهالمتقدم (وأقيم مقامه أخوه الشقيق . الذى هو بكل خير قمن وحقيق . الشيخ الكبير . والبركة الشهير . الشريف العالم

العلامة الفقيه المفتي . سيدى العربى بن علي . فسار سيرة أخيه . كان أكثر منه محبة واعتقادا فى الشيخ سيدى محمد وأولاده . وذكر لنا غير ما مرة . أنه جاء للاخذ والقراءة على الشيخ . فقال له ارجع الى محلك . فكل ما طلبت فهو فيه موجود فاذهب اليه على بركة الله ودعا له بكل خير . فاستقامت له الامور . وقام رحمه الله بالتدريس والتعليم . وعمارة المدرسة والزاوية الى أن توفاه الله فى فاتح صفر سنة ١٣٣٧ هـ . وقد أشار الى تاريخ وفاته ولده الابر الفقيه الانور سيدى عبد القادر فى منظومة له فى ذلك . مع وفاة ولى الله سيدى حامد بن سيدى الزوين المتوفى فى وسط جمادى الاولى ١٣١٢ هـ ـ يعنى سيدى الزوين ـ (ثم ذكر بيتين فيهما أن وفاة سيدى حامد كانت سابع ربيع الثانى من ١٣٣٧ هـ) ثم قال فى سيدى العربى (وقد حضر دفنه وتولى الصلاة عليه شيخنا قوت القلوب ـ يعنى سيدى الحنفى ـ رحمه الله ورضى عنه) ثم ذكر ولديه سيدى عبد القادر وسيدى الضوء .

(أقـول) كان سيدى العربى أكثر حظوة من أخيه من كل ناحيـة . فقد زخرت المدرسة فى عهده بالطلبـة . حتى كثر الآخـذون عنه . وحتى صارت ثالثة ازاء مدرسة (مزوضة) ومدرسـة (بوعنفير) وبعـد هـذه الثلاث تاتى المدارس السباعية الاخرى . ومدارس القبائل التى تجاور تلك الناحية مما يؤسسها تلاميذ هذه المدارس الثلاث . وقد مشى سيدى العربى حذو القذة بالقذة على سنن أخيه . بـل كان يدرس من أواسط عهده فى المدرسة . منذ نحو ١٢٨٣ هـ . كان سيدى محمد بن علي يختلف الى القائد ولـد بلعيد . فيبطئ هنـاك فى دار الكتابـة عنـده . وقد أحبته قبيلـة السباعيين . وتمحضه الاخلاص . فلا ترى معه أحـدا من أصحاب المدارس الاخرى . ثم لما توفى أخوه سنة ١٣٠٦ هـ استقل بالمدرسة وحده . وقـد كان فى مسلاخ الصالحين . زاهـدا ورعـا . محبا للخمول . وقـد اخذ عن الشيخ ماء العينين فى احدى المرات التى يمر فيها الى (مراكش) فاختار من بعض أفعاله ما لازمه طوال حياته حتى أنه يتحين أن يصلى بالسور التى كان الشيخ رضى الله عنه يصلى بها . ولما ظهر القائد عبد الملك المتوكى الذى كان معروفا باحترام الطلبة مطلقا . والعلماء خصوصا . كان عنده سيدى العربى فى مكانة مكينة . فيجعل قريته زاويـة . يأمن كل من ياوى اليها من المغارم . كما فعله بزاوية (بوعنفير) أيضا . فزخرت عمارة الزاويتين . باللاجئين اليهما . فيخدمون المدرستين . فانتفع الطلبة بذلك . ومع ذلك كان لزهد سيدى العربى اثر واضح فى عدم تاثيله لاى ملك من الاملاك .

على خلاف «ال (بوعنفير) (ولكل وجهة هو موليها) وقد لازم التدريس من نيف وثمانين من القرن الماضى . الى ان استوفى فى ذلك الميدان نيفا وخمسين عاما . فتخرج به جماهير كثيرون . كانوا أضواءا للقبائل . ومنارات للارشاد ومعالم للخير . وحين جاء مولاى أحمد الهيبة فى جيشه ذهب معه فى جميع علماء تلك الناحية . فبينما هو فى بعض أزقة (مراكش) هو والاستاذ سيدى الحنفى . اذا بمجذوب تكلم بكلام فهما منه أن يسرعا بالخروج من المدينة قبل أن يقع فيها شيء . فخرجا فى الحين . فلم تنشب الهيعة أن قامت ضد الهيبة ومن معه . فحفظ الله الفقيهين مما أصاب غيرهما . ثم سمعت أن هذه الواقعة كانت مع سيدى الحسن الرسموكي لا مع سيدى العربى . وقد كان له ود لكل من ينحاش الى جانب الله . وبهذا كان يتلاقى مع الشيخ الالغى . وان لم تجمعهما طريقة خاصة . فكان يسلم لـه ويجادل فى ذلك أمثال سيدى أحمد المسفيوى . ولكنه مع مخالطته لاهل الطرق لا يتزعزع عما هو فيه من ملازمة التدريس . وقد كانت له فى عمارة الاوقات وملازمة أعمال الخير . أخبار يتحدث بها الركبان . كما كانت له مواقف رجولة لا تزال المسامرات تتعاطاها الى الآن .

منها أن القائد عبد الملك المتوكى الذى كان السباعيون الرقم الاول من أعدائه فيما يرى . كان دائما . قبل أن يستولى على السباعيين . يشتكى من الظاهرين منهم المتبوعين . وفيهم سيدى العربى الذى يحترمه السباعيون ولا يتخطون رأيه . فكان يكتب به الى الحكومة لتعتقله . وحين نزل مولاى عرفة ١٣٣٢ هـ فى (رأس العين) من (شيشاوة) وكان للقائد عبد الملك اليد الطولى اذ ذاك . ذهب سيدى الحنفى المزوضى . وسيدى الحسن الرسموكى البوعنفيرى . مع سيدى العربى ليصالحا بين سيدى العربى وبين القائد . ومعهم جميع طلبتهم . وفى الطريق تاخر سيدى العربى قليلا عن صاحبيه. فاذا به سار سيرا حثيثا حتى لحقهما ثم تجاوزهما . فاقبل ببغلته المعروفة على معسكر القائد . فأسرع الاعوان الى القائد يعلمونه بمجيء سيدى العربى وحده . فأمر بالخيل فاصطف فرسانها أمام فسطاطه بسرعة . ثم أمر به فدخل . فصارا يتكلمان فوصل سيدى الحنفى وسيدى الحسن . فوجدا الطلبة يجأرون بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم على العادة الناصرية لا يبالى بهم أحد . وسمعا ملاحة سيدى العربى مع القائد . فاعتراهما دهش خوف أن يبطش القائد بالفقيه . ثم بعد لأى أمر القائد بكراسى توضع أمام فسطاطه . فدخل الفقيهان . ثم جلس اليهما مع سيدى العربى فقال لهما : كنت قبل اليوم اهاجم سيدى العربى . واليوم أنا الذى أتولى الدفاع عنه

بنفسى . وهكذا صار لسيدى العربى منذ ذلك اليوم مقام عند القائد مكين . ومن ذلك الحين صار عنده فى عين التعظيم . ثم لما صار الخلاف يبتدىء بين مولاى عبد العزيز ومولاى عبد الحفيظ استبرأ لنفسه فاوى ما شاء الله الى زاوية (سيدى الزوين) فهناك رسالة عزيزية يوصى فيها عليه . ويوصف فيها بأنه من الذين يشتغلون بخويصة أنفسهم . وقد كان يزور دائما الزاوية (الزوينية) فى كل سنة . لانه كان ممن عاشروا مؤسسها (سيدى الزوين) وحين اشتد على سيدى العربى مرضه صار يودع أهله وأنشدهم:

أودعكم وأودِعكم جنانى … وأنثر عبرة مثل الجمان
ولو نعطى الخيار لما افترقنا … ولكن لا خيار مع الزمان

هذا وقد كنت ممن حضروا وفاة المترجم . فانه توفى بعد نزولى عند ولده سيدى عبد القادر بستة أيام . رحمه الله . حيث آخذ سنة تامة .

الاخذون عن سيدي العربي

ان الذين أخذوا عن هذا الاستاذ الجليل كثيرون جدا . ولكن ليس عندى الآن الا هؤلاء .

١ ـ سيدى مسعود الشياظمى القاضى
٢ ـ سيدى أحمد بوستة المراكشى ـ غير الاديب المشهور ـ
٣ ـ العربى الناصرى فى (تيعزات) بـ (الشياظمة) مدرس فى المدرسة هناك الى الآن ١٣٨١هـ ـ وهذا سيد صالح رأيت حوله رؤيا حين وصلت هنا ـ
٤ ـ محمد أخوه توفى منذ سنوات
٥ ـ عبد الله الحمرى القاضى المتوفى قبل ١٣٦٠ هـ
٦ ـ عياد الرحمانى مؤسس مدرسة (كدالة) ـ وسترى ترجمته أمامك .
٧ ـ سيدى محمد بن عبد القادر صاحبه فى ذلك ـ وستراه ايضا ـ
٨ ـ عبد الرحمن بن مولود الرحمانى . كاتب القائد الشرادى . توفى نحو ١٣٧١ هـ .
٩ ـ عمر المطاعى المدرس فى مدرسة (أولاد مطاع) توفى نحو ١٣٦٩ هـ
١٠ ـ الطاهر المطاعى المدرس فى تلك المدرسة أيضا
١١ ـ أحمد المطاعى نائب القاضى (أمزميز) الآن
١٢ ـ الضوء المومنى القاضى المتوفى ١٣٦٣ هـ . صاحب المدرسة المضافة اليه فى (أولاد أبى السباع) ولا يزال ولده الفقيه سيدى مبارك حيا . وقد ورث من علم والده .

١٣ - ابرهيم المومنى مدرس فى مدرسة فى (اولاد مومن) توفى منذ سنين .
١٤ - عبد السلام المومنى صاحب مدرسة أخرى هناك لايزال حيا الآن ١٣٨٠ هـ
١٥ - أبو جمعة المريدى الشياظمى . توفى قبل ١٣٦٠ هـ
١٦ - عيسى الحاحى توفى قبل ١٣٦٠ هـ
١٧ - عبد الرحمن الحاحى . توفى ١٣٥١ هـ
١٨ - محمد بن العبدى مدرس بلده . توفى ١٣٥٢ هـ
١٩ - ابرهيم الكدميوى العلامة الكبير . توفى ١٣٣٦ هـ . بعد ما كان قاضيا ومدرسا . وله تلاميذ وآثار أدبية . كان يصاحب أمثال الكنتافى
٢٠ - الطاهر العزوزى مدرس مدرسة أسسها بنفسه. توفى ١٣٥٥هـ
٢١ - عمر العزوزى يدرس مع اخيه . توفى نحو ١٣٥٩ هـ
٢٢ - الحسن الجعفرى الشيشاوى توفى ١٣٦٢ هـ
٢٣ - عمر الناصرى . توفى نحو ١٣٥٣ هـ
٢٤ - الطيب الخنبوبى من أهل (الساعدات) توفى ١٣٤٥ هـ . وهو ابن أخت سيدى العربى وقد انشدنى يوما اذ انا فى(الساعدات)

دينار يحيا زائد النقصان — وبه علامة سكة الحرمان
أهداه مكتتما الى برقعة — فوجدته اخفى من الكتمان

وله ولد نجيب ورث من علم والده . بيننا وبينه صحبة . لايزال حيا ١٣٨٠هـ وغير هؤلاء ممن لم نستحضرهم الآن .

ظهير حوالى المترجم

الاول عزيزى سنة ١٣٢٣ هـ . ونصه :

(يعلم من كتابناهذا أعلا الله قدره . وجعل فى الصالحات طيه ونشره . اننا بحول الله وقوته . وشامل يمنه ومنته . سدلنا على ماسكه الفقيه الخير السيد العربى بن على اردية التوقير والاحترام . والرعى الجميل المستدام . والمحاشاة عما تعامل به العوام . هو وأولاده بحيث لا يسامون بمكروه . ولا يلحقهم ضيم بوجه من الوجوه . رعيا لما قام به من وصف العلم الشريف . الموجب لمراعاة من استظل بظله الوريف . فنامر الواقف عليه من خدامنا . وولاة شريف امرنا ان يعلمه ويجرى على مقتضاه . ويراعى زاويته التى له بـ(أولاد ابى السباع) حتى لايلحقها اهتضام والسلام فى متم حجة الحرام عام ١٣٢٢ هـ)

والثاني عزيزي أيضا سنة ١٣٢٢ هـ . ونصه :

(أخانا الارضى مولاى عبد الحفيظ وفقك الله . وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فنامرك تكون على بال من الطالب السيد العربي بن على السباعي وان لا تسمع فيه كلام أحد . لظهور خيرته . واشتغاله بنفسه . وأمر زاويته حتى لا يلحقه أحد بمكروه . والسلام فى متم حجة عام ١٣٢٢ هـ)

والثالث حفيظى سنة ١٣٢٣ هـ

(خدام سيدنا الارضيين قواد (أولاد أبى السباع) كافة وفقكم الله . وسلام عليكم ورحمة الله . عن خير مولانا نصره الله (وبعد) فكونوا على بال من الفقيه السيد العربي السباعي . وأجروه على ما بيده من الظهير الشريف المتضمن توقيره واحترامه . حتى لايلحقه سوء ولامكروه . فى جميع الوجوه والسلام فى ٨ ربيع النبوى الانور عام ١٣٢٣ هـ)

الثالث القاضي سيدي الضوء بن العربي

ولد سنة ١٣٠٨ هـ . أخذ القرءان عن الاستاذين : علي بن أحمد ، والحسين التيزنيتي . وهما من طلبة المدرسة . يأخذان عن سيدى العربي ثم لازم دروس والده وحدها . حتى استشف كل ما عنده . وحصل تحصيلا تاما لما له من الذكاء والفهم والذوق من كل ما يتكفل له بالتفوق على الاقران ثم صار يدرس فى المدرسة أواخر أيام والده . ثم فى عهد أخيه سيدى عبد القادر . الى أن تولى القضاء رسميا . ءاخر ١٣٦٢ هـ ، الى أن توفى ١٣ محرم ١٣٦٥ هـ وقد كان زينة تلك الناحية فى حياته مشاركة . وله فى الفقه وفى اللغة وفى الادب أيد طويلة . وقد ذكره الهوارى فى كتابه المتقدم وذكر أن بينهما مكاتبات ومساجلات أورد بعضها فى كتابه المذكور . لانطيل بايرادها . لان بعضها من البضاعة المزجاة فى الادب .

ومما يتعلق بما كان بين الهوارى وبين المترجم انهما حضرا معا مع علماء تلك الجهة فى موسم (سيدى أحمد أوعلى) فرأى العلماء جبة مخططة على الهوارى . فتناوله بعضهم ممازحة بالمعاتبة على لبس مثلها . مع أن شعار العلماء لبس البياض (١) ومن بين معاتبيه سيدى الضوء المترجم . فكتب الهوارى هذه الرسالة فى جوابهم :

(الحمد لله الذى سلب عن عباده الاختيار . وشرع لهم الاختبار . (وربك يخلق مايشاء ويختار) والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى المختار . وعلى ءاله وأصحابه الاخيار . والتابعين الابرار . (وبعد) فهذه أسطر سميتها (الجنة المطططة ، على الجبة المخططة) وسبب ذلك انه ندبنى

١) وذلك مذكور فى الموطا .

الاقدار السعيدة الى مجلس فيه أخيار جماعة سديدة . تنفق فيه اللئالى من الكلام . وما جادت به الليالى والايام . بمقام العلم والصلاح . والنوروالفلاح. محل أبى المفاخر . من شهد له الدهر الفاخر . بأنه من أكـرم العناصر . وانه بحر العلم الزاخر :

علامة لا يجارى فضله أحد	فهامة لا يدانيه أخو فطن
سامي الفخار نبيه القدر ذو شرف	حاو لأقصى علوم السر والعلن

الفقيه العلامة الصفّى . سيدى أحمد ابن الشيخ سيدنا محمد الحنفى رحمه الله وألحقه ببره الخفى . ولطفه الخفى . وذلك بموسم ختمه لصحيح البخارى على العادة والحال الجارى . حيث تجتمع العلماء الاخيار والاحرار . والصلحاء الابرار . من جميع الآفاق . علما منهـم بأنه سبق فى علم الخلاق . أنه لا يكون فى هذا الموسم المبارك الا من سبقت له العناية وساد وفـاق . ولا يشينه الا من فيه نزعة من النفاق . ولذا لما تعطلت عن الحضور فيه فى بعض السنين . قلت فى ذلك الحين :

ألا قل لمن قد صار يحدو جماله	لموسم أحمد الفقيه مئـالـه
فعرض بذكرى حين تسمع صوته	وقل ليس يخلو ساعة منك باله
عساه اذا ما مرّ ذكرى سمعه	يقول فلان عندكم كيف حاله

فاتفق فى هذه السنة أول رجب الفرد عام ١٣٥٨ هـ أن أهـدى لـى بعض الاحبة حلة فى طيها جبة . وصادف ذلك الاهداء . السفر الى محل الاهتداء . ولم أجد من لبسها بدا اذ لم ألف لها بديلا . ولا لتركها سبيلا . وكفى بذلك حجة ودليلا . وكان صاحب الموسم المذكور :

أعنى الامام الهمام الشيخ أحمد من	شاعت فضائلـه فى البدو والحضر

أعد محلا خاصا يكون بالكرام من العلماء والادباء غاصا . وميدانا لرهـان الاذهان . ومضمارا لكل ضليع لايخاف فيه زائره من مراقب . ولا يبد فيه الا كل نجم ثاقب . مجلس يحار فيه الوصف . لايرى فيه لهو ولا قصف . وكنت عند الجميع معروفا غير منكور . ومقربا غير مدحور . فكان من ضم المجلس السامى من أرباب المعالى فى هذه السنة . جملة وافرة مستحسنة . من أهل النجابة والفطنة . لم أر فيه من أهل المبـانى العاليـة . والمعـالى السامية . الا من علا كعبه . وبدا نجمه . وارتضى نجمه (١) كأبى البركات محمود السكون والحركات . صاحب الكمال الظاهر . والرونق الباهر . والبركة أعلمنا الله مع الاكابر . الفقيه العلامة السيـد الحسن بـن احمـد الرسموكى .

ومنهم الذى مجده أثيل . ومنصبه جليل امام عصبة العلم والسادات المتوج بتاج العز والسعادات خير أهل البيت الجعفرى الفقيه العلامة السيد التهامى بن أحمد الناصرى قاضى (وارزازات)

ومنهم السامى المقدار . المشكور فى الايراد والاصدار . الحسن المجاملة والطيب المعاملة . حامل راية فضل (وادى مالة) الفقيه العلامة السيد محمد ابن الحسين الوريكى .

ومنهم رأس مهرة علم اللسان . وناسج حلل البدائع الحسان . الاديب البارع صافى المساعى. الفقيه العلامة السيد محمد الضوء ابن العربى السباعى .

ومنهم الرضى المرتضى والحسام المنتضى من ساد وطاب. المعرب العجب العجاب. من الملاحة والملح . واتفق العالم كله على حسن خلقه وخلقه واصطلح ، الفقيه النجيب السيد محمد الركراكى السكتانى .

ومنهم الذى حقه واجب . وفضله راتب . وكلامه يستحق أن ينظم فى سلك القلائد . بأعناق الولائد . من يأخذ الحق ويعطيه . ويرمى الغرض ولا يخطيه . ورضيع الفضل من أبيه . الفقيه العلامة السيد الحسن بن حميد المزوضى الكدالى . وغيرهم من أهل الظرف والظفر والنصر بين أدباء العصر. فما تمت التحيات بين ذوى الحيثيات حتى التفت أحدهم مباسطا . وقال منبسطا . ما هذه الجبة التى عليك يا فلان ؟ قلت : وما فيها من العيب والنقصان . أليست بزيوية . أليست ضافية . ألم تكن مخططة صافية . ملونة بألوان حريرية . ولها حاشية بالحرير منسوجة . وخطوطها بالابيض والاسود ممزوجة. مفصلة تفصيلا عبد اللّويا (١) وقبها واسع الاطراف يغطى الراس ويلتوى على الاكتاف . وذيلها يخفى الاعقاب . ولا يعفى الأثر . مخيطة بالحرير الاخضر والاسود والاصفر . فقال : لاعيب فيما قلت بلاريب غير ان العالم ينبغى له أن يتميز بين العالمين بهذا اللباس الابيض الخالص فى هذا الزمان الناقص . ولذا قيل :

حسن ثيابك ما استطعت فانها زين الرجال بها تعز وتكرم

فقلت له : نعم وربك العالى . غير أنى لا أبالى . بما عليه الاهالى . من التأنق المؤدى الى الالتباس . كما وقع لأبى على اليوسى اذ التفت عليه جماعة من أهل (فاس) . حرسها الله من كل باس . وكلهم فى زى واحد ولبسة فاخرة ما بين حائك ودائرة (٢) وكانت بينه وبينهم منافسة دائرة . فلما لم يفرق بينهم الظالع من الضليع . أنشد لنفسه النظم البديع . قال :

١) نسبة الى خياط يسمى عبد الله . وهذه الخياطة مشهورة فى الحواضر
٢) الدائرة فى عرف الناس : السلهام من الملف .

توافت فوارتها الجلال واشكلت فلم يدر منها اعربى ومقرف (١)
فلا معرب يدنو اليها يميزها ولا هى تدنو للرهان فتعرف

وما أحسن قوله فى رائيته الدلائية :

فان كنت لا تعتد الا بلمبس فسيان من يكسى العمائم والخمرا

ثم تتابعوا فى الكلام . وتناسقوا فى الملام . فقال الآخر من أولئك الكرام : والله لقد خفيت عنى يافلان . حتى ما كدت أعرفك بين الاخوان . مع أنك أعرف عندى من الضمير البارز. أو من جامع المسلمين بباريز . وما الظن انك لهذه الجبة لابس. غير أن الزمان ياتى بكل رطب ويابس . فضحكت له نصف ضحكة وقلت : لابأس. بتغيير اللباس . ان كان اللباس خاليا من الالتباس . كما قال صاحب الاختلاس :

لبست الخميصة أبغى الخبيصة وانشبت شصىّ فى كل شيصة

ولكننى أقول كما قال ابن عطاء الله :

الله يعلم انني ذو همة تأبى الدنايا عفة وتلطفا

وكما قال الشافعى الامام :

على ثياب لو يقاس جميعها بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها جميع الورى كانت أعز وأكبرا

وان شككت فى أمرى فسل غيرى . كما قال الشاعر :

سلنى وسل عنى الاقوام مختبرا لا يعرف المرء الا حين يختبر

على أن العبرة بالسيف لا بغمده . كما قال الشافعى الشهير بشعره :

وما ضر نصل السيف اخلاق غمده اذا كان عَضْباً حيث وجهته فرَى

وكما قال اليوسى فى مرثيته الدلائية :

فان الفتى بالسيف لا اللبس مجده فما شانَ 'دراكون اصدافه كدرا
وماذا على العضب الذى رثّ جفنه اذا كان فى الهيجاء ينعمك البترا

ثم نطق ثالث القوم متكلما على الجبة : يا سيدى على . وحق قدرك العلى. ان فكرى الحالى . لمتحير فى أمرك الحالى . أرغبة فى مزاحمتك العامة . أم رغبة عن حالك التامة ، أم حبا للشهرة السامة . فقلت : كل ذلك والله لم يكن . بحق (اقرأ ولم يكن) (٢) انى ما لبستها الا على مقتضى الحال من غير ارب . كما قال شاعر العرب :

وما عن رضى كان الحمار مطيتى ولكن من يمشى سيرضى بما ركب

---

١) الجل بضم الجيم : ما يجعل على الفرس . والمقرف بضم الميم وكسر اللام : من الخيل ما ليس بجيد . ٢) السورتان فى القرءان .

ثم تفرقت الاراء فى النعوت والاوصاف . لهذه الجبة من كل وصاف ، ولكل حائر عن الانصاف ، وزائغ عن الاعتراف . فقال بعضهم على سبيل البسط والتحميض . لاعلى الحط والتخفيض . والله انها لجبة أهل الخطفة . فقلت : لقد كدت توافق الميز لو انك ابدلت الخاء بالعين . وبعضهم قال على سبيل النبز والتحريض . لا على الامتعاض والتمريض : ان هذا النوع من الجبب لا يعرف الا للصيادين . لا لأهل العلم والطالبين . فقلت له : انك بالحق لناطق . وفى قولك لصادق . انى من أهل الصيادة والقنص . لكل علم وحكمة بالفحص . أليس الامام سحنون الذى اجره غير ممنون . يقول :

العلم صيد والكتابة قيده   قيّد صيودك بالحبال الموثقة
ومن الحماقة ان تصيد حمامة   وتركتها بين الاوانس مطلقة

ولذا كان من دابى انى لا أفارق ءالة الكتابة سفرا وحضرا مخافة الكتابة كما قال من حصلت له فوات فائدة . لعدم وجود ءالة سائدة :

فقلم الدواة خير صاحب   وكونها معك أمر واجب

وما احسن قول الآخر :

لا يدرك المجد الا كل مشتغل   بالعلم همته القرطاس والقلم

ثم بعضهم قال على سبيل المدح والتقريض . بيد أنه نحا منى اللغز هذه الجبة لعجيب . وحق صاحب النجيب . حيث ان جبينا لم تذكر . ولكن جبته هى المذكورة فتشكر . فقلت نعم ونعمتك المشهورة . انها الجبة المشكورة . اذ صارت فى هذا المجلس السعيد مذكورة . كما قال صاحب الحضرة الطاهرة . نجم مكة والقاهرة :

لك البشارة فاخلع ما عليك فقد   ذكرت ثم على ما فيك من عوج

ثم بعضهم قال على سبيل المدح والتقريض بيد انه نحا منى اللغز والتعريض (١) انها لجبة فارس . ظنا انى للفروسية غير ممارس . فضحكت بملء فى وانشدت فى وصفى مشيرا الى الفارس وابن فارس :

أقول لهم بالشعب اذيا سروننى   الم تعلموا انى ابن فارس زهدم

والابن له صنعة أبيه . وبها يكون به شبيه . وانشدت قول الشاعر :

فما نطفة من حب مزن تقاذفت   به قنة الجودى والليل دامس
بأطيب ما فيها وما ذقت طعمه   ولكننى فيما ترى العين فارس

فقلت سادتى فداؤكم ذاتى . ما هذا الاستغراق فى الكلام . على هذه الجبة بالملام . اعرضوا عن هذا الموضوع . واكرعوا فى كلام عرفة يضوع .

---

١) التقريظ : هو المدح لا التقريض بالضاد الساقطة ...

ألم تعلموا أن مجلس العلماء روضة من رياض الجنة . فلاعملنّ تاليفا . فى هذا ظريفا . يحكى كلاما لطيفا . ويتضمن ذكرا شريفا . قلت :

ذى الجبّة الانوار فيها تفجرت ... وبنفس أنفاس الكرام تارّجْت
يا مجلس الاخوان منك تبددت ... عنى الهموم بجبّتى وتفرجت
جلت محاسن جبّتى وتبلجت ... لاسيما اذ بالخطيب تفلجت
وَهو الهوارى الفقير تخرجت ... وبه (العُويَنْة) بالعلوم تبرجت

وتتميما للفائدة أعرف بالمدرسة السعيدة السائدة المعروفة بـ (العُوينة) هى مدرسة الشيخ المرحوم بكرم الله سيدى محمد الحنفى المتوفى ١٧ صفر الخير عام ١٣٤٩ هـ

قد غاب عنى فلم تدر الكرى مقل ... أرعى النجوم ودمع العين منهمر

فلعمرى أنه يوم مات رحمه الله أنشد حال ذلك الزمان :

سطت الهموم وصالت الاتراح ... ونأى الشرور وشطت الافراح
والارض حالكة الاديم فلا يرى ... شمس ولا قمرٌ ولا مصباح

أسسها والده الشيخ العلامة . المربى الفهامة . سيدى محمد بن محمد الهلالى أصلا. النحلى دارا ومرارا. المتوفى قرب عصر يوم السبت ١٣ شعبان الابرك عام ١٢٧٧ رحمه الله . وتعرف بالنحلية لانها بنيت فى الارض المنسوبة للشيخ الابرك سيدى أحمد بن على المشهور بالنحل المتوفى يوم الجمعة فاتح رجب الفرد عام ١١٥٥ هـ . فلم تزل تلك المدرسة روضة للاذهان والادب . وحديقة للفضل والحسب . منتدب المتادبين . ومبتغى الطالبين كما أنها ما زالت عامرة بالعلماء النجباء والادباء والصدور . على ممر الازمنة والدهور . ولقد ظفرت منها والحمد لله بحظ وافر . بين كل حاظ وظافر . ولازمتها شطرا من الزمان . لتحصيل علمى الفقه واللسان . والحديث والبيان . حتى صرت من الاعيان . وأشير الىّ بالبنان . ولذا كانت تجنح منى اليها الافكار . جنوح الطير الى الاوكار . ويكلفنى الخاطر. ذكرها فى كل تاليف لى عاطر . فلله درها من مدرسة . على العلم والتقوى مؤسسة ما يلازمها أحد يسيرا من الزمان السائر الا عد من الاكابر . وتعقد عليه الخناصر . ولايرمى بأسوء من كل قاصر . الا باء راميه غير قادر (وما له من قوة ولا ناصر) ولذا كانت الافواه بخصائص أهلها والثناء عليهم فاغرة وتعترف لهم الدنيا بالمزايا الفاخرة . ولا يشك فى أن لهم مكارم ومئاثر جمة . تنجلى عنها الظلماء . ومزاجها عسل وماء . الا من لاخير فيه ولا نعماء . فلو قال متمثلا ، ولأمر الله ممتثلا :

خليل عهد الله ان جزتما الحمى … وعاينتما قلبى ببيداء يجار
أ ملاً عليه نفحة الحمد والثنا … لهم من حديث الصب ما يتيسر

وأنشد مسلما عليها شاكرا لأهلها :

سلام على تلك المعاهد من فتى … مقيم على العهد الذى لم يحول
اذا نفحته نسمة منه خالها … (نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل)

قلت وثناء خفيفا لهؤلاء الكرام . السادات الاعلام . فلقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس الجبة . فعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه جبة شامية . فصببت عليه الماء فتوضأ وضوءه للصلاة . فتعاطفوا يتذاكرون . ولما فى أوفاضهم يتناثرون . فافضت بهم المذاكرة الى الكتب القديمة والموجودة والعديمة . وفى أهل الصلاح وأصحاب الملح . فقال أحدهم وهل لأحدكم عثور على (التمهيد) على موطا مالك لابن عبد البر . فاتفقوا على أنه فى المغرب لم يذكر وقد شغف به أكابر العلماء والمدرسين فلم يجدوا له اسما ولا رسما فى الدواوين . الا بعض أجزاء عند بعض الاعزاء . فقلت وانه سبعون (١) جزءا فالامر به كاد أن يكون هزوءا . كما فى (التثبيت) وروى أنه كان ينشد لنفسه :

تذكرت من يبكى علىّ مداوما … فلم ألف الا العلم بالدين والخبر
علوم كتاب الله والسنن التى … أتت عن رسول الله فى صحة الاثر

توفى بـ (شاطبة) فى ربيع الآخر سنة ٤٦٣ رحمه الله .

(الخاتمة) ينبغى لكل فقيه عالم فى هذا الزمان المنحوس . ان يحسن الناموس ويتحلى بالانقباض والعبوس . ويلتزم الهيئة الحسنة فى الملبوس والا لم تسمع له نصيحة ولا فتوى . ولا موعظة ولا دعوى . وان كان فى العلم مالكا . وفى التقوى سالكا . وذكر ابن السبكى فى (الطبقات) ان الشيخ ابن رضوان القليوبى استنبط من قوله تعلى (يا أيها النبىء قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين) . ان ما يفعله علماء هذا الزمان فى ملابسهم من سعة الاكمام وكبر العمائم ولبس الطيالس . حسن وان لم يفعله السلف . لان فيه تميزا لهم يعرفون به ويلتفت الى فتاويهم وأقوالهم . وفى حاشية الحطاب على (الرسالة) قال القرافى فى حاشية (الجلاب) قال ابن شعبان فى

---

١) توجد نسخة تامة للتمهيد فى احدى خزائن اصطنبول . وفى المغرب أجزاء هنا وهناك . وما أولى الكتاب بالنشر . وهو فى أحد عشر مجلدا . فى (اصطنبول) .

(الزاهى) لا ينبغى أن يضيق الكم . وقد رد شريح شهادة رجل ضيق الاكمام من أجل ذلك . لما فيه من المجرحات . وقال مالك ضيق الكم . مثلة أى عيب تجرح به الشهادة . وقال فى مختصر (المدارك) لابن رشيق قال مالك حياة الثوب طيه وعيبه قصر أكمامه . وحد الطول أن لا يتجاوز الرسغ . وقال عمر رضى الله عنه اياكم واللبستين : لبسة مشهورة ولبسة محقورة . ولبعضهم :

أما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت — واجعل لباسك ما اشتهاه الناس

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس ما وجد . وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم لبس من الثياب الفاخرة . وأكل من اللذيذات الطيبات الطاهرة .

يقول مؤلف هذه الاسطر على بن محمد الهوارى غفر الله له ما يبدى ويوارى (هذا) آخر ما تيسر ذكره انسا مع الاحبة . وتلميحا مع الادباء وسلاما على عباده الذين اصطفى . فرغ من الرسالة يوم الجمعة تاسع رجب ١٣٥٩ هـ) .

(أقول)انى كنت اخذت عن المترجم سيدى الضوء حين كنت مجاورا فى مدرستهم ١٣٣٧هـ فى العلوم التى كان يدرسها فهو من أشياخنا رحمه الله . وقد أعقب خمسة ذكور . منهم محمد الذى يذكر اليوم وعبد الحميد . وعبد الحى . وهؤلاء الثلاثة أساتذة الآن . فى المدارس الحديثة . فقد أخذوا فى مدرستهم وفقهم الله .

الرابع العلامة سيدي عبد القادر بن العربي :

شيخنا الهمام . سيد أقرانه . والدرة اليتيمة فى عقد أهله . ممن تنشرح الصدور بأخبارهم وتمتلىء القلوب توا بمحبتهم . ولد ١٣٠٦ هـ فى حجر والده . وامه اسمها المومنة بنت أحمد بن مبارك الرسموكى البوعنفيرى المتوفاة نحو ١٣٢٨ هـ . فانه معم مخول . أسبل الله عليه نعمه فى الطرفين ثم أخذ القرءان عن الاستاذين المذكورين فى ترجمة القاضى أخيه المتقدم ثم لازم والده ملازمة تامة . فنجب وحصل . ثم لم يقتصر على والده بل أخذ أيضا عن تلميذ والده سيدى ابرهيم الكدميوى أفضل نجباء أقرانه المشاركين . فقد أخذ عنه اللغة والادب وبعض علوم أخرى . فبه تفتح ذهن سيدى عبد القادر . فلم يكن جامدا فيتعالى الى كل الفنون . ويجب أن يجتهد وان يختار لنفسه قولا من الاقوال المختلفة ولهذا يخالف بيئة أهله المتزمتة المنكمشة على نفسها . فيحب المناظر الجميلة . والشارة الحسنة . والمركب الفاره . والاوانى اللامعة . والفرش الممتازة . وقد دخلت مدرستهم قبل

وفاة والده سيدى العربى بستة ايام ، فادركت ما كان عليه سيدى العربى من الاقلال . وخشونة العيش . وتزجية الايام بما تيسر من الفرش الوضيعة والاوانى الساذجة . والاطعمة المبتذلة . فلم يكد المترجم يتسلم زمام الامر بعد والده . حتى تبدلت الحالة غير الحالة . فكأنما يد الساحر مرت على (الساعدات) فاذا بها تكتسى من الحضارة والرونق ما قرت به أعين الزوار الذين صاروا يتكاثرون لما ءانسوه من كرم الاستاذ .

كنت أحضر دروس شيخنا هذا والصلاة وراءه . ولم يكن يتخلف عن أى صلاة . وكانت له همة واقدام ونال بهما مقاما رفيعا من كل جهة . فنفعنى الله بدروسه وبدروس أخيه . وكنت اذ ذاك متحفظا لا أخالط أحدا . ترفعا بنفسى أن يشار الىَّ بما لاينبغى . وقد كانت المدرسة مكتظة بالطلبة بنحو مائة يلازمون . ولطلبة تلك المدارس منافسة محمودة فى التحصيل . وفى المحافظة على حسن السمعة . فكان شيخنا هذا قطب الجميع فى كل المحامد. وهكذا عرفت هذه المدرسة التى لازمتها سنة تامة مباركة . ثم غادرتها الى (مراكش) وقدكان الفقيهان سيدى الحنفى المزوضى وسيدى الحسن الرسموكى هما القطبان لعلماء تلك الجهة اذ ذاك . فاستطاع شيخنا الشاب أن يشاركهما بما لـه من مكـانة موروثـة تليـدة . ومكانة محدثة طريفة . فيكون له مع الحكومة ومع القائد عبد الملك اتصال وثيق . حتى انه اختير فى وفد ذهب الى (باريز) بين مغاربة فى وفد ملكى . ثم لما ظهرت قضية الدفاع عن ارض القبيلة . كان أحد البارزين فى ذلك . وكان أكرم الناس بما يملك . واكثر الناس اعتمادا على ما فى الغيب . قبل أن يعتمد على ما فى الجيب . وهذه الصفة مما تشربه من التصوف الذى حبب اليه .

ملاقاته للشيخ الالغى

كان من عادة الشيخ الالغى أن يزور العلماء . فلذلك يقصد بطائفته هؤلاء العلماء السباعيين . فيلاقونه ملاقاة احترام واجلال واكبـار . فمتى علموا أنه مقبل عليهم يخرج الاستاذ وطلبته فيتلقون الشيخ خارج البلـد بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . والشيخ وأصحابه بذكرهم المعلوم ثم يبيت الجميع عـلى الذكر . ففى بحبوحة هـذا الحـال اختطف المترجم . والشيخ وأصحابه نازلون عندهم . فكاد ينخرط فيهم . لولا والده الذى أخذ بحجزته . ولكن سيدى عبد القادر ان لم يكن معهم بقالبه . فهو معهم بقلبه . فيستدعى أصحاب الشيخ المجاورين لـ (الساعدات) ويذكر معهم ويعتريه حالهم . ويكاتب الشيخ كتابة مريد مستسلم الى شيخه المربى ، وكان هذا الاتصال فى أخريات أيام الشيخ . ثم دام على هذا الحال مدة عمره

وقد زار مرة الزاوية (الالغية) ويتمنى لو دام له الاتصال باهل الله . وهو الوحيد الذى اخذ عن الشيخ كمريد بين العلماء السباعيين .

نتف اخرى من اخباره

له مواقف تشبه مواقف والده . فقد واقف القائد ابرهيم بن عبد الملك المتوكى فى قضية أرض القبيلة . وصارحه فى الكفاح المحقق عن ذلك وفى ١٣٦١ هـ ، جرف سيل عرم قرية (الساعدات) فاصيب كل ما فى القرية . فتهدمت دار الاستاذ . فاضطر الى أن يصلح دار القائد ولد بلعيد. فاعانه كل محب لجانبه . فسكن فيها . وحين كان المومن يصاب لم تكن هذه اول مصيبة اصابته . بل دب اليه مرض (الروماتيزم) من نحو ١٣٥٣ هـ . فلم يزل يتكاثر حتى اشتد نحو ١٣٦٠ هـ فكان لايقدر أن يسير على رجليه بل كان يرفع بكرسى . وقد كان يرد علينا بـ (مراكش) بعد ١٣٦٥ هـ . فيحمل الى دارنا فى حالة تذيب النفوس . ووجهه مع ذاك وضىء مستنير . يقطر بشاشة . وعلى هذه الحالة زار (الغ) ويختلف الى الحواضر . وهو فى السيارة جالس وفى غيرها محمول .

كان كثير الانشاد . يستحضر الادبيات . رقيق القلب فى مجالس الذكر سائل الدمعة . خاشعا أوابا . مع علو نفس . وعزوف عن السفاسف . ملازما للبزة البيضاء . فيكون فيها كالبدر فى عليائه ليلة الصحو . ولم يزل فى هذا المرض الذى يسافر معه كما رأيت الى أن توفى فى الخامسة عشية يوم الاثنين ٢٥ من ذى القعدة ١٣٦٨ هـ

وله من الاولاد الذكور الفقيه سيدى محمد العربى المولود ١٣٣٧ هـ وله معلومات لا بأس بها ولكنها دون معلومات أهله . ولا يزال حيا . وهو الآن عمارة دار والده وبركتها .

والسيد المختار المولود ١٣٤٥ هـ . قد قرأ القرءان وبعض معارف فى مدرستهم وقد حبب اليه أهل الخير ويحضر مجالسهم. ومعه معارف لاباس بها ويتولى دروس الارشاد فى (الرباط) منذ سكنها . ويميل الى التصوف . وفيه سلامة الصدر . والنية الحسنة .

والسيد محمد الحبيب المولود ١٣٦٣ هـ ، وهو الآن يتتبع فى (الكلية اليوسفية) .

الآخذون عن سيدى عبد القادر السباعى - ومن بينهم الآخذون عن اخيه (الضوء) :

١ - محمد المختار الجامع لهذا المجموع
٢ - عبد الرحمن الاخ الشهيد فى زلزال (أكادير)
٣ - المختار ابن القائد العربى بن الكوش استتم فى (فاس) توفى ١٣٦٥ هـ
٤ - العربى المسكينى المتوفى منذ سنوات .
٥ - محمد المسكينى اخوه الحى الآن ١٣٧٩ هـ
٦ - الحسن بن ابرهيم الكدميوى الساكن الآن فى (ابن ملال) وهو ابن ذلك الاستاذ المذكور
٧ - العربى الحراثى الشياظمى الكاتب فى (السويرة) ولا يزال حيا
٨ - عبد القادر الشياظمى المتوفى قبل سنين .
٩ - مولود الشياظمى الكاتب الآن فى (البيضاء)
١٠ - عبد الكبير الشياظمى عدل فى (بوجعد) لا يزال حيا
١١ - الحاج أحمد الحمرى الحاكم المسدد فى (السويرة) الآن
١٢ - عمر الشياظمى عدل فى (السويرة) حى
١٣ - حماد الشياظمى المتوفى قبل سنين .
١٤ - عمر الحاحى مدرس فى مدرسة ببلده
١٥ - الحسن الملالى قاضى (جمعة السحائم)
١٦ - محمد فاضل بن الطاهر السباعى قاضى (تاغجيجت) اليوم الرسمى .
١٧ - الحسين التويجرى عدل فى (شيشاوة)
١٨ - عبد المجيد السباعى نزيل (ابن رشيد)
١٩ - عبد العزيز المزوكى السباعى . لايزال حيا
٢٠ - الراضى البكارى نائب قاضى (شيشاوة)
٢١ - الحسن الناصرى الشيشاوى . عدل فى (شيشاوة)
٢٢ - مبارك الخلوفى السباعى عدل فى (شيشاوة)
٢٣ - بلخير المطاعى مدرس فى مدرسة (أولاد مطاع) حى

هؤلاء من تيسر ذكرهم والا فهم اكثر من ضعف هؤلاء .

ءاثار من ادبياته

من ذلك ما خاطب به الملك محمدا الخامس حين زار (شيشاوة) ١٩٢٧ م

ـ وله فيه قواف ـ :

هب النسيم وطابت الارواح — وتنوعت بنسيمها الافراح
وتمايلت طربا تهيم بسكرة — بين الورى وذكائها الاشباح
وتشرفت بين البلاد بلادنا — وتزينت بين البلاد ملاح
وتمتعت بخطا الامير محمد — من وصله رشد لنا وفلاح
نجل الامير ابى المحاسن يوسف — ذلك الامير جديلها الوضاح
نجل الرسول المصطفى خيرالورى — هادى الانام دليلها المفتاح
فخر الملوك اميرنا وعزيزنا — وسعيدنا طيب لنا فواح
أنت الامام أبو المفاخر والعلا — أنت الهمام اميرنا الفتاح
أنت السراج المستنير بضوئه — أنت الهصور الضيغم الجحجاح
أنت الغيور المستعد بحزمه — لدفاع من يبغى . وذاك صلاح
ان الامير هو الحياة وما لنا — الا الامير قوامه الاصلاح
سعدت بزورتك البلاد وأهلها — وتنغصت من قبلها الارواح
فخر صميم لا ينال بحيلة — مجد الاصول لنا به استفتاح
بشرى لنا طابت معالم أرضنا — بعد الكآبة واستبان سماح
أكرم بليل الاربعا لما اتى — فيها البشير فبشره لواح
فهناك ما بين الربوع تناشدت — أمداحها البلغاء والمداح
مولاى يا بحر السماحة والندى — نور العباد ان اغتدوا او راحوا
قد حزت فى الاقطار كل فضيلة — بهرت قلوبا جودها سحاح
دامت لمولانا الامير مهابة — ومئاثر ونباهة ونجاح

وقد كان شيخنا المترجم كتب الى فى الليلة التى سيصبح فيها الملك فى بلدهم يستحثنى أن أقول قصيدة على لسانه . فارسلت اليه هذه بنت وقتها :

لمن موكب من هالة العز يشرق — وجند كأسراب الدبا يتدفق (١)
وجيش عظيم لا يعد عرمرم — تفيض به فيح البطاح وتفهق
منظمة ترى كأن صفوفها — نجوم بأكناف السما تتألق
فيالق تعلوها فيالق هيبة — ففى الارض فيلق وفى الجو فيلق
عليهم من النقع المثار سحائب — بأنوار هاتيك الوجوه تشقق
وجوه من الشم العرانين ان بدت — تبدى من أرجاء الظلام تألق
من الصيد ان لاقوا فاسد خفية — وان جولسوا غضوا حياء فاطرقوا
يقودهم فخر الملوك محمد — سليل عظام هم الى المجد سبق
أيمة هذا الدين بدءا ودائما — ومن بهم وجه البسيطة يشرق

(١) الدبا بفتح الدال : ولد الجراد .

مليك له تعنو الملوك مهابة	واين من الشاه المتوج بيدق
ترعرع من حجر الجلالة يافعا	فاصبح وهو بالجلال مطوق
يرى الشعب منه أىشهم يقوده	الى الفوز منه اىٌ ملك موفق
صرامة عزم لا تفل وهمة	تزعزع أطواد الجبال وتفلق
ورأى سديد لا يطاق طعانه	وللطعن بالرأى المسدد أصدق
علاما علا لكن اذا ما شهدته	تشاهد برا بالرعية يرفق
لطافة أخلاق ولين عريكة	كما فاح زهر بالرياض مفتق
محبته الندب الزلال ومشهد	لديه الرحيق السلسبيل المروق
وكل فتى قد فاز منه برؤية	فذاك هو الفوز العظيم المحقق
فهاذى قلوب الناس ترقص بهجة	بزورته (ءال السباع) وتخفق
فيا طالما نرجو المفاز بحضرة	جميع المنا تقضى لديها وتصدق
فلما تجلى بيننا اليوم وجهه	تجلى لنا فجر الرجاء المصدق
الا أن هذا اليوم عيد محقق	ويوم عظيم بالسرور مخلق
ظفرنا بها والحمد لله نظرة	نمت بها يوم الفخار ونعلق
سنبدأ تاريخا جديدا بيومها	وننشىء ما آتى البراعة منطق
وننشر فى الآفاق كنه سرورنا	وانا على الجوزاء صرنا نحلق
فدم يا أمير المسلمين محببا	الى الشعب تقضى مايشا وتحقق

ظهير للمترجم

هو محمدى مؤرخ بسنة ١٣٥٧ هـ . ونصه :

(يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره أننا بحول الله وقوته ، وشامل يمنه ومنته . جددنا لمسكته المتمسكين بالله ثم به الفقيه الخير السيد عبد القادر بن العربى بن على السباعى واخوانه . حكم ما تصمنه الظهير الشريف الذى كان بيد والدهم رحمه الله من التوقير والاحترام . والحمل على كاهل المبرة والاكرام. والرعى الجميل المستدام بحيث لايسامون بمكروه ولا يلحقهم ضيم بوجه من الوجوه . رعيا لما قام بهم من وصف العلم الشريف الموجب لمراعاة من استظل بظله الوريف . وحاشيناهم وعائلاتهم الخصوصية من خدمة الطرق التى يكلف بها العوام . تجديدا تاما . نأمر الواقف عليه من عمالنا . وولاة شريف أمرنا . أن يعلمه ويعمل بمقتضاه . ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه . والسلام صدر به أمرنا المعتز بالله تعلى فى ٢٣ محرم عام ١٣٥٧ هـ . قد سجل هذا الظهير الشريف فى الوزارة الكبرى بتاريخ ٢٢ محرم عامه الموافق ٢٩ مارس ١٩٣٨ م)

الخامس محمد فاضل بن العربي

ولد ١٣٢٠ هـ . أخذ القرءان عن الاستاذ ابرهيم الكدميوى ـ غـير الاستاذ المتقدم ـ ثم أخذ العلوم عن أخويه المذكورين . ثم خلفهما فى المدرسة فعمرها بالتدريس مرابطا مصابرا وان قل من فى المدرسة الآن . (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) . وهو الاستاذ الكبير الذى بقى بعد حلبتـه ولسان حاله ينشد :

هذا جزاء امرء أقرانه درجوا   من قبله فتمنى فسحة الاجل

سيدى احمد الدمناتي

نحو ١٣٠٤ هـ = ٢٢ ـ ٦ ـ ١٣٧٥ هـ

نسبه :

احمد بن سعيد بن علي

من (ايدجوطان) فخذ من (ايحناش) من قبيلة (أيت تامر) بـ«حاحة» ويسمى هناك أهل (أيت واكناو) قبليٌ (أفرني) بـ (الجبل) . انتقل والده سيدى سعيد الى « دمنات » حيث ولد المترجم .

سعيد بن علي والده

سعيد كان رفيق الاستاذ سيدى عبد الله الركراكي في الاخذ . أخذا معا عن سيدى علي الحياطي. وسيدى علي التناني. الشهيرين بالقراءات السبع. في (سوس). قال المترجم: جلست يوما بلوحتي الى سيدى عبد الله الركراكي فسألني عن نسبي فذكرت له والدى . فقال : اذن هو والدك . فقد كنا معا ناخذ القرءان عن أشياخنا بـ (سوس) . ثم ذهبنا معا الى (حاحة) فشارطت أنا في مدرسة (سيدى غانم) بـ (حاحة) وسافر هو لطيته .

قال المترجم : كان سبب مغادرة ابى لمسقط راسه الى (دمنات) ان قبيلة (أيت تامر) ألزموه أن يشترى فرسا. فاشتراه فذهب به الى القبيلة . فقالوا له : اننا نريد فارسا لافرسا . فتولى عنهم . فذلك هو السبب حتى ارتحل فساقته الاقدار الى (دمنات) فشارط في مسجد قريب من المدينة . فاعتنى به القائد (أوعبّو) قائد (غجدامة) اذ ذاك . فأقبل على تعليم القراءات السبع . يرتحل اليه فيها وتكونت به مدرسة هناك للقراءات . ثم اشتغل بالتجارة مع عدم انقطاعه عن التعليم. جمع بينهما بهمته . وكان في المدينة القائد الحاج الجيلالى . من القواد الكبار . وكان يذكر بخير . يحب الطلبة والغرباء . ويرد عنهم العوادى . الى أن سقط بيد طالب في مسجد الجمعة يوم جمعة . وفي عهده شكا الدمناتيون الى الملك مولاى الحسن ان الماء الذى ياتى الى المسجد الجامع هناك متغيرا وهو يمر بملاح اليهود فيحمل اوساخهم فلا يصلح للوضوء . فامر القائد ان يبنى لليهود خارج المدينة .

فبيعت ديارهم . فاشترى سيدى سعيد بن علي واحدة . وهي التي تزوج فيها فولد له ولده المترجم .

توفى سعيد ١٣١٥ هـ بعدما تخرج به كثيرون هناك من طلبة قراءات السبع . وينبغى أن يجعل ازاء القراء الكبار السبعيين الحاحيين .

متعلم المترجم

كان أخذ عن أبيه الختمة الاولى هناك . ثم اتقن الحفظ على سيدى على البزيوى. من تلامذة والده . وعلى رفيق لوالده . واسمه سيدى على بن الحسين الدمناتى . وقد اتقن على العشر فى (مراكش) مع المامه بالعلوم عند العلامة سيدى على بن سليمان الدمناتى الشهير . توفى على بن الحسين هذا بعد ١٣٢٢ هـ بقليل .

ثم ان المترجم راجع (حاحة) ليتفقد أملاكهم . فاتصل هناك بالاستاذ سيدى الحسن بن الحاج التامرى الواكناوى . من بنى عمومته . وكان مشارطا فى مدرسة (سيدى عبد الرحمن) هناك . وكان متقنا أيضا للعشر ممن أخذوها عن والد المترجم . وأخذ العلم من (جبالة) و (فاس) وقد تصدر للقراءات . فلازمه المترجم ثمانية شهور . فمشى هناك خطوات فى السبع بعدما كان ألم بها فى (دمنات) وذلك سنة ١٣٢٢ هـ وقد توفى سيدى الحسن ابن الحاج هذا وشيكا حوالى ١٣٣٥ هـ بسم من زوجه .
ثم القى المترجم مراسيه فى قرية (المزار) عند الاستاذ الركراكى عامين اثنين أولا . ثم عامين ثانيا تخللتهما شهور . انقطع فيها لاخذ بعض الفنون عند الفقيه سيدى الطاهر السماهرى فى مدرسة (أكلو) (١) . ثم سنة شارط فيها فى مسجد (اسكراد) من (ايغير ملولن) . فهؤلاء أساتذته ومنهم حصل فى القراءات .

فى الطريقة الالغية

أول ما اتصل بالفقراء كان فى (المزار) فقد تلقن أذكارهم من عند سيدى محمد المزارى . الفقير المجد الكبير المقام . ثم صار متى ذهب فقراء (المزار)الى الزاوية الالغية يذهب معهم. وكلما سمع بهم ساحوا قرب المزار يسيح معهم . فيحضر فى الموسم الالغى دائما . ثم لما أتم السنتين الاولين عند الاستاذ الركراكى . استأذنه فى أن يقرأ العلم العربى . فأحاله على الشيخ ليستأذنه . قال : فسافرت الى (المعدر) حيث الشيخ اذ ذاك . فاستأذنت

---

١) ترجم فى (الجزء الثالث عشر)

عليه وهو في بيت منفردا فيه عن الفقراء . فأمرني حين سلمت عليه ان ءاكل من مائدة أمامه . فيها عسل وخبز . فاستحييت . فخرج وتركني ، ثم خرجت . فخدمت مع الفقراء في مطمورة يحفرونها . وفي حائط يبنونه وبعد ثلاثة أيام أفضيت اليه بمقصودي . فقام معي حتى طرق الباب على الاستاذ سيدي محمد بنمسعود . فخرج في مرقعته كادون الفقراء . فأمره ان يكتب رسالة الى الفقيه سيدي الطاهر السماهري . ليهتبل بي . وليمونني من عنده . فأرسل معي رفيقا الى قرية (الدشيرة) حتى أراني طريق (أكلو) فبقيت هناك أربعة أشهر . فوصل الموسم الالغي الذيسالت اليه الطرق من كل جهة . فحضرنا فيه . ثم سلبني حال الفقراء المتجردين. فأبى ذلك على الفقيه السماهري . الا أنني صددت عنه الى ذلك بعدما استأذنت الشيخ . وذلك في أواسط شعبان ١٣٢٦ هـ ثم أرسلنا الشيخ . ونحن ٣٢ مع سيدي الحسين بن مبارك المجاطي (١) فسحنا في (أيت صواب) وفي (أملن) الى ٢٧ رمضان من تلك السنة . ثم بقيت في الزاوية ثلاثة أسابيع . فادركت أني عاجز عن التجريد . فتوجهت الى (تازاروالت) فبت مع رفيق في (تاوريرت ايفغلال) ثم الى (اسكراد) حيث شارطت سنة . فوجدت هناك تلاميذ كثيرين . ثم راجعت الاستاذ الركراكي . فلما مرض الشيخ ١٣٢٨ هـ وذهب الفقراء بالخل من (السويرة)اليه . صاحبت سيدي محمدا المزاري . وسيدي بوجمعة رفيقه الى عيادته . فمن الله علي برؤيته . فلما توفي كنت في المعزين . وهكذا كنت دائما مع الفقراء . لان قلبي متعلق بهم . وان كنت لا أقدر على التجريد دائما أمثالهم . ثم صاحبت سيدي سعيدا التناني مع ثلة من الفقراء في (ادا وتنان) في (ايدا وزيكي) ثم أرسلنا مع فقراء ءاخرين الى (السويرة) ثم (ادا وزمزم) وقد وقع لهم هناك . وهم عند سيدي محمد بن عمر مقدم الزاوية أن سيدي محمدا هذا ذهب الى بعض معاريفهمن جيران الزاوية . فقال له : ان هنا فقراء وليس في الزاوية أدنى شيء يتعشون به . يريد أن يتعشى الفقراء عنده . لان عنده عرسا . والطعام موجود . فقال صاحب العرس . اننا الآن في شغل شاغل بالمعرسين والواردين والصادرين . وسنتذكر الفقراء أخيرا . فرجع سيدي محمد بن عمر منكس الخاطر . وصلى الفقراء المغرب . فاذا بانسان جاء واستدعى سيدي محمد بن عمر . فأبطأ ما شاء الله عنا . فلما جاء حكى أن أهل العرس استدعوه . وقالوا له تعل اقرأ على العروس . فقد

---

١) مذكور في (منية المتطلعين)

مسها جنّى . قال فقرأت عليها حتى غادرها جنيها . فاذا بالزوج العروس مجنون أيضا . فصرت اقرأ عليه بنوبته . فاذا به قد استفاق فدخل الجنى احدى نسائهم أيضا . قال سيدى محمد بن عمر : فقلت لهم افهموا عن الله وعشوا الفقراء أولا فهكذا فعلوا . فزال الضرر عن أهل العرس فى الحين. فكانت كرامة للفقراء . ثم من هناك الى (ايدا وزيكى) ونحن فى قلة وجوع. قال : وكان معنا سيدى مبارك بن الحسين التوزونينى الذى ثار بعد هذا العهد فى (تافيلالت) فرأيت منه عجبا . وذلك ان أهل (السويرة) أعطونا زجاجتين كبيرتين من ماء الزهر لتوصلهما الى الزاوية . فقال لى التوزونينى ان هذه وعين احداهما . ستنكسر لك فى الطريق . والاخرى تسلم . فرددت عليه ما زعمه . الا ان الاقدار صدقته فى الطريق . فانكسرت التى عينها . وسلمت الاخرى . فأوصلتها الى الزاوية .

قال : اننا قاسينا فى تلك السياحة الجوع الكثير للقحط العام . وذلك ١٣٢٩ هـ حتى اننا قصدنا (ايدا وزيكى) من (حاحة) فبقينا أياما بلا ذواق أصلا . ولما بتنا فى زاوية (بويكودوين) عند سيدى الحسين التامكونسى . ظننا اننا نجد ما يقوينا . فاذا بلقمة قليلة ما سدت ولو معى واحدا منا (اقول) ان المترجم يتعجب من هذا . وأما المتجردون الذين أبطأوا فى التجريد فهذا هو غالب حالهم فى السياحات بل قد يواخذون انفسهم بذلك فينة بعد فينة . وان كان الخير موجودا . قال : الا اننا لما اتصلنا بسيدى سعيد التنانى الذى لا يفارقه الجمال . وجدنا كل خير . فقد لحقنا به فى قرية من قرى (ايداوزيكى) . فسحنا معه هناك فى كل تلك النواحى . ثم رجعنا من هناك . فبتنا عند الاستاذ سيدى على التنانى فى (سيدى بوسحاب) فلما وصلنا (المزار) جلسنا ايضا عند أستاذنا الركراكى . فقال لى : انك من أولادى . وهذه دارك . ولست كمطلق الطلبة. فسح مع الفقراء ما شئت . ثم ارجع الى دارك هذه . قال : وكان شغلى عنده تعليم الولدان . لاشتغاله هو بالقراءات العشر مع الكبار . وكذلك أسخن ماء الوضوء فى المسجد . قال : فبقيت هناك حتى قام الهيبة فى جمادى الثانية ١٣٣٠ هـ . فلما جاء خليفة الشيخ سيدى محمد مع الفقراء فى محلة الهيبة الى (بيكرا) بـ (هشتوكة) زرتهم هناك . فرايت الفقراء كثيرين . والزحام موجود . وما معهم الا ثلاثة فساطيط كبرى . هى التى أعطاها لهم الهيبة . فرجعت عنهم الى (المزار) وفى رمضان غادرت (المزار) فمررت بـ (ماسكينة) فـ (ايداوتنان) فـ (ايمى نتانوت) فى الزاوية عند مقدمها

سيدى سعيد الاسحاقى التنانى (١) الذى كان فيها . ثم قصدت (مراكش) فتلاقيت مع سيدى المحجوب الراسلوادى (١) فى(مجاط) ثم دخلنا (مراكش) فلم نجد الفقراء فى الزاوية . فاذا هم قد انزلهم الهيبة فى (الباهية) . قال: فمكثت معهم هناك أربعة عشر يوما . قال : فوجدت يوما من الايام الاخيرة فى أحد أبواب (مراكش) بعض السوسيين يتعدون على الناس المستوردين بضائعهم الى المدينة . من فحم وخضر . قال : فثرت فيهم قائلا : أتحسبون أن قدرتكم السوسية . وقوة سواعدكم هى التى أوصلتكم الى (مراكش) . فاخذ بطرف ثوبى احدهم . فقال : ليس هذا من شأنك . فاذهب الى حال سبيلك . قال : فانطقنى الله بقولى : الآن وشيكا سترون عقبى ظلمكم هذا . فاذا بالهزيمة من (ابن كَريرِ) ثم من (سيدى بوعثمان) ٢٣ رمضان . قال : وفى صبيحة يوم خروج الهيبة ٢٥ منه كنا فى المجلس . وقد قرانا الحزب بعد الصبح . وابتدأ مقدم الفقراء فى الاذكار سيدى مولود (حسبنا الله ونعم الوكيل) فزاد على المائة المعلومة . فاذا بمناد ينـادى : العجل العجل . قوموا قوموا . فان الناس قد ذهبوا لحال سبيلهم . قال : فأمرنا سيدى سعيد التنانى . أن يحمل كل واحد منا بعض الاوانى فتوجهنا الى (القصبة) فاذا بالبارود من أصحاب المتوكى . فانزلنا ما حملناه من الاوانى فى ركـن ازاء حائط . قال : فذهبنا الى الزاوية بـ (الرميلة) ولم يمسنا أحد . لان علينا ثياب المساكين . وأما الاعراب فـلا يرون مـن الناس الا القتل الذريع . والشلحيون السوسيون يسلب ما عليهم ان لبسوا ما يسلب . فبقينا فى الزاوية ما شاء الله . ثم أرسلنا سيدى سعيد الى مولاى ابرهيم فى (الجبل) لنتفقد الفقراء . فوجدنا الخبر بان السالكين لـ (وادى نفيس) قد سلموا كلهم . فرجعنا الى (مراكش) ثم بعد العيد سافرنا أنـا وسيدى عبـد الله السكسيوى مع سيدى سعيد التنانى فى رفقة القائد محمد كَورما الحاحى مع أصحابه . فأصبحنا فى (افروكَن) فنجونا الى (متوكَة) بعدما بتنا فى (اولاد صولة) بـ (اولاد أبى السباع) وكان القائد فى ستـة عشر فارسا . من بغال كثيرة . ثم نزلنا عنده فى داره يومين . ثـم الى (ايمـى نتليت) . فالى (ايداكلول) عند الحاج الحسن الكَيلكولى . ثم سحنا فى (أزغار) حوالى (تيزنيت) فى (بعمرانة) . قال : ثم بعثنا سيدى سعيد الى سيدى الطاهر ابن باكريم البعمرانى . لناتى من عنده بعنبر للتـداوى . ثـم رجعنـا الى (ايت جرار) فـ (تالعينت) ثم الى (تازاروالت) ثم الى قرية(ايسكَيوار) عند

---

١) مذكور فى (منية المتطلعين) .

الكريم سيدى عبد الله (١) امام مسجدها . ثم الى الزاوية . ثم بعد زمن توجهنا الى (ايداوزكرى) معسيدى مولود فى ثلة . ثم من هناك الى(ايداوزيكى) برسائل من عند سيدى مولود . وكان خليفة الشيخ اذ ذاك هناك . قال : فمررنا بالفقيه سيدى الحاج عابد الشهير . ففرح بنا وطلب الله لخليفة شيخنا أن يوفقه . حتى لايفارق طريقة أبيه . ثم تعرض لنا لصوص فى (أدميم) قال : فقاومناهم أنا وسيدى أحمد التاسادمتى (١) . فسلبونا بعد ما شدخوا رأسى . فذهبت الرسائل التى معنا . ثم من ذلك الوقت فارقت (سوس) فمررت بـ (مراكش) الى (دمنات) قال : كان جذب أصابنى بين الفقراء . فأثر فى كثيرا . فكنت فى هيئة زرية . فبينما أنا فى الطريق قبل وصولى الى (دمنات) تلاقيت مع أناس يسألوننى من أنا . فاذا به أخى فاركبنى على بهيمة كانت معه . فأوصلنى الى دارنا . فأتى بكسوة تامة جميلة . فبقيت هناك . اختلف الى زاوية الفقراء فى (دمنات) فوجدت هناك سيدى على بن سيدى العربى من (فركلة) الذى فتك به الثائر مبارك التوزونينى بعد ذلك الحين (٢) هو وكل من اليه . وكان سيدى العربى الهوارى ثم أولاده من أصحاب الشيخ سيدى محمد العربى المضغرى . الشيخ الشهير . وكان سيدى على بن العربى ماذونا له فى الارشاد . فأبى من الظهور . فهرب الى (دمنات) ثم جاء اليه الفقيه سيدى محمد بن الحاج الفيلالى اليحياوى الذى كان كاتبا للشيخ سيدى محمد العربى المضغرى فى حياته . فى رفقة سيدى الحاج الحسن المرغادى . ليرجع به الى زاويته . والحاج الحسن هذا من أكابر أصحاب الشيخ سيدى محمد العربى المضغرى وله اخوان : الحاج محمد . والآخر يلقب بالسكبيوش . يسكن فى (غريس) من (كلميمة) ثم ان الفقيه ورفيقه ذهبا بسيدى على بن العربى الهوارى . قال وكنت فى صحبة سيدى على اذ ذاك . فطلب منى أن أرافقه فاعتذرت له بأننى لبس منى أدب الصحبة . فقال : نادِ ربَّك والق اليه نفسك . فقد قال بعض العارفين : اللهم لاقنى مع عارف بالله . ثم لا أبالى ان أقع فى بحر من الذنوب . يعنى أن صحبة العارفين هى التى تجتث أصول الذنوب. فصاحب أولا العارفين تجتث منك جذور المعاصى . قال : فصاحبت سيدى عليا مقدار عامين . أسيح معه فى (غريس) الى (تافيلالت) وأكون معه فى زاويتهم ازاء (تينجداد) الى أن وقع بينى وبين أناس حادث مؤلم . فامرنى سيدى على أن أذهب الى محل عند أناس فى جوارهم ، حتى يندمل الجرح

١) ترجم فى (منية المتطلعين) .

٢) راجع ذلك فى (الجزء السادس عشر)

الواقع . ثم ضقت ذرعا بالمكث الكثير هناك . فصاحبت فقراء منهم عن اذن سيدى على الى (مراكش) فمررنا بالرجل الصالح سيدى مولاى عبد المالك الدادسى . رحمه الله . ثم ذهبت من (مراكش) الى (دمنات) فأبى أهلها أن يفارقونى . الى أن أذهب مع الفقراء الى زاوية سيدى على بن العربى الهوارى . فذهبت معهم الى (تينجداد) ثم رجعت الى (دمنات) ثم الى صحبة سيدى ابرهيم ابن البصير . وذلك حوالى ١٣٣٧ هـ ثم أرسلنى الى فقراء من (اولاد سعيد) من (بنى معدان) فلم ءالف كثيرا هناك . ثم من عندهم الى زاوية (سيدى على أمهاوش) فى (قصبة بنى ملال) وهى عامرة بالطعام وبالفقراء . وبنت سيدى على هذا تزوجها الشيخ سيدى محمد العربى المضغرى . وهى أم مولاى التقى الذى كان قائدا بعد الاحتلال . قال : وكان الشيخ - فيما تواتر - يسميه اسما ءاخر . وقد مات وبقى اليوم ولده القائد بتاسيدى الحى الآن فى (قصر السوق) (ثم لم ينشب بتاسيدى بعد كتابة هذا ان توفى أيضا مريضا)

قال : وبيت (ءال أمهاوش) بيت شهير. خصوصا فى علم الحدثان. واستطلاع الغيوب . ولافرادها ذكر متكرر فى تاريخ جبل الاطلس الكبير . وكذلك أصهر (ءال أمهاوش) الى أحد أبناء سيدى العربى الهوارى . باحدى بناتهم. وهى أم الموجودين الآن . وسيدى على أمهاوش ربانى كبير . له سطوة كبرى على تلك الجبال . وهو من أصحاب سيدى محمد العربى المضغرى الشيخ الكبير رضى الله عن الجميع .

بقى المترجم فى (بنى ملال) ثمانية شهور . اماما لهم فى الصلوات . ثم صاحبهم الى زاوية (سيدى على أمهاوش) قال : فوجدناه فى (أركو) من قبيلة (ابن أحمد) على رأس (وادى ملوية) ومن عادته من القبائل أن كل قبيلة تضيفه بالتناوب . فتكون ضيافة القبائل تدوم فى كل قبيلة الى نحو شهر . فيجتمع عليه المئات من الناس كل يوم . قال : فلما مضى الزواد حبسنا نحن عنده نحو ستة وعشرين يوما . وفى هذا الوقت لايزال أهل الاطلس خارجين عن حكم سلطة الحكومة . قال : ثم رجعت الى (بنى ملال) ثم غادرتها الى (ايت عتاب) بزاوية (مولاى المكى) الشريف البلغيثى العلوى. دفين مشهد هناك . ومولاى المكى من أصحاب سيدى محمد العربى المضغرى أسس هناك زاويته . قال : وجدته مات . فحاول ولده أن يخلف أباه فى زاويته . فأبى أصحاب أبيه . فاختاروا غيره . فقال قائل له : اذكر الله حتى تصلح أن تكون خليفة أبيك . والقائل هو سيدى محمد بن على البدوى . المدفون فى (ابن صالح) بـ (مراكش) قال : بقيت فى تلك الزاوية نحو

ثلاث سنوات . اؤم فى الزاوية . واعلم الوِلدان . ثم لما استولت الحكومة على (أيت عتاب) هاجرت فيمن هاجروا . ثم بقيت فى مهاجرى ما شاء الله ثم ذهبت الى (دمنات) فاتجرت فلم يتيسر شيء من التجارة . ثم ذهبت الى زاوية سيدى ابرهيم ابن البصير . فى (بنى عياط) حيث جلست سبعة أشهر فى تعليم الوِلدان . ثم انتقلت الى (بنى شكدال) بـ (تادلة) ثمانية شهور. ثم بعد تقلبات تزوجت رغم أنفى بـ(دمنات) حيث بقيت سنة ونصفا ثم لم يقع الاتفاق بينى وبين الزوجة . ثم راجعت (أولاد عريف) من (بنى موسى) من (بنى عون) بـ (تادلة) حيث بقيت نحو ١٠ سنوات . ثم اننى ذهبت لأزور أحد اخوانى لله فى (البيضاء) فادى ذلك حتى انقطعت اليها . فبقيت الى اليوم .

وممن زارهم من أهل الخير . الرجل الصالح سيدى الحاج مَحمد النظيفى . قال : صليت معه يوما العصر فى زاويته بـ (مراكش) ثم صافحنا كما هى عادته مع كل من صلى معه . وممن زارهم سيدى أحمد بن الجيلالى من أولاد (سيدى على بن ابرهيم) من أصحاب سيدى مَحمد التيلفيبي الحاحى . وكان يجىء الى (أولاد عريف) والى (بنى شكدال) وكان يغلب عليه كثرة الاذكار . وربما يقول عن نفسه أمورا لايصدقه أحد فيها كشطحات تصدر منه وكأنه مغلوب على حاله فيها .

قال : كل هؤلاء المشايخ اعلاهم كعبا . واحسنهم أدبا . واكثرهم انهاضا وتهذيبا هو الشيخ سيدى الحاج على رضى الله عنه الذى اتخذته وحده شيخى ووسيلتى الى الله . ولم يعمر عينى غيره منذ عرفته . بل لم أجد فى همته وتأثيره فى القلوب له نظيرا . لو تطلبت له نظيرا .

قال ـ وقد سألته سؤالا متفهم عن أحوال من لاقاهم : سمعت سيدى محمد بن الحاج البحياوى يقول . ونسب المقالة الى سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه : أياكم وتنقيص أحد من أهل نسبة أهل الله . فان لله طرائق على عدد انفاس الخلائق . ولكل مشرب . فنحن وكافة أهل الله كفلقتى الرحى . من دخل بيننا يسحق . والذى يدخل بيننا هو الذى يقول الشيخ فلان أكبر من الشيخ فلان . أو أصحاب فلان أفضل من أصحاب فلان . ومصداق ذلك فى قوله تعلى : (وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى من ماء واحد ونفضل بعضا على بعض فى الاكل) والمقصود ان التفضيل الحقيقى هو معلوم عند الله وحده . وأما الناس فبحسبهم التسليم . لانهم لايدركون البواطن التى بها يقع حقا التفاضل . وكل من ادخل نفسه فى المفاضلة التى لا علم له بها فانه كاذب . ولأن

نلغط في التفضيل . قال : فليفهم مقصود القوم ولكل وجهة هو موليها . نعم ان الامر كما قال سيدى محمد الشرقي: (والله ما نكول سدِي بن سدِي غير "لحَل" كيودى) أى والله لاأقول سيدى ابن سيدى الا لمن حل فيودى

وحكى أيضا عن سيدى محمد بن الحاج اليحياوى المذكور أن الشيخ سيدى محمدا العربى رضى الله عنه كان يقول :

(اننا وان أمضينا ثلاثين سنة فيالتربية . لاندعى الى الآن اننا تجاوزنا مقام الاسلام . الى مقام الايمان . فضلا عن مقام الاحسان) . قال المترجم : لما كنت في مبادئي في (المزار) كثيرا ما أرى في عالم المثال أمورا . فتقع كما أراها وهي وقائع لم أرد اليها بالي . فاستحضرها الآن . وما ذلك الا ان الشيخ الالغي يربينا دائما على عدم الاهتبال بمثل ذلك . جزاه الله عنا خيرا . ومقام العبودية هي المقام العظيم الذى منه منبع معرفة الله .

في البيضاء

وأخيرا استقر في (البيضاء) وجعلها خاتمة المطاف . فاوى الى المسجد الصغير الموجود الآن في (بوسبير) القديم . في زنقة (بولا) يؤم فيه . ويعلم فيه الولدان القرءان . وقد عزم على أن لايتزعزع عن ذلك طوال حياته . وقد دخل هذه المدينة سنة ١٣٥١ هـ قال : قد كنت في بيت ازاء هذا المكان أعلم فيه القرءان لأولاد المسلمين حتى بنى المسجد . والذى بنى المسجد الحاج ابن داود بن محمد الحريزى الصالح . من (أولاد صالح) أتمه في رمضان ١٣٥٢ هـ . وقد تخرج به تلاميذ كثيرون . حفظوا القرءان كله على يديه ، وهؤلاء المعلمون للقرءان في المدن اليوم ، خصوصا في (البيضاء) ان نصيبهم ضائع ، وحقهم لايقوم به أحد . مع أنهم يقومون بواجب كبير في المحافظة على القرءان . ويؤسف كثيرا من انصاف متعاقلين . يتخذون هؤلاء المعلمين موضوع سخرية . ونعوذ بالله من ذلك . وسوف ينقضى هذا الجيل فينقضى حفظ القرءان معه . ومتى تقلص القرءان تقلص الاسلام .

حاله واخلاقه

رأيت ترجمة حياة هذا السيد الجليل . وقد كتبتها من فيه يمل فاكتب أمامه . وليس لى فيها الا التعبير العربى الفصيح . والا فالكل منه . اطنب فيما رأيت الاطناب فيه أولى . واختصر فيما هو أولى بالاختصار . وقد رأيت أنه زوار لصالحين . طلعة الى أنيقتطف من كل شجرة . ويشم من كل زهرة لا يتعصب لشيخ على شيخ . ولا يرى لنفسه مقاما يكتفى به عن الازدياد .

وهو اليوم وهو ابن السبعين لا يزال هو هو . وقد يحسن بامثال الظن . فيشد رحلته الى" فيجلس الى"كانه يمثل امامأحد أولئك المشايخ الكبارفاستحى من ذلك . وما حمله على ذلك الا كونى ابن شيخه . وهو هين لين . زاهد منكمش ، قد يبقى اذا أرسل تلاميذه بعد أن يحفظوا منزويا وحده . لايراه أحد الا فى الصلاة اماما فى مسجده . وقد ألقى الله عليه محبة كل من يعرفه فترى الذين يلمون به يذكرونه باكبار واجلال . ولا يذكر بلسانه الناس الا بخير . وهو اليوم ضعيف المنة . ضعيف البصر . خطواته متقاربة . كأنه أوفى على الثمانين مع أنه دونها بكثير . وهو عزب لا ولد له ولا زوجة . فتراه مع كبر سنه . ورقة جسده . يزاول شئونه الخاصة بنفسه . وكلما دخل عليه داخل يجد المأكول والمشروب مهيأين ولا يتكلف بالمفقود . ولايبخل بالموجود . وصوته الخافت اذا حادث أحدا لايكاد يبين من فيه . ممن يمشون على الارض هونا . وقد جعل يوم معاده بين عينيه . فلا يبالى ما ياتى به غيره زد علىذلك انه وان كانت القلوب والظنون تشم منه ما تشم من أرباب أصحاب الباطن . لاترى منه أية اشارة الى ذلك . ومتى طلب منه طالب مايحوم حول شىء غيبى . لايعدو أن يدل على الله . وان يامر بالاعتماد عليه . وهذه الاحوال . التى تختبط فيها الامة اليوم من الاستعمار لانسمع منه حواليه الا التضرع على الله بكل عزيمة أن يفرج الازمة . ولا تحس منهمن الاشارات ما هو مألوف من أمثاله . وقد أثنى عليه العارف بالله سيدى مولود وكذلك سيدىالتهامى الركنى . ومثلهما من تصح منه التزكية .

ثم انه اثر مرض لم يطل به لفظ نفسه الاخير . فبكاه الفضل والتهجد والخشوع . وتعليم القرءان . وامامة المسجد . حين لم يترك من الاولاد والاهل من يبكيه . رحمه الله ، وألحقنا به مسلمين . وقد جرى ذكره فى كتاب (منية المتطلعين) لانه على شرط ذلك الكتاب . وهذا الكتاب مطبوع اليوم بحمد الله .

الصوفي الكبير

سيدي محمد التادلى الرباطى

نحو ١٢٩٠ هـ = ليلة مفتتح رمضان ١٣٧٢ هـ

نسبه :

محمد بن علي .

صوفي من أكابر المولعين بالمقالات الصوفية ومراتبها. ولد في (الرباط) كما احسبه ذكره لي من أسرة العلامة سيدى ابرهيم التادلي الشهير . ويقول ان جد الاسرة هو الشيخ المسمى سيدى جابرا دفين (تادلة) . ومن هنالك جاءت هذه النسبة التادلية لهذه الاسرة المباركة .

كان يحكي لي عن أوليته . وأنا أسأله عنها . ولكنني لم اكن اقيد ذلك حينئذ . فذهب غالبه وانما استحضر أنه ذكر انه اخذ عن العلامة أبي العباس ابن الخياط الفاسي وأمثاله . ثم حببت له أحوال الصوفية محبة غريبة ، وينتسب من قديم الى الدرقاوية . وقد حكى لنه ربما كان في مبدا امره يبيت في المساجد غريبا من غير شعور المؤذنين . حتى انه بات مرة في مسجد فلامر ما دخل تحت المنبر . وفي الصباح لما دخل المؤذن الى المسجد أحس بحركة تحت المنبر . فتوهم أن هناك جنيا فاوجس في نفسه خيفة . في حكاية يذكرها لم استوعبها كما هي . ولكن هذا لبها :

كان تعرف بمشايخ عصره البارزين كأبي زيد مولاى عبد الرحمن بن الطيب بن مولاى العربي الدرقاوى المجوطي . وأمثاله . وكان لايسلم لهم حالا لانه يرى لهم ما لايوافق ما يعرفه هو. على حسب ذوقه الخاص ـ من طريق القوم . وما كان يرضى الا عمن يتسم بالاحوال التى يتسم فيها رجال (الرسالة القشيرية) وهو الكتاب الذى يكثر من مطالعته في مبادئه كما يطالع امثاله . حتى رسخت في قلبه تلك الاحوال. وطبعت على لسانه اقوال رجالاتها فلا تكاد تسمع عنه الا قال ابو علي الدقاق . قال ابو عبد الرحمن السلمي. قال الجنيد . قال سهل التستري . قال فلان وفلان ممن ذكروا في الرسالة القشيرية . واخوات الرسالة القشيرية . وكان فياضا بذلك في مجالس الفقراء ان حلقوا عليه . وجلس في صدارتهم .

اتصاله بالشيخ الالغي

سألته عن سبب اتصاله بالشيخ الالغي . قال كنت اذ ذاك فى (زطاط) ازاول تجارة . ثم ورد عليَّ وارد . فالتحقت بـ (السويرة) فصادفت هنالك سيدى سعيدا التنانى مع ثلة من الفقراء المتجردين . فلم أكد أتصل بهم . وأشاهد أحوالهم . واقبالهم على شأنهم . واكبابهم فى اركان الزاوية الدرقاوية التى نزلوها فيها على ذكر (الله) بالمد سرا منفردين . يمر بهم يوم فيوم فثالث وهم لايملون ولايضجرون . حتى شعرت بأننى عشت حتى رأيت نمطا ممن كنت قرأت عنهم فى (الرسالة القشيرية) و (عوارف المعارف) للسهرودى و (المباحث) لابن البناء . فقلت هكذا يكون الصوفى المنقطع الى ربه . فلا تطبيه شهوة . ولا تستمليه جولة فى المدينة . ولا يهمه أن يتطلب ذواقا . قال : فاقبلت على ما عندى انفقه عليهم . وقد رأيت من فقراء (السويرة) عدم المبالاة بهم . حتى اذا تم ما عندى ملت الى ثيابى أبيعها ثوبا ثوبا . ثم لما تهيأوا الى الصدور الى الشيخ فى (الغ) عزمت على المثول بين يديه . لأرى فى حياتى شيخا صوفيا على الحقيقة . يقدر ان يهذب امثال هؤلاء الرجال حتى يخرجهم هذا التخريج . وحتى يكبوا على شأنهم . ناسين غير الوجهة التى توجهوا اليها . فعمدت الى كيس من القنب فصنعت منه قميصا فافرغته عليَّ اخشيشانا ونكرانا للذات . وقد القيت عنى حلة الحضريين. ليمكن أن أكون مثل هؤلاء الذين سأصاحبهم . وهم فى مرقعاتهم . قال : هكذا طلقت الدنيا . فعزمت على الانقطاع الى الله عند الشيخ الالغى . فسافرت من (السويرة) راجلا على ضعف بنيتى . يحدونى الشوق الى رؤية هذا الشيخ العجيب . ويقودنى التوفيق من الله . ثم لما قاربت الزاوية . رأيت فى المنام الشيخ على الهيأة التى رأيته فيها يوم رأيته . ثم لما حللنا فى (الغ) والوقت وقت برد . وتلك البلاد الجبلية من أشد البلاد علينا أهل الحضر من كل ناحية . من ناحية المطعم . ومن ناحية الاخلاق . بله اختلاف اللغة . فادركت مقدار ما أنا فيه من الشدة الهائلة التى لاتطيقها بشريتى . وان تجلدت ما تجلدت . فتثور عليَّ نفسى . ولكننى أعزم على اثبات قدمى. رغم اننى فى بيئة لايمكن ان يتحملها مثلى . فكل الفقراء الذين هنالك من المتجردين بدويون أصحاء . لايهتبلون من أجل قواهم المتينة بكل ما هم فيه فان كان الذكر كانوا جبالا . لايمكن لمثلى ان يدخل معهم خصوصا فى ذكر القيام – يعنى العمارة – وان كانوا مستريحين من ذكر الاجتماع انفرد كل واحد منهم فى ركن من اركان المحل . فلا أحاديث مؤنسة . وان قدر أن

هناك شيئا منها . فانها بلغة الشلحة . وهي غريبة عني . واما اذا قام الفقراء لمزاولة شغل من أشغال الزاوية . فانهم عفاريت لا يطيق مثل مجاراتهم . وقد قاموا يوما لمزاولة عمل أمرهم به الشيخ . فقمت وانا صائم وكل مناى أن يريحني الشيخ . لانى عاجز عن أى عمل . فما برزت من مكانى نحو محل الشغل حتى نادانى الشيخ أرجع أنت الى محلك . ثم خرج الشيخ والفقراء الى السياحة . فصرت امشي بقدر ما أستطيع . وانى يمكن لى أن أماشيهم . وهم أقوياء بدويون وانا حضرى ضعيف البنية . فبلغ منى الجهد مبلغا عظيما . ونفسى تثور عليّ حتى اذا لم يبق فى قوس الصبر منزع . اندلقت من بينهم صباح يوم . فغادرتهم فى مسجد قرية . وذلك فى (رسموكة) فتوجهت الى جهة الحواضر. وانا لا أعرف الطريق . ولا لى لسان شلحى أقدر به أن أسأل كل من لقيته فأويت ذلك النهار الى دار . فلم يدخلنى ربها . فدخلت الى محل صغير مغطى أمام باب الدار . فصادف أن بات يهودى عند رب المثوى . فأنزله فى غرفة فوقى . فيخرج فى الليل فيهريق ماءه من أمام الغرفة التى فوقى . فترشنى الريح القاصف برشاشات بوله على وجهى . فكنت أقول لنفسى : هذا ما تستحقينه حيث أبيت أن تصبرى مع أهل الله . ثم طلعت من ثنية (ويشدان) فنزلت من (وادى نفيس) الى (مراكش) هكذا يحكى رحلته الى (الغ) وقد سمعت شيخنا سيدى سعيدا التنانى يحكى هذه الرحلة . ويقول انه لما أعجب بحالنا فى (السويرة) واستهيم بما نحن فيه . أبى الا ان يصاحبنا الى الشيخ . فصرت أراوده . على أن يتخلف لشيئين . أحدهما أنه لايطيق ما نحن فيه . وقد تفرست منه ذلك . وثانيهما اننا نسمع الشيخ مرارا يقول لنا : لا تاتونى أبدا بكل من وراء (وادى الغاس) فان مقصودهم قلما يخلص كله لله . فكنت أتوقع من الشيخ عتابا ان آتيته بمثل هذا السيد الحضرى . ولكن لما رأيته صمم وأبى الا تنفذ ارادته أبديت أنا عذرا على أن لا أصاحبه الى الشيخ . فأرسلته مع سيدى محمد المزارى الكسيمى بمجرد ما خرجنا من (السويرة) فملت أنا الى (أداوزمزم) بـ (حاحة) . ثم بعد أيام لحقت بهم . وقد دخلوا الزاوية فى (الـغ) ثم ان سيدى محمدا الرباطى ـ وبذلك يناديه الفقراء اذ ذاك ـ بلغ الجهد منه مبلغا عظيما . فقد صرخ فى سحر يوم . وقد استفقنا من مصلى الزاوية يقول يا سيدى سعيد قد كفرت ما هذا الذى أنا فيه . يقول ذلك بحالة تقطع القلوب شفقة عليه . فصرت أهدىء باله . فأقول له بملاطفة : مالك يا سيدى ؟ فقال : انني اجنبت وماذا أعمل ؟ وأين اجد مغتسلا . يعنى الحمام . فقلت له : لا باس . فهدأته فذهبت الى احدى مغتسلات المتوضا بالزاوية . فغسلته وجمرته بجمر كثير

وبخور . حتى حصل فيه دفء ما . فصاحبته اليه ، فاغتسل . ثم لما خرجنا الى السياحة كنت أراه فى انقطاع عن الفقراء . لانهم كلهم فى صمت متصل ولانهم كلهم لايعرفون لغته العربية . فجاذبته وقتا . وقد أهوينا للنزول فى شعب طويل عميق فى جهة جبال (رسموكة) فأردت أن أونسه بحديث فقلت له : يا سيدى محمد هذا وادى النور ، فبادرنى مجيبا : لا والله بل هو (وادى النار) قال سيدى سعيد : ثم فى صباح اليوم الثانى نادانى الشيخ فقال : ان سيدى محمدا الرباطى . قد ذهب عن الفقراء . وما ضيق عليه الا حين لايجد مؤنسا . ثم عاتبنى عتابا مرا . حين لا أكون الاحظه دائما بالمؤانسة حتى يألف . وهكذا وقعت من الشيخ فى المعاتبة التى كنت تهربت منها أولا . ثم ناولنى الشيخ ريالات . فقال : اجتهد أن تلحقه . فتمكنه اياها ليركب بها من (السويرة) الى (البيضاء) حيث يقرب من أهله ، فان جيبه خال . قال : فسرت فى الطريق متوجها الى ناحية (السويرة) فلم أصادفه ، فتبين بعد ذلك انه سالك غير ذلك الطريق حين توجه الى ثنية (ويشدان) الى (مراكش) . قال : وكان مقدار مكثه عند الفقراء ١٧ يوما فقط . وحكى لى سيدى عمر(١) الحوزى : ان من جملة الاسباب الحافزة للرباطى حتى غادر الفقراء . أن فلانا من الفقراء وسماه كان حديث العهد بالانخراط بين الفقراء . فرأى الشيخ يوما أمر فقيرا من المتجردين أن يناول سبحته الكبيرة للرباطى . فعلقها الفقير المامور فى عنقه . فتأبى سيدى محمد الرباطى منها . ظانا أن ذلك من الفقير من عند نفسه ولذلك قال له : ياسيدى اننى أريد سبحة فى ملكى . يحصل لى أجرها . فقال له الفقير : انها لك وكل أجرها . فانقلب ذلك الفقير المبتدىء على التادلى . يقول له : ارأيت ما فعل بك اليوم . فكأنى بمرقعة غليظة . من هذه المرقعات الثقيلة ملقاة عليك غدا . ثم لاتقدر ان تتحرك بها . فان الناس اذا أرادوا أن يلقوا البردعة على البغل يلجمونه أولا . يداعبه بذلك . فتأثر الرباطى من ذلك وهو مجد لايتسع صدره لمثل تلك المداعبة . ففى اليوم الثانى ذهب لحال سبيله .

(أقول) : ان هذه الرحلة كانت سنة ١٣١٧ هـ كما حكى لى المترجم بنفسه . وهذه المدة على قلتها صبغت التادلى صبغة خاصة . فلم يزل يلهج بما رءاه فى الزاوية (الالغية) ولم يزل يكاتب الشيخ وينتسب له . فيجيبه الشيخ ويهتبل به . وهو الذى نشر السمعة الطيبة للشيخ الالغى عند كثيرين ممن يتصل بهم فى الحواضر الشمالية . كـ (الرباط) و (سلا) و (فاس) . وكان دائما يفتخر بالانتساب اليه . ولا يرى له نظيرا بين مشايخ العصر . وقد حكى لى انه كان مرة جالسا مع سيدى محمد الكتانى الشيخ الشهير فى

---

١) مذكورا فى (منية المتطلعين)

عنفوان مظهره . فرأى اقبالا عظيما من الناس . وتدفقا علميا من السيد الكتانى فكأن قلبه تململ عن الانتساب لذلك الشيخ الالغى البدوى الجافى مع وجدانه لمثل هذا الشيخ الحضرى العلامة الهين اللين . وقد رأى فى مجلسه أثاثا ورئيا . وأطعمة فاخرة . قال : فقلت فى نفسى مثل هذا الشيخ هو الذى يليق بأمثالنا . فان سره على طرف الثمام . قال : فبمجرد ما خرجت من عنده . عرض لى الشيخ الالغى أراه عيانا فى بعض أزقة (فاس) بعينى هاتين فلما قابلنى ملأ فاه بالبصاق . فتفل به فى وجهى . ثم مر فمسحت وجهى فاذا بـه اختفى عنى . فعرفت من أيـن أتيت . فاستغفرت الله . وادركت مقدار هذا الاعتناء بى من الشيخ . على ظهر الغيب . وقد كانت غيرة الشيخ الالغى معروفة عندى عن أصحابه حتى شاهدتها بنفسى . هذا ما حكاه لى فاه الى أذنى . ثم لم يتيسر للتادلى أن يلاقى الشيخ الالغى منـذ فارقه تلك المرة . وليس بينهما الا المراسلة فقط . ويرى القارىء فى احدى الرسائل التى نشرناها فى ترجمة سيدى محمد بن مسعود المعدرى رسالة عن سيدى سعيد التنانى الى الاستاذ المعدرى يذكر له احدى هذه المراسلات بين الشيخ الالغى والتادلى . ثم انه لم يزل يعلن مناقب شيخه الالغى فى كل مجمع حتى حداه ذلك الى تاليف مجموع كبير فى الذى يعرفه عن الشيخ . ثم فى ثورة من ثوراته المعروفة عنه فينة بعد فينة . أحرق كتبه . فأحرق معها بعض هذا المؤلف . والباقى الذى سلم من الاحراق قد اتصلت به فخرجته وفيه بعض أحوال الشيخ . واستطرادات شتى وهو فـى نحو كراسين كبيرين .

احـوالـه

كنت اتصلت بالمترجم سنة ١٣٣٨ هـ وهو اذ ذاك يسكن فـى درب (ويحاح) عند مشهد (سيدى عبد العزيز) فى (مراكش) وقـد بنى هنالك دارا . فكنت ألابسه كثيرا . فأدركت بكثرة المخالطة ما أقدر أن أصدر بـه عنه حكما مسمطا فيما له وما عليه بكل انصاف .

كان حقيقة من الصوفية الذين يحبون أن يجمعوا بين الاحوال والاقوال فكان ذا مجاهدات لايفتر عنها ، كقيام الثلث الاخير من الليل . فقد كنت أبيت عنده كثيرا اذ ذاك فلم أره يترك التهجد ليلة . وربما يعروه حـال غريب . يستولى عليه حتى يصرخ صراخ المغلوب على نفسه . فيستفيق كل من فى الدار . وقد وقع له ذلك مرة . فايقظنى صراخه فزعا . لا ادرى ما وقع له . وذلك قبل أن أعرف منه هذا الحال . ثم لم أعد اهتم به ان عراه

ذلك الحال بعد أن عرفت حاله . وكذلك لم يكن يفارق الوضوء غالبا . ولا الاكباب على الذكر في سبحة . ما لم يشتغل بمحادثة انسان . أو مطالعة كتاب . وان كانت لاتفارق يده السبحة في جميع أحواله . وكان أحيانا كريما حتى لايوكىء على شيء . وربما اداه ذلك حتى يملق املاقا متصلا . غير أن قرينته كانت من أسرة لها أراض في (زطاط) فكان بتوكيلها يبيع من حظها شيئا فشيئا . ما يرتاش به كلما حص جناحه . ولا يزال على ذلك حتى نفدت تلك الاراضى أو كادت . وقد انتقل من (مراكش) الى (الجديدة) فسكنها . ولا يزال بها الى أن توفي . وهو ذو أحوال تختلف . فبينما تراه يحاسب على الدانق . اذا به يهب عشرات . وكما له من اليد المبسوطة في كل ما تملكه يده يقع أحيانا في انفاض واقلال . وقد شاهدته مرة في مجلس للفقراء . طافت به الاريحية . وهبت عليه النفحات . وقد انشد منشدهم قول القائل :

من ذا يبشرني بيوم لقاء أعطيه من فرط السرور رداءى

فلم يملك نفسه أن نزع عنه جبة ملف غير قديمة . فالقاها على المنشد . تاثرا بما خامره . وملك عليه شعوره . وقد علم هذا الحال معلوما من الصوفية اقتداء بما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ألقى بردته على كعب ابن زهير حين أنشده قصيدة (بانت سعاد) وكان يألف أن يقيم الضيافات للفقراء كل ما كان على مقدرة على ذلك . ولم يكن بصوفي شحيح ولابحضرى يماكس دائما . حتى لاتبض منه قطرة . وكان مولعا بتسويد الاوراق بما يسميه مؤلفات . ولعمرى انها قليلة الجدوى لقلة معلوماته التي دون أذواقه بمراتب . ثم هو بنفسه كثيرا ما يجيش به الورع فيلقي هذه المسودات في موقد الحمام . وقد شاهدته مرة حين كان دخل الخلوة بزاوية (الرميلة) بـ (مراكش) نحو سنة ١٣٤٠ هـ تناول أوراقا له كثيرة . فالقمها النار . وقال انني رأيت النفس تتشوف كثيرا اليها . ذلك ما قال . وقد كان قليل البضاعة جدا في العلوم المتداولة وقد أدركت منه ذلك بكثرة المخالطة . ولم يكن له باع الا في مقالات الصوفية . مع أنه يتطاول الى أن يسلم له في كل علم . وقد يعلن أنه كان له في كل علم باع طويل مديد . وقد شاهدته مرة يحاول أن يتكلم حول اللفظة الواقعة في الوظيفة الاحمدية (وطريقك الاسقم) فيحمل على نفسه حملا ليستخرج للفظة ما يقر به أعين المدافعين عنها . ولكنه لم يات بشيء . كان يقول انه أفعل التفضيل من استقام . والحقيقة أن ذلك هو المقصود اصالة من الكلمة . ولكن العربية تابى ذلك . وقد حضر مرة في مجلس جمع العلامة سيدى أحمد بن الجيلالى الفاسي

الشهير . والشيخ سيدى فتح الله وسيدى محمد بن جعفر وسيدى محمد بن الحبيب . فأنشد المنشد فيه :

ما بين معترك الاحداق والمهج   أنا القتيل بلا اثم ولا حرج
ودعت قبل الهوى روحى لما ودعت   عيناى من حسن ذاك المنظر البهج

فدار الكلام بين الحاضرين على لفظة لما ودعت . هل هى لما بكسر اللام وتخفيف الميم . أو لما بفتح اللام وتشديد الميم . وكان الشيخ سيدى فتح الله يقول انها الاولى وسيدى أحمد بن الجيلالى يقول انها الثانية . فانتصر المترجم للثانى . فذهب يحمل الكلمة على ذلك حملا فوقعت الواقعة بينهم . فحكى لى عما وقع الشيخ سيدى محمد بن الحبيب المكناسى . فحين لاقيت المترجم فى العشية . حكى لى أيضا ما وقع . فقلت له : ان الحق الذى لاينبغى أن يتوقف فيه من له ولو اصبع فى علم العروض مع الفريق الاول . فقال وقد اقر بغلطه . ما كنت أدافع الا عن سمعة (القرويين) فان الرئيس ابن الجيلالى ينبغى أن لايفرط منه غلط يعرفه عنه الناس . فقلت له لكنكم وقعتم فيما هو اشد . والمقصود انه اقر بانه انما يدافع عما يعرف أنه غير حق . وهذا كله انما يدفعه اليه فى الحقيقة انه مولع بمسايرة الناس أحيانا مع ولوعه بالمظهر العلمى بين أقرانه . فان ما بينه وبين الشيخ سيدى فتح الله من عدم المواتاة هو الذى حمله حتى وقف ضده . وهو غير محق . ومما الاحظه عليه كثيرا أنه لايسلم لمثل الشيخ سيدى فتح الله . والشيخ أبى زيد الدرقاوى حالهما . مع أنه يشيد بأحوال اخرين ممن يكايلهم الثناء . ويقارضهم الاوصاف الصوفية الكبرى من الغوثية والقطبانية والجرسية . وهكذا الرجل . وهو على كل حال فريد فذ من أكابر صوفية عصره . وكم تطاول الى الظهور الذى كان أهلا له . ولكن الله يريد به خيرا كثيرا من حيث لايشعر فلا يتم له من ذلك مراد . ولا يتيسر له منه مقصود . ومن العصمة أن لاتجد . وكان ذا معاشرة حسنة مع جميع الناس . يزور ويزار . ويدارى ويماشى اخوانه . فكل من سايره فلا يرى منه الا خيرا . ولا يشاهد منه الا كل ما يسر . وما ذلك كله الا من نيته الصافية . وانما لبشريته حقها هكذا كان حاله رضى الله عنه . فالذى يعجب منه كثيرا تهجده الدائم وكرمه وحسن مواتاته . وانفعاله للخير . فقد رأى يوما سيدى محمد بن جعفر الكتانى يتأفف من ديون عليه . فغادر مجلسه فى اللحظة . فسافر فى الحين الى أن باع دارا له . فاتى بالثمن فادى به الديون التى كان يتأفف منها سيدى محمد بن جعفر . وهو بهذه الاحوال من اماثل صوفية وقته . ومثله ينبغى أن ينظر باكبار واجلال . لان احوال البشرية مما ذكرناه عنه لاتمنع

أن يفيض الله عليه من أسراره ما شاء بفضله . وفضل الله لا يعلل . خصوصا على أمثاله . ويكفيه فضلا أنه لازم باب الله بكل جوارحه . لايزيغ عنه قلامة ظفر .

زرت (الجديدة) فنزلت عند انسان من أصحابنا هناك . ففتشت عن المترجم - كعادتي في زيارته دائما - حتى لاقيته . فعاتبني على عدم النزول عنده . فاعتذرت له . ثم قال : غير انك لاتجد عندي أكل الفقهاء من مختلف الاطعمة . فقلت له مداعبا على غرار كلامه : حينئذ لاتلمني ان لم أنزل عندك ثم ترددت الى (الجديدة) فكان كلما عاتبني على عدم النزول عنده أجيبه بمثل ذلك الجواب . وورد الى (مراكش) مرة وفي يده رسوم قضية يتخاصم فيها مع ورثة رجل شاوى كان تزوج بنته فمات عليها . وله منها عقب فوصى عليها ولدا له كبيرا من غير تلك الزوجة . فقام صاحبنا يجري في ابطال تلك الوصية . ليكون هو الوصي على ارث بنته وعلى ولدها من الرجل . وقد كان الرجل ذا ثروة . فحين أراني بعض الحجج قلت له : ان ابطال مثل هذه الوصية يصعب جدا . وحججك هذه يبعد أن تنهض بما تريد . فقال لي ما يدل على انه سيتتبع القضية حتى ينجح فيها . وفعلا نجح فيها . وكان ذا عزيمة في الامور كلها . يسلك اليها كل مسلك كيفما كان .

هذا ماكنت تركت عليه المترجم حين النفي . وانني لأحبه للاوصاف الحسنة التي أتصف بها تهجدا وكرما وحلما وأريحية ربانية . بل أعرف له من الحسنات العظيمة الظاهرة والباطنة ما لايعرفه عنه الا قليل من الناس . وءاخر ما أكتبه عنه انه صوفي كبير وكفى .

بعض منشداته وءاثاره

مما سمعته ينشده ومن فيه حفظته :

اقبل معاذير من ياتيك معتذرا ان بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أجلك من يرضيك ظاهره وقد أطاعك من يعصيك مستترا

وأنشد أيضا في بعض مجالسه يوما في معرض خفاء الاولياء :

واذا خفيت عن الغبي فعاذر ان لا تراني مقلة عمياء

وأنشد في مثل ذلك أيضا :

وجحود من جحد الصباح اذا بدا من بعد ما اشتهرت له أضواء
ما دل ان الصبح ليس بطالع بل مقلة قد انكرت عمياء

وأنشد فى بعض مؤلفاته وهو يفتخر بانتسابه للشيخ الالغى :

عبد شمس أبى فان كنت غضبى   فاملئى وجهك الجميل خموشا

وأنشد أيضا فيه :

سقيا لأيام مضت مع جيرة   كانت ليالينا بهم افراحا

وكان يحفظ جل كلام ابن الفارض . خصوصا التائية . ويديره فى مجالسه وفى مؤلفاته . كما أنه يحفظ من أشعار القوم كالششترى والبرعى والشيخ الحاتمى الذى فى الفتوحات المكية . وكان ءاية فى استحضار ذلك . ويمليه عند كل مناسبة أثناء مذاكراته التى يملأها بكلمات الفرق . وفرق الفرق . والجمع . وجمع الجمع . والفناء . وفناء الفناء ، والبقاء . والسلوك . والجذب . والاصطلام . وما الى ذلك مما هو معلوم من كلام القوم واقول بكل انصاف . انه كان ءاية فى ذلك . ثم لم أر له مثيلا . وبذلك يتعالى على أقرانه . ويعدهم دونه . لانهم بلاريب ليسوا فى مكانته فى الاعتناء بحفظ ذلك . وهذا هو علمه . وأما الحديث والتفسير وما اليهما فقلما يعتنى به . أو يجيله فى مذاكراته . واذكر اننى كنت معه فى زاوية (سيدى بو العبادة) البدوية بـ (مراكش) فذكر حديثا موضوعا فقلت له : ان هذا كذب على النبى صلى الله عليه وسلم . وهو القائل : من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار . فقال : اننا لانكذب عليه . ولكن نكذب له . فتعجبت كيف قال . ثم وقفت على أن لهذه المقالة فى الحديث سلفا له من بين بعض أرباب النحل . وقد غاب عنى الآن من هو رأس تلك النحلة . وقد كانت له مواصلة مع الامام الرافعى الجديدى . وقد أخبرنى أنه هو السبب حتى أدرك الرافعى ماهية وحدة الوجود . والرافعى ينكر ذلك . ويستنكف أن تقع له فائدة منه . لكننى وجدت عندى أبياتا الى الرافعى من نظم المترجم كنت قيدتها عنه فى (الجديدة) نصها :

كلفتنى بوحدة الوجود   والقول فى بيانها المفيد

فهاكها مجلوة يا معتقد   اذا أردت الحق منها فاستفد

تكفيك عن مطول معقول   لكنها كالشرح للمدلول

قلدتها جواهرا أو درا   حتى حكت حسناء ثم اخرى

فى نظم سلكها أضت (١) بين الورى

لم تحتجب عن أهلها كما ترى

وكم بدت فى وحدة الشهود   من الخفا الى سما الوجود

مكحولة فى لحظها سحر ثوى   يهفو اليها كل من لها اوى

---

١) يعنى أضاءت .

وربما تحجبت في خدرها عن الغبي غـيرة لحسنها

هذا ما كتبته . ولعله كتب الابيات على منثور فيه بيان ذلك . وقد علمنا أن الرافعي ممن يقولون بوحدة الوجود . ويدافع عنها . ويعلن الى الى أنه اهتدى الى كنه ما يقوله من يذهبون اليها من الصوفية . وقد كان للشيخ الحاتمي عنده مكانة عظمى كالمترجم الذي لا يرى فوقه صوفيا . وكثيرا ما يملأ مجالسه بمقالاته وبمقالات عبد الكريم الجيلي . ويرى أن ذلك هو السر المصون ومن المضنون به عن غير أهله . وربما يتكلم في ذلك بما لا يفهم . ويدندن بالعوالم العليا . وبالاطلس الى ما الى ذلك . مما هو معلوم عنه .

وأما رسائله فعندي الآن رسالتان له . احداهما الى الاخ سيدي محمد والاخرى الى سيدي سعيد التناني أثبتهما بكل أمانة. محافظا على ألفاظهما وعلى لحنهما كما وجدتها .ليرى القارىء منزلة الرجل في العربية على الاقل .

الاولى :

(دامت بعون الله وفضله مجادة السيد الجليل . العارف الاصيل . أبي عبد الله الذاكر الفاضل . سيدي محمد . أدام المولى في جيد المعارف صعودكم وانار بحق التحقيق شهودكم. وحمى بكم الدين. وجعلكم سلم خير للمسلمين هذا والمرجو من المولى أن يحفظنا فيكم . وفي سربكم وأهلكم ودينكم . وكل من بحماكم . ومن يدعيكم وتعلق بكم (أما بعد) فان سألتم عن عبيدكم فكما تعهدونه من صفاء الود . ووفاء العهد . ولا شيء يحول بيننا الا العـواقب ومضار الوقت وخصوصا ما كنا سمعنا من جنابكم صدر ما ظهرتم به . وان كان مجبورا (١) عليكم وتأملنا خوفا عليكم . وما شأنكم ذلك . وانما شانكم ما يرفع بالنسبة لتبقى ذواتنا وجنابنا محفوظا فيكم ومامونا . وخصوصا تلك الديار . وبلاقعها . وان كانت كذلك . ولو لم يكن الا فيه الا تعويقنا عن اللقى والرجل يدرك ماموله بزاويته بالتوجه ما لايدرك بظاهر حركته . ولكن الاقدار حركت أمرا كان مقدار . والله يا سيدي نامل كل ما تحـول بيننا العواقب . حتى أثرت حركة الوقت (٢) فيها بمراد الحق سبحانه . فلله الحمد . وعليه حفظنا المولى فيكم وفي مددكم وحركاتكم وسكناكم . وان خصكم ما يقضي فعلى الرأس والعين بطرفنا . وجولوا لله فينا . والراحمون يرحمهم الرحمن . وان غلطنا فسامحوا . فانا كنا نسمع من شيخنا مـا

---

١) يعني بذلك ما كان منه مع الهيبة من الرياسة .

٢) كأنه يعني الاحتلال .

يذوب القلوب والاجسام . فالنصيحة كانت لنا . ومنا لكم الشفقة عليكم لان قصدنا أن تظهر شموس شيخنا بالزيادة فيكم وفى عاقبتكم الى الابد والسلام) .

والاخرى :

(دامت فى حفظ الله سعادة سيدنا العارف بالله الذاكر بجمعية ماهيته الحميم . بل القدوة . بل المربى . بصريح من كان لنا مربى (١) سيدى سعيد . سعدت بكم الامة . وكسفت بركتكم على القلوب النكبات وكل غمة السلام عليكم ورحمة الله اما بعد تريد السؤال عنكم وتوجه مشاهدة الروح دوما لمعناكم . فان طول مدى الاشتياق للقى الاشباح أبلى الفؤاد . وعلى تقلباته لاَرفع حكيم ما وجد صبرا . ولا من بتلك العهود لمسمعه أفاد . وبتلك المواثق أجاد . ولا سومحت العوائق . فان الصبر على كل شيء يجمل الا عنكم . وهل للمطامع من مواعد خيالها يطيق الكرى تظفر فى حال يقظتها والظن بالله جميل . بل هو محقق بما يخبر الضمير من الاجتماع بكم ويزول الشوق . ويزداد الاشتياق . وقد تحركت الهمة الساعة لمراكوشة . والسكنى بها . وساعته أشترينا دارا . ولكن بعيدون من الزاوية . ولازالت الهمة متشوفة الى دار قرب الزاوية . فبالفضل من سيادتكم أن تجولوا فيها لله . ولابد لعبيدكم من الرجوع لـ (الجديدة) ليقطع كل علقة بها . واحمل العائلة . وقد اقتضت المحبة ان نعلمكم بالتأليف الذى جمعنا فيه أحوال شيخنا سيدى الحاج على مشتمل على ستة كراريس وختامه كراسة فيه لخصت لب العوارف . ورسالة القشيرى . نظرت أحوال شيخنا بما فى التلخيصين . وطلبه سيدى أحمد بن الخياط بـ (فاس) ليطبع مع تاليف سميته بـ (المداد الاحمدى السارى فى الختم المحمدى) وتعليقات اخريات . انى أخرت الجميع لتلقيح النسخة التى بيدى متاع شيخنا وتتميم تعليق لنا على الحكم . وهذا كله أعلمناكم به . لانى لا نكتم على جنابكم هذا . وان كان غير المقصود. ولكن من باب الشكر واظهار فضل بركة شيخنا وبركتكم أعلمناكم لتدعوا بالقبول للجميع . ونرجوا المولى أن يكون قبول الجميع بسبب نظركم . وعليه نب عنا فى أدب الخطاب للسيد الجليل . الصادق الذاكر الفاضل أبى عبد الله الخليفة سيدى محمد . وما كان ينبغى لى ان نخاطبه به من الثناء الجميل بمنكم لمعرفتكم بالمضان . وقد حيل بين العير والبعيد . والشمس على أطراف التحيل . ونحن على ما تعهد من خالص الود

---

١) يعنى شيخ الجميع الالغى .

وأما الخاتم (١) فقد تمت دائرته ونقشه على المراد . وأخبرتكم لتاخذوا حظكم من السرور والسلام)

أما مؤلفاته فهى التى ذكرها . لكنها على ما أظن مما أحرقه بعد ذلك ثم رأيت له كتابة على قصيدة موازنة للمنفرجة . أحسبها للقاضى سكيرج . وقد رأيتها مطبوعة وبعض مؤلفه فى الشيخ الالغى تحت يدى فى مسودته وقد وجدته مفرقا فيسر الله اتمام تخريج ما وجد منه وتهذيبه حتى كان له رواء مؤلف . بأن حذفت منه الاستطرادات .

ذلك هو سيدى محمد الرباطى كما أعرفه . وله يد على الطريقة (الالغية) حين ينشر محاسنها . وينث أخبار شيخها فى أواسط الحواضر . حتى تكون هناك ذكر كبير فى (فاس) وما اليها للشيخ .

خاتمة

بعد كتابة ما تقدم يسر الله لما رجعت الى الحواضر ١٣٦٥ هـ أن زرت المترجم زيارة معتقد فى (الجديدة) فوجدته مكفوف البصر . ضعيف الجسم ثقيل السمع . فامضى معه ساعة طيبة لما ظهر لى أن حاله الآن وهو على ما يرى منه أعلى وأشرف . فقد كساه الله حلة نورانية . ووضع له القبول . فتكون له أصحاب يحبونه محبة المريدين للمشايخ . فيردون عليه بنيات حسنة وبهدايا يستعين بها على الحياة . فينفعهم الله بكلامه . فكنت أقول : سبحان الله ، ان ما كان يتطاول اليه . ويسعى وراءه . حرمه وقت التطاول وحين السعى . ولما عجز وصار مقعدا . ملازما لبيته . أهله الله له تاهيلا تاما فيقصده من (فاس) ومن (الجزائر) من لايجدون الا عنده ذوق التصوف العالى الذى يقرءون عنه فى (الفتوحات) واشباه الفتوحات . والغريب أن سمعته تجاوزت البحار . وقد أخبرنى بعض من كان فى (سويسرة) أن هناك جمعية اسلامية صوفية . لها مجلة تنشر الاسلام الصوفى . فاسلم بذلك كثيرون من كبار المفكرين والادباء والدكاترة . قال المخبر : دخلت الى محلهم الذى يجتمعون فيه ، فرأيت فوق رؤوسهم صورة الفقيه سيدى محمد التادلى الجديدى الذى هو قدوتهم . ولا يسألون الا عنه فى المغرب . وقد أعمل غالبهم الرحلة لزيارته . بعدما أسلموا . فرأوا عنده من علوم الخاتمى ما بهرهم . (أقول) : ان احدى بناته زوجها لأحد هؤلاء الذين أسلموا . وقد سكن معه فى (الجديدة) .

---

١) كان سيدى سعيد طلب منه صنع خاتم لطبع الرسائل . مكتوب فيه حسبنا الله ونعم الوكيل . وقد كان للشيخ طابع فيه : لا اله الا الله محمد رسول الله .

ذلك هو الشيخ التادلى الذى عادت عليه بركة توجهه الى ربه بالاذكار فى الاسحار . وبركة من لاقاهم من أهل الخير . وقد أخبرنى سيدى ابرهيم ابن البصير أن الشيخ الالغى وصاه عليه كثيرا . وهكذا صدقت نظرته فيه فان الاعمال بالخواتم . ويكفى من مناقبه أنه انكشف الستار عن سماسرة الطرق عند أرباب السياسة الحكومية . فلم يعرف عنه رفع قدم ولو خطوة واحدة فى ذلك . وكفاه بذلك منقبة خالدة .

وقد زرته مرة فلم أجد من أولاده الذكور من يعرفوننى . فادخلتنى خادم . فجلست اليه وهو أعمى أصم . فناولته هدية . فدعا لى دعوة صالحة وجدت نورها فى قلبى . وهو لايعرفنى . ولا يظننى الا فقيرا عن عرض الفقراء . فكانت لى به الخاتمة الحسنى . ثم توفى الليلة الاولى من رمضان ١٣٧٢ هـ . فكانت له جنازة حافلة رحمه الله ورضى عنه . فاللهم اغفر لنا وله واجمعنافى بحبوحة رضوانك . فاللهم توبتك النصوح .

اولاده

منهم سيدى عبد الرحمن الذى قام بشئون داره من زمان . وهو رجل يظهر عليه اثر الاستقامة ولعله يكون ابن أبيه فى الانحياش الى الله . ومنهم ءاخر أظن أن اسمه محمد قرأ ما شاء الله فالله يحفظ الجميع .

الفقيه سيدي

محمد بن عبد القادر الأكدالى

نحو ١٢٨٨ هـ = ١٢ ـ ٥ ـ ١٣٥٢ هـ

نسبه :

محمد بن عبد القادر بن موسى بن محمد بن السويرة بن البطاح .

من فخذ (كدالة) من (سلام العرب) وهو من أفخاذ قبيلة (الرحامنة) الكبيرة . وهذا السيد فقيه كبير صوفى . عالم عامل . نفع الله به تلك القبيلة بما بث فيها من المعارف والارشاد الى مكارم الاخلاق . وقد كانت له شمائل دمثة . واريحية وكرم . وانكار الذات . عرفت منه ذلك بالمخالطة فكثيرا ما يزورنى فى (مراكش) كما ازوره فى محله . حتى فرق الدهر بيننا .

مأخذه للقرءان

اخذ عن الاستاذ محمد بن موسى التيكنى فى مسجد (العروسيين) من (تيودار) فى أحواز (مراكش) كان ذهب الى هناك صغيرا . فرجع الى أهله بحفظ القرءان الكريم .

في الساعدات

ثم لازم العلامة سيدى العربى السباعى من نحو سنة ١٣١٤ هـ . فهو أستاذه الوحيد . وبه ترقى فكره . ووقت خمره . حتى استحق أن يرفع الراية فى بلده للعطاش الى المعارف . فأصدرهم وهم يضربون بعطن . وقد رجع من هناك نحو ١٣٢٥ هـ

في تأسيس المدرسة

ابتدا تاسيسها سنة ١٣٣٦ هـ . باخصاص يقطنها الطلبة . الى أن

جاء الشيخ الالغى فعلم مكان أسس بناء المدرسة فبنيت وذلك فى سنة ١٣٢٨ هـ . وقد أخذ عنه اذ ذاك . فصار ينتسب له دائما طوال عمره . وقد حث الشيخ كبار القبيلة أن يعينوه فى بناء المدرسة بعدما وضع بيده الحجر الاساسى .

فى الاكباب على التدريس

ثم لازم التدريس منذ ذلك العهد الى أن توفى . فممن أخذوا عنه :

١ ـ محمد ابن البناء الرحمانى المتوفى مرجعه من الحج سنة ١٣٦٥هـ وقد كان حج معنا فمات فى الباخرة . فالقيناه فى البحر .

٢ ـ محمد بن الحاج الدكالى العمرانى . وهو الآن ١٣٨٠ هـ عدل فى فى محكمة (أولاد عمران) بـ (دكالة) .

٣ ـ عمر بن الحاج العربى الرحمانى من سلام العرب . كان أمضى زمنا فى تاسيس مدرسة درس فيها قليلا الى أن مات نحو ١٣٦٠ هـ

٤ ـ السيد الطاهر بن السيد المحجوب الرحمانى من فخذ المحمدى مات نحو ١٣٥٥ هـ

٥ ـ السيد محمد بن الزمرانية من (الصوالح) لايزال حيا ١٣٨٠ هـ وقد استتم بـ (فاس) بعد ما نزل فيها ما شاء الله .

٦ ـ السيد عمر بن دحمان . استتم فى (مراكش) وهو الآن عدل فى محكمة قاضى (الرحامنة)

٧ ـ السيد المهدى بن ابرهيم من قرية (العلويات) فقيه نعرفه ربانى توفى ١٣٦٤ هـ . وهو أيضا من أصحاب الشيخ الالغى . أخذ عنه فى صغره

٨ ـ السيد الدليل بن عبد القادر الذى خلفه فى المدرسة ـ وسيأتى ذكره ـ

متوفاه

كان المترجم سافر الى (فاس) بقصد أن يزور رجال (فاس) فنزل على تلميذه ابن الزمرانية . فى المدرسة (البوعنانية) فادركه اجله هنالك رحمه الله .

الثاني سيدي عثمان

هذا هو أخو الفقيه سيدى محمد بن عبد القادر . ولد ١٣١٢ هـ . وأخذ القرءان عن الاستاذ مبارك المذكور فى ترجمة سيدى عياد ـ الآتية ـ وعن الاستاذ عمر بن بوجمعة الكَدالى الرحمانى . المتوفى نحو ١٣٦٩ هـ ثم لازم أخاه فى الفنون . وكذلك سيدى عياد الى أن مات . ثم استتم فى (مراكش) فأخذ عن الاستاذ سيدى أبى شعيب الشاوى . وعن العلامة سيدى محمد بن عمر السرغينى . بقى هناك عاما واحدا . ثم رجع أيضا الى الاخذ عن أخيه . ما شاء الله ، فلما توفى أخوه خلفه حينا فى المدرسة . ثم تركها لابن عمه الفقيه سيدى الدليل . واشتغل هو بالعدالة . الى أن فارق العدالة ومات سيدى الدليل . فقام بالمدرسة الى الآن ١٣٨٠ هـ . وهو الآن فقيه القرية . ومدرس المدرسة . ولا تزال عنده ثلة من الطلبة يتبع معها على قدر الامكان .

الثالث الفقيه سيدي الدليل

وهو الدليل بن عبد القادر بن على بن موسى بن محمد الصويرة بن البطاح ولد نحو ١٣٢٥ هـ . أخذ القرءان عن الاستاذ عمر بن بوجمعة . وهو عمدته . ثم لازم الفقيه ابن عمه سيدى محمد بن عبد القادر الى ان توفى . ثم استتم فى (مراكش) فهناك أخذ عن الاساتذة سيدى محمد بن عمر السرغينى. وعن أبى شعيب الشاوى . وعن سيدى أحمد أكرام . وعن الفقيه محمد بن الحسن الدباغ . ثم لما ترك سيدى عثمان المدرسة قام بها خير قيام فاجتهد حتى أصدر جماعة غير قليلة من النجباء من ١٣٦٤ هـ الى ١٣٧٧ هـ حين توفى يوم الاحد تاسع رجب ١٣٧٧ هـ فخلفه فى المدرسة سيدى عثمان وفقه الله .

الفقيـــه

سيدي عياد الكَدالي الرحماني

نحـــو ١٢٦٦ هـ = ١٣٣٦ هـ

نسبـــه :

عياد بن مولود بن ابرهيم .

اصل اسرته من (أيت واسا) من قبائل (تكنة) وبينه وبين صاحبه سيدى محمد بن عبد القادر المتقدم اتصال نسب من جهة الامهات .

منشاه فى قرية (كَدالة) نفسها وقد أخذ القرءان عن الاستاذ مبارك ابن أحمد بن عبد الله ابن عم الفقيه سيدى محمد بن عبد القادر . كان فى مسجد القرية فخرج كثيرين. توفى نحو١٣١٨هـ . ثم التحق بـ(الساعدات) قبل رفيقه سيدى محمد بن عبد القادر . فلازم ذلك المحل حتى ودعهمـــا الاستاذ سيدى العربى فى وقت واحد . ثم تعاونا تعاونا تاما فى التدريس. وهو أكبر من صاحبه . وقد عرفته معرفة تامة فى داره وفـى (مراكش) حين كان يرد علىَّ فى(الرميلة) وأرد عليه فى داره . فكان على كبر سنـه أريحيا قد ينسى وقاره فى المسامرات . وكان مستحضرا مشاركا . مـن أكابر المتخرجين بالشيخ سيدى العربى من (الساعدات) وحين ورد الشيخ الالغى الى (الرحامنة) ١٣٢٨ هـ أخذ عنه . فيعد نفسه من أصحابه الى أن توفى . وكان يكرم الفقراء ويجالسهم . ويحسن فيهم الظن . ويذكر معهم . وقد كان يسلم لرفيقه سيدى محمد بن عبد القادر . وان كان أكبر منـه سنا . كما أن الآخر يراعيه مراعاة تامة . فكانت صحبتهما خير صحبة أخرجت للناس . فانتفع بها الرحمانيون علما وأدبا . ومكـارم أخـلاق . رحمهما الله بفضله ومنته .

وللمترجم مع رفيقه سيدى محمد بن عبد القادر وصلة بالشخ سيدى فتح الله بنانى الربانى . وبأولاد مولاى المهدى الدرقاوى المراكشى . بـل بكل من ينتسب الى الخير .

الفقيه القاضي

عباس التادلى المراكشى

نحـــو ١٢٩٥ هـ = حـــى

سبـــه :

عباس بن المعطى بن الغزوانى بن محمد بن سعيد .

اصل الاسرة من أولاد ابن خدنو من قبيلة (ابن عمير) وليست من صميم ابن عمير . وهـؤلاء من عرب (معقـل) كما هو معلـوم . بـل هى من احفاد الشيخ سيدى ابرهيم بن خـدنو دفين الغرب . وهنا رجالات :

الاول : محمد بن الغزواني

أحد رجال السلسلة ـ وكان مشهورا فى الدولة السليمانية ـ وكان عالما جيدا مشهورا أخذ فى (دكالة) ثم استتم فى (فــاس) ثم استكتبـه القائد ولد الراضى . وهو عامل كبير على (تادلة) من (ورديغة) الى قبائل الجبال من (أيت مصـّاد) و (أيت عتـاب) و (أيت بوزيد) وكان قائـدا كبيرا . ولذلك اختار هذا الكاتب الجليل الذى له خط حسن ـ ثم استقدمه السلطان الى حضرته . فأمره بلزوم بابه . الا أن القائد فى بعض قدماته على السلطان أعاد طلبه للمترجم . فسمح له به السلطان . فبقى ما شاء اللـه كاتبا عنده . ثم تعين قاضيا على كل (تادلة) ثـم توفى فى صدر أيام المولى عبد الرحمن نحو ١٢٤٥ هـ ودفـن فى مشهد سيدى أحمد البـداوى فى (تارماست) حيث ملتقى وادى العبيد ووادى أم الربيع . وقد قيل له فى اخريات أيامه فى مرضه : قد تركت أولادك صغارا فقراء . فقال : لو كنت تقضيت فى الحواضر لتركت لهم ما ينتفعون به . الا أننى لم تسمح نفسى بمفارقة (تادلة) فلازمتها الى ان أموت فيها . وأولادى فى يد اللـه . فان الله هو الرزاق ذو القوة المتين . فرزقهم الله رزقا حسـنا . فكان محمد أكبرهم

قائدا على (بنى عمير) من أيام سيدى محمد الى أيام مولاى عبد العزيز . ثم خلفه ولده محمد فى القيادة الى عهد الاحتلال - وابن الغازى هو الذى كتب اليه سلطان عصره ليعنى بأولاده من بعده . فكان ذلك هو السبب حتى صاروا رؤساء .

الثاني : المعطي بن محمد

ترك القاضي ولده هذا صغيرا دون الادراك . ولعله ولد نحو ١٢٤٣ هـ كان ممن اخذ عنهم القرءان (الفقيه ابن صالح) صاحب المشهد فى (سول الاربعاء) التى تنسب اليه . ويقال لها (أربعاء الفقيه ابن صالح) وكان رجلا صالحا . وقد حكى عنه تلميذه هذا انه كثيرا مايقول جهرا ءاخر الليل (ألا الى اللـه تصير الامـور) ووالله لمن أتبعك يادنيا لفى غرور . وكان يصالح بين الناس . ولعله توفى نحو ١٢٧٠ هـ وأخذ العلم من قصبة (بنى ملال) وفى (المشبك) بـ (فم الجمعة) وفى « كدانة » بـ « الشاوية » وفى (بنى عمير) قبيلته - ومن أشياخه فى العلم الفقيه القاضى السيد التهامى المنزلى من ذرية الشيخ سيدى على بن ابرهيم . كان يقطن فى (بنى عمير) وكان يدرس العلم قبل توليته للقضاء . وقد تولى فى عهد سيدى محمد بن عبد الرحمن . ولعله توفى قبل ١٢٩٠ هـ . وله ولد يسمى العلمى كان نائب قاضي (الحمراء) مولاى المصطفى على (بنى عمير) وتوفى نحو ١٣٥٧ هـ وهذا القاضى وحده من يستحضره الحاكى من أشياخ سيدى المعطى . وانما تحقق ان اخذه انما كان فى البادية . كان موثقا يحرر الرسوم - ويحكم فى النوازل . بصفة التحكيم .وقدكان ابنالفقيه هذا ناصحا للحكومة - وقد وقع فى قبضة الحكومة مرةفسجن فى (السويرة) ما شاء الله . ثم قدم المولى الحسن الى (تادلة) فسأل عنه - وكان معروفا بابن الفقيه - فقيل له : انه مسجون . فامر باطلاقه فى الحين . فقال للحاضرين انما تذكرته من اجل مقالة كان قالها لى فى بعض المرات . وقد سألته عن (تادلة) فقال لى ان اهل (تادلة) كلهم يأبون الانقياد للمخزن . ويستحقون التاديب . فظهر لى الآن صدقه ونصحه للحكومة . وقد كان نوى أن يأوى الى (مراكش) ليقطن فيها مع قلة بضاعته . ولكن الله الرزاق لم يطو عنه لطفه . فبقى فى البادية الى أن توفى ١٣٢٣ هـ . وباعه فى الفقه حسن السعة وان لم يكن واسعا اتساعا كثيرا . وكان يالف الركوب على الخيل ولبس الشاشية المخزنية المشهورة .

الثالث : سيدي عباس القاضي

اخذ القرءان عن أناس في (بني عمير) وعمدته بينهم الاستاذ الفقيه المعطي المسكيني الفارسي . والمعطي الشاوي . والاستاذ الفقيه الحاج الحسن الاكريفي من أولاد سيدي على ابن ابرهيم . ثم افتتح المبادىء العلمية عند الاستاذ المعطي الجرارى في المدرسة بـ (اولاد جرار) بـ (دكالة) وكان التلاميذ يرتقون الى المائة احيانا . والغالب أن يكونوا نحو سبعين . وكان تخرج بالفقيه ابن فطومة الجابرى الدكالي . وكان هذا مدرسا مشهورا . لازمه ثمانية عشر عاما . وكان يحكي لتلاميذه انه كان يعتنى بخدمة شيخه ابن فطومة هذا كثيرا . ثم ما فارقه حتى كان علامة ماهرا . وقد توفى ابن فطومة قبل ١٣١٢ هـ لان الحاكى صاحب الترجمة التحق بشيخه الجرارى المذكور حوالى ١٣١٥ هـ فوجد ابن فطومة مات قبل ذلك بسنوات . وكان حال الاستاذ الجرارى غريبا . زاهدا يقبل على التعليم . ويكب على التدريس يعتنى بالمبتدئين الذين يكتبون المتون في الالواح . ويشرحها لهم . كمايعتنى باصحاب الدروس العليا . وكان يتعهد التلاميذ . وينادى كل واحد باسمه عند كل درس . وكان الطلبة يسكنون في الاكواخ . وكان مسكينا لا أبهة له . يجلس على الارض بل ينام عليها ويتفقد الطلبة في وجبات المئاكل . فيسأل عن كل واحد . كما يسأل أيضا عن المساكين الذين ينحاشون الى المدرسة . ومؤونة الطلبة من حرثه فقط . فيستعين بالطلبة حرثا وحصادا ثم لا يبالى بالترفه . فلا لحم ولا توسع . ان هو الاطعام ساذج يكفى الطلبة البدويين وكان محترما معظما عند رؤساء الناس فيصلونه ولا يصلهم . وان اهدوا اليه لحما أو فاكهة ءاثر به الطلبة . توفى نحو ١٣٢٥ هـ لازمه المترجم ست سنوات . ثم دخل (مراكش) فاخذ عن الاستاذ سيدى محمد بن عمر السرغيني . والاستاذ المعطي السرغيني . والاستاذ محمد بن ابرهيم السباعي التكروري . والاستاذ الحاج العربي الرحماني . والفقيه صالح السرغيني . والاستاذ ابن التاودى . فلم يزل في الاخذ حتى توفي والده ثم تحمل كلفة الاسرة . لانه كان تزوج حياة والده . وقد كان تولى حينا الامامة في مسجد (سيدى عبد العزيز التباع) وقد كان اماما قبل في مسجد (درب الدقاق) بحومة (باب دكالة) وقد حكى أن هناك دالية يبكر عنبها بالطيب . قال : فملأت منها عشية قفة فذهبت بها الى الفقيه سيدى محمد العوني الذى كان يدرس في جامع (باب دكالة) . ويورق فيه اذ ذاك . فقال لى : من أين هذا العنب في هذا الوقت . فانه لايطيب بعد . فحكيت له أنه من دالية المسجد

فقال : أما تعلم أن ادارة الاحباس تبيعه . فقلت له : اولم يقل فى العمليات
وشجر بمسجد أو مقبرة ياكل من شاء بتلك الشجرة
فقال يا فقيه أفتيت لنفسك والله .

ثم انه صار عدلا فى (مراكش) على يد مولاى المصطفى . فبقى كذلك الى سنة ١٣٣٥ هـ فخرج قاضيا الى (دار ولد زيدوح) حيث لايزال قاضيا الى الآن .

حاله

كثيرا ما يصرح بانه ليس بذلك العالم الذى يصلح للظهور . وانما عليه فضل الله . فاعانته استكانته وانحياشه الى الخير وأهله . وفيه محبة غريبة لكل من ينحاش الى العبادة والى الصلاح . فتراه يقصد المشاهد المشهورة يتعهد زيارتها . كما يتعهد كذلك زوايا الصالحين الاحياء . وهو ذو أوراد وترفع عن الانغمار فى الدنيا وبين أهلها . وحاله على كل حال عجيب ففيه سذاجة لاتخلو ممن كان منحاشا الى الخير . وربما يرى مرائى عن بعض الطغاة فيحكيها حكاية غريبة . وعليه من مظاهر الزهد . ويكفى دلالة على ذلك أنه ولى القضاء أكثر من ربع قرن . ولم يظهر له من المال الا ما هو طبيعى . وقد حمدت الحكومة سيرته . فأبقت عليه الى الآن ١٣٦٨ هـ . وحاله الى أحوال المتصوفة أقرب منه الى أحوال القضاة .

ملاقاته مع الشيخ الالغي

حكى لى أنه لاقاه فى قدمته التى قدمها سنة ١٣٢٨ هـ الى (مراكش) وقد حضر مجلسا حافلا عقده فى مسجد (باب دكالة) يوم ضيفه أهل الحكومة كلهم هناك وقد افعوعم المسجد بأصحابه . ومن ذلك الوقت صار يلهج بذكر الشيخ . ويعد نفسه من أصحابه . ويفتخر بملاقاته . ولذلك سرعان ما فتش عنى فتعرف بى فى (الحمراء) واقترح علىّ مرارا ان اقبل كريمة من كرائم بناته . فكنت أرده بلطف . وأقدم له عذرى . والعجب منه أنه بقى على هذا حتى بعد تزوجى وقد ارتضى لكريمته بالضرة . وذلك كله من محبته للشيخ الذى أنا ولده . وله صحبة كثيرة للشيخ سيدى ابرهيم ابن البصير خليفة الشيخ فى (تادلة) . بل يعد القاضى نفسه من تلاميذه . وهذا

الحال كله لايزال الى الآن ١٣٦٨ هـ (ثم في ١٣٧٦ هـ احيل على المعاش ولا يزال حيا الى الآن ١٣٨١ هـ) وقبل ان اختم الترجمة أعلن ان المترجم هو من أسرة الاخ اليزيدى الرباطى الشهير . وقد كنت سمعت منه ان أسرته في دار ولد زيدوح وانه مرت فيها قيادة . والمترجم لايزال في داره هذه السنة ١٣٨١ هـ .

(أقول) : انما ذكرته لمطلق انتسابه للشيخ . لان المعلوم عند الصوفية كل منسوب محسوب .

القاضي

الحاج ادريس الورزازي

نحو ١٢٩٠ هـ = ليلة ٢٩ - ١١ - ١٣٥٩ هـ

نسبـــه :

ادريس بن المختار بن عمر

وعمر هذا هو أول من دخل الى (مراكش) من (وارزازات) وقد كان تاجرا ناجحا - وله من الاولاد الحاج محمد والطاهر ومحمد عمى والحاج عبد السلام والعربى والمختار . فاما الحاج محمد فله ابنان : حمودة وعبد الوهاب . وحمودة تاجر الى ان توفى نحو ١٣٤٢ هـ وعبد الوهاب كان مستخدما فى ادارة الاحباس فيكون حينا نائبا فيها عن الناظر . وتوفى حوالى ١٣٥٣ هـ .

وأما الطاهر فله من الاولاد محمد وبنات . ولمحمد هذا ولده العلامة سيدى خليل الورزازى الشهير اليوم . وهو من أكابر الاساتذة المنتفع بهم . وقد اخذ من كلية ابن يوسف أخذا تاما حتى حصل . وله عبارة فصيحة وادراك مستقيم . وفهم دقيق . ولما لمع استقدمه مولانا محمد بن يوسف الى قصره لتعليم بعض أهله . وفتح له المجال فى بعض الوظائف الى أن طلبه منه الباشا الاكلاوى فتعين قاضيا فى (مسفيوة) حيث بقى الى أن جاء الاستقلال . فأعفى فلزم داره . وعمر درسا بين العشاءين يكتظ بالمنتفعين بأمثاله . وله سمعة طيبة فى أوساط المراكشيين . فتطلبوا اعادة دروسه بكل الحاح . فسمح له بذلك أخيرا . وقد مسته نكبة لم تمس من شرفه الحقيقى الذى هو علمه . وها هو ذا الآن فى بحبوبة ذلك يستمتع به .

وأما محمد الملقب عمى فهو أيضا تاجر أولا . ثم كان محتسبا فى (السويرة) وقد توفى بعد رجوعه الى (مراكش) وهو فى دكان فى فندق « لارَنجة » سنة ١٣٣٣ هـ وهو والد الرجل الملقب سيدنا الشيخ المشهور المتوفى ١٣٥٧ هـ

وأما الحاج عبد السلام فقد كان تاجرا أولا كبيرا الى أن نبه شأنه فتولى خلافة قائد (مراكش) ابـن داود . ثم استقل بعده بادارة الباشوية وان لم يتسم الا بالخليفة . وهو صالح الاعمال . يخالط أهل الخير . وقد كان للفقراء فى عهده شأن كبير . ويلاقى الشيخ الالغى كلما ورد الى (مراكش) ملاقاة احترام واجلال وتعظيم كما يلاقى بمثل ذلك أمثاله . ولذلك ورد هذا الشيخ الى (مراكش) بعد وفاته فختم عليه هو وأصحابه ختمات كثيرة واخرجوا له الفدية المعلومة بين الفقراء لكل ميت منهم . وله أخبار مستملحة فى فصل القضايا . فيستخرج من حقوق العباد بذلك ما يستخرج . ولم يعهد منه ظلم لأحد . ولا حيف ولا جور . وقـد بنى رياضه الكبير فـى « الكتبية » الذى لايزال تحت يد أولاده الى الآن . ووفاته كانت سنـة ١٣٢٥ هـ . وقد رثاه بعض أدباء (مراكش) بقوله من قصيدة ـ ليست هناك الا فى نظر المؤرخ ـ :

ما مات بل ماتت مآثر جمة	لم يحصها حد ولا تعداد
كل المكارم من يديه وان عصت	عن غـيره من قبلـه تنقـاد
فـذ السيادة لا ترى (مراكش)	شبهـا لـه وجميعنا اشهـاد
عبد السلام مضى فولى سعدنـا	فمن الذى ياتى به الاسعـاد
هيهـات تاتى (ورززات) بمثلـه	أبدا وان أبدا الورى وأعادوا

وله من الاولاد النابهين عمر وعبد المجيد وحمـودة وعزوز ومحمد . فعمر فقير صوفى ذاكر توفى ١٣٤٣ هـ . وعبد المجيد رجـل مـلاك غنى توفى١٣٦٨ هـ . وحمودة من كبار الاثرياء البارزين أيضا بالمروءة والمحافظة توفى ١٣٧٠ هـ والسيد عزوز على غرار اخوته فى الاخلاق الحسنة لايزال حيا . ودارهم دار المحافظة على الديانة والاقتصاد والمروءة

وأما محمد منهم فهو الفقيه الصوفى الكريم المرمـوق بين علمـاء (مراكش) وصوفيتها ونبهائها . أخذ عن السباعى وطبقته . وكان كريما غنيا حسن السمت . معروفا بالنزاهة . فتسند اليه الوصايـة علـى أولاد الاغنياء . توفى ١٧ جمادى الاولى ١٣٤٨ هـ . وتحت يدى ظهير عزيزى أسند له به الاشراف على ورثة من عال بوستة سنة ١٣١٨ هـ وقد أخذ أذكارا عن الشيخ الالغى . وخالط أصحابه . وعزى فيه برسالة يوم توفى .

وأما العربى بن عمر فهو أيضا تاجر كأهله . فمات قبل ١٣٣٠ هـ وله من الاولاد المكى التاجر فى (سوق الحراريين) وقد ترك يوم توفى نحو ١٣٣٣ هـ ولده محمداً الاستاذ فى مدرسة الباشا ولا يزال حيا الآن .

وأما المختار بن عمر . فانه من أكابر التجار . وقد فتح متجرا فى

« مانشستر » فيرسل منها السلع الى اخوته من هناك الى (المغرب) فكانت دارهم احدى ديار التجارة مع الخارج اذ ذاك . توفى ١٣٣١ هـ فترك من الاولاد الحاج الطيب . والحاج محمدا الامين . والسيد عبد الرحمن والحاج احمد والحاج الحسن والسيد عباسا . والحاج الحبيب والحاج ادريس .

فأما الحاج الطيب فانه أيضا تاجر كأهله ويقطن أخيرا فى (درب الزاوية) فى (الرميلة) يوم نزع منه بعضهم محله . توفى نحو عام ١٣٦٨ هـ

وأما الحاج محمد الامين . فقد كان على المرسى فى (السويرة) غالب حياته وهو من احبائنا الكبار . هين لين له معارف . وكريم المائدة ككل أهله توفى نحو ١٣٦٦ هـ وولده الحاج عبد الكريم من رجال الجيل من كل ناحيـة . وهو من أحبائنا محبة متوارثة .

وأما السيد عبد الرحمن فانه رجل مسكين منطو على نفسه . توفى ١٣٦٣ هـ وولده محمد الخو صاحبنا متوفى ١٣٨١ هـ رحمه الله من شاب لبـــق .

وأما الحاج احمد فتوفى ١٣٤٩ هـ ولم يكن يفارق القاضى الحاج ادريس أخاه . ياكل على مائدته . كعادة الحاج ادريس مع جميع الوردزازيين .

واما الحـاج الحسن فقد مات عزبا فى رمضان ١٣٤٨ هـ .

وأما السيد عباس . فانه توفى مفتتح صفر ١٣٥٧ هـ وولده الغنيمى لايزال حيا وفقه الله .

وأما الحاج الحبيب القاضى فولد نحو ١٢٩٨ هـ أخذ عن الاستاذ ابى مدين فى (درب أعرجان) وعن الاستاذ عـلال المترايتى السوسى الرجل الصالح فى مكتبه فى (المواسين) ثم أخذ عن الفقيه الحسن الشاوى . والحاج العربى الرحمانى ثم عن السباعى . ثم برز فى العدالة بنباهة الى ان تولى القضاء بعد أخيه الآتى . فلم يزل قاضيا الى أن أعفى بعد الاستقلال . ثم بقى تحت أزمة أمراض مزمنة يتلو كتاب الله الى أن توفى ١٥ من المحرم ١٣٨٠ هـ ولأولاده نباهة اليوم . فالسيد محمد فى الخارجية وعبد الحى خليفة فيقيادة حوالى (أسفى) وعبد الغنى فى الشبيبة والرياضة والسيد سعيد فلاح . والكل أحسبهم من أولادى لما بينى وبينهم فى صغرهم فى عهد (الرميلة) ولى فى بعضهم قطع منظومة . توجد فى ديوان (الرميليات)

وأما الحاج ادريس القاضى الجليل فولادته نحو ١٢٩٠ هـ . فاخذ القرءان عن الاستاذ محمد السوسى المنقطع الى دارهم . ثم اخذ العلوم عن الاستاذ محمد السويرى . ومولاى الحسن الاسفى . والحاج العربى . لم

السباعي وطبقته اخيرا . ثم انخرط في العدالة . ثم في وكالة الغياب . ووكالة ابي الموارث وتزوج ١٣١٧ هـ . ثم في نظارة العباسية والجزولية وفي ١٣٣٥ هـ تولى أولا قضاء (زطاط) عامين . ثم الى (السراغنة) عشر سنين . وفي اخر ١٣٤٨ هـ انتقل الى قضاء (مراكش) حيث بقي الى أن انقضى أجله ليلة الاحد ٢٩ ـ ١١ ـ ١٣٥٩ هـ

لهذا السيد الجليل سقت كل ما سقت ـ على عادتي ـ من رجالات هذا البيت الكريم لأنه من أصحاب الشيخ الالغي . يعتقده اعتقاد المريد لشيخه . فيتأدب معه في حضرته . ويكاتبه في غيبته . وهو أحد الواقفين حتى بنيت زاوية (الرميلة) . ولكن مع كل هذا الاتصال لم يعد أخذه عنه أخذ تبرك لا أخذ استسلام وانقطاع . وتحت يدى رسائل كثيرة من الشيخ اليه ومنه الى الشيخ لا تعدو هذا . والفقراء يقولون كل منسوب محسوب فأما أنا فقد رأيت منه منذ اتصلت به ـ وقلما اتصل به ـ حسن ظن بالله . ورجاء غفران الذنوب . يطلب دائما أن لا يحاسبه الله كما يحاسب القضاة وما أنس لا أنس ليلة بت عند ولده الحاج عبد السلام في رمضان . فسمعته طول الليل يتهجد ويقرأ القرءان . ولا ريب أن هذا مقام لايوفق اليه الا المصطفون الاخيار . فانك ان اردت أن تعلم ما للعبد عند الله . فانظر فيما يشغله فيه . واعظم مزية فيه الكرم . فداره دار ضيافة للعلماء وللفقراء ولكل زوار (مراكش) مع اقلاله . بل باع بعض ما ورثه في هذا السبيل وقد كان حريصا على الخير رحمه الله . الا انه لم يعد أن كان ابن بيئته . وقاضيا من قضاة وقته . والله وراء ذلك كله رحيم غفور لمن وفقه للاعمال الصالحة . وقد كان يراعيني لأنني ابن شيخه . وهو الذى تسبب حتى تعارفنا . وكتب الى الاوقاف في أن أعد من علماء (مراكش) من غير أن يكون عندى خبر . وجعل تحت يدى أبناءه وابناء اخوته في (الرميلة) يوم عمرتها بالتعليم . وله كل الفضل على رحمه الله . أفلا أكون شكورا

وله من الاولاد الحاج عبد السلام المولود نحو ١٣٥٠ هـ . أخذ القرءان عن الاستاذ محمد بن حمادى . وغيره . ثم أخذ المعارف في زاوية (الرميلة) وفي غيرها . ثم تولى العدالة فكان من أفاضل الابناء مروءة وتدينا وسلوك الصراط المستقيم . وقد عمر دار والده بعده خير عمارة . فحج وصادق وبرز بين أقرانه . ولم يعرف منه أى طيش مما يولف أن يمر فيه الشباب . ومعارفه وسطى . كوالده وككل أهله . الا ما كان من سيدى خليل الورززازى فانه فيها السباق الى الغايات . بل كان أحد الافراد المحصلين الكبار .

وعبد الهادى الذى يستخدم اليوم فى محكمة التوثيق . قـد كان أيضا عندنا فى (الرميلة) وفى (الرميليات) قطعة حواليه . وهو اليوم متزوج تابع لأخيه الحاج عبد السلام .

ومما يتعلق بأحوال القاضى المترجم انه لكرمه ممدح . فقد قال فيه الشاعر ابن ابرهيم المراكشى. والشاعر المطبوع وسيدى الطاهر الايفرانى وغيرهما . ومما حضر عندى الآن ما قاله فيه الاديب الحسن التنانى يعزيه فى أخيه عباس . وذلك فى ١٠ ـ ٢ ـ ١٣٥٧ هـ ـ وهى من أوائل الشاعر ـ :

أجمل الصبر فالعظيـم صبـور ... لايبالى ان حل رزءٌ كبير
يتلقى الخطوب ليثا اذا ما ... جال رَوْع الخطوب منه زئير
مـا لخَطْب وان آلــمّ كبيرا ... فى فؤاد العظيم وقع خطير
قوة الروح فىامرىء ان تجلت ... فهى للسعـد لامرء اكسير
توقف الارض ان تدور وتهوى ... بنجوم من السماء تفـور
واذا ما الفتى قد أحرز منها ... حظه فهو بالكمال جـدير
أنت لا غرو أن يرى لك فيها ... مظهر فوق ما يرى التعبير
قـد تبوأتـه سماء وفيـه ... أنت بدر من الجلال منير
صدمات الزمان مهما توالت ... فهى أمر لدى العظام يسير
غاية المرء أن تعاظم أن لا ... يختشى ما به الزمان يجور
كتب المجد فى جبينك سطرا ... جل معنى الذى اليه أشير
فهو عنوان ما تسطر مما ... ليس ياتى بكنهـه التقدير
فيك للشعر فى الزمان مجال ... واسع فاض فيه هذا الشعور
جانب عزّ فى الورى ومقام ... قد يتسامى شاوا وعلم غزير
شرف المرء أن يرى نال يوما ... ما به يرتضى لديه الضمير
مثل ما نلته فاصبح صيت ... منك فى هذه البلاد يسير
قد ملات الزمان ذكرا جميلا ... ينجد اليوم كيف شا ويغير
أيها الفرد كم مئاثر شادت ... منك أيد تبقى وتفنى الدهور
أنت خلدتها مدى الدهر تشدو ... كل جيل بهن تلك العصور
علم المجد طب كما كنت نفسا ... فـى فقيـد به الملم كبير
واليكـم تحيـة لا تحاكـى ... عرفها فى الرياض تلك الزهور

بيني وبين شيخه الالغي

أختار الآن هذه الرسائل . مما بين المترجم ومن معه من المراكشيين

ومع جناب شيخه . فهاكها كما هى :

الاولى

الى من أيده الكريم وحفظه المولى العظيم وأقامه لاتباع طريقة الشريعة ولرعاية الناس لمحافظة الوديعة . القطب الاشهر والكبريت الاحمر . شيخ المعالى . ومن بمعرفته تدرك اللئالى . من أظهر الله فى وقته ظهور النجم النير . واستضاء به كل متحير . سيدنا ومولانا الشيخ سيدى الحاج على السوسى . أبد الله عنايتكم . وحفظ بمنه كل من لاذ بكم . وتعلق بأذيالكم وسلام تام . بر فخيم عام . يعم سيادتكم الفعساء ويلوح نوره عليها صباحا وامساء . ما دام نجم سيادتكم طالعا . وبدر جودكم لامعا . (أما بعـد) فلا زائد على السؤال عنكم والفحص عن جملة أحوالكم . أدامكم الله بكل خير . وحفظكم من كل ضير . هذا وقد وصل الاخ فى الله . والمحب لأجله . الفقير السيد محمد بن ابرهيم (١) مخبرا بجلالة سيادتكم . ومنبئا لنا عن أحوالكم . ومعه كتاب سعيد مسلما فيه علينا . وداعيا لنا . بما نرجو من الله قبوله . وبينت لنا فيه سيدى ما نكون عليه مع ساداتنـا الفقراء . كما دعوت لنا ولهم بخير . بعد سلامهم عليكم واهداء تحياتهم لكم مـن الاجتماع والذكر والمذاكرة . فاعلم سيدى حفظك الله اننا لازلنا على العهد والموثق الذى عاهدناكم عليه مع رفقائنا . ولا محيد لنا عنه بحـول الله . نسأله سبحانه الثبات والتوفيق . ومع بعض الفقراء من الذين أخذوا عن سيادتكم كسيدى الحاج حماد وأخيه الحاج العربى مع بعض فقراء (القصور) ليس الا فى القيام بالقدوم لزاوية (أزبزط) ليلة الاحد من العشاءين واما الباقون فانهم التزموا بأورادهم فى محلهم من غير قدوم للزاوية . بخلاف الفقيه السيد محمد الملاخ والفقيه السيد رحال فانهما اعتذرا وتخلفا . فالله لنا ولهم . اولامر لله من كان لله دام واتصل ومن كان لغير الله انقطـع وانفصل . كما يسلم على مجادتكم جملة الاخوان أصلحهم الله وسيدنا الوالد بأتم السلام وأطيبه وابن عمنا سيدى محمد بن عبد السلام بأتمه . وقـد تكلمت معه فى شأن الاسطرلاب مع الربع فوجدته بحث عليه جدا فلم يلفه اذ تعاطى ذلك قليل بحضرتنا . وها نحن جاعلين النظر على شئ من ذلك ناخذه لكم بحول الله . وكما نحبكم سيدى تدعون لنا بخير ولوالدنا لكونه مريضا فى هذه المدة الله يحفظنا فيه عامين . هذا وقد وجدنى الحامـل المذكور فيما تجلّى به المولى سبحانه على عباده اذ ظهرت فتنة عظيمـة

١) هو من المتجردين المذكورين فى (منية المتطلعين)

وهو أن بعض الرعاة من (مراكش) قام واتبعه رعاة الناس واراد ان يأكل دارنا مع عمنا فعمنا الله بلطفه والحمد لله وجعل السكة النحاسية سببها حتى تعكست عنده وقبض على الرئيس المذكور وارتاح العالم منه بحمد الله نطلب الله بجاهكم عنده أن يحفظ الجميع بجاه النبى الشفيع وسلم على ساداتنا الفقراء جميعا أطال الله لنا عمركم وجعلنا فى كنفكم انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وعلى محبتكم وخالص خدمتكم والسلام .

العبيد ادريس الورزازى لطف الله به عامين

(اقول) اظن أننى ذكرت تفاصيل هذه الفتنة فى كتاب (حول مائدة الغداء) عن منثو .

الثانيـــة

الحمد لله وحده فى ٢٥ من رجب الفاريض عام ١٣٧٧ هـ

الى شيخنا ووسيلتنا الى الله القطب الربـانى والفرد الصمدانى سيدى الحاج على الالغى السلام على سيادتك الحسنى ورحمة الله تعـلى وبركاته . أما بعد سيدى فقد حررنا لسيادتك قبل هذا كتابـا نسأل الله أن يكون وافى سيادتكم وأنتم بخير وعلى خير وأنت راض عنا بمنه آمين . وليعلم سيدنا أن أمر البقعة المباركة الذى أخذناها بقصد الزاوية السعيدة قد دفعنا لصاحبها من الثمن مائة ريال واحدة وزيادة أربعة وستون ريال هكذا ـ 164 وذلك قدر ما تحصل من الثمن من الفقراء حسبما هو مسطر بورقة بطى هذا وكما بينه سيدى حامل هذا سيدىابرهيم(١) الركيبى وقد حضرنا بحمد الله نحن والاخوان الفقيه الاجل سيدى الحاج ادريس الورزازى والفقيه سيدى محمد الوالى والاجل سيدى ابرهيم المذكور وسيدى موسى حتى وقعت المكاتبة مع صاحب البقعة المباركة ودفع الثمن المذكور حتى بقى له من الثمن مائة ريال وستة وثلاثين ريـال 136 حتى تتيسر بحـول الله وجعلنا معه الاجل شهرين محدودة لنؤدى له ذلك ويحوز لنا المحـل ان شاء الله كما يوافيك نسخة من تقييد البيع المذكور أسأل الله أن يتمم الامر ببركاتك ويمتعنـا جميعـا بوجودك وحضورك معنا فيه بحـول الله وكما نطلب منك صالح الدعـاء وان تستحضرنا معكـم فى الموسم المبارك السعيد فياله من موسم مبارك أسأل الله سبحانه أن يمنحنا من بركاته .

---

١) هو الشيخ سيـدى ابرهيم ابـن البصير الركائبـى المترجم فـى (الجزء الثانى عشر) .

ويمدنا بعطفه منك ونفحة من نفحاته بمنه ءامين وسلم منا على سادتنا الانجال حفظهم الله ورضى عنهم وعلى جميع الاخوان سادتنا الفقراء خصوصا وعموما وكما يسلم عليك أنجالنا وأهلونا واخواننا وجميع الفقراء وعلى محبتكم طالبين منكم صالح الدعا والسلام أسير ذنبه ج. العربى برادة لطف الله به و عبد ربه حماد برادة (١) لطف الله به ءامين

تذييل

الحمد لله وحده

وبعد تقبيل يد سيدنا وسؤال صالح دعواته والتماس بركاته وعطفته فلازائد على ما سطره المحب فى الله الاخ الصالح سيدى الحاج العربى برادة من قضية البقعة السعيدة حسبما يوافيك بتقييده سيدى المقدم المحب سيدى ابرهيم الركيبى وانه التزم لرب البقعة بتمام الباقى عند انتهاء الاجل . بعد خروجه بحول الله وكما نسأله سبحانه أن يسهل فى بنائها كما سهل فى خلاصها وعلى الله الكمال وعلى الخدمة والمحبة الى لقاء الله والسلام . فى تاريخه ادريس الورززى وعبيد ربه وأسير ذنبه المنسوب عليكم محمد الولى بن الوالى لطف الله به .

الثالثة

(هذا جواب هذه الرسالة (مع أخرى) بقلم ابن مسعود أولا . ثم بقلم الشيخ أخيرا) :

(أخونا فى الله تعلى . ومحبنا فى ذات الله . الفقيه النبيه . الاعز النزيه . أبو العلاء سيدى الحاج ادريس ابن سيدى المختار الوارززى . كان الله له . وسلام عليك ورحمته تعلى وبركاته . وعلى كل من انتمى اليه أهلا وقرابة وأحبة . وجميع من ينضاف الى ساحتكم . ولا زائد بحمد الله الا الخير . وقد بلغ مكتوبكم الاعز . وتصفحناه وفرحنا به . وتنسمنا منه نفحة تذكر معاهد الوداد التى ترتاح لذكرها القلوب . وتنتعش بها الافئدة وتزداد . وغير عجيب أن تحن الى فروعها الاصول . وهو نظير حب الله لعبده

---

١) هذان السيدان من التجار الفاسيين الذين لهما قدم راسخة فى الطريقة الالغية . وقد ظهرت عليهما وعلى بعض أولادهما بركة ذلك . وهما من أودائنا رحمهما الله .

الذى لايرده معقول ولا منقول . وهذا من جملة أسباب حياة القلوب فى الغيبة بل ربما كانت أوحى فى المعنى على الحضور . وتكيف الباطن منها بما لايدرى له مقدمة من الفرح بالله والحبور . فالحمد لله على انبساط فضله . واتساع انعامه وطوله . وذكرتم سددكم الله وأيدكم اشتكاء الولد الابر الميمون سيدى محمد فتح الله (١) وانكم جزعتم لشأنه جزع الشفيق الاواه . فنسأل الله تعلى أن يمتعكم بالبركة فى عمره . وينفعكم فى الدارين بصالح عمله وبره . ويجعل مسرتكم بعافية شاملة تقر بها أعينكم فيه وفى غيره ممن ينضاف اليكم . ويعز أمره عليكم . بجاه النبى وآله . والبخارى ورجاله . وذكرتم أيضا انتهاء أمر الطاغية الكافر الى المدى . وبلوغ السيل فى ذلك الى الزبى . فنسأل الله الكريم . بجاه نبيه العظيم. أن ينفس عن الاسلام والمسلمين . ويرد فى نحره كيد اللعين . وينصر الحق وأهله . ويهدى متولى الامور ويفشى هديه وعدله . واضرعوا الى الله واجاروا اليه جؤار المنكسر الاواه فى العفو والعافية (قل ما يعبؤ بكم ربى لولا دعاؤكم) والفقير مع ذلك يستسلم لأمر الحق فى كل حال . فيشهد اللطف فى عين العنف . والبر فى القهر (قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابرهيم) وذلك لتفويضه . واسلام وجهه الى الله . وهو الاستمساك بالعروة الوثقى وهو التوكل الذى هو ملة أبيكم ابرهيم . فجدوا فى الانقطاع الى الله . واشغلوا النفوس بذكره على طريقة أهل الحقيقة. تسعدوا وترقوا فى المراقى الانيقة . والله تعلى بمنه وفضله يحفظكم وسائر المسلمين . من شر أعمال الطاغين المفسدين . فان هذا ومثله من عقوبة المعاصى التى تشمل الجانى والبرىء . حكمة من الله وعدلا . لاراد لما حكم وقضى . فالزموا التمسك بجنة التسليم والرضا . وسألتم أن لا نغفل عن صالح الدعوات فى حقكم. فذلك بحمد الله مضمون لكم بما اقتضته رابطة المحبة الايمانية . المشار اليها أولا وهى فى الحقيقة محبة كل لجزء .

(الحب لى منى شىء عجيب)

كان الله لكم بكل لطف وافضال . ووقاكم من شرور الوقت وما فيه من أسباب الطرد والمقت . بمنه وكرمه آمين . والسلام فى أواسط شعبان الابرك سنة ١٣٢٧ هـ عن اذن شيخنا الامام . القطب العارف الهمام . مولانا الشيخ سيدى الحاج على بن أحمد الجعفرى ثم السوسى الالغى رضى الله عنه وعنا به آمين)

---

١) أحد أولاد المترجم استأثر الله به بعد ذلك .

(وقد (١) كتبت بيدى بعد اذنى للفقيه سيدى محمد بن مسعود بكتب ما فوق . شوقا منك لان تنتظر خطى . لان النائب يشتاق الى المنوب عنه فها الثمن الذى بقى من ثمن شراء الزاويـة . وهو مائة وستة وثلاثون ريالا حسنيا . أعطيته ومكنته سيدى موسى وسيدى الحاج محمد أبو الطيبى وسيد الحسين وسيد الحسن (٢) لتخلصوه لصاحبه . فقد عرفنا أنكم تحبون اكمال ذلك . ورجوتم خير ما هنالك . وقد علمت انكم السابقون فى ذلك باموالكم وأنفسكم . كما أخبرنى الفقراء بذلك . فزيدوا فى تلـك الخيرات التى تجرى على ابن ءادم بعد موته بادخال الماء للزاوية . واكمال حوانيت ازاءها فى بر الخارج لمنفعتها ان شاء الله تعلى . ومثلكم لا يعلم فى مثل ذلك . فبمجرد خلاصها تشتغلون ببناء بيت الذكر فيها . من غير تراخ . ولا كلفة فى بنائه . فها سيدى الحاج محمد أبو الطيبى عرف البناء باللوح يبنيه مع الفقراء من غير احتياج الى معلم ءاخر والحاصل فيكم الكفاية فى كل شىء والسلام .

خديم أهل الله على بن أحمد الالغى السوسى أمنه الله ءامين)

(وفى الحديث من بنى لله بيتا ولو كأفحوص القطاة بنى الله له بيتا فى الجنة)

الرابعة

(وهى تعزية فى الشيخ لما توفى ١٣٢٨ هـ)

الحمد لله المنفرد بالبقاء والدوام . الدائم بالعز والكمال عـلى ممر الليالى والايام . القائل كل شىء هالك الا وجهه . ويا ما احسنـه نظـام . لتظهر فيه سطوة الملك العلام . والصلاة والسلام على سيدنا محمد بدر التمام . ومسك الختام . وعلى ءاله وأصحابه البررة الكرام . القائل ان أعظم مـا ابتليت به هذه الامة فراق الاحبة . وبه قهر الانام سبحانه سبحانه ما اعدله فى حكمه وما أجمله احكاما . (أما بعد) فيا اخواننا الفقراء المتجردين لطاعة مولاهم حتى صاروا أمراء . فبعد الهموم والاستغراق . نقبل أيادى الجميع على الشمول والاطلاق . وأخص ساداتنا ومواليـنا أنجـال سيدنـا وذخيرتنا ووسيلتنا الى ربنا الشيخ سيدى الحاج على الالغى . الذى بمحبته

---

١) ومن هنا تبتدىء كتابة الشيخ بيده . ومعها طابعه الذى فيـــه : لا اله الا الله محمد رسول الله .

٢) موسى التاكموتى ومن معه كلهم من المتجردين المذكورين فى كتاب (منية المتطلعين)

ينال كل محب من رضا مولاه ما يبغى . وأهل داره ونوابه حاضرا الغائب .
والخليفة المكرم سيدى سعيد التناني الذى كان له أجل مصاحب . فننهى
لجادتكم الحسنى . ولمقامكم الاسنى . أنه بلغنا بحد التواتر . نعى سيدنا
الشيخ وانه أجاب داعى مولاه . وأسرع للقيه رغبة فيما أولاه . وأدركنا
من التحسر والاسف ما لايعلمه الا الله . ولا زالت الحيرة تخيل أفكارنا .
وتود النفس أن لاتذيقنا مرارة مصيبتنا . فنعللها بالترجى . وتتطاول
أعناقنا لناحيتكم لنحظى بكتاب فرجى . حتى جاءنا كتاب سيدنا سعيد .
محققا مصيبة الوعيد . فلم يبق الا الرجوع لمولانا الكريم . بالتفويض
والتسليم . لاغتنام ما فى ذلك من الثواب الجسيم . بتذكرنا قوله تعلى :
(وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) وان الموت باب عام يدخله
كل فاضل ومفضول فرجعنا لقوله تعلى (وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم وأولئك
هم المهتدون) وعليه فاننا على سبيل التفصيل والاجمال . نؤدى واجب
التعزية وألمنا فى سائر الاحوال . نعنى فقراء بلدتنا الغراء وان كانوا
كلهم ضعفاء وقراء لجادة جمعكم المبارك . ولعلاكم المتدارك . ونثنى بلسان
التضرع والابتهال . الى الرب المتعال . بصالح الدعاء لسيدنا الشيخ فى
تغميده فى رحمة مولاه . وتعظيم مزيته وقربه من الله . أداء لما يجب علينا
ولو كان بفضل الله غنيا عن دعائنا . فنقول اللهم زده عناية ورحمة .
وانزله لديك منزلة عظيمة يكون بها خليفة مولانا رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما كان هنا يكون ثمة . انه ولى ذلك . وهو المتفضل بما هنالك .
ونسأل من ساداتنا أجمعين صالح الدعاء بحسن الثبات والايمان . حتى
نلقى مولانا راضيا عنا غير غضبان بجاه سيدى ولد عدنان . ثم الاعلام
منكم بوارث سرنا . وبالمتصرف فى أمرنا . وفيمن ظهرت فيه اشارة سيدنا
اذ كلهم تبارك الله رابحون . ومن التجأ اليكم فهم الناجون . وعلى محبة
وطاعة رسوله والسلام . فى ٢٠ محرم عام ١٣٢٩ هـ ادريس الورزازى
وسيدنا العربى والحاج حماد واخواننا الفقراء غفر الله لنا ولكم امين

سيــــدي

بلعيد بن الحسين التزكيني

الكــدميــوي

۱۲۷۰هـ = ۱۳٥٦ هـ

متعلمـه

اخذ القرءان في مساجد من قبيلته (كدميوة) منها مسجد (تولكين) من جبل (أماس) ثم التحق بمدرسة (شتوكة) بـ (دكالة) المشهورة حول ضريح سيدى أبى يعزى المنصورى . وقد ذكر لى المترجم أن ابا يعزى نفسه هوالذى كان أسس هذه المدرسة. فكانصاحبنا ممنياخذون عنه منذ ١٢٩٤هـ حتى توفي ١٣٠٣ هـ قال : انه هو تخرج بالفقيه سيدى أحمد المسفيوى في مدرسة (أكادير نيت حسين) فى (مزوضة) وهذا أحد المتخرجين بسيدى محمد الاكنيفيفى ثم المزوضي تلميذ سيدى أبى العباس التيمكيدشتي . وقد ذكر عن أبى يعزى أنه فقيه متطلع الى التصوف . فاستشار أستاذ (أزمور) ابن دحو . فحال بينه وبين ذلك . فقال له : انك متى تذوقت تلك الكأس ؛ ستنسى بها حلاوة التعليم الذى فيه من مثلك نفع كثير للعباد . فوقف عنداشارته . يبث العلم طول حياته . وكان يطعم الطلبة الغرباء من كدّ يده حتى لقى الله .

بقي المترجم هناك ما بقي . ولكن معارفه لم تكن على قدر مكثه هناك. ومنتهى ما عنده أطراف من العربية والفقه . الا أنه ممن حببت اليه المطالعة وتفهم كل ما يسمعه . ثم توجه الله بتاج المعرفة بالله .

أحـوالـه الصوفيـة

غلبت عليه أحوال الصوفية من الانابة والخشوع . ومحبة الانزواء . وأول ما سرى اليه ذلك يوم لاقى الشيخ الالغى . قال : كنت أعرفه مـن

قديم بـ (دكالة) سنة ١٢٩٩ هـ وقد مر بنا مع طائفة قليلة من الفقراء . حين توجهوا الى (جبالة) فباتوا عندنا فى مدرسة (سيدى أبى يعزى) الدكالى المذكور . واذ ذاك وضعت البذرة الاولى من محبته فى قلبى بما رايته منه من لوائح الخير . وشواهد الولاية . ثم فى سنة ١٣١١ هـ كان مع الفقيه سيدى محمد الزيكى بزاوية سيدى عبد الله بن محمد الهزميرى الايدويرانى فكان منهما تشوف كبير الى لقاء شيخ للتربية . فاذا بهما يلاقيان الشيخ ومعه جمع حافل من الفقراء . قال : فأول ما لاقيته قلت له : يا سيدى بالله عليك الا مادعوت الله لى ليروض جماحى . ويروى غلتى ؛ قال : فامرنى الشيخ وحضنى على المواظبة على اسم الله العظيم الاعظم (الله) فحين اخبرنى المترجم بذلك قلت له : وهل تداوى القلب بعد ذلك ؟ فقال : الحمد لله والشكر لله . وقد كان يكرر ذلك فى كل فرصة . فيقول : جزى الله عنا شيخنا الذى أزال عنا العطش . وهدانا الى الصراط .

كان من أكبر الناس اعتناء بالنوافل. وفعل الخيرات . قنوعا من الدنيا بما تيسر . الا انه فى ميدان الآخرة ذو شره زائد . لايقنع فى باب الله بقليل . وقد أخبرنى انه كان له قبل لقى الشيخ أوراد كثيرة . وانواع من العبادات ثم لما لاقاه وحصل على المقصود . اطمأن بالله . وسكنت حاله قال : اننى كنت اختم ختمة من القرءان فى كل يوم . حتى رأى فى بعض الاحاديث أن ختمه فى الاسبوع هو الاولى . فداوم على ذلك سبع سنوات الى أن أخبرنى . فان أنس لا أنس ساعات كنت أجالسه فيها بزاوية (تيزكين) فى (أيت واكنا) كلما وردت هناك . فكان وهو شيخ هم يفضى الى منفردين بكل أحواله التى يخفيها عن الناس . فكنت كلما أجلت فيه بصرى . ووقر كلامه فى أذنى . وشاهدت الاخلاص حول كل أعماله كاطار أتذكر ما كنت أعرفه من أحوال الصوفية القدماء من رجال (الحلية) والمترجمين فى (الرسالة القشيرية)

كان يرد على الشخ فى (الغ) فى صحبة فقراء الحوز مرات . كما ورد أيضا الى الموسم الالغى بعد وفاة الشيخ . ولم ينقطع عن ذلك . حتى عجز عن الركوب . وكان أحيانا يشارط فى مساجد . ويعلم القرءان ؛ غير أن الغالب عليه الاشتغال بخويصة نفسه ؛ الا اذا كان فى مجمع ؛ فانه يعظ ويرشد وكل من رعاه أو سمع كلامه يشهد بانه من الاخيار الافاضل . لانه يحس من جالسه بتدفق شيء يسرى الى قلبه . يحسبه الجاهلون وهما متخيلا وما هو الا حقيقة ملموسة عند النقاد البصراء . يشهد لذلك اشراق

يعلو صفحة وجهه . فكأنه مرءاة صافية . وقد بلغتنى وفاته فى هـــذه السنة التى نفيت فيها الى الغ . (١٣٥٦ هـ)

بعض منشداتـــه لى

كنت جالسته يوما فى تلك الزاوية فاخذت عنه بعض ما تقدم . ثم فى اثناء الكلام انشدنى فى معرض التسليم :

اريد عطاءه ويريـــد منعى ... واترك ما اريد لما يريـــد

وانشدنى ايضا . وقد احس بانه ملأ عينى :

يظن الناس بى خيراً وانى ... اشر الناس ان لم تعف عنى

فلنجعل ترجمة هذا الرجل الصالح ءاخر ما يوكا عليه هذا الجزء . فيصح فيه أن ختامه مسك .

انتهى الجزء الخامس عشر من (المعسول)

ويليــــه ان شاء الله الجزء السادس عشر

الفهارس سبعة

١) فهرس الرجال الذين تأسست عليهم التراجم
٢) الفهرس العام لكل ما في الجزء معنونا وغير معنون
٣) فهرس القــوافي
٤) فهرس المنشــورات
٥) فهرس الاسر
٦) فهرس الخطا والصواب
٧) فهرس الكلمات الشلحية التي فيها حرف مشدد

﴿ الفهرس الاول في الذين تأسست عليهم التراجم ﴾

٥ سيدى سعيد التنانى الازيـارى
٦٣ سيدى أحمد بن محمد التاماروتى
٦٨ سيدى أحمد بن مبارك التاماروتى
٧١ سيدى الحسن التنانى التاماروتى
٧٢ سيدى عبد الملك التيغائيمينى
١٢٠ سيدى عبد الله الشناح التيغانيمينى
١٢٢ سيدى الحسين التامگونسى التنانى الزيكى
١٢٨ سيدى الحسن الزيكى
١٧٣ سيدى عبد الله القاضى الزيكى
١٧٦ سيدى محمد بن عبد الله الزيكى
١٨٧ سيدى أحمد الايمشيرى الزيكى
١٩١ سيدى الحسين بن العربى الزيكى
١٩٣ سيدى محمد الزيكى الفاهرى
١٩٤ سيدى حمو الخطـابى
١٩٦ الحاج الحسن الگيلولى الحاحى
٢٣٨ سيدى الحسين الگزميرى الحـاحى
٢٤١ سيدى محمد بن عمر التيملى ثم الزمزمى الحاحى
٢٤٤ القائد محمد گرما الزمزمى الحـاحى
٢٤٥ سيدى محمد بن على الصوفى الاديب السويرى
٢٥٣ سيدى مسعود الشياظمى القاضى
٢٦٤ سيدى الهاشم الشياظمى
٢٦٥ سيدى عبد القادر السباعى العلامة
٢٩١ سيدى أحمد الدمناتى ثم البيضاوى
٣٠١ سيدى محمد بن على التادلى نزيل الجديدة
٣١٤ سيدى محمد بن عبد القادر الگدالى الرحمانى
٣١٧ سيدى عياد الگدالى الرحمانى
٣١٨ سيدى عباس التادلى المراكشى القاضى
٣٢٣ سيدى الحاج ادريس الورزازى المراكشى
٣٣٥ سيدى بلعيد التيزگينى

﴿ الفهرس الثاني في كل ما ذكر في الجزء معنونا وغير معنون ﴾

٤ لائحة المذكورين فى الجزء اصالة من أصحاب التراجم الاصلية
٥ سيدى سعيد التنانى
٥ منة هذا السيد على جامع الكتاب وذكر أياديه عليه وشكره
١٠ والده سيدى محمد بن أحمد ـ ترجمته
١٤ مفتتح حياة سيدى سعيد ـ فى المكتب ـ
١٥ فى مدرسة ايسقال
١٥ سيدى ابرهيم بن الحسن الفقيه الايسقالى
١٥ سيدى الحاج الحسن الفقيه الايسقالى الكزويى
١٦ ملاقاة سيدى سعيد مع الشيخ الالغى . وأسباب ذلك . وما وقع له مع أستاذه الكزويى
١٧ زيارته لسيدى مَحمد الامغارى الحاحى . وسبب ذلك
١٩ صاحب الترجمة يفقد أسراره التى كان يعدها النهاية قبل لقى الشيخ الالغى
٢٠ يشارط فى مسجد تيديلى
٢١ يلتحق بشيخه فيتجرد ـ فى هياة الفقراء ـ
٢٢ ياخذ التفسير عن الشيخ . وما وقع له معه فى تفسير عاية
٢٤ يشاهد الروح النبوية سبعين مرة فى ليلة واحدة
٢٥ فى المجاهدات العظيمة ـ وذكر بعض أحوال الفقراء ـ
٢٨ اتساع أخلاقه ـ وذكر بعض اخلاق المؤلف ازاء اخلاق المترجم ـ
٣٠ سعة صدره ازاء الرؤساء
٣١ يخرق العادة فى بلده ـ والتكلم حول معنى خرق العادة فى اصطلاح الفقراء ـ
٣٣ فى النساخة لشيخه
٣٤ ولوعه بالجداول ـ وخطه الجميل ـ
٣٥ الشيخ يريحه بعد عشرين سنة من التجريد ـ وبعض اوصاف الشيخ الشديدة ـ
٣٦ فى تعليم سيدى محمد ولد شيخه

٣٨ يستخلفه الشيخ فى مراكش ـ ويعتكف فى مسجد باب دكالة ـ
٣٩ اعجابه بالشيخ شعيب الدكالى
٣٩ يسقط عن البغلة فى اللحظة التى قبضت فيها ورح شيخه
٤٠ يطرقه نعي شيخه
٤١ يلازم زاوية شيخه كرئيس
٤١ اكفهرار الجو بينه وبين بعض أقرانه
٤١ الاشارة الى رسالة من ابن مسعود الى الاخ سيدى محمد
٤٣ فى جيش الهيبة الى مراكش ١٣٣٠ هـ ـ وما وقع له فيه .
٤٦ يتزوج ببنت شيخه السيدة عائشة ربيعة زمنها
٤٦ ينتقل الى أزيار مواطن عابائه ـ وتوديعه لالغ ـ وتلقى التنانيين له بالتبجيل
٤٩ ماذا يعمل فى داره بأزيار ـ وأخبار مختلفة عنه هناك ـ
٥٢ يلتحق بالرفيق الاعلى
٥٤ ولده محمد الذى اعتبط بعد ما نجب
٥٥ أدبيات حول سعيد من قواف شتى
٦٣ سيدى أحمد بن محمد التنانى التاماروتى
٦٣ الاول من علماء الاسرة محمد بن على القاضى
٦٣ الثانى محمد بن بلقاسم
٦٣ الثالث سيدى أحمد بن محمد
٦٤ مآخذه للقرعان والعلوم ـ أحواله
٦٥ ملاقاته بالشيخ الالغى
٦٦ سعيد ومحمد أخواه النجيبان
٦٨ سيدى أحمد بن مبارك التاماروتى ـ متعلمه
٦٩ مشارطاته ـ بعض أحواله ـ
٧٠ وفـاته
٧١ سيدى الحسن التنانى التاماروتى
٧٢ سيدى عبد الملك التيغانيمينى التنانى
٧٢ أسرة عال تيغانيمين
٧٢ الاول من رجال الاسرة الشيخ سيدى ابرهيم بن على
٧٤ قولة الحضيكى فيه
٧٥ تراجمه فى كتب أخرى

الثانى سيدى مَحمد بن ابرهيم بن على ٧٦

الثالث مَحمد بن عبد الرحمن بن مَحمد بن ابرهيم بن على ٧٧

الرابع اليزيد بن عبد الله من عال اكنى ٧٧

الخامس محمد بن عبد الله من عال اكنى ٧٧

السادس محمد بن محمد بن الحبيب ٧٧

السابع الحاج أحمد بن محمد بن محمد بن الحبيب ٧٧

الثامن ابرهيم بن محمد أخو المذكور قبله ٧٨

التاسع الحسن بن محمد أخوهما ٧٨

العاشر عمر أخوهم ٧٨

الحادى عشر أحمد بن عبد الرحمن ٧٨

الثانى عشر عبد الله بن عمر الشيخ الكبير ٧٨

الثالث عشر عبد الله بن عمر الصغير ٨٠

الرابع عشر على بن عبد الله بن عمر ٨١

الخامس عشر محمد بن عمر بن عبد الله بن عمر ٨١

السادس عشر الحاج عبد الله بن على ٨١

السابع عشر الحاج عبد الله بن أحمد ٨٢

الثامن عشر الحبيب بن أحمد ٨٢

التاسع عشر محمد بن عبد الرحمن بن محمد ٨٢

العشرون الحاج عبد السميح بن عبد الرحمن ٨٢

الحادى والعشرون محمد بن الطاهر الامين ٨٣

الثانى والعشرون سيدى عبد الرحمن بن الحاج (بوعادروش) ٨٣

الثالث والعشرون عبد الرحمن بن محمد ٨٤

الرابع والعشرون ابرهيم بن عبد الله بن محمد ٨٤

الخامس والعشرون القاضى سيدى مَحمد من (سيدى أبى السحاب) ٨٤

السادس والعشرون سيدى محمد بن أحمد بن مَحمد الواوگنارتى ٨٤

السابع والعشرون سيدى عبد الكريم من عال اگرام ٨٥

الثامن والعشرون سيدى محمد بن عبد الله من عال اگرام ٨٨

التاسع والعشرون سيدى محمد بن عبد الكريم من عال القاضى ٨٨

الثلاثون الحاج محمد بن عبد السميح من عال القاضى ٨٨

الحادى والثلاثون سيدى محمد بن ابرهيم السويرى من عال القاضى ٨٨

الثانى والثلاثون سيدى الطيب بن محمد من عال القصَرى ٨٩

٨٩ الثالث والثلاثون أحمد بن عبد الرحمن من عال 'وولدِي
٨٩ الرابع والثلاثون محمد بن عمر بن أحمد من عال 'وولدِي
٨٩ الخامس والثلاثون الحاج محمد بن عبد العزيز
٩٠ السادس والثلاثون الحسن الشاعر المشهور
٩٠ شيخه أحمد الكاشطى التنانى العلامة
٩٣ أخبار عن الحسن الشاعر
٩٥ قوافيه الطنانة بحسب بيئته
١١٨ السابع والثلاثون محمد بن أحمد بن عبد العزيز
١١٩ الثامن والثلاثون عبد الملك بن ابرهيم بن أحمد
١٢٠ سيدى عبد الله الشناح . وظهير حواليه
١٢١ اتصاله بالشيخ الالغى – كيف مات –
١٢٢ سيدى الحسين التامكونسى التنانى ثم الزيكى – قول ولده فيه – متعلمه
١٢٣ النفحة الصوفية الاولى
١٢٤ سيدى محمد بن على الافنتارى الماسى الصوفى
١٢٥ وقوع المترجم على الشيخ الذى يتطلبه . وسفره اليه – وهو سيدى سعيد المعدرى
١٣١ وفاة سيدى ابرهيم بن الحسن أستاذ المدرسة الايسقالية
١٣١ المترجم فى مراكش
١٣٢ عند الفقيه سيدى المحجوب المسفيوى
١٣٣ ابن الفقيه مسمار التيغانيميتى يصلى بلا وضوء
١٣٤ وفاة سيدى سعيد المعدرى وما وقع للمترجم معه
١٣٥ اقتداء المترجم بالشيخ الالغى بعد أستاذه المعدرى
١٣٥ يسيح مع الشيخ الى الحوز
١٣٦ وفاة سيدى أحمد بن مَحمد المزوضى
١٣٦ وقائع للشيخ الالغى مع أناس فى (مزوضة)
١٣٧ بين الشيخ الالغى والشيخ التاموديزتى
١٣٧ انتقال المترجم من أداوِتنان الى بوكودوين – وخرقه للعادة هناك –
١٣٨ سيدى محمد بن حمو التنانى وملاقاته مع الشيخ
١٣٩ سيدى مبارك من عال مبارك الزيكيين . وأحواله العجيبة
١٤٠ السيدة فاطمة أم هدوز وأحوالها العجيبة

١٤٠ الشيخ وسيدى ابرهيم بن علي ومع ءاخرين
١٤١ جلسة بين المترجم وبين الشيخ قرب وفاة الشيخ
١٤٢ اتساع رزق المترجم فى منزله الجديد بعد ضيقه
١٤٢ أحوال منه غريبة
١٤٣ مرجع الشيخ من الحج وما قاله عن المغاربة الحاجين
١٤٣ سياحة للمترجم فى جبل درن
١٤٤ وقائع للمترجم فيها كرامة
١٤٥ حوادث له مع ولده ومع شيخه الالغى
١٤٨ أخرى مع سيدى سعيد التنانى ومع سيدى ابرهيم بن علي التنالى
١٤٩ ظهور قوة غريبة منه مع ضعفه
١٥٠ اعتناؤه بالمطالعة ونظرته الخاصة الى بعض الكتب . وما وقع لسيدى سعيد مع الكزويى ومع شيخه الالغى
١٥٢ تحسر سيدى الحاج الحسن الكزويى على عدم ملاقاته للشيخ الحى .
١٥٢ بين القائد عبد الملك المتوكى والشيخ الالغى . وبين القائد الدليمى وغيره .
١٥٣ نزول الملك مولاى الحسن الاول فى تيقى من اداوتنان لم يتجاوز ثلاثـة أيـام
١٥٤ كلام بين الطرقيين
١٥٥ حوادث من سعيد التنانى ومن سيدى محمد بن حمو
١٥٧ من الجن أصحاب للشيخ الالغى
١٥٨ الصلاة التى يعنى بها المترجم . وما بينه وبين اولاده .
١٥٩ ذيل من جامع هذا الكتاب
١٦٠ اخبار أخرى عن المترجم وبعض عاداته
١٦١ بينه وبين سيدى سعيد التنانى
١٦١ بينى وبينه
١٦٣ من رسائل شيخه الالغى اليه
١٦٦ أولاده
١٦٧ تولى ولده عبد الحميد القضاء
١٦٨ سيدى الحسن الزيكى الفقيه
١٦٨ الفقيه سيدى مبارك من أهله (ءال أحمد بن بيهى)
١٦٩ متعلم سيدى الحسن الزيكى- أعماله فى قريته - فى نطاق التصوف
١٧٠ فى مسجد اكادير ايداوسوار - صناعته اليدوية -

١٧١ مركزه فى الطريقة الالغية وفى العلوم
١٧١ ولده الفقيه سيدى محمد
١٧٢ قائمة علماء الاسرة
١٧٣ سيدى عبد الله الزيكى القاضى ـ متعلمه ـ يتولى القضاء ـ
١٧٤ فى الطريقة الالغية ـ بعض ما يتعلق بـه ـ
١٧٦ سيدى محمد بن عبد الله الزيكى العارف بالله ـ متعلمه للقرعان وللمعارف ـ
١٧٨ فى بونعمان تحت رعاية ابن مسعود
١٧٩ فى مزاولة النوازل
١٨٠ فى المشارطات ـ فى الديابات من (السويرة)
١٨١ سيدى مكدول التركراكى السويرى
١٨١ مختلف نواح من ترجمته . ومقامه فى التصوف . وما وقع له مع الشيخ الالغى وسيدى سعيد التنانى
١٨٤ بينى وبينه مما نفعنى الله به
١٨٧ سيدى أحمد الايمشيرنى الزيكى
١٨٨ متعلمه ـ اتصاله بالشيخ الالغى ـ
١٨٩ من أحواله ـ من أولاده ـ
١٩١ سيدى الحسين بن العربى الزيكى ـ متعلمه وأحواله ـ اتصالـه بالشيخ الالغى ـ متوفاه ـ
١٩٣ سيدى محمد الزيكى القاهرى ـ فى الطريقة الالغية ـ
١٩٤ سيدى حمو الخطابى ـ متعلمه وأحواله ـ اتصاله بالشيخ الالغى ـ
١٩٦ الحاج الحسن الكيلولى الحـاحى
١٩٦ القائد المحجوب الكيلولى
١٩٧ رسائل مخزنية
٢٠٣ ذكر القائد المحجوب فى الرحلة الحجازية للشيخ الالغى
٢٠٥ القائد سعيد الكيلولى
٢٠٦ القائد سعيد الكيلولى فى سوس وما كتبه عنه أبو فارس الادوزى
٢١٨ قواف فى مدحه
٢٢٥ رسائل حول القائد سعيد الكيلولى
٢٣٠ اخبار أخرى عنه
٢٣١ اقلاع القائد سعيد من سوس
٢٣٢ القائد مبارك الكيلولى

٢٣٣ القائد عبد الرحمن الگيلولى
٢٣٤ القائد الحاج الحسن بن محمد
٢٣٥ الحاج الحسن الذى سيق الكلام اليه ـ فى الطريقة الالغية ـ أخباره الاخرى ـ
٢٣٨ سيدى الحسين الكزميرى الحـاحى
٢٤١ سيدى محمد بن عمر التيملى ثم الحاحى
٢٤٤ القائد محمد گرما الحـاحى
٢٤٥ سيدى محمد بن على الاديب السويرى الصوفى ـ متعلمه ـ فـى التجارة ـ
٢٤٦ مع الشيخ الالغى ـ أدبه ـ عاثاره ـ
٢٤٧ قصائده فى شيخه الالغى
٢٥٣ سديى مسعود الشياظمى القاضى ـ أصل أهله ـ
٢٥٤ متعلمه للقرءان والمعارف ـ فى تازانتوت ـ
٢٥٥ فى الطريقة الالغية
٢٥٦ فى مدرسة سيدى يعقوب بـ (ايلالن) فـى مدرسة (أملـن) فى الساعدات ـ
٢٥٧ تقلباته فى حياته قبل القضاء
٢٥٩ يستقر فى أهله فى (الشياظمة) فى مدرستهم ـ فى خطة العدالة
٢٦٠ فى خطة القضاء ـ نباهة شانـــه ـ
٢٦١ نتف أخرى عنه أخرى
٢٦٢ مختتم ترجمته
٢٦٤ سيدى الهاشم الشياظمى الفقيه المتجرد
٢٦٥ سيدى عبد القادر السباعى ـ قبيلة السباعيين ـ
٢٦٥ سيدى المختار السباعى ـ وسيدى الجيلالى حفيده
٢٦٦ سيدى محمد الضوء البكارى المغراوى السباعى
٢٦٧ القائد أحمد بن الشيگر
٢٦٧ لائحة علماء الساعدات
٢٦٨ الاول سيدى محمد بن على ـ قولة الهوارى المؤرخ فيه ـ
٢٦٩ ظهيران يتعلقان به
٢٧٠ عبد الله بن بلعيد القائد السباعى ورسالة منه ال الصحراويين بقلم المترجم
٢٧٢ الثانى سيدى العربى ـ وأخباره المتنوعة ـ

٢٧٥ الآخذون عنه
٢٧٦ ظهائر اليـه
٢٧٧ الثالث القاضى سيدى لاضوء بن العربى – محاورة حضر فيها –
٢٨٤ الرابع سيدى عبد القادر بن العربى
٢٨٥ ملاقاته بالشيخ الالغى
٢٨٦ نتف أخرى من أخباره
٢٨٧ الآخذون عنه – عاثار من أدبياته
٢٨٩ ظهير الى المترجم
٢٩٠ الخامس محمد فضل بن العربى
١٩١ سيدى أحمد الدمناتى ثم البيضاوى
١٩١ سعيد بن على والده الحاحى التامرى من القراء الكبار
٢٩٢ متعلم سيدى أحمد الدمناتى – فى الطريقة الالغية مع أخبـاره فى تقلباته –
٢٩٩ فى البيضاء أخيرا – حاله وأخـلاقه –
٣٠١ سيدى محمد بن على التادلى الصوفى الكبير – أولياته –
٣٠٣ اتصاله بالشيخ الالغى بارتحاله الى الغ
٣٠٥ أحواله وما رأيته منه
٣٠٨ بعض منشوراته وعاثاره
٣١٢ خاتمة الترجمة
٣١٣ أولاده
٣١٤ سيدى محمد بن عبد القادر الكدالى الرحمانى – ماخذه للقرءان – فى الساعدات – فى تأسيس المدرسة –
٣١٥ فى الاكباب على التدريس – بعض الآخذين عنه – متوفاه –
٣١٦ الثانى من علماء الاسرة سيدى عثمان
٣١٦ الثالث سيدى الدليل
٣١٧ سيدى عياد الكدالى الرحمانى – أحواله ومعتنقه للطريقة الالغية –
٣١٨ سيدى عباس التادلى القاضى
٣١٨ الاول من أسرة أهله : محمد بن الغزوانى
٣١٩ الثانى المعطى بن محمد
٣٢٠ الثالث سيدى عباس القاضى المتقدم
٣٢٣ الحاج ادريس الورزازى المراكشى القاضى
٣٢٣ رجالات من أهله
٣٢٨ سيدى بلعيد التيزكينى

الفهرس الثالث في القوافي ويكتفي بالشطر الاول ان صرع والا فيوتي ايضا بالكلمة الاخيرة من الشطر الثاني

الهمزة

٩٧	الحسن التنانى	هل يرتضينى الشعر من شعرائه
١١٠	له أيضا	ما لى وما لمدينة الحمراء
٢٢٠	الطاهر الايفرانى	صيت الخليفة طبق الارجاء

الباء

٦١	المؤلف	قرت بما تشتهى القلوب
٩٦	الحسن التنانى	الى متى لا أفى للعرش من أدبى
٩٩	له أيضا	ألا هكذا تعرو خطوب النوائب
١٠١	له أيضا	لم أبك جسما فى الثرى قد غيبا
١٠٥	له أيضا	لمن يشكو الاديب سوى الاديب
١١٤	له أيضا	حنانيك لا توسع فؤادى أنا عتبا
٢٢٢	الحبيب السگرادى	على قدر سعى المرء تاتى المكاسب
٢٤٩	ابن على السويرى	أمولاى يا على نداك ضارع ـ المذاهب

التاء

١١٣	الحسن التنانى	أكذا حياتك كلها عايات

الحاء

٢٨٨		هب النسيم وطابت الارواح

الدال

٤٨	محمد بابه	زار الفقيه وزوره محمود
٥٨	المؤلف	صابت سحائب دمعى المتبدد
٩٨	الحسن التنانى	باسم العروبة والاخا وبلاد

١٠٦	له أيضا	لا تلمنى فـانى معمـــود
٢١٩	الطاهر الايفرانى	تبين نور الحق واتضح الهدى
٢٢٠	له أيضا	عليك سلام طيب رائح غاد
٢٤٧	ابن على السويرى	قصـدت حمى ذى الحيـاء المـديـد
٢٥١	له أيضا	أقلبى لذ بالواحد الاحد الصمد
٢٦٢	ابن مسعود	مسعود لاتله عن سر العزيز اذا ـ الابد

الراء

٩٢	أحمد الكشطى	ألا هل لنا قسط بوصل أحبة ـ الشحرى
٩٣	المؤلف	تدوم أيا كشطى للمجد والفخر
١٠٧	الحسن التنانى	فاض فكرى فى الشعر بالاعتـذار
١٠٨	له أيضا	مـاذا يكون لشاعر عاثـارا
١١١	له أيضا	أنا فى سماوات العلا ذلك البدر
١١٧	له أيضا	هويت وما تدرين ما كان من أمرى
٢١٩	سيدى الطاهر	لك العلم المنصور يا علم العصر
٢٢١	له أيضا	دهى حادث فاغتال أنفس ما ذخر
٢٢٤	على الالغى	لك البشر والبشرى يفتح به عنت ـ قهر
٢٢٥	محمد بن مسعود	أسيدنا الخليفة المرتضى البحر
٢٤٨	محمد بن على	لحمى ذوى الفضل الكرام العنصر
٢٥١	له أيضا	أشيخى يـا على يـا ملجأ الورى
٣٢٧	الحسن التنانى	أجمـل الصبر فالعظيم صبـور

السين

١٠٤	الحسن التنانى	لا تنزعـــج واهـدأ برغم الاسى

الشين

٢٦١	ابن مسعود	مسعود لازلت فى الخيرات مرتضعا ـ عياش

الطاء

٩١	الطاهر الايفرانى	سلام كنشر الروض أو كشذا القسط

العين

٦١	المؤلف	أيـا راحـلا لبى نـداء مطاع

الكاف

١٠٢ الحسن التنانى — كنت ان ساعة مضت لا أراك

الفـاء

٢٢٣ التاموديزتى — سفر القلوب الى الاله كرامة ـ للمقتفى

اللام

١٠٩ الحسن التنانى — دم كما كنت للوفاء مثالا
١١٢ له أيضا — أكلما سددت لى أسهم العذل

القـاف

٥٥ المؤلف — أبارق السفح فى جنح الدجا التلقا
٢٨٨ له أيضا — لمن موكب من هالة العز يشرق

الميم

١١١ الحسن للتنانى — حنانيك أصليت الفؤاد ملاما
١١٦ له أيضا — لا ينمحى بتتابع الايام

النون

١٠١ الحسن التنانى — لم لا أذوب وقد طغت اشجانى
١١٧ له أيضا — أعلمت أننى كل حين
٢٥٠ ابن على السويرى — احبة خير الخلق أمته التى ـ عينا

اليـاء

١٠٣ الحسن التنانى — بأى لسان المغتدى اليوم رائيا
١١٤ له أيضا — كذا كلما حاولت دهرى القوافيا

الرجز

٢٠٣ الشيخ الالغى — ثم الى المحجوب من عمال
٢٦٧ ابن صنبا — قال عبيد ربه الغفور
٣٠٦ محمد التادلى — كلفنى بوحدة الوجود

الفهرس الرابع في المنشورات من الرسائل والظهائر والمقيدات وامثالها

رسائل مخزنية ـ ٨٩ ـ ١٩٧ ـ ١٩٧ ـ ١٩٧ ـ ١٩٨ ـ ١٩٩ ـ ١٩٩ ـ
١٩٩ ـ ١٩٩ ـ ٢٠٠ ـ ٢٠٠ ـ ٢٠٠ ـ ٢٠١ ـ ٢٠١ ـ ٢٠٢ ـ ٢٠٢ ـ
٢٢٥ ـ ٢٢٦ ـ ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ـ ٢٠٧ ـ ٢٠٧ ـ ٢٢٨ ـ ٢٢٨ ـ ٢٢٨ ـ
٢٢٩ ـ ٢٢٩ ـ ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ـ ٢٣٠ ـ
ظهائر ـ ٨١ ـ ١٢٠ ـ ٢٦٩ ـ ٢٦٩ ـ ٢٧٦ ـ ٢٧٧ ـ ٢٧٧
محمد أكنسوس ـ ٨٥ ـ
الطاهر الايفراني ـ ٩١ ـ
أحمد الكشطي ـ ٩٢ ـ
الشيخ الالغي ـ ١٦٣ ـ ١٦٣ ـ ١٦٤ ـ ١٦٤ ـ ١٦٥ ـ
محمد بن علي السويري ـ ٢٤٦ ـ
محمد بن علي السباعي ـ ٢٧٠ ـ
ابن مسعود ـ ١٧٧ ـ ٢٦١ ـ
محمد بن عبد الله الزيكي ـ ١٨٤ ـ
محمد بن علي الهواري ـ ٢٧٧ ـ
محمد بن علي التادلي ٣١٠ ـ ٣١٠ ـ

الفهرس الخامس في الاسر المذكورة في الجزء

٧٢ عال تيغانيمين التنانيون
١٦٨ عال أحمد أوبيهي الزيكيون
١٦٣ عال تاماروت التنانيون
١٩٦ عال المحجوب الكيلوليون
٢٦٥ عال الساعدات السباعيون

الفهرس السادس في الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥	١٨	الى السجع	الا السجع
٦	٩	ان ارى	ان راى
٦	٢٠	بينما	فبينما
٧	٥	ووكيف	وكيف
٧	٢	(فى الحاشية) مقتويا	مقتوينا
١٢	١٤	واورا	ودارو
١٢	٢٢	نتانة	تنانة
١٢	٢٥	نتانة	تنانة
١٢	٢٨	مواضيع	مواضيع
١٨	٢٩	بالتوتر	بالتواتر
٢١	٣١	(فى الحاشية) بشم	بضم
٢٥	١٤	امها بلبابها	امه بلبانها
٣٧	٢٦	تليذه	تلميذه
٤٠	١٩	دينك	ذينك
٤٠	٢٩	فى اوخر	فى اواخر
٤٣	١٥	للعالى	للمعالى
٤٧	١٥	ومستبل	ومستقبل
٥٠	١٨	ازيتار	ازيار
٥٦	٦	(فى الحاشية) كفرخ	كفرح
٥٧	١٧	مستفتتحا	مستفتحا
٥٧	٢٣	بحار	فى بحار
٥٨	٣١	ارشدننى	ارشدتنى
٥٨	٢٩	تنكسى	تنسكى
٦٠	١٣	سيدى	سيد
٦٠	١٤	المخريت	الخريت
٦٠	١٤	لم ينفذ	لم ينفد
٦١	٨	هروسا	عروسا
٦١	١	(فى الحاشية) حيزيون	حيزبون
٦٤	٢٦	مسجد	فى مسجد

صفحة	سطر	خطا	صواب
٧٢	٩	السبطى	السبط
٧٢	٣	= ١٣٧٣ هـ	١٧ - ٣ - ١٣٧٤ هـ
٧٣	١٤	التنانين	التنانيين
٧٥	١١	على أبا العباس	على أبى العباس
٨٠	٥	علناه	علمناه
٨١	٥	بتقييد	بتنفيد
٨٣	١٦	بـه	بها
٨٤	١٨	الموجودين	الموجودون
٩١	١١	كشذ الروض	كنشر
٩٧	١٠	أقواب	الجواب
٩٤	٢٠	اختصر	اختص
٩٨	١٧	بدام	بدوام
٩٨	٣٠	هدبة	هدية
٩٩	١٨	اذا لم	اذا ما لم
١٠٠	٤	معناه	منعاه
١٠٧	٢٧	وربه	ورب الفخار
١٠٧	١	جنانيك	حنانيك
١٠٧	٣	نلتقى	نتلقى
١٠٨	٢٩	دقت	ذقت
١١١	٤	عن مسقتبله	عن مستقبله
١١٦	٢٤	الحمرا	الحمراء
١٢٣	٢٣	البوقرواني	البومرواني
١٢٣	٦	نشأ الوالد	الولد
١٢٩	٢١	وقال لعلك	وقالوا
١٣١	٢٢	اذا كنت	ان كنت
١٣٣	٣١	مقالة هو عبد	مقالة عبد
١٤٠	٧	تامر يساتين	تازناغت
١٤٠	١	(فى الحاشية) جنى لاتصوف	جنى على التصوف
١٤٣	٢٦	تازرت	تيزيرت
١٤٤	٤	اين قبلتم	أين أقبلتم
١٤٤	٨	ياتوك	ياتونك

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٤٥	٢٨	له هذا	لها
١٤٦	٢	فاستودت	فاسودت
١٤٦	٢١	فتأمر	فتآمر
١٤٦	٣٠	ان أبا	ان أبن
١٤٧	٢٠	أما منتك	أماتتك
١٤٨	٢	الى الزاوية	الا الزاوية
١٥٠	١١	كلمة سوء	بكلمة
١٥١	٢٥	الاحمديون	الاحمديين
١٥٣	٢٠	وسبعين	وسبعون
١٥٤	٩	كبير	كثير
١٦١	١٥	الشخ	الشيخ
١٦٤	١٣	يوصله	يوصلها
١٦٨	٢١	وهو اليوم	وهم اليوم
١٧٣	٧	في هذه	في هذا
١٧٦	٨	زوجه	على زوجه
١٧٨	٢٥	بـه	بها
١٨٥	٢٧	غمطمطم	غطمطم
١٨٨	٣٠	يشتغل	يشغل
١٨٩	٣٢	ويبرون	ويبروون
١٩٤	٩	تانارت	تونارت
٢٠١	٧	قيدهما	قيدها
٢٠٦	٣	الاخيرة	أو الاخيرة
٢١٢	١٥	ايلاغن	ايبلاغن
٢١٤	١٦	حاز	جاز
٢١٧	٢٤	كبير	كبيرا
٢١٨	٢٨	مدحـه	في مدحه
٢٢٥	١٣	منا	(يسقط)
٢٢٥	٢٥	بدينا	بدنيا
٢٢٦	١٨	ثم صحبتموهم	ثم صحبتموهم
٢٢٦	٢٤	تؤمله	تؤمله
٢٢٩	٢٥	توجب	توجه

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٣٥	٧	القائد بن مبارك	القائد مبارك
٢٣٦	١٧	فلقاهما	فلقيهما
٢٤١	٤	نحو ١٣٨٠ هـ	نحو ١٢٨٠ هـ
٢٤٢	٢٠	فكان	فكاد
٢٤٤	١٤	بمطقة	بمنطقة
٢٤٧	٦	ووقيت خيرا	ووقيت ضيرا
٢٤٧	١١	المفتفر	المفتقر
٢٥٠	٢٠	والقبطة	والقبضة
٢٥٢	٣	شمس عصرنا	يا شمس عصرنا
٢٥٣	١٤	فى الغالب	فالغالب
٢٦٢	٨	الرشيد	الرشد
٢٦٧	٣	المقائد	القائد
٢٦٨	٢٥	ما ينويه	ما ينوبه
٢٧٢	٤	فكانوها فى	فكانوها ولكن فى
٢٧٦	٢٢	سنة ١٣٢٣ هـ	سنة ١٣٢٢ هـ
٢٧٨	٢١	والحصر	والحضر
٢٧٨	٢٥	من ضم	ممن ضمٌ
٢٨٠	١٥	لو يقاس	لو يباع
٢٨١	٢	جائر	حائد
٢٨٢	١٢	الشرور	السرور
٢٨٣	١٥	ومرارا	وقرارا
٢٨٤	٢٩	ويجب	ويحب
٢٨٦	٢٠	مو الاولاد	من الاولاد
٢٨٨	٦	ذلك	ذاك
٢٨٨	١٣	وتتغصت	وتنغصت
٢٨٨	٢٧	وفى الجو فليق	وفى الجو فيلق
٢٨٩	٨	الندب	العذب
٢٩٣	٢٨	منكس	منكسر
٢٩٧	٣٢	من القبائل	مع القبائل
٢٩٨	٢٢	سؤالا	سؤال متفهم
٢٩٨	٢٩	من ماء واحد	بماء واحد

صفحة	سطر	خطـا	صواب
٢٩٩	٣٢	ولان نلفظ	وانما نلفـظ فى التفصيل
٣٠٢	١٠	ولا تستمليه	ولا تستميله
٣٠٦	١٥	وقد علم هذا	وقد كان هذا
٣١٩	٧	(فى سول	فى (سوق

الفهرس السابع في الالفاظ الشلحية التي فيها حرف مشدد

اضّار وّامّان
افكّور
استّيف
اينت وّاعلا
اينت وّاعزّون
التّيد
احدّادّو
ارّلو
اوبّاكّي
اوبّاكّا
اوشّان
اوشّتّن
اوجدّي
اوبوشتّي
ايبير وتّن
ايمستّكر
ايداوزّيكي
ايداونعمّا
ايمي وّارسيف
ايموزّار

ايسّن
ايداوكّازّو
ايفرّي يتّيغيل
ايمنشّيرّن
ايكرّومّا
ايسكّتيوار
بارزّي
بوشتّي
بوزكّار
بوشّان
بوزامّور
بوشاكّا
تامنشّيرّت
تيشكّجّي
تيمكّنطّي
تيزي اوعطّار
تيزي نتعنزّ
تيمكّيدّشت

تيعنزّات
تيزّيرّت
حايدّو
حدّوش
دوترّگا
الكرّنوبي
ويشدّان

تنبيـــه

ان الاخطاء والتحريفات والاوهام من عادات كل مـؤلف مؤلف فرحم الله من صحح نسخته على هذه التصحيحات التى فى ءاخر الكتاب . ثم نبهنـا على ما سيقع عليه بعـد ذلك ـ ولا يكون قليلا ـ لنستدركه فيما بعد . كما نرجو من كل مطالع أن ينبهنا على الاسماء وعـلى كل ما يراه محرفا عـن أصله . فاننا لانبيع الكتاب على البراءة . وخصوصا أمثالنا الذين يعتمدون عـلى النقل من الافـواه غالبا . فالوهم قـد يكون منا أو من المخبرين أو منا معا .

المؤلف

طبـع بمطبعة النجاح = الدار البيضاء
المغرب الاقصى
عـام ١٣٨٢ هـ = الموافـــق ١٩٦٢ م

محمد المختار السوسي

السّويرة تكتب بالسين وهو
تصغير السور واما بالصاد فهو
لحن بلا ريب ص 181

تحشى خرق العادة ص 31

قال محمد عبده:
ما جنى على التصوف الأمن كتبوا فيه بحلّ ما فيه ص 140 تعليق

انظر ما في صحيفة رقم 212

نزول سعيد الجيلولي الى سوس
وما كتب فى دار ابي فارس الادوزي
ص 206

السيد ابراهيم بن علي
التاغانيميني توفي
989 هـ ص 15
وص 72

المعسول

بعب

راجع ص 28 والمؤلف
يحكي عن نفسه سورة الغضب
التي تعتريه في بعض الاحيان
كما قال تواضعاً.

مدرسة تانالكوست
اعان من بناتها الشيخ
الحاج علي
ص 76

١٥

المغرب